صدر العدد الأول العام 1958

مجلة كلية الآداب

مجلة نصف سنوية تصدر عن كلية الآداب بجامعة بنغازي

نسير نحو المستقبل بخطى واثقة



ISSN: 2523 – 1871

د 42 (يونيو 2024)

شخصية العدد

الدكتور الراحل محمّد المهدي الغزالي



مجلة كلية الآداب

مجلة نصف سنوية تصدر عن

كلية الآداب بجامعة بنغازي

العدد 42

(يونيو 2018)

مجلة كلية الآداب

مجلة نصف سنوية تصدر عن

كلية الآداب بجامعة بنغازي

العدد 41

(ديسمبر 2017)

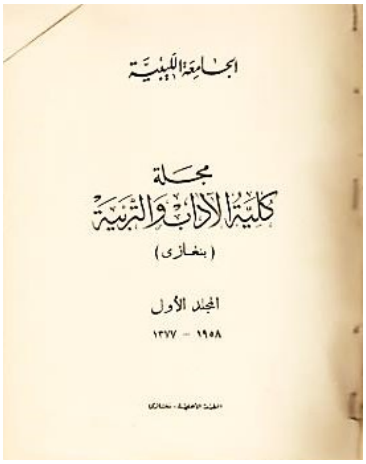
صدر العدد الأول من المجلة

العام

1958

تحت اسم

مجلة كلية الآداب والتربية



نسعى جميعا نحو الأفضل

هذا هو شعارنا

الرقم الدولي الموحد للنسخة المطبوعة للمجلة الصادر

عن الوكالة الدولية للترقيم الدولي

ISSN: 2523 – 1871

حقوق النشر والطبع

كلية الآداب – جامعة بنغازي

تصميم وتنسيق: مدير التحرير

ISSN: 2523 – 1871



أسرة التحرير

تتكون من أعضاء هيأة التدريس بكلية الآداب – جامعة بنغازي

رئيس التحرير

د.عزة أبوبكر أكريم المنصوري

مدير التحرير

أ.خديجة موسى الفضيل بوعمر

فريق التحرير

د.ادريس مختار القبائلي

د.فاطمة مفتام فرج الفلاح

د.محمد علي محمد الكوافي

أ.كريمة أحمد الجهيمي

أ. أمينة محمد الزوام

المُدقق اللغوي في اللغة العربية

أ.علي عبدالهادي الشركسي

ISSN: 2523 – 1871

محتويات العدد

رؤية من أجل التميز/ بقلم رئيس التحرير 6

شروط النشر في مجلة كلية الآداب 7

شخصية العدد: الدكتور: محمّد المهدي الغزالي 9

أولا: الدراسات والمقالات باللغة العربية

منهج الأوائل في دراسة العربية/ د. ونيس مفتاح القماطي 12

الوصف الصّوتيّ للقاف بين القدامى والمحدثين: دراسة تحليليّة نقديّة/ د. آمال الصّيد أبوعجيلة.... 28

المؤاخذات النحوية على ابن مجاهد من خلال تخطئته للقراءات الصحيحة: دراسة وصفية تحليلية نقدية/ د. نوري حسن حامد المسلاتي 46

القيم الأخلاقية في شعر عَدّي بن زيد العِبّادي/ أ. سعاد غيابة 74

علاقة بعض المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية بظاهرة العود إلى الجريمة: دراسة ميدانية لبعض السجناء العائدين إلى الجريمة بمؤسسة الإصلاح والتأهيل بمدينة طبرق/ د.عمر اكريم عبد النبي 99

دراسة تحليلية لبعض المعوقات التي تواجه التربية البدنية المدرسية بمراحل التعليم الأساسي والثانوي بمدينة أجدابيا/ د. محمد سليمان عبد المجيد المغربي– أ. فرج محمد سالم الفيتوري 127

أثر نظامين تدريبيين بالأثقال على تحسين القدرة الانفجارية لعضلات الرجلين والذراعين والأداءات الهجومية لدى لاعبي كرة السلة/ د. محمّد عبد القادر الشيخي– د. يوسف عمران النجار 145

شوارع مدينة طرابلس في العهد القرمانلي وتخطيطها العام/ أ. مصطفى فرج علي البركي – د.روزية صديق – د.أزمول بن قمر الزمان..... 171

الحماية الدستورية للتراث الأثري في ليبيا/ د. أحمد عيسى فرج الحاسي 201

مفهوم القدرة الاستيعابية ودورها في قياس الآثار السياحيةعلى الجوانب الاقتصادية والثقافية والبيئية/ ترجمة د. سعيد صفي الدين الطيب 216

الفقارات: النظام التقليدي المستدام لحصاد المياه الجوفية السطحية في المناطق الجافة و شبه الجافة مع الإشارة إلى ليبيا: مراجعة للدراسات السابقة/ د. هويدي عبد السلام الريشي 242

الدبلومة العسكرية في العصر الروماني/ د. رجاء مصطفى موسى جبريل 273

التواصل الحضاري وأثر الفكر الفلسفي في إيجاد مصادر التصوف غير الإسلامية/ د. مقبولة مسعود علي العوامي..... 288

ثانيا عرض كتاب

- عرض كتاب بعنوان: مبادئ وقضايا علم الأرشيف/ أعد العرض: أ.خديجة موسى الفضيل بوعمر 322

ثالثا: الدراسات والمقالات باللغات الأخرى

The Role of Benina Airport in the Development of Eastern Part of Libya /Prof. Salem F Salem - Ms Fatima Bayou..... 325

The Problems Facing the Second Semester Students in the English Department in Learning English Modal Verbs/ Dr.Nora Saad Elarfi 359

Syntactic Theory Perception on Language Acquisition / Dr.Youssif Zaghwani Omar……..……. 378

ISSN: 2523 – 1871

الكلمة الافتتاحية: رؤية .... من أجل التميز

يتمحور الهدف الأساسي من النشر العلمي في تبادل العلوم والمعارف، وجعلها متاحة، وفي متناول الجميع، مما يتيح تكامل جهود العلماء والباحثين في شتى المجالات العلمية؛ لتقريب المسافات ووجهات النظر. ولأنَّ النشرَ العلميَّ مظهرٌ من مظاهر تقييم المؤسسات والأشخاص، اتفق أعضاء هيأة التحرير لمجلة كلية الآداب الجديدة في اجتماعهم الأول على مواصلة المشوار، وتحديد رؤية عامة للمجلة، تتمثل في السعي نحو الريادة والتميز بين المجلات العلمية، وتوفير وعاء أكاديمي متميز، ومنافس على الصعيد المحلي والدولي.

ولتحقيق ذلك اعتُمِدت جملة من الأهداف الاستراتيجية، تتمثّل في الآتي:

- ***الهدف الاستراتيجي الأول:*** الإجادة والتميز، وذلك من خلال تحقيق تقدم في التصنيفات العالمية، وإدراج المجلة ضمن فهارس المجلات العلمية ذات معامل التأثير المتقدم في قواعد المعلومات.
- ***الهدف الاستراتيجي الثاني:*** محكمون متميزون، حيث بدأ العمل على التعاون مع نخبة من أعضاء هيأة التدريس للتحكيم والاستشارة، يتميزون بغزارة إنتاجهم الفكري، من مختلف التخصصات العلمية، ومن جنسيات عربية مختلفة.
- ***الهدف الاستراتيجي الثالث:*** التركيز على الكيف وليس الكم، وذلك من خلال العمل على الارتقاء بمستوى جودة البحث العلمي، من خلال إعادة هيكلية قواعد النشر، ومراعاة الأسس والمعايير العالمية في كتابة الأبحاث العلمية، والبعد عن الممارسة الخاطئة في النشر، وذلك بتوظيف البرامج التقنية المختلفة.
- ***الهدف الاستراتيجي الرابع:*** تعزيز قدرات الباحثين والمحكمين، من خلال العمل على تنظيم عدد من ورش العمل المرتبطة بالنشر العلمي. والعمل على تشجيع باحثين من جنسيات عربية مختلفة لنشر أبحاثهم بالمجلة. ولأننا نبحث عن التميز دائما فقد أصدرت المجلة نشرة إخبارية بعنوان: (الموجز)، نهدف من خلالها إلى إحاطة أعضاء هيأة التدريس والباحثين بكل ما هو جديد من نشاطات علمية.
- ***الهدف الاستراتيجي الخامس:*** بناء جسور التواصل مع المؤسسات الأكاديمية المتخصصة في مجال النشر؛ وذلك لمواكبة التطورات التي تحدث في مجال النشر.

وفي الختام، ندعو الله أن يوفقنا في أداء هذه المهمة، وندعوكم إلى التعاون وإثراء المحتوى العلمي للمجلة، من خلال المشاركة بأبحاثكم، وأن نكون خياركم الأول، ومنبركم الأكاديمي.

ISSN: 2523 – 1871

شروط النشر في مجلة كلية الآداب

ترحب هيأة تحرير المجلة بالمشاركات والبحوث والدراسات العلمية وفق الشروط الآتية:

1. أن تكون المشاركة العلمية ضمن تخصص المجلة، سواء أكانت من داخل الجامعة أم خارجها.
2. أن يكون البحث خاليًا من الأخطاء الإملائية واللغوية.
3. أن يكتب في صفحة مستقلة: عنوان البحث، واسم الباحث وعنوانه، وترفق مع البحث السيرة الذاتية للباحث.
4. أن يكون عدد صفحات البحث بين 15 – 25 صفحة، بما في ذلك ثبت المصادر والمراجع.
5. أن يُكتب في بداية البحث مستخلص (Abstract) باللغتين العربية والإنجليزية، يتناول: تحديد مشكلة البحث، والغرض منه، والمنهجية المتّبعة، وطبيعة البيانات وطرق تحليلها، مع الإشارة إلى أهم النتائج والتوصيات.
6. أن يكتب بعد المستخلص الكلمات المفتاحية لأهم المصطلحات المستخدمة في البحث.
7. أن يكون التوثيق وفق طريقة جمعية علم النفس الأمريكية (APA).
8. يسمح بنشر البحوث التي يعتمد أصحابها على مصادر ثانوية، إذا ما جاءت بفكرة جديدة لم يسبق طرحها أو نشرها.
9. ألَّا يكون البحث قد سبق نشره ورقيا أو إلكترونيا.
10. تُحال المادة المقدمة للنشر إلى مقيمَيْن اثنين، وفي حال اختلاف الآراء تُحال إلى مقيمٍ ثالث، وإذا كانت الموافقة مشروطة بالتعديل يرد البحث إلى الباحث؛ لإجراء التعديلات اللازمة في أسرع وقت.
11. البحوث المقدمة من أعضاء هيأة التدريس بدرجة أستاذ لا تُحال إلى التقييم، ولكن تُعرض على هيأة تحرير المجلة؛ لتحديد مدى ملاءمتها لشروط النشر.

12.ترحب المجلة بالبحوث المكتوبة باللغة العربية وغيرها من اللغات الحية المعتمدة في الجامعة.

13.تُرحب المجلة بالبحوث المترجمة، شرط أن يُقدّم المؤلف ما يثبت تحمله المسؤولية القانونية المترتبة على ذلك.

14.ترحب المجلة بنشر المستخلصات الخاصة برسائل الماجستير وأطروحات الدكتوراه المجازة بالكلية.

15.تُرحب المجلة بنشر عروض الكتب المُعدة وِفق أُسسٍ علمية، تُركِزُ على محتوى الكتاب وموضوعه لا على شخص المؤلف.

16.لهيأة التحرير الحق في عدم نشر أي بحث يتعارض مع هذه الشروط دون إبداء الأسباب.

17.أن يكون الخط المستخدم في طباعة البحوث المكتوبة باللغة العربية هو Simplified Arabic ، والحجم: 16 للعناوين، و14 للمتن، و12 للجداول والأشكال والهوامش، أما المكتوبة بغير اللغة العربية فتطبع بخط Times New Roman، والحجم: 14 للعناوين، و12 للمتن، و10 للجداول والأشكال والهوامش.

18.يجب أن تكون الهوامش الخاصة بحواف الصفحة: 3 سم من الأعلى، و2.5 سم لباقي الهوامش، أما المسافة بين الأسطر فتكون 1.15 سم.

19.تُنشر البحوث وتُرتَّب وفقا لسياسة المجلة في توزيعها.

20.الآراء والمعلومات الواردة في البحوث المنشورة لا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

21.يكون التواصل مع المجلة عبر صفحتها على موقع التواصل الاجتماعي: https://www.facebook.com/foa.journal.uob/ أو عبر البريد الإلكتروني: arts.journal@uob.iy

22.ستُطبع المجلة ورقيًّا، وتُتاح إلكترونيًّا على موقع الجامعة.

ISSN: 2523 – 1871

شخصية العدد



الدكتور: محمّد المهدي الغزالي

أستاذ الأدب والنقد بقسم اللغة العربية جامعة بنغازي

****

- هو محمّد ابن القاضي الشيخ المهدي محمّد الغزالي الخطابي الإدريسي الحسني.
- ولد في مدينة سوسة، عام 1942م.
- توفي في بنغازي عام 2015م.

سيرته العلمية

- كان –رحمه الله– من المتفوقين في دراسته، حيث تحصّل على الترتيب الأول على مستوى ليبيا في الشهادة الثانوية.
- درس اللغة العربية وآدابها في الجامعة الإسلامية بالبيضاء، وتحصّل على الليسانس عام 1966م، وعُيِّنَ معيدا بالجامعة.
- انتقل إلى فرنسا؛ لاستكمال دراسته العليا، حيث تحصّل على الدكتوراه في الأدب المقارن والنقد الأدبي، من جامعة السوربون بباريس؛ عام 1977م.
- عُيِّنَ على درجة محاضر بكلية الآداب، جامعة قاريونس؛ عام 1978م.
- كان –رحمه الله– مجتهداً في عمله، ويتحمل أعباء السفر في سبيل العلم والتعليم، فقد كان متعاونا للتدريس مع كليات: درنة، والقبّة، البيضاء، والمرج، والكفرة، وسلوق، وتوكرة.
- قام بالإشراف على العديد من الرسائل العلمية، في جامعات محلية ودولية؛ منها: جامعة بنغازي، جامعة طرابلس، جامعة عمر المختار، والجامعة الإسلامية بماليزيا؛ التي نُدِبَ إلى العمل بها بصفته أستاذًا مشاركًا بقسم اللغة العربية.

ISSN: 2523 – 1871

كُلِّفَ بالأعمال الآتية:

- ❖ رئاسة قسم اللغة العربية من عام 1978م إلى عام 1984م.
- ❖ عضو اللجنة العلمية بقسم اللغة العربية.
- ❖ رئيس لجنة الدراسات الأدبية بقسم اللغة العربية.
- ❖ عضو لجنة تحرير مجلة الآداب بجامعة بنغازي.

****

قدّم للمكتبة كتباً وأبحاثاً باللغة العربية واللغة الفرنسية؛ منها:

- نظرية فن القول عند حازم القرطاجنّي.
- التعريف بالشاعر الليبي عمر الأسطى.
- موسوعة آل البيت. وغيرها.

رثاه صديقه ورفيقه في طلب العلم الشاعر الدكتور: عبد المولى البغدادي؛ أستاذ الأدب بجامعة طرابلس، رثاه بقصيدة طويلة؛ منها قوله:

هَــا أنتَ ترحلُ والأعمارُ راحلةٌ ... والموتُ ما بينَ إسراعٍ وإبطاءِ

فكنتَ أسرعَ منّا في اللحاقِ به ... في ذمّةِ الله يا أغلى أحبّائِي

في ذِمّةِ الله من أضفَى مودّته ... علَيَّ في محنتِي واختارَ إيخائِي

رحلتَ عنّي ولم ترحلْ كأنَّكَ مِنْ ... نورٍ تسرَّبَ في روحي وأعضائِي

إلى أن قال في ختامها:

لكنَّه القدَرُ المحتومُ فرَّقَنَا ... علَى قوائم أمواتٍ وأحياءِ

لا زالَ منه بريقٌ في مُخيِّلَتِي ... يرتادُنِي كلَّ إصباحٍ وإمساءِ

رحمه الله تعالى، وجزاه عن العلم وأهله خيراً.

ISSN: 2523 – 1871

أولا: الدراسات والمقالات باللغة العربية



ISSN: 2523 – 1871

منهج الأوائل في دراسة العربية

د. ونيس مفتاح القماطي

قسم اللغة العربية بكلية الآداب جامعة بنغازي

المستخلص

أغفل معظم مؤرخي اللسانيات (Linguistics) الجهود العربية في بناء النظرية اللغوية؛ على الرغم من أن بعضهم أشار إلى مساهمة العرب. وتبرز هذه الدراسة الإطار النظري لمنهج الأوائل، المنبثق من الرؤية الإسلامية الشاملة للكون التي جعلت منه منهجاً تفاعلياً. وقد بدأ الأوائل تأسيس منهجهم من خلال تحديدهم الهدف من دراسة اللغة، ومن ثم تحديد الآليات والإجراءات، التي تؤدي إلى تحقيق ذلك الهدف. وتشير الدراسة إلى أنهم اعتمدوا كذلك في جمعهم المادة اللغوية على الفصحاء من العرب، فارتحلوا إليهم، وشافهوهم، كما ساءلوا حدسهم أيضاً.

الكلمات المفتاحية:

النظرية اللغوية – منهج الأوائل

الدراسة

أغفل معظم مؤرخي اللسانيات (Linguistics) الجهود العربية في بناء النظرية اللغوية (مونان ، 1981 : 162 . 165، المسدّي ، 1981 : 23 . 24)؛ وعلى الرغم من أن بعضهم أشار إلى مساهمة العرب، لكن تلك الإشارات كانت عابرة (روبنز، 1979: 172 . 173)؛ بل إن بعضهم ذهب إلى القول بتأثر الدرس اللغوي عند العرب بغيره من المناهج (Lyons, 1975., P.19)؛ ولذلك كان الحديث عن المنهج العربي غامضاً ومشوّشاً عند الباحثين العرب، فتارة يُوصف بأنه معياري (Prescriptive) (حسان، 2001 : 13 ، 1980 : 23 . 26 ، 172 . 171 ، 1979 : 24 . 25)، وتارة بأنه وصفي (Descriptive) (الراجحي ، 2008 : 60 ، حسان ، 1980 : 22 . 23)، وتارة بأنه توليدي (Generative) (زكريا ، 1986 : 5 ، 1982 : 47 . 49، الراجحي، 2008)، وتارة أخرى ينكر بعضهم وجوده (زكريا ، 1986 : 5 ، 1982 : 47 . 49، الراجحي، 2008).

وتبرز هذه الدراسة الإطار النظري لمنهج الأوائل، المنبثق من الرؤية الإسلامية الشاملة للكون (النشار ، 1981 : 35، 39)، التي جعلت منه منهجاً تفاعلياً (Interactive) حيث تفاعلت فيه الوصفية وتكاملت مع التوليدية، كما طرح في الوقت ذاته المعيارية؛ إذ اعتمد على الشكل المكتوب من اللغة مادةً لدراسته، كما اعتنى بكل المستويات اللغوية (دي سوسير ، 1985 : 48 . 50 ، السيوطي ، 1987 : 14/1 . 15، Lyons, 1975., P.19 ، البكوش ، 2004 : 75).

وبهذه الأبعاد ولد المنهج التفاعلي لدى الأوائل، وأصبح عَلَماً على حضارة أمة وثقافتها، متفرداً بين مناهج الدراسة اللغوية، ولو أنصف المؤرخون الغربيون لعلوم العرب في عرضهم للمنهج العربي: ((في اللغويات العامة عند نقلهم لعلومهم في فجر النهضة، لكانت اللسانيات المعاصرة على غير ما هي عليه اليوم))(المسدي، 1981: 26).

للإسلام دورٌ أساسيٌّ في نقل المجتمع العربي من الثقافة الشفهية التي كانت تسيطر على مختلف شؤون الحياة، إلى الثقافة الكتابية التي أصبحت مكوّناً من مكوّنات حضارته. فالدين الجديد يدعو إلى المعرفة والعلم، والأخذ بأسباب ذلك عن طريق القراءة والكتابة (الشكعة، 1979: 11، 17 . 19)، وقد تمثلت هذه الدعوة من خلال الآيات الأولى من القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**﴾ (سورة العلق، الآيات: 1 . 5)؛ ولهذا شكّل القرآن الكريم محور اهتمامهم، أداءً، وفهماً، قراءةً، وتدبّراً. ومن ثم أصبح حجر الزاوية في الدراسات العربية الإسلامية. (ابن خلدون، 1960: 949/3، بروكلمان، 1983: 30/2 . 33، روبنز، 1997: 171، زيدان، (د. ت): 44/2).

ونتيجة لهذا الاهتمام كان علم القراءات أول علم يولد في الإسلام (زيدان، (د. ت): 43)، وفي هذا العلم الجديد حظي النص القرآني بالعناية والاهتمام، كيفيةً وأداءً؛ إذ تأسس منهجه على ((الأثبت في الأثر، والأصح في النقل)) (السيوطي، (د. ت): 75/1). وفي الوقت ذاته توجه الاهتمام إلى فهمه، وتدبره؛ امتثالاً لقوله تعالى: ﴿**كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ**﴾ (سورة ص، الآية: 25)؛ لأن القراءة وحدها دون تدبّر أو فهم، لا طائل تحتها، ولا هدف لها، (الزركشي، 2004: 220/1 . 223،

171/4، الزمخشري، 1947: 90/4)، وقد أخذت المباحث الإسلامية حول النص القرآني تنمو وتتطور، فنشأت علوم إسلامية أخرى مثل: التفسير، والفقه، وعلم الكلام، والنحو، وغيرها من العلوم، (ابن خلدون، 1962: 1247/4 . 1248، زيدان، (د. ت): 42/2 . 44، السيوطي، (د. ت): 6/1 . 7).

في هذا الجو العلمي، الذي تنوّعت فيه المباحث القرآنية، نشأت الدراسات النحوية؛ حيث اشتهر الكثير من القراء بتأملاتهم اللغوية، وآرائهم النحوية، مثل: أبي الأسود الدؤلي، الذي تُعزى إليه بدايات النحو العربي (ابن النديم، 1988: 40 . 45، القفطي، 1950: 14/1 . 15)، ونصر بن عاصم، والسيرافي، وأبي عمرو بن العلاء، ويونس بن حبيب، والكسائي، وغيرهم (ابن النديم، 1988: 30 . 37) ولهذا كان تأثير المباحث القرآنية المختلفة كبيراً وعميقاً في توجيه الدراسات النحوية، وتأسيسها؛ حيث استعارت من القراءات مبدأ الصحة في النقل، والثبوت في الرواية، كما أخذت من التفسير الاهتمام بعنصر المعنى، والربط بين المذكور في الكلام، والمقدر منه، إلى جانب أخذها الاستقراء، والاستنتاج من الفقه وأصوله (فيرستيج، 2007، 80/3 . 81، الجابري، 1996: 137).

وبالجمع بين هذين المبدأين: النقل الموثق للمادة اللغوية من جهة، وإعمال العقل فيها من جهة أخرى، تمكّن الأوائل من علماء العربية، من الوصول إلى قواعد عامة، وقوانين كلية، تفسر بنية الملكة اللغوية، وأنظمتها الداخلية، والعلاقات القائمة بينها، وتجمع شتات المادة اللغوية، وتفسر أجزاءها، في إطار كلي، ونظرة شمولية (ابن جني، (د. ت): 48/1. 55، 30/3 . 31، السيوطي، 1987: 59/1، ابن خلدون، 1960: 1027/3 . 1030، الجابري، 1998: 76، الأنباري، 1971: 136 . 137، دمشقية، 1976: 17 . 24)، وبهذا العمل الرائع والمبتكر يعتبر الأوائل من النحاة من علماء القرن الأول والثاني من الهجرة المتمثلين في أساتذة الخليل، وسيبويه، ومن تتلمذ لهما فيما بعد، أو عاصرهما من النحاة . المؤسسين الحقيقيين للنظرية اللغوية العربية، التي ابتكرت المنهج التفاعلي (Interactive) واتخذته أساساً في دراسة الظاهرة اللغوية وتحليلها، ويمثل كتاب سيبويه هذا المنهج أصدق تمثيل، حيث بنيت معالجات هؤلاء العلماء اللسانية وتحليلاتهم اللغوية على خلفيات فكرية سليمة، لم تتأثر بعلوم دخيلة، أو فلسفات وافدة؛ بل انطلقت من خلال إيمان هؤلاء المؤسسين بفطرية اللغة، وتفاوت المتكلمين في قدراتهم اللغوية، كفايةً وأداءً، إلى جانب اعتمادهم على الاستنتاج والاستنباط مع الملاحظة والاستقراء،

إدراكاً منهم بأن الدراسة اللغوية لا تصبح مجديةً إذا لم تتوفر لها هذه العناصر جميعاً (طحان وطحان، 1982: 16 . 27، عبده، 1973: 10 . 26، بروكلمان، 1983: 128/2 . 135، أنيس، 1972: 17 . 20، السيد، 1968: 102 . 105، البكوش، 2004: 36، 63، 75، حسان، 1980: 20 . 23، 27، جهامي، 1986: 15، فك، 1980: 59 . 60، الجرجاني، 1992: 4 . 5، 8، الراجحي، 1979: 33 . 44، عيد، 1978: 20، الرضي، 1978، 428/3، الطنطاوي، 1968، 164، فيرستيج، 2007، 68/3، Stekevychi، 1970. ، P. 3).

قد تميّز عمل الأوائل بالأصالة والابتكار، وهذا ما دفع بعض الباحثين إلى الإعجاب به، والإشادة بالعقلية العربية، حيث يقول: ((إذا كانت الفلسفة هي معجزة اليونان، فإن علوم العربية هي معجزة العرب))(الجابري، 1998: 80)؛ لأن الوصول إلى فهم آلية اللغة، ومعرفة أسرارها، واستخلاص قوانينها، أمر في غاية الصعوبة، فهو أقرب ما يكون إلى المعجزة، وهذا ما يؤكده باحث آخر بقوله: ((لا تنطوي مهمة النحوي على وضع القواعد لتلك البنى الكاملة التي يعرفها العرب معرفةً تامةً كونها لغتهم الأم، ولكنه يفعل ذلك من أجل الكشف عن الأسرار الكامنة وراء اللغة))(فيرستيج، 2007: 8/3)، وبهذه النظرة الكاملة والشاملة للظاهرة اللغوية من خلال ما تعكسه أبنية اللغة وتراكيبها، صار هذا المنهج ممثلاً لروح الحضارة الإسلامية، ومكوّناً من مكوّنات العقل العربي، حيث تمثل ((جوانب النحو فلسفة إسلامية خالصة: فكرة الزمان، الماضي والحاضر والمستقبل، فكرة التعليل، فكرة القياس العقلي النحوي، وفي إيجاز كل مقولات العقل الإسلامي ينبغي أن تستمد في أعماق النحو واللغة))(النشار، 1987: 56).

بدأ الأوائل تأسيس منهجهم من خلال تحديدهم الهدف من دراسة اللغة، ومن ثم تحديد الآليات والإجراءات، التي تؤدي إلى تحقيق ذلك الهدف، المتمثل في فهم القرآن الكريم، وإدراك معانيه (طحان وطحان، 1982: 22 . 23، الراجحي، 2008: 51، السامرائي، 1987: 11)، وقد أدركوا أن فهم أبعاد النص القرآني لن يتحقق إلاَّ من خلال معرفة الفصحى، وامتلاك ناصيتها (الزركشي، 2001: 370/1 . 378، السيوطي، (د. ت): 114/1، 179)؛ ولهذا اتجهوا إلى دراسة قوانين الملكة اللغوية، التي تحكم أداء الناطقين، واستخراج قوانينها الثاوية وراء نظام العربية، وهذا ما يؤكده أحد الباحثين؛ إذ يقول: إن

النحاة العرب ((استنبطوا من مجاري كلامهم قوانين لتلك الملكة، مطّردة شبه الكليات، والقواعد، يقيسون عليها سائر أنواع الكلام))(ابن خلدون، 1962: 1256/4).

إن الاتجاه إلى دراسة قوانين الملكة اللغوية مكّن الأوائل من تفسير تفاوت الكلام العربي فيما بينه، قوةً وضعفاً، خفاءً ووضوحاً، عن طريق ربطه بقدرات الناطقين اللغوية، وهذا ما يعبر عنه بعضهم بقوله: ((كلام الناس في طبقات، كما أن الناس أنفسهم في طبقات، فمن الكلام: الجزل، والسخيف، والفصيح. . . وكله عربي))، (الجاحظ، 1990: 133/1). فالكفاية اللغوية (Linguistic Competence) لدى الناطقين باللغة متفاوتة، ومتباينة، ولا يوجد مجتمع لغوي واحد وموحد، كما يزعم بعض البنيويين (تشومسكي (أ)، 1993: 74 . 75)؛ لأن: ((اللغات كلها ملكات. . . وجودتها وقصورها بحسب تمام الملكة أو نقصانها، وليس ذلك بالنظر إلى المفردات، وإنما بالنظر إلى التراكيب))(ابن خلدون، 1962: 1268/4). ولهذا قسّم الأوائل الكلام العربي إلى: ((مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، ومحال كذب))، (سيبويه، 1966: 25/1)، ونتيجة لاختلاف الناطقين من حيث قدراتهم اللغوية، التي يعكس الأداء جزءاً منها؛ فقد اضطروا إلى تحديد المستوى اللغوي –موضوع الدراسة– على أنه المستوى الفصيح من الكلام العربي، الذي تمثل في لغة القرآن الكريم، كما تمثل في لغة الشعر الجاهلي، ولغة الفصحاء من العرب (الأنباري، 1971: 81 .83، فك، 1980: 15 .16، حسن، 1966، 20). والفصيح من الكلام العربي – كما يراه الأوائل– هو الكلام الأكثر شيوعاً واستعمالاً بين العرب، شعراً كان، أم نثراً، وهذا ما يعبر عنه أبو عمرو بن العلاء مخاطباً أحدهم حين قال له: ((أخبرني كيف تصنع فيما خالفتك فيه العرب وهم حجة؟ فقال: أحمل على الأكثر، وأسمي ما خالفني لغات)) (السيوطي، 1987، 184/1 . 187). والشيوع – كما يرونه– يعني موافقة الكلام لقوانين الملكة اللغوية، ولذلك لا يأخذون اللغة إلاَّ عمّن وافق أداؤه اللغوي تلك القوانين؛ أما إذا أظهر الناطق عدم موافقته لها: ((يهجروه ولم يسمعوا منه)) (الجاحظ، 1990: 146/1)؛ لأنه خرج عن النسق العام لنظام العربية، كمن يستبدل (لم) بـ(لن) في حالة النصب (الأنباري، 1971: 82)، فالانحراف عن قوانين الملكة هو الذي يجعل الكلام غير فصيح. وهذا – تقريباً– ما عناه ابن جني عند تفسيره عدم أخذ اللغة عن سكان المدن بقوله: ((كلام أهل الحضر مضاهٍ لكلام فصحاء العرب في حروفهم، وتأليفهم، إلاَّ أنهم أخلّوا بأشياء من إعراب

ISSN: 2523 – 1871

الكلام الفصيح)) (ابن جني، (د. ت): 29/2)، فالفصاحة في الكلام موافقته قوانين الملكة ليس إلاَّ، فالفصيح قد يكون بدوياً، كما قد يكون حضرياً، إذ ((لو علم أن أهل مدينة باقون على فصاحتهم، ولم يعترض شيء من الفساد للغتهم، لوجب الأخذ عنهم كما يؤخذ عن أهل الوبر، وكذلك لو فشا في أهل الوبر ما شاع في لغة أهل المدر من اضطراب الألسنة وخبالها، وانتقاص عادة الفصاحة وانتشارها، لوجب رفض لغتها، وترك تلقي ما يرد عنها)) (ابن جني، (د. ت): 5/2). وهذا بالفعل ما اعتمده الأوائل؛ إذ أخذوا اللغة عن الفصحاء جميعاً دون تفريق بين بدوي أو حضري، وهو ما يشير إليه قول سيبويه: ((والبيان في كل هذا عربي جيد حجازي)) (سيبويه، 1975: 347/3)، فهو هنا يصف لغة أهل الحجاز – وهم الحضر – بالجيدة، كما يصفها أحياناً بالقديمة الجيدة كقوله: ((وهي اللغة العربية القديمة الجيدة)) (سيبويه، 1975: 497/3). فالفصاحة – وإن شاعت بين أهل البادية– ليست مرتبطة بالبداوة كما يرى البعض (السيوطي، 1987: 212/1 . 214)، فالأخذ عن العرب لم ينحصر في القبائل البدوية وحدها؛ إذ بلغت نسبة الأخذ عنها حوالي 86% من مجموع ما أخذ عن العرب، كما بلغت نسبة الأخذ عن القبائل الحضرية أيضاً حوالي 14% (زكريا، 1982: 38 . 40، الهامش رقم 4، 53 . 54، سيبويه، 1975: 197/5 وما بعدها)، وكما أن الفصاحة ليست مرتبطة بالبداوة؛ فهي أيضاً ليست مرتبطة بالعامل الديني كما يزعم البعض (حمزاوي، 1986: 14 . 15)؛ بل إنها مرتبطة بالمستقيم من الكلام، ودرجته في الاستقامة، كما عبر عن ذلك الأوائل (سيبويه، 1966: 25/1)، ونتيجة لهذا اعتبر القرآن الكريم أفصح الكلام العربي (السيوطي، 1987: 213/1، فك، 1980: 16 . 17). فبقدر تدرج الكلام في سلم الاستقامة يندرج في سلم الفصاحة أيضاً؛ لأن الملكة اللغوية عند الناطقين بالعربية متدرجة، ومن ثم صارت الفصاحة أنواعاً، أو فصاحات (السيوطي، 1987: 212/1، حمزاوي، 1986: 7).

ولهذا اتخذ الأوائل الناطق الفصيح (Ideal speaker – hearer) موضوعاً لدراستهم؛ لأن الهدف كان منصبّاً على دراسة اللغة المبنية داخلياً (Internalized Language) التي تبرز صور التمثيل العقلي لكل المستويات اللغوية: النحوية، والصرفية، والصوتية، والدلالية، وربطها بالأداء اللغوي، أو مخرجات الكلام الفعلية (تشومسكي (أ)، 1993: 104 . 107). وبعد حوالي خمسة عشر قرناً أو يزيد، أخذت المدرسة التوليدية المعاصرة ذلك المبدأ، وجعلته أحد أركانها، حيث اعتبرت أن ((نحو اللغة وصف

ISSN: 2523 – 1871

للكفاية الفطرية عند الفصحاء)) (Chomsky، 1976. ، P. 4)، والناطق الفصيح – كما يراه الأوائل– يتصف بالطلاقة في التعبير، والدقة في الفهم، فهو متمكن من ناحية اللغة فهماً وإفهاماً على حدٍّ سواء (السيوطي، 1987: 184/1، الجاحظ، 1990: 133/1). ويقترب وصف التوليديين مع وصف الأوائل هذا؛ إذ تعتبره هذه المدرسة ((مالكاً لمعرفة تامة بلغته)) (Ibid، 1976. ، P. 30)، فهو لا يجد صعوبة في استخدام اللغة، ويظهر ذلك من خلال: ((القدرة على صياغة جمل جديدة، وفهم أي خطاب لم يسبق له أن سمعه من قبل)) (Chomsky، 1970. ، P. 111).

وانطلاقاً من هذا، اعتمد الأوائل في جمعهم المادة اللغوية على الفصحاء من العرب، فارتحلوا إليهم، وشافهوهم، كما ساءلوا حدسهم أيضاً (السيوطي، 1987: 57/1 . 59، 234، ابن جني، (د. ت): 313/3 . 319، طحان وطحان، 1982: الهامش 16، سيبويه، 1966، 409/1 . 412، 415، 189/4، الجاحظ، 1990، 133/1 . 134، فك 1980: 15، 60 . 61، حسان، 1980: 27، الفهري، 1993: 18، زكريا، 1982، 48 . 49، نحلة، 2004: 31 . 33). وقد تمثل هؤلاء الفصحاء الذين أخذت عنهم اللغة في عدد من القبائل، جمع بينها قاسم مشترك وهو الفصاحة؛ أي عدم الانحراف عن النسق العام لقواعد الملكة اللغوية (الفارابي، 1969: 147، السيوطي، 1987: 212/1 . 214، زكريا، 1982، 38 . 40، الهامش رقم 2، 53 . 54)، كما جمعت بينها – أيضاً– البيئة الجغرافية؛ حيث عاشت هذه القبائل جنباً إلى جنب داخل شبه الجزيرة العربية (حسن، 1966: 24، إبراهيم مصطفى وآخرون، (د. ت): 11).

فالعربية الفصحى نشأت ((واطّردت وتكاملت، بالخصال التي اجتمعت لها في تلك الجزيرة، وفي تلك الجيرة)) (الجاحظ، 1990: 163/1)، وقد أكدت المدرسة الوصفية مبدأ تحديد البيئة المكانية – رغم إقرارها بصعوبة تطبيقه– باعتباره ركيزة أساسية في الدرس اللغوي، إلاَّ أن ذلك التأكيد تأخر عن أخذ الأوائل به حوالي اثني عشر قرناً من الزمان (دي سوسير، 1985: 159)، كما أكدته – فيما بعد– المدرسة التوليدية؛ إذ اعتبرت الساحل الشرقي من أمريكا بيئة مكانية للمتكلم الفصيح (Green، 1977. ، PP. 27-28).

لم يكتفِ الأوائل بتحديد المكان فقط؛ بل ذهبوا إلى تحديد الزمان أيضاً؛ باعتباره يمثل حالة من حالات اللغة؛ حيث ينعدم التطور اللغوي، أو يكاد في تلك الفترة، سواء على مستوى التراكيب، أم الأصوات، أم الدلالة. وقد حددت بداية تلك الفترة الزمنية (حالة الفصحى) بمائة وخمسين عاماً قبل الإسلام، كما حددت نهايتها بنهاية القرن الرابع الهجري، بالنسبة لسكان البادية، ونهاية القرن الثاني، بالنسبة لسكان المدن (إبراهيم مصطفى وآخرون، (د. ت): 11، حسن، 1966: 24)، وقد كان المنطق في تحديد تلك الفترة مؤسساً على الثبات النسبي، والاستقرار التقريبي للفصحى، وليس المطلق؛ إذ لا يمكن للغة بصورة عامة، إلاَّ أن تتطور، وتتغير، بتجدد المواقف، وتغيّر حاجات الناطقين بها؛ ولهذا فإن حالة اللغة التي تخضع للدراسة ((قد تطول وقد تقصر، وقد يكون مجموع ما يطرأ أثناءها من تغيرات طفيفاً جداً، فقد تبلغ تلك الفترة عشر سنوات، أو جيلاً، أو قرناً، بل وأكثر من ذلك... ولما كان حد الحالة اللغوية المطلقة هو انعدام التغيرات، ولما كانت اللغة تتغير رغم ذلك – مهما يكن ذلك التغير ضئيلاً– فإن دراسة حالة من حالات اللغة يؤول بنا عملياً إلى أن نهمل تلك التغيرات الطفيفة على غرار ما يفعل الرياضيون عندما يهملون في بعض عملياتهم الحسابية الكميات المتناهية في الصغر)) (دي سوسير، 1985: 158).

لم يقف الأوائل في عملهم عند حدود ملاحظة المادة اللغوية (Observational Adequacy)، كما لم يقفوا عند حدود الوصف لتلك المادة، أو ما يسميه التوليديون بكفاية الوصف (Descriptive Adequacy)؛ بل ضموا إلى الوصف عنصر التفسير، أو ما يسميه التوليديون بكفاية التفسير (Explantory Adequacy)(Chomsky، OP. ، Cit، P. 29) إدراكاً منهم أن ربط المخرجات اللغوية بالنظام الداخلي للملكة اللغوية لن يتحقق إلاَّ من خلال دمج عنصر التفسير مع عنصري الملاحظة والوصف؛ فهم كانوا يعتبرون اللغة نظاماً مجرّداً يقوم على الفروض التي يستنبطها العقل من خلال تراكيب الكلام وأبنيته المختلفة، وهذا ما يشير إليه الخليل بقوله: ((إن العرب نطقت على سجيتها وطباعها، وعرفت مواقع كلامها، وقام في عقولها علله، وإن لم ينقل ذلك عنها، واعتللتُ أنا بما عندي أنه علة لما عللته به)) (الزجاجي، 1968: 66) فالتعليل أو التفسير كان مطلباً لفهم أسرار ذلك النظام التجريدي الذي سعوا إلى الكشف عنه، والمتمثل في اللغة المبنية داخلياً، التي تعكس الكفاية اللغوية لدى الناطقين

بالعربية، ولذلك لم يعتمدوا بشكل مطلق على لغة الأداء (External Language) – وإن توصلوا بها إلى معرفة ذلك النظام الداخلي– ويؤكد هذا التفسير عدم اكتفائهم بالمدونة اللغوية (Language Corpus)، التي تتمثل في كتاب سيبويه أحسن تمثيل (نحلة، 2009: 20؛ زكريا، 1982: 37)، حيث جعلوها مفتوحة وموسعة، ولا يعتمد فيها على راوٍ بعينه كما يفعل الوصفيون (حسان، 1980: 153؛ باي، 1983: 121 . 122، 132 . 133) بل تعدد فيها الرواة؛ لأن الكفاية اللغوية – كما يرون– لا تتمثل في شخص بعينه؛ بل في كل من لا يحيد عن النسق العام للنظام اللغوي. ويظهر عدم اكتفائهم بالمدونة من خلال مساءلتهم الحدس اللغوي، سواء على مستوى المتكلم، أم على مستوى الباحث. وباستخدام الحدس إلى جانب المدونة خالفوا الوصفيين، الذين لا يعتمدون الحدس مصدراً للدراسة، كما خالفوا التوليديين بأخذهم بالمدونة، فالتوليدية لا تعتبر المدونة مصدراً لدراسة اللغة (تشومسكي، (أ) 1993: 98 . 99).

قد استخدم الأوائل الحدس اللغوي بصورة موسعة فساءلوا حدسهم، كما ساءلوا حدس المتكلمين الفصحاء، إلى جانب مساءلة حدس أساتذتهم باعتبارهم متكلمين فصحاء من جهة، وباعتبارهم باحثين لغويين من جهة أخرى. وتنتشر مساءلة الحدس في كتاب سيبويه؛ بحيث لا تكاد تخلو صفحة من صفحاته دون استخدامه لها. ويمثل ذلك ما يعرضه من أمثلة افتراضية كقوله: ((وتقول لمن كان شيء من هذه الأشياء صفته: لبّان، وتمّار، وبقّال، وليس في كل شيء من هذا قيل هذا، ألا ترى أنك لا تقول لصاحب البر برّار، ولا لصاحب الفاكهة فكّاه، ولا لصاحب الشعير شعّار، ولا لصاحب الدقيق دقّاق)) (سيبويه، 1973: 382/3)، فسيبويه هنا يسائل حدسه ويأتي بأمثلة افتراضية (شعّار، دقّاق)، لا يعتمد فيها على سماع، أو مشافهة؛ بل على نظام الملكة الثاوي خلف كفايته اللغوية، ويشير إلى ذلك في قوله: ((وهذا تمثيل لم يُتكلَّم به)) (سيبويه، 1966: 83/1). وقد جاءت التوليدية تؤكد صحة ما ذهب إليه الأوائل؛ حيث اعتمدت استخدام الأمثلة الافتراضية وسيلة للكشف عن قوانين الملكة اللغوية. (Lyons، 1981. ، PP. 125 – 126 ; Chomsky ، 1968. ، P. 15 ; Culicover ، 1976. :، Stockwell ; P. 136 ، 1977. ، PP. 16 – 18).

ISSN: 2523 – 1871

ويضم سيبويه استخدامه حدسه إلى جانب استخدامه حدس أساتذته أيضاً، من خلال أمثلة افتراضية كقوله: ((وإذا حقرت رجلاً اسمه قبائل قلت: قبيئل، وإن شئت قلت: قبئيل، عوضاً عما حذفت... وهذا قول الخليل، وأما يونس فيقول: قبيّل)) (سيبويه، 1973: 439/3)، فهو هنا يعرض ثلاث صور افتراضية لما يمكن أن تكون عليه صورة هذه الكلمة (قبائل) إذا استخدمت في التحقير؛ وذلك وفقاً لحدسه، وحدس الخليل ويونس. ويكثر سيبويه من مساءلة حدس أستاذه الخليل، وذلك مثل سؤاله عن بعض الظروف المبهمة، مثل: أمام، وغيرها، ويجيب الخليل بأنهن: ((نكرات إذا لم يضفن إلى معرفة، كما يكون أيمن وأشمل نكرة)) (سيبويه، 1973: 290/3). ولكن سيبويه لم يكتفِ هنا بحدس أستاذه، بل يضم إليه حدس الفصحاء من العرب؛ ليتأكد من سلامة حدس أستاذه، عن طريق موافقة الفصحاء له، فيقول معقّباً على قول الخليل: ((وسألنا العرب فوجدناهم يوافقونه... وسألنا العلويين، والتميميين فرأيناهم يقولون من قُدَيْدِيمَةٍ ومن وُرَيِّئَةٍ، لا يجعلون ذلك إلاَّ نكرة)) (سيبويه، 1973: 290/3 . 291).

لقد بدأ الأوائل دراسة العربية عن طريق الملاحظة والوصف، فرأوا أن أواخر الكلام العربي: ((تجري على ثمانية مجار: على النصب والجر والرفع والجزم، والفتح والضم والكسر والوقف)) (سيبويه، 1966: 13/1) حيث تختص الأربعة الأولى بالإعراب، والأخرى بالبناء، فالكلمات المكوّنة للتراكيب العربية قد تتغير حركة إعرابها فتنصب، أو تجر، أو تجزم، أو ترفع، حسب موقعها؛ ومن ثم تصبح هذه الحركة مميزة لها. وقد لاحظوا – أيضاً– أن تغير موقع الكلمات، إلى جانب الحركة (العلامة الإعرابية) المميزة لها، ينشأ عنهما تغيّر في وظائفها التركيبية؛ بحيث قد تصبح فاعلاً نحوياً، أو صفة، إلى غير ذلك من الوظائف، وسمّوا هذا التغيّر في حركة الأواخر إعراباً، أما عدم تغيّر حركة الأواخر؛ رغم تغيّر مواقع الكلمات في التركيب، فقد لقبوه بالبناء.

ولم يكتفِ الأوائل بملاحظة الكلام العربي ووصفه تركيبياً فقط، بل ذهبوا يبحثون عن السبب وراء ذلك؛ بهدف تفسير تلك الاختلافات الإعرابية، والموقعية لمكونات التراكيب في العربية، واهتدوا إلى فكرة العامل باعتباره عنصراً مهيمناً ومسيطراً في التركيب اللغوي، ومن ثم فهو الذي يحدد أبعاد هذه المكوّنات التركيبية وظيفياً ودلالياً (فيرستيج، 2007: 76/3 . 77، سيبويه، 1966: 13/1، طحان، 1983: 265)، وقد أدت فكرة العامل إلى نشأة مبدأ تفسيري جديد وهو التقدير؛ إذ وجدوا أن بعض

ISSN: 2523 – 1871

العوامل لا وجود لها في اللفظ، كما أن بعض معمولاتها قد تحذف أيضاً من الكلام، وهذا ما يشير إليه سيبويه بقوله: إن العرب في كلامهم قد ((يحذفون ويعوضون، ويستغنون عن الشيء بالشيء)) (سيبويه، 1966: 25/1)؛ ولذلك لجأوا إلى مبدأ التقدير، الذي يفترض وجود بنيتين: أصلية أو عميقة (Deep structure)، وبنية فرعية أو سطحية (Surface structure)، بحيث تمثل الأولى الكفاية اللغوية (Linguistic competence) بينما تمثل الثانية الأداء اللغوي (Linguistic performance). فالبنية السطحية غالباً لا تعطي كل المعلومات، بل تختزل بعضها، أو تحذفه، ولهذا لا يعتمد عليها وحدها في الدرس اللغوي الذي يهدف إلى استنباط قوانين الملكة اللغوية وتفسير آلياتها (تشومسكي (ب) 1993: 42 . 43، 53).

وقد ربط الأوائل بين هاتين البنيتين من خلال مجموعة من القواعد التحويلية الجوازية والوجوبية، بحيث تتحول البنية العميقة إلى ما نلحظه في البنية السطحية عن طريق ترتيب عناصرها إما بصورة طبيعية، أو بتغيير هذا الترتيب، وهو ما يُعرف بالتقديم والتأخير، الذي قد يكون واجباً، وقد يكون جائزاً مثل: الضمير المنفصل إذا وقع مفعولاً به، أو الاسم الظاهر إذا وقع مفعولاً به، وكذلك مثل: الحذف الواجب والجائز، كحذف العامل في باب الاشتغال، أو الاختصاص، وكحذف (أنْ) الناصبة بعد لام التعليل، واستتار الضمير وجوباً وجوازاً، إلى غير ذلك من القواعد التحويلية، التي تمكنوا عن طريقها من ربط الأداء اللغوي بالكفاية اللغوية، من خلال تطبيق نظرية العامل، وبذلك تجاوزوا حدود الملاحظة والوصف إلى التفسير بهدف معرفة نظام الملكة اللغوية، وتحديد كيفية عمل المنظومة القواعدية، وهذا ما رفع من قيمة عملهم المعجز والمبدع، وأعطاه مكانة متميزة في حقل الدراسات اللغوية، وإلى ذلك يشير أحد الباحثين بقوله: ((النحاة العرب يستحقون تقديرنا لكونهم علماء محترفين ومستقلين بذاتهم، وأن بوسعهم أن يعلمونا درساً مهماً جداً، وهو أن علم اللغة لا يتعلق باكتشاف البنى الصحيحة في اللغة، ولا بنماذج الصياغة وحسب؛ بل يعبر عن الواقع باللغة، لا بل اللغات عامة)) (فيرستيج، 2007: 8/3).

ISSN: 2523 – 1871

قائمة المصادر والمراجع

أولاً .العربية والمعربة:

1. **القرآن الكريم.**
2. ابن جني، أبو الفتح عثمان (دون تاريخ)، " الخصائص"، تحقيق محمد علي النجار ، بيروت ، دار الهدى.
3. ابن خلدون، عبدالرحمن(1960م)، "المقدمة الجزء الثالث"، تحقيق علي عبدالواحد وافي، ط1، مصر ، لجنة البيان العربي.
4. ابن خلدون، عبدالرحمن(1962م)، "المقدمة الجزء الرابع"، تحقيق علي عبدالواحد وافي، ط1 ، مصر ، لجنة البيان العربي.
5. ابن النديم، أبو الفرج(1988م)، "الفهرست"، تحقيق رضا تجدد، ط3، دار المسيرة.
6. الأنباري، أبو البركات كمال الدين(1971م) ، "الإغراب في جدل الإعراب ولمع الأدلة"، تحقيق سعيد الأفغاني، ط2، بيروت، دار الفكر.
7. أنيس، إبراهيم(1972م)، "من أسرار اللغة"، ط4، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية.
8. باي، ماريو(1983م)، "أسس علم اللغة"، ترجمة أحمد مختار عمر، القاهرة، عالم الكتب.
9. بروكلمان، كارل(1983م)، "تاريخ الأدب العربي الجزء الثاني"، ترجمة عبدالحليم النجار، ط5، مصر، دار المعارف.
10. بشر، كمال(1971م)، "دراسات في علم اللغة (القسم الثاني) "، ط2، مصر، دار المعارف.
11. تشومسكي، ناعوم(1993م)، " (أ) المعرفة اللغوية: طبيعتها وأصولها واستخدامها"، ترجمة محمد فتيح، ط1 ، مصر، دار الفكر العربي.
12. تشومسكي، ناعوم (1993م)، "(ب) اللغة والعقل "، ترجمة إبراهيم مشروح وزميله، مراكش دار تينمل.
13. الجابري، محمد عابد(1996م)، "بنية العقل العربي"، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.
14. الجابري، محمد عابد(1998م)، "تكوين العقل العربي"، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.

15. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (1990م)، "البيان والتبيين"، تحقيق وشرح حسن السندوبي، سوسة، دار المعارف.
16. الجرجاني، عبدالقاهر (1992م)، "دلائل الإعجاز"، تحقيق محمود محمد شاكر، ط3، القاهرة، مكتبة الخانجي.
17. جهامي، جيرا (1994م) ، "الإشكالية اللغوية في الفلسفة العربية"، بيروت، دار المشرق.
18. حسان، تمام(2001م)، "اللغة العربية: معناها ومبناها"، الدار البيضاء، دار الثقافة.
19. حسان، تمام(1980م) ، "اللغة بين المعيارية والوصفية"، الدار البيضاء، دار الثقافة.
20. حسن، عباس(1966م)، "اللغة والنحو بين القديم والحديث"، مصر، دار المعارف.
21. حمزاوي، محمد رشاد(1986م)، "العربية والحداثة"، بيروت، دار الغرب الإسلامي.
22. دمشقية، عفيف(1976م)، "تجديد النحو العربي"، لبنان، معهد الإنماء العربي.
23. دي، سوسير ف(1985م)، "دروس في الألسنية العامة"، ترجمة صالح القرمادي وآخرين، الدار العربية للكتاب.
24. الراجحي، عبده(1979م)، "فقه اللغة في الكتب العربية"، بيروت، دار النهضة العربية.
25. الراجحي، عبده(2008م)، "النحو العربي والدرس الحديث"، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية.
26. الرضي، محمد بن الحسن(1978م)، "شرح الرضي على الكافية"، تحقيق وتعليق يوسف حسن عمر، بنغازي، جامعة قاريونس.
27. روبنز، ر ، هـ (نوفمبر 1977م)، " موجز تاريخ علم اللغة "، ترجمة أحمد عوض، **عالم المعرفة**، العدد: 207، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
28. الزركشي، بدر الدين محمد(2001م)، "البرهان في علوم القرآن"، تحقيق مصطفى عبدالقادر، بيروت، دار الفكر.
29. الزجاجي، أبو القاسم(1968م)، "الإيضاح في علل النحو"، تحقيق مازن المبارك، بيروت، دار النفائس.

30. زكريا، ميشال(1983م)، "الألسنية (علم اللغة الحديث): المبادئ والأعلام"، بيروت، المؤسسة الجامعية.
31. زكريا، ميشال(1982م)، "بحوث ألسنية عربية"، بيروت، المؤسسة الجامعية.
32. الزمخشري، محمود بن عمر(1947م)، "الكشاف"، تحقيق مصطفى حسين أحمد، دار الكتاب العربي.
33. السامرائي، إبراهيم (1987م) ، "المدارس النحوية أسطورة وواقع"، عمان، دار الفكر.
34. سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان(1966م)، "الكتاب الجزء الأول"، تحقيق وشرح عبدالسلام هارون، دار القلم.
35. سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان(1973م)، "الكتاب الجزء الثالث"، تحقيق وشرح عبدالسلام هارون الهيئة المصرية العامة للكتاب.
36. سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان(1968م)، "الكتاب الجزء الثاني"، تحقيق وشرح عبدالسلام هارون، دار الكتاب العربي.
37. سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان(1975م)، "الكتاب الجزء الرابع"، تحقيق وشرح عبدالسلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
38. سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان(1977م)، "الكتاب الجزء الخامس (الفهارس التحليلية للكتاب) "، تحقيق وشرح عبدالسلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
39. السيد، عبدالرحمن(1986م)، "مدرسة البصرة النحوية"، مصر، دار المعارف.
40. السيوطي، عبدالرحمن(1987م)، "المزهر في علوم اللغة وأنواعها "، تحقيق جاد المولى والبجاوي وأبو الفضل، بيروت، المكتبة العصرية.
41. السيوطي، عبدالرحمن(دون تاريخ)، "الإتقان في علوم القرآن"، القاهرة، دار نهر النيل.
42. الشكعة، مصطفى(1979م)، " مناهج التأليف عند العلماء العرب"، بيروت، دار العلم للملايين.
43. طحان، ريمون(1983م) ، "فصول في فقه اللغة العربية"، القاهرة، مكتبة الخانجي.

44. طحان، ريمون وطحان دنيز(1982م) ، "فنون التقعيد وعلوم الألسنية" بيروت، دار الكتاب اللبناني.
45. الطنطاوي، محمد (1968م) ، "نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة"، ط1 ، مصر، مطبعة السعادة.
46. عبده، داود (1973م) ، "أبحاث في اللغة العربية"، مكتبة لبنان.
47. عيد، محمد (1978م) ، "أصول النحو العربي"، القاهرة، عالم الكتب.
48. الفارابي، أبو نصر (1969م)، "الحروف" تحقيق محسن المهدي، بيروت.
49. الفاسي، الفهري عبدالقادر (1998م)، "المعجم العربي: نماذج تحليلية جديدة"، الدار البيضاء، دار توبقال.
50. فك، يوهان (1980م) ، "العربية"، ترجمة رمضان عبدالتواب، مصر، مكتبة الخانجي
51. فيرستيج، كيس (2007م) ، "أعلام الفكر اللغوي: الجزء الثالث التقليد اللغوي العربي" ترجمة أحمد الكلابي، دار الكتاب الجديد المتحدة.
52. القفطي، جمال الدين (1950م)، "إنباه الرواة على أنباه النحاة :الجزء الأول " تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم، مطبعة دار الكتب المصرية.
53. المسدي، عبدالسلام (1981م)، التفكير اللساني في الحضارة العربية"" الدار العربية.
54. مصطفى، إبراهيم وآخرون (بدون تاريخ) ،"المعجم الوسيط"، استانبول، المكتبة.
55. مونان، جورج (1981م) ، "تاريخ علم اللغة ونشأتها حتى القرن العشرين"، ترجمة بدر الدين القاسم، ط1 ، جامعة حلب.
56. نحلة، محمود أحمد(2009م)، "النحو العربي: أعلام ونصوص" دار المعرفة الجامعية.
57. نحلة، محمود أحمد (2004م)، "أصول النحو العربي" دار المعرفة الجامعية.
58. النشار، علي سامي(1981م) " نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام" دار المعارف.

ثانياً .المراجع الأجنبية:

1 - Chomsky, N (1976) , "Aspects of the Theory of Syntax " The M I T press.

2 - Chomsky, N (1970) , "Current Issues in Linguistic Theory" Mouton & Co Printers The Hague.

3 - Chomsky, N (1968) , "Syntactic Structures" ,Mouton & Co Printers The Hague.

4 - Culicover, P W (1976) , "Syntax",Academic press ITC.

5 - Greene, J (1977) , "Psycho Linguistics" Penguin Books LTP

6 - Lyons, J (1975) , "Introduction to Theoretical Linguistics" Cambridge University press

7 - Lyons, J (1941) , "Language and Linguistics: An Introduction" Cambridge University press

8 - Stetkevych, J (1970) , "The Modern Arabic Literary Language" The University of Chicago press

9 - Stockwell, R P (1977) , "Foundations of Syntactic Theory" prentice Hall INC Englewood cliffs NewJersy

ISSN: 2523 – 1871

الوصف الصّوتيّ للقاف بين القدامى والمحدثين: دراسة تحليليّة نقديّة

د. آمال الصّيد أبو عجيلة

عضو هيأة تدريس بقسم اللّغة العربيّة كليّة الآداب جامعة بنغازي

المستخلص

عند النظر إلى وصف الأصوات اللغوية لدى المحدثين نجدهم يخالفون علماءنا القدامى فيما يتعلق بوصف بعض الأصوات ومن ضمنها صوت (القاف)، ويأتون بأدلتهم وحججهم التي يثبتون بها أن القدماء قد جانبهم الصواب في تبيان مخرج هذا الصّوت وصفاته المميّزة له، لكن بشيء من التأمّل وجدتُ أن القدماء لم يحيدوا عن الوصف الحقيقي لصوت القاف، لكنّ أسلوبهم في الوصف يحتاج قليلاً من التمعّن والتفكّر، فكلام علماء الأصوات المحدثين ونظرتهم هذه بُنِيتْ على أساس فهم مستعجل غير متأنٍّ، ومن ثَمّ حكموا على وصف الأسلاف بالخلط أو الاضطراب، والأمر – في الواقع – خلاف ذلك تماماً، وهذا ما أودُّ طرحه في هذه الدراسة؛ إنصافاً للأسلاف –وفي مقدمتهم سيبويه– وإيضاحاً لما غَمُضَ من كلامهم حول الوصف الصوتي لصوت القاف من حيث المخرج والصفات .

الكلمات المفتاحية

صوت القاف – سيبويه

المقدّمة

لقد وصف علماء اللغة القدامى –أمثال الخليل وسيبويه وابن جني وكذلك ابن سينا – صوتَ القاف مخرجاً وصفة، و كذلك فعل القراء وفي مقدمتهم ابن الجزري، ثم وصف المحدثون الأصوات اللغوية بما فيها القاف، وطرحوا وجهات نظر مختلفة حول وصف هذا الصوت بالذات، تختلف عما وجدناه في مؤلفات علمائنا القدامى، بل إنهم ينعتون كلام الأسلاف بعدم الدقة حيناً، والغموض حيناً، و بالخلط أحياناً كثيرة، و منهم من أراد أن يكون منصفاً فاقترح أن الأسلاف كانوا يصفون صوتاً غير الذي نعرفه اليوم بصوت القاف في لغتنا الفصيحة لغة القرآن الكريم، ويُرجعون ذلك إلى ما يطرأ على الأصوات من تغيّر بفعل عوامل التّطور المفروضة على اللغة بوصفها كائنٌاً حيّاً خاضعاً لمؤثرات بيئته المختلفة .

ومدار الخلاف بين الفريقين يكمن في أمرين، الأول: مخرجها؛ أي التحديد الدقيق لمخرج القاف الفصيحة –كما تُسمى– أي التي ينطقها المتكلّم بالفصحى، وهي التي يُنطق بها – أيضاً – في تلاوتنا لكتاب الله العزيز، والأمر الثاني : صفاتها، ويتمحور الجدال حول صفتي الجهر والهمس، ووضع القاف في مكانها الصحيح من هاتين الصفتين، فهل هي من ضمن الأصوات المجهورة كما وصفها الأسلاف ؟ أم هي صوت مهموس كما يصفها المحدثون ؟ وفيما يأتي سأتناول بالدراسة والتّحليل آراء الفريقين؛ لنصل إلى ما نطمئن إليه في وصف صوت القاف مخرجاً وصفةً و الذي لا نشك في أنه لم يتغيّر، ولم يتطوّر؛ لكونه حُفِظ بحفظ القرآن الكريم .

الوصف الصوتيّ لصوت القاف بين القدامى و المحدثين

لعلّ من الأوْلى أن أعرض في البداية آراء المحدثين لمناقشة وصفهم لكيفية حدوث صوت القاف نطقياً، ومن ثَمّ أنتقل إلى ما قيل حول الصفات العامة لهذا الصّوت، و لاسيما صفتي الجهر والهمس، مع اصطحاب نقدهم لوصف القدماء صوت القاف مخرجاً وصفةً في أثناء التحليل الصوتي وعرض الآراء ونقدها.

بعض هؤلاء المحدثين اتخذ من دراسة الاختلاف النطقي لصوت القاف من لهجة لأخرى، منطلقاً لمعرفة أصل هذا الصوت اللغوي، وما آل إليه بعد ذلك بحكم قوانين التغير الصوتي المفروضة على كل لغة من اللغات؛ فاللهجات العامية – كما نعلم– هي روافد انبثقت من اللغة الفصيحة، وينبغي على الباحث أن يستقصي أصولها وجذورها؛ وذلك أننا لا نستطيع إدراك النطق الفعلي لصوت القاف أو غيره من الأصوات كما نطقه الأسلاف في ذلك الوقت على نحو جازم ،فضلاً عن أننا لا نستطيع أن نفهم وصفهم الذي نجده مسطراً في مؤلفاتهم، بعبارة أخرى نحن لا نملك تسجيلات صوتية تنبؤنا بما كان عليه نطق الأسلاف للأصوات في تلك الحقبة من الزمن، فلا مناص إذن من التخمين وفرض الفروض عن طريق المعطيات الموجودة لدينا، وما هذه المعطيات إلا طرائق مختلفة لنطق صوت القاف في لهجاتنا العامية .

ISSN: 2523 – 1871

من أجل ذلك، قام أحد الباحثين (أبو مغلي:47–48) باستقصاء الصور المختلفة لنطق صوت القاف في اللهجات العربية، فوصلت لديه إلى خمس صور نذكرها فيما يأتي :

1. القاف التي نعرفها اليوم في الفصحى.
2. القاف البدوية.
3. القاف كما ينطقها أهل السودان قريبة من الغين.
4. القاف كما ينطقها أهل الريف في فلسطين (كافاً) وذلك كقولهم : الكُدِس بدل القُدْس.
5. القاف كما ينطقها أهل المدن الكبيرة نحو عمان ودمشق والقاهرة (همزة).

ولم يذكر الباحث صورة سادسة لنطق صوت القاف وهي تلك التي نسمعها من بعض أهل الخليج العربي عندما يقولون (صدج) بدل صدق، وجدّام يريدون : قدّام .

ولو أمعنا النظر في هذه المظاهر الصوتية لنطق القاف لرأينا أنه من الجائز لنا أن نستبعد بعضها؛ إذ ليس من السائغ أن يكون هو الأصل الذي وصفه أسلافنا، وهذه الصور المستبعدة هي الصور الثلاث الأخيرة، وهي التي ينطقها بعض أهل الخليج، وكذلك التي تُنطق كافاً عند بعض الفلسطينيين، وبدهيٌّ– أيضاً – أن نستبعد القاف التي تُنطق همزة .

بقي لدينا ثلاث صور لنطق القاف:

فأما الصورة **الثالثة:** فتلك القاف التي وصفها د. إبراهيم أنيس (1999م: 84–85) صوتٌ شبيه بصوت الغين ،ورأى احتمالية كونه القاف الأصلية القديمة التي وصفها سيبويه، وأن هذا الصوت المجهور الرخو قد أصابه الهمس والشدة، فصار القاف التي نعرفها اليوم في الفصحى!

لا أظن أبداً أن هذا الاحتمال واردٌ ؛ ذلك أن القاف التي وصفها سيبويه(1975: 433/4) تخرج من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى (شديدة مجهورة)، صحيح أن هذه القاف الشبيهة بالغين تقترب مع قاف سيبويه من حيث المخرج وصفة الجهر، إلا أن هذا الصوت رخو، ولا يمكن بحال من الأحوال أن يكون صوت القاف الذي وصفه سيبويه، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن صوت القاف

كما نجده عند أسلافنا من النحويين والقراء من أصوات القلقلة، ويشترط في الصوت الحامل لهذه الصفة أن يكون شديداً مجهوراً، أما القاف الشبيهة بالغين فلا حظّ لها في صفة القلقلة لرخاوتها، فكيف نسلِّم أنها قاف سيبويه؟

لا أدري كيف وضع د. أنيس هذا الاحتمال؟ هو في الحقيقة لم يرجحه، لكنّ مجرد القول –ولو على سبيل الافتراض– أن هذا الصوت الرّخو المجهور هو تلك القاف التي وصفها سيبويه يجعلنا نتصوّر أنّ آيات القرآن كانت تُقرأ فيها القاف غيناً أو شبيهة بالغين في عهد سيبويه! وهو أمر لا يقبله العقل فضلاً عن كونه غير مقبول بحال من الأحوال عند علماء تجويد القرآن الكريم .

بقي لدينا صورتان من الصور التي ذكرها (أبو مغلي :47–48) وهما اللتان نستطيع القول بوجوب ترجيح إحداهما على الأخرى، ولصعوبة استبعاد إحداهما وجب – أيضاً – النظر الفاحص والتحليل الدقيق لكل ما قيل في وصفهما، ومن ثَمّ نصل إلى وصف حقيقي وواقعي للقاف التي وصفها القدماء، والتي – أزعم – أنها لابد أن تكون هي نفسها التي وصفها المحدثون بعد ذلك؛ لأن الوصف الصوتي إن كان صائباً عند الفريقين فلابد أن يكون واحداً .

أولى هاتين الصورتين: ما ننطقه اليوم في فصحانا، وهو صامت " يُنْتَجُ عن طريق اتصال مؤخر اللسان بمنطقة اللهاة مع الطبق اللين (بصورة لا تسمح بمرور الهواء) يعقبه تسريح فجائيّ (انفجاري) " (عمر:1997م : 318)

الثانية : ما رجّح معظم الباحثين المحدثين كونه الأصل في نطق الأسلاف، لمطابقته –في نظرهم– وصفَ سيبويه وغيره لمخرج القاف وصفاته، وهي التي ينطقها البدو، فبعض الأصوات يختلف نطقه الحالي عنه في الزمان القديم ومنها القاف ،التي هي في العادة اليوم مهموسة، لكنها عند القدماء مجهورة (براجشتراسر : 16–17) وسيأتي الردّ على ذلك في الصفحات القادمة من هذا البحث .

لكن قبل مناقشة هاتين الصورتين نذكر في هذا الإطار أيضاً –أي الاستعانة بطرائق نطقية مختلفة لصوت القاف مستمدةً من اللهجات– ذكر (بشر : 2000: 285) صوراً أربع لنطق القاف في اللهجات قديماً وحديثاً وهي :

1- القاف صوت لهوي وقفة انفجارية مهموس.

2- القاف صوت حنكي قصي وقفة انفجارية مجهور.

3- القاف صوت حنجري وقفة انفجارية (همزة).

4- القاف صوت حنكي قصي احتكاكي مجهور (غين).

وقد علّق عليها بقوله: إن الأولى هي التي يجري استعمالها لدى المتخصصين كما ينطق بها القرآن الكريم، والثانية موجودة في اللهجات القديمة وهي التي وصفها القدماء في كتبهم، أما الصورتان الثالثة والرابعة فليستا بانتشار سابقتيهما ولا بأهميتهما، وبذلك تبقى لدينا بالفعل صورتان للمناقشة والتّحليل.

عودٌ إلى السجال بين المحدثين والسابقين، أقول: إن الباحثين المحدثين يصفون الأصوات وصفاً دقيقاً بما توفّر لديهم من أجهزة وتقنيات حديثة، لم تكن في متناول أسلافنا الذين وصفوا الأصوات نفسها ،لكن هذا لا يعني أن وصف القدماء للأصوات كان بعيداً عن الصواب لدرجة افتراض أن القاف الفصيحة لديهم كانت كالغين!

ومهما يكن من أمر هذه الافتراضات فإن ما تبقى لنا– بعد استبعاد المرفوضة منها كما سبق لنا القول– صورتان للقاف فقط، القاف الفصيحة والقاف البدوية، وفيما يأتي نبيّن مخرج القاف وصفاته لدى المحدثين؛ لنقارن بين وصفهم وصف الأسلاف وفي مقدمتهم سيبويه .

يقول المحدثون إنها تَنْطَقُ " برفع أقصى اللسان حتى يلتقي بأدنى الحلق واللهاة، مع عدم السماح للهواء بالمرور من الأنف، وبعد ضغط الهواء مدة من الزمن، ينطلق سراح مجرى الهواء؛ بأن ينخفض أقصى اللسان فجأة، فيندفع الهواء محدثاً صوتاً انفجارياً، ولا يتذبذب الوتران الصوتيان عند النطق به؛ فالقاف صوت لهويٌّ انفجاريٌّ مهموس"(بشر: 1980 :109)

ISSN: 2523 – 1871

أما عند سيبويه(4/ 433–435) فهي من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى، وهي شديدة مجهورة، ثم يذكر مخرج الكاف بعدها مباشرة ومخرجها : من أسفل من موضع القاف من اللسان قليلاً ومما يليه من الحنك الأعلى، ومخرج الكاف في الواقع كان مدار الجدال بين الفريقين؛ لأن سيبويه يعضد وصف مخرج القاف، في حين يراه المحدثون قد أخطأ كما سنبيّن.

فضلاً عن أن الخلاف بين القدامى والمحدثين –كما يبدو– ليس في المخرج فقط ،بل نجدهم يختلفون حول المخرج وصفة الجهر.

وعندما أراد د. بشر (2000م: 278–279) تفسير الخلاف بين القدامى والمحدثين حول موضع النطق بصامت القاف قال: إنه راجع " إلى واحد من اثنين : الأول : لعل علماء العربية أخطؤوا في تقدير الموضع الدقيق لنطق القاف ... الثاني: وهو ما تشير الدلائل إلى رجحانه وهو أن العرب ربما كانوا يتكلمون عن قاف تختلف عن قافنا الحاضرة، ليس من البعيد أنهم يقصدون بالقاف ذلك الصوت الذي تمكن تسميته بالجاف أو ما يشبه الكاف الفارسية ...وهو شبيه بالجيم القاهرية، أو هو هي من حيث الأثر السمعي، وإن اختلفا في التوزيع الصوتي في اللغة وفي وظائفهما في البنية اللغوية. "

بعد استبعاد الاحتمال الأول وهو تخطئة علمائنا الأوائل، علينا أن نناقش الاحتمال الثاني؛ ففيه نقطة مهمة جديرة بالغوص فيها واستنباط النتائج منها، فهو يرجّح أنّ القاف المقصودة عند القدماء هي الشبيهة بالكاف الفارسية أو الجيم القاهرية، وهو احتال قد يبدوبعيداً، فكيف يقصد سيبويه بالقاف الفصيحة قافاً شبيهة بالكاف الفارسية أو الجيم القاهرية كما سماها د. بشر وقد ذكرها (سيبويه :4/432) ضمن الأصوات التي سماها غير مستحسنة لا في لغة من ترتضى عربيته، ولا في قراءة القرآن، ولا في الشعر وهي : الكاف التي بين الجيم والكاف، والجيم التي كالكاف؟

بعبارة أخرى، كيف يقصد سيبويه القاف التي كالجيم في بعض لهجاتنا عندما يصف القاف الفصيحة، ثم يذكرها في موضع آخر على أنها من الأصوات غير المستحسنة ؟ لابد أنه يتحدث عن صوتين مختلفين، أولهما فصيح مستحسن وصف مخرجه و صفاته العامة والخاصة، والآخر غير مهم

ISSN: 2523 – 1871

عنده، فلم يذكر مخرجه، ولم يبيّن كيفية حدوثه ولا صفاته؛ لأنه غير مستحسن ،بمعنى أنه ناتج عن تطور لغويّ، أو هو صورة من صور النطق عند بعض اللهجات الأخرى التي لا تتسم بالفصاحة.

هذا فضلاً عن أن سيبويه –كما نعلم– يصف الصوت كما سمعه من العرب الخُلَّص صحيحاً فصيحاً ولا يمكن أن يُطْعنَ في نقله، فكيف يمكننا التوفيق بين أن يكون سيبويه قاصداً القاف البدوية في وصفه لصوت القاف، وبين أن القاف التي نعرفها في فصحانا اليوم هي التي يُقرأ بها في القرآن الكريم ؟

نعم، ثمة تطور أو تغيّر يحصل في نطق الأصوات اللغوية، وهو في الواقع انحراف عن النطق الصحيح للصوت، هذا لا جدال فيه ولا مناص من حدوثه، أما أن يكون صوت القاف الذي نسمعه اليوم في لهجاتنا البدوية أو العامية هو الذي كان يُنطق به على عهد سيبويه في تلاوة القرآن الكريم – فإن هذا غير مستساغ ؛ لأنه ببساطة يُعدُّ لحناً واضحاً (جلياً) لدى القراء وعلماء التجويد.

وهنا علينا أن نستوضح بشيء من التأني كيف وصف سيبويه مخرج صوت القاف، وما الذي فهمه المحدثون من هذا الوصف، ومدى مطابقة فهمهم لما أراده سيبويه بالفعل .

مخرج صوت القاف عند سيبويه :

الواقع أن سيبويه حينما وصف القاف بأنها تخرج من أقصى اللسان مع أقصى الحنك لم يقل إنها من اللهاة كما نجد ذلك بوضوح عند غيره وعند المحدثين، وهذا لا يعني أنه لا يقصد اللهاة بعينها، فربما قصدها ضمن منطقة واسعة تشمل اللهاة سماها (أقصى الحنك)، وهي المنطقة التي تأتي بعد الحلق مباشرة، وسيبويه –كما نعلم– قد ارتضى تقسيماً ثلاثياً لأجزاء الجهاز النطقي؛ هي: الحلق، والحنك، واللسان، وقسم كل جزء منها –تقريباً– إلى: أقصى، وأوسط، وأدنى، فكان موقع القاف عنده – بطبيعة الحال– في أقصى الحنك مع أقصى اللسان.

ومما يُستأنس به في هذا المقام جعلُ سيبويه الهمزة من الحلق (433/4) في حين أثبت الدرس الصّوتيّ الحديث أنها من الحنجرة وليست من الحلق ،فربما كان عذر سيبويه في عدم معرفته اللهاة

كعذره في عدم معرفته الحنجرة، أو لنقل إن المشكلة تكمن في عدم اصطلاح تسميةٍ لكل جزء من أجزاء جهاز النطق على حدة في هذه المرحلة المبكّرة من الجهود العلمية الصوتية، بل نجد بدلاً من ذلك ضمَّ كل جزء إلى ما جاوره من الأجزاء.

أما تحديد مخرج الكاف بعد ذلك أنَّها" من أسفل من موضع القاف من اللسان قليلاً وما يليه من الحنك الأعلى " (433/4) فعبارته (أسفل من موضع القاف) لا تعني أسفله باتجاه الحلق بدليل قوله : (من اللسان)، أي من جهة اللسان.

وربما أعاننا ابن جني على فهم ما أراده سيبويه في وصفه لصوت القاف ؛ فابن جني يسير على نهج سيبويه، ويُرتِّب الأصوات كما هي عند سيبويه، مع وجود اختلافات طفيفة في بعض الأمور، رأى بعض الباحثين (بشر: 90) من خلالها أن ابن جني أكثر دقة في كلامه من سيبويه، وأن ما أورده ابن جني يوافق –في نظرهم– نتائج الدرس الصوتي الحديث إلى حد بعيد، لكنني أميل إلى القول بأن ابن جني استوعب وصف سيبويه لمخارج الأصوات وصفاتها؛ وصاغه على نحو أكثر إيضاحاً، وما يثبت ذلك أننا نجد مخرج القاف بعد الكاف في ترتيبه للمخارج من الحلق حتى الشفتين، يقول ابن جني (52/1):" ومن وسط الحلق مخرج العين والحاء، ومما فوق ذلك مع أول الفم مخرج الغين والخاء، ومما فوق ذلك من أقصى اللسان مخرج القاف، ومن أسفل من ذلك وأدنى إلى مقدم الفم مخرج الكاف. "

هذا ما يقوله ابن جني، فلو أننا أزلنا من أذهاننا التمسك بالمصطلحات لتسنّى لنا فهم الوصف الصوتي لدى الأسلاف فهماً صحيحاً؛ فسيبويه وابن جني يطلقان على مخرج القاف أقصى اللسان مع أقصى الحنك، في حين أن الدرس الصوتي الحديث يرى أنه يخرج من اللهاة، هذا هو الاختلاف الأول الذي لا يعدو أن يكون اختلافاً حول المصطلح ؛ أي أن سيبويه كان يصف قافنا الفصيحة التي يقع مخرجها (أي اللهاة) ضمن منطقة واسعة هي أقصى الحنك، وقد حدد ابن جني مخرج القاف بالنسبة إلى الكاف، فكان وصفه أوضح لنا عندما ذكر أنها (أي الكاف) من أسفل من ذلك (أي من مخرج القاف) وأدنى إلى مقدم الفم، وهي العبارة التي تنهي أي إشكال، وقد كانت عبارة سيبويه التي لم يلتفت إليها المحدثون (من اللسان).

لذلك كله أرى أنه ليس من العدل في شيء أن نُخطِّئ الأسلاف ونتهمهم بالخلط كما نجد عند بعض الباحثين (حسان :1979م ص111–112) الذي يرى أن ابن الجزري " يغلط في تحديد مخارج أصوات الخاء والغين والكاف ...فيقول: إن صوتي الخاء والغين من أدنى الحلق إلى الفم وراء مُخرج القاف مع أنهما من مؤخر اللسان مع الطبق أمام مخرج القاف، وهو يجعل الكاف خلف القاف والعكس أصحّ، فصوت الكاف من نفس مخرج صوت الخاء والغين."

فمن الواضح أن الباحث يضع الوصف الصوتي الحديث للأصوات معياراً ثابتاً صارماً يقيس عليه وصف أسلافنا دون أن يضع في حسبانه أن ثمة اختلافاً في كيفية الوصف الصّوتيّ بين القدامى والمحدثين، لكنها لا تؤدي بالضرورة إلى وجود خلط عند أحدهما.

والناظر إلى نص ابن الجزري((د.ت) :199–200) لا يرى فيه أي خطأ، بل يتأكد لدينا ما أثبتناه من أن سيبويه قصد ما يقصده المحدثون تماماً، يقول: " المخرج الرابع –أدنى الحلق إلى الفم– وهو للغين والخاء ...والمخرج الخامس –مما يلي الحلق وما فوقه من الحنك – وهو للقاف، وقال شريح : إن مخرجها من اللهاة مما يلي الحلق ومخرج الخاء، المخرج السادس أقصى اللسان من أسفل مخرج القاف من اللسان قليلاً وما يليه من الحنك وهو للكاف، وهذان الحرفان يقال لكل منهما لهوي؛ نسبةً إلى اللهاة وهي بين الفم والحلق. "

فمن خلال هذا النص نرى أن ابن الجزري لم يقل إن صوتي الغين والخاء وراء مخرج القاف، كما أنه لم يقل إن صوت الكاف خلف القاف، ونحن نعلم أن ابن الجزري يسير على نهج سيبويه في ترتيب الأصوات من الحلق حتى الشفتين ،فعندما يقول: (وراء) يقصد بها (بعد) وبذلك يكون معنى كلامه :أن مخرج الغين والخاء بعد مخرج القاف في الترتيب البادئ من الحلق حتى الشفتين، لا البادئ من الشفتين حتى الحلق كما هو الحال لدى المحدثين، فلا يكون هناك إشكال ولا خلط.

وكذلك الأمر فيما يختص بصوت الكاف التي جعلها ابن الجزري (خلف) القاف؛ أي في الترتيب الذي يسير عليه ابن الجزري وأخذه عن سيبويه، وهو المبتدئ من الحلق المنتهي بالشفتين، وهنا– أيضاً– لا وجود لإشكال ولا خلط، وهذه هي النقطة الأولى التي أردت توضيحها في نص ابن الجزري.

ISSN: 2523 – 1871

يرشدنا نص ابن الجزري –أيضاً – إلى نقطتين أخريين، الأولى : تتعلق بالمصطلح إذ يقول إن "مخرج القاف من اللهاة مما يلي الحلق ومخرج الخاء" (النشر : 199–200) فهو يذكر هذه الجزء من الفم باسم (اللهاة)، ولم يسمّه كما سمّاه سيبويه (أقصى اللسان مع الحنك).

أما النقطة الثانية فهي أنه يدرك أن تسمية أقصى اللسان أو اللهاة في مفهومهم تدل على منطقة واسعة تضم عدة أصوات، وهو لذلك حاول تضييق موضع القاف، وتحديد مكانه بكل ما أوتي من دقة بقوله:" مما يلي الحلق وموضع الخاء" لعله بهذا الوصف يرسم حدوداً لموضع صوت القاف، لا تتداخل مع حدود غيره من الأصوات القريبة، ومن ثَمّ يحصر الموضع حصراً جيداً.

وإذا نظرنا إلى وصف ابن سينا (1983: 73–74) للقاف وجدناه موافقاً لكل ما سبق أن أوردناه من وصف الأسلاف للأصوات؛ فهو يذكر مخرج القاف بعد مخرج الخاء في الترتيب، لكنه عندما يصف القاف يقول: إنها تحدث حيث تحدث الخاء، ولا فرق بينهما إلا في شدة الحبس الذي يقع على الجزء المشترك بين اللهاة والحنك.

وما نلحظه أولاً ونؤكده أن ابن سينا لا يعني بهذا إلا القاف الفصيحة التي نعرفها اليوم، فهي القريبة من الخاء كل هذا القرب، وهذا الوصف لا يدع مجالاً للشك في كونها القاف الفصيحة، وهي ذاتها التي وصفها سيبويه وابن جني وابن الجزري، ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن تكون القاف التي ننطقها في لهجتنا أو في غيرها من اللهجات العربية.

ثم إن ابن سينا يستعمل مصطلح اللهاة مشتركاً مع الحنك، ولقد نجد هذا المصطلح – أيضاً – عند الخليل (الفراهيدي (د.ت):1/ 58) عندما ذكر أن" القاف والكاف لهويتان والكاف أرفع. "

لكن، هل بوسعنا أن نقول: إن الخليل يريد باللهاة ما هو معروف لدى علماء الأصوات اليوم؟ أي الموضع الخاص فقط بصوت القاف ؟

الإجابة بالنفي، وما تحديده لصوتي القاف والكاف في منطقة واحدة إلا دليل على أنه يقصد منطقة أوسع من منطقة القاف الفصيحة وحدها، وعلى ذلك يكون مصطلح اللهاة عند الخليل وعند غيره

ISSN: 2523 – 1871

ممن ذكره مساوياً لمصطلح (أقصى الحنك) عند سيبويه ومن تبعه، وذلك بالنظر إلى الأصوات التي تتضمنها هذه المنطقة.

ولنا أن نتصور بعد ذلك كيف تطوّر المصطلح الذي يدلّ على مخرج القاف وحدها دون مشاركة لغيرها من الأصوات المجاورة لها، فصار (اللهاة) مصطلحاً خاصّاً بمخرج القاف وحدها، بعد أن كان يتسع للكاف والقاف معاً عند الخليل، واختفى مصطلح أقصى الحنك للدلالة على مخرج القاف كما كان عند سيبويه، لكننا لا ينبغي بحال من الأحوال أن نطالب علماءنا القدماء – مثل سيبويه – بكل هذه الدقة في تحديد المصطلح، كما لا ينبغي أن نخطّئهم في محاولاتهم الجاهدة لرسم ملامح واضحة لمخرج الصوت اللغوي وكيفية حدوثه، حتى لو كان ذلك عن طريق الاستعانة بمقاربته بغيره من الأصوات المحاذية له في موضعه من جهاز النطق ؛ فهذه المحاولات وإن بدت ساذجة إلا أنها حقيقيةٌ صائبةٌ في الوصف، وقد اتضح لنا ذلك جلياً في دراستنا هذه، إذ لم يكن علينا إلا أن نتروى في الفهم وأن نتئد في الحكم.

خلاصة القول في وصف كيفية إنتاج القاف الفصيحة في جهاز النطق أننا عندما ننطق بها يندفع الهواء من الرئتين ماراً بالحنجرة، فلا يُحرّك الوترين الصوتيين –وهذا يعني أنه مهموس– ثم يتخذ الهواء مجراه في الحلق حتى يصل إلى أدنى الحلق من الفم ، وهناك ينحبس الهواء باتصال اللهاة بأقصى اللسان، ثم ينفصل العضوان انفصالاً مفاجئاً فيحدث الهواء صوتاً انفجارياً شديداً (أنيس: 75).

وعلى ذلك توصف القاف عند المحدثين بأنها صوت لهويٌّ شديد أي انفجاري أو انسدادي، وهو مهموس لعدم تذبذب الوترين الصوتيين عند مرور الهواء بهما، وهنا لا مناص لنا من النظر بعين محلِّلةٍ ناقدةٍ مقارِنةٍ بين من يرى بأنها صوت مهموس ومن يرى بجهرها.

أمجهور صوت القاف أم مهموس ؟

تكمن نقطة الخلاف الثانية بين القدامى والمحدثين في كون صوت القاف مجهوراً عند الأوّلين مهموساً عند الآخِرين، فقد ذكر سيبويه (434/4) القاف ضمن الأصوات المجهورة معرّفاً المجهور بأنه: "حرف أُشْبِع الاعتمادُ في موضعه، ومُنِعَ النَّفَس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري

ISSN: 2523 – 1871

الصوتُ " كما عرّف المهموس في السياق نفسه بأنه حرف " أُضْعِفَ الاعتمادُ في موضعه، حتى جرى النفس معه، وأنت تعرف ذلك إذا اعتبرتَ فردّدتَ الحرفَ مع جَرْيِ النَّفَسِ، ولو أردت ذلك في المجهورة لم تقدر عليه. "

لكنّ المحدثين يرون أنه صوت مهموس، يقول د. أنيس (74/73): إن "القاف كما ينطق بها الآن في مصر بين مجيدي القراءات صوت شديد مهموس، رغم أن جميع كتب القراءات قد وصفتها بأنها أحد الأصوات المجهورة. "

ثم يعرض احتمالات متعددة في محاولة منه لتفسير وصف القدماء للقاف بالجهر، فيقول (أنيس:74):ربما كان صوتاً يشبه تلك القاف المجهورة التي نسمعها الآن من القبائل العربية في السودان وبعض قبائل جنوب العراق؛ إذ نسمعها منهم نوعاً من الغين، ولهذا يفترض د. أنيس أن القاف الأصلية – أي التي وصفها سيبويه ومن تبعه بالجهر – كانت تشبه ذلك الصوت المجهور الذي يُسمع الآن من بعض القبائل السودانية، ثم هُمِس مع توالي الزمن وأصابته صفة الشدة.

ثم ذكر فرضاً آخر رأى أنه أكثر احتمالاً هو أنها كانت تشبه الجيم القاهرية، ولكنها أعمق منها وأكثر استعلاء، وقد استأنس بنطق معظم البدو الآن القاف على هذا النحو، فهذا النطق قديم الوجود، لكن أنيس عندما وصل إلى أن هذه القاف فصيحة وهي التي نطق بها الرسول صلى الله عليه وسلم والقرشيون عموماً قال : إن الأمر يحتاج إلى تحقيق .

أما (د. شاهين: 1987م: 230) فيرى أن " صوت القاف العربية لهويّ شديد انفجاري مجهور، وصفه القدماء بالاستعلاء والتفخيم، ومما يؤكد صفته كمجهور أن القدماء قد نبّهوا إلى إظهار الغين إذا جاورت القاف في مثل "لا تزغ قلوبنا"؛ لقرب ما بين الغين والقاف مخرجاً وصفةً.

فهل صوت القاف مجهور؟ وهل كونه مجهوراً يعني أن نفترض أنها هي نفسها قافنا التي ننطقها في لهجاتنا البدوية كما تُسمى ؟ أم أن علماءنا الأوائل كانوا يقصدون بالجهر أمراً آخر ؟ وفي هذه الحال ينطبق معنى الجهر لديهم على القاف الفصيحة.

ISSN: 2523 – 1871

وتجدر الإشارة إلى أن ثمة صوتين آخرين لم يتفق المحدثون مع القدماء حولهما أَهُما من الأصوات المجهورة أم المهموسة؟ وهذان الصوتان هما الطاء والهمزة، فالأول عند القدماء من المجهورات وهو عند المحدثين من المهموسات، أما الثاني – أي الهمزة فقد وضعها القدماء ضمن المجهورات بينما نجدها عند المحدثين(الحمد: 1986: 224) غير مجهورة ؛ فبعضهم رأى أنها مهموسة، وتأتي جهة الهمس من أن إقفال الوترين الصوتيين معها لا يسمح بوجود الجهر في النطق ،ويرى بعضهم الآخر أن الهمزة صوت لا هو بالمجهور ولا بالمهموس؛ لأن وضع الوترين الصوتيين لا يسمح بوجود الجهر أو الهمس .

فإذا ما نظرنا بشيء من التأمل في طريقة التفكير الصوتي لدى القدماء ربما استطعنا من خلال إطلاق صفة الجهر على الهمزة والطاء –فضلاً عن القاف موضوع دراستنا – أن نقترب أكثر مما يعنونه بالجهر أو الهمس، فما الذي يميز القاف والطاء والهمزة من وجهة نظر القدماء ليجعلها تتصف بصفة الجهر؟ إن مفهومهم هذا يختلف بلا ريب عن مفهوم المحدثين.

إن ما قام به علماؤنا القدامى في تصنيف الأصوات وتقسيمها إلى مجموعتين مجهورة ومهموسة يعدّ فتحاً وإنجازاً علمياً باهراً ؛ وذلك من ناحيتين؛ الأولى: أن هاتين المجموعتين تكاد تتطابق الأصوات داخلها مع ما توصّل إليه العلم الحديث، فيما عدا الأصوات الثلاثة التي ذكرتها آنفاً وهي القاف والطاء والهمزة، أما الناحية الثانية فتكمن في صعوبة تحديد هاتين الصفتين (الجهر والهمس) التي تكمن بدورها في صعوبة وصولهم إلى مصدرها وهو الوتران الصوتيان، فضلاً عن إدراكهم لوضعهما من حيث الثبات والتذبذب أمام تيار الهواء المتدفق.

ولا يخفى أن علماءنا القدامى لم يكن بوسعهم التوصل إلى أن الوترين الصوتيين ثابتان لم يهتزا أمام دفقة الهواء مع صوت القاف، وأن هذا الأمر يجعله مهموساً، كما لم يكن واضحاً لديهم – أيضاً – أن الوترين الصوتيين يتطبقان على بعضهما تمام الانطباق، ثم يبتعدان فجأة مع صوت الهمزة؛ فينتج عن ذلك تسميتها لدى المحدثين بأنها صوت لا مجهور ولا مهموس، وكذلك الحال مع صوت الطاء

التي وصفها المحدثون بالهمس؛ لعدم تذبذب الوترين الصوتيين، في حين أن القدماء لم يكن لهم المقياس نفسه.

والراجح أن القدماء لاحظوا ملامح قوة في هذه الأصوات الثلاث جعلتهم يصنفونها ضمن الأصوات المجهورة، فالهمزة "نبرة في الصدر تخرج باجتهاد "(سيبويه:1973م :548/3) ،وهذا مصدر قوتها، أما الطاء والقاف فهما قويتان؛ لوصولهما إلى درجة من علو الصوت فاقت غيرهما من الأصوات ؛لذا نجدهما من أصوات القلقلة عند علماء تجويد القرآن مع الباء والجيم والدال وكلها مجهورة.(الجريسي:2011م :75–78)

لذلك عندما نقرأ تعريف سيبويه(434/4) للمجهور أنه "حرف أُشْبِع الاعتمادُ في موضعه، ومُنِعَ النَّفَس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوتُ" لا يتبادر إلى الذهن أبداً أنه يتحدث عن هذا الجزء الدقيق من الحنجرة ،إنما يعتمد في تحديده لصفة الجهر على إحساسه بقوة مصدرها الصدر عموماً ،يسميها صوت الصدر، والصوت المجهور يكون مشبع الاعتماد؛ أي يكون واضح القوة، ومن ثم هو أوضح في السمع من المهموس، فقد أراد سيبويه أن يصف شيئاً زائداً في حالة الجهر عن حالة الهمس عندما قال :" ويجري الصوت " إلا أنه –كما رأى د. شاهين– (1408هـ– 1987م: 201) " لم يدرك أن منشأ هذه الزيادة في الحنجرة ".

فلو نظرنا إلى اختلافهم – قدماء ومحدثين– حول الهمزة أهي صوت مجهور أم مهموس؟ لوجدنا أن المتأخرين قد اعترضوا على وسم القدماء لها بالجهر، لكننا نجدهم قد اختلفوا فيما بينهم – أيضاً – "فبعضهم رأى أنها مهموسة، وتأتي جهة الهمس من أن إقفال الوترين معها لا يسمح بوجود في النطق ... وقال آخرون : الهمزة صوت لا هو بالمجهور ولا بالمهموس؛ لأن وضع الوترين الصوتيين لا يسمح بوجود الجهر أو الهمس" (الحمد: 1986: 224).

الأمر إذن يبدو غاية في الصعوبة، أعني أن المحدثين قد اختلفوا حول صوت الهمزة، ولم يأتوا بوصف حاسم، فهل هو مهموس أم مجهور أم هو صوت لا مجهور ولا مهموس ؟ إذن هل له وصف

ISSN: 2523 – 1871

ثالث ؟ وإذا كان صعباً عليهم فكيف لا يكون كذلك على الأولين من علمائنا الذين وصفوا الأصوات اعتماداً على الملاحظة الذاتية وعلى نطقهم وسماعهم ؟

هذا فضلاً عن استفادة الدراسات الصوتية الحديثة من تمكن الأطباء من تشريح دقيق لأعضاء النطق، فتمكّن علماء الأصوات المحدثين من الوصول إلى هذا الوصف الصوتي للهمزة وغيرها من الأصوات، بينما لم يتوصل علماؤنا الأوائل إلى حقيقة صفتي الجهر والهمس فيها من جهة تذبذب الوترين الصوتيين أو عدمه؛ لأنهم لم يعرفوهما أصلا، وإنما كانوا يعتمدون تعريف سيبويه الجهر والهمس، الذي كان يعتمد نطقه الأصوات وذوقها في تصنيفها ووصفها مخرجا وصفة. (الصيد :2005–2006 : 182)

أما سيبويه(434/4) فقد شرح كيفية التفريق بين المجهور والمهموس من خلال التجربة عندما قال: " وأنت تعرف ذلك إذا اعتبرت فرددت الحرف مع جري النفس، ولو أردت ذلك في المجهورة لم تقدر عليه، فإذا أردت إجراء الحروف فأنت ترفع صوتك إن شئت بحروف اللين والمد بما فيها منها، وإن شئت أخفيت. "

وتفاصيل هذه التجربة كما يرى د. شاهين (1985م : 203–204) –وكما هو واضح فعلاً– "متصلة بما سبق له في تعريف المجهور والمهموس، فهو يقول: إن المهموس يمكن ترديده خلال جري النفس بعكس المجهور، بمعنى أننا لو أطلقنا النفس على طبيعته، وحاولنا خلال ذلك النطق بالسين مثلاً مكررةً لأمكننا ذلك، ولسمعنا صوت السين مكرراً دون أن يسبقه أو يلحقه صوت مد (قصير أو طويل). "

فهذه طريقة القدماء في اختبار الصوت، ومن ثَمّ تصنيفه مجهوراً أو مهموساً، وبهذه الطريقة صُنّفَ صوت القاف –موضوع الدراسة– بأنه مجهور، وهي طريقة تختلف عما اعتمد عليه المحدثون من النظر إلى اهتزاز الوترين الصوتيين من عدمه، فلم يكن متاحاً لهم ولا ممكناً في عصرهم وضمن إمكاناتهم معرفة الوترين الصوتيين، لكنهم ربما أحسوا بأثرهما في العملية الصوتية وفي إحداث صفة الجهر بالذات، وهذا ما رجحه د. أنيس (1999: 102) عندما قال : إن" الحس المرهف لسيبويه جعله

يشعر مع المجهور باقتراب الوترين الصوتيين أحدهما من الآخر، حتى ليكادان يسدان طريق التنفس، وتلك الصفة هي التي وضحها لنا المحدثون حين وصفوا ما يجري في الحنجرة مع المجهورات، إذ قالوا إنه مع المجهور يقترب الوتران الصوتيان أحدهما من الآخر، مما يضطر هواء النفس إلى الاندفاع من بينهما في قوة تحرك الوترين الصوتيين، وتجعلهما يتذبذبان ويظلان يتذبذبان حتى ينقضي الاعتماد؛ أي حتى تنتهي العملية العضوية المطلوبة في إصدار الصوت. "

وتجدر الإشارة إلى أن صوت القاف لو عددناه مهموساً كما رأى المحدثون فإن الصوت المجهور (القاف البدوية) –التي رجح كثير منهم أن سيبويه يقصده عندما وصف القاف بالجهر – هو في الواقع أقرب إلى أن يكون مجهور الكاف وليس مجهور القاف، أعني أن الكاف صوت مهموس والمقابل المجهور له هو القاف البدوية، أما القاف المهموسة حسب وصف المحدثين فليس لها مقابل مجهور ! فلعلّ هذا يكون دليلاً على أن القاف صوت مجهور كما رأى القدماء بحسب معاييرهم التي ذكرناها سابقاً، وإذا قارنا بين القاف الفصيحة والكاف من حيث كيفية النطق والصفات المميزة لكليهما أدركنا الفرق بين المجهور والمهموس بحسب فهم علمائنا القدامى.

فإذا كان فهمنا لكلام سيبويه يوصلنا إلى ما أتى به العلم الحديث في وصفه لصفة الجهر فلِمَ يُخطّأ سيبويه إذا وصف الأصوات أو تحدث عن صفاتها أو كيفية حدوثها؟ إن ما قام به العلماء القدامى عمل رائع، وجهد فريد، انبنى على حس علمي مرهف، يعتمد الملاحظة والتجربة، فخرجت لنا منظومة الأصوات بدقة متناهية، وما علينا إلا أن نتريث في فهم نصوصهم وألا نتسرع في الحكم عليها.

الخاتمة

بعد دراسة طرائق القدامى والمحدثين والمقارنة بينهما حول الوصف الصوتي لصوت القاف تبيّن لي ما يأتي من نتائج:

1– أن تحديد سيبويه لمخرج صوت القاف كان صائباً ليس فيه أي خطأ ؛ فموضع تكوّن القاف في جهاز النطق عنده هو نفسه الذي حدده المحدثون فيما بعد، وكانوا أكثر دقة وتفصيلاً في الوصف، لكنهم لم ينتبهوا إلى أن سيبويه يسير على ترتيب معين يبدأ من الحلق حتى الشفتين ،وعندما رسم موضع

القاف من خلال مجاورته للكاف فقال: إن الكاف أسفل من موضع القاف ظنوا أنه أخطأ، وتوهموا أنه يقصد قافاً غير التي ننطقها اليوم في الفصحى وفي القرآن الكريم .

2- أن سيبويه ذكر نوعاً من الأصوات قريباً من القاف ضمن الحروف التي سماها غير مستحسنة وهو صوت بين الكاف والجيم، أو الجيم التي كالكاف، ووجود هذا الصوت ضمن مجموعة أخرى أقرب ما تكون إلى اللهجة أو الحرف غير الفصيح -لأن هناك من يسميها الكاف الفارسية- يجعلنا نجزم أن سيبويه لم يكن ليقصد عندما وصف صوت القاف إلا قافنا الفصيحة .

3- أن القرآن الكريم كفيل بحفظ لغتنا أصواتاً وألفاظاً وتراكيب، فلا يمكن بحال من الأحوال أن يكون صوت القاف الذي ننطق به في القرآن الكريم والذي يُشترط فيه أن يحمل صفة القلقلة ليس صوت القاف الذي وصفه سيبويه، فلو سلمنا بما يراه المحدثون من أن سيبويه يقصد قافاً مثل التي ننطقها في لهجاتنا العامية البدوية، لكانت النتيجة صوتاً خالياً من صفة القلقلة وهذا محال.

4- صوت القاف مجهور عند علمائنا القدامى وفي مقدمتهم سيبويه، بينما يراه المحدثون مهموساً، وهذا سبب جوهري في نظر المتأخرين، يجعلهم يتأكدون من أن سيبويه ومن تبعه يصف قافاً مثل التي في لهجتنا؛ لأن هذا الصوت مجهور، غير أن معطيات الأسلاف وطريقة تناولهم صفة الجهر بالوصف والتحليل تجعلنا نعيد النظر في فهمنا لأسلوبهم، فالمجهور فيه قوة صوتية تختلف عن المهموس، وهذا ما رآه الأسلاف في صوت القاف .

قائمة المصادر :

1. ابن الجزري(1432هـ)، "النشر في القراءات العشر "، تصحيح ومراجعة: علي محمد الصباغ، ال قاهرة، المكتبة التجارية الكبرى.

2. ابن جني(1954م)،"سر صناعة الإعراب "، تحقيق: مصطفى السقا، محمد الزفزاف، إبراهيم مصط فى، عبدالله أمين، ط1، مصطفى البابي الحلبي.

3. ابن سينا، أبو علي الحسن بن عبدالله(1983م)،"أسباب حدوث الحروف "، تحقيق: محمد حسن ا لطيان، يحيى مير علم، تقديم ومراجعة: شاكر الفحام، أحمد راتب النفاخ.

4. أبو مغلي، سميح(1978م)، " نظرات في اللغة "، شركة الأصدقاء للطباعة والتجارة.

5. أنيس، إبراهيم(1987م)، " الأصوات اللغوية "، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية.

6. بشر، كمال محمد(1980م)، "علم اللغة العام(الأصوات)" ،ط6، مصر، دار المعارف.

7. الجريسي، محمد مكي نصر وحسن، أحمد علي (2011م)،" نهاية القول المفيد في علم تجويد القرآن المجيد: تدقيق وضبط "، مراجعة: الشيخ علي محمد الضباع، القاهرة ، مكتبة الآداب.

8. حسان، تمام(1979م)،" مناهج البحث في اللغة "، دار الثقافة.

9. الحمد، غانم قدوري(1986م)،" الدراسات الصوتية عند علماء التجويد "، بغداد، مطبعة الخلود.

10. سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر(1975م)، "الكتاب "، تحقيق وشرح : محمد عبدالسلام هارون ،ج3، ج4 ،القاهرة، الهيأة المصرية العامة للكتاب.

11. شاهين، عبدالصبور(1985م)،" في التطور اللغوي "، ط2، مؤسسة الرسالة.

12. شاهين، عبد الصبور(1987م) "أثر القراءات القرآنية في الأصوات والنحو العربي"، القاهرة، مكتبة الخانجي.

13. الصيد، آمال(2005–2006م)، " التقاء الهمزتين في رواية قالون عن نافع المدني من طريق الشا طبية:دراسة صوتية"، **مجلة الباحث**:مجلة علمية سنوية محكّمة تصدرعن كلية إعداد المعلمين،ع4

14. الفراهيدي، الخليل بن أحمد(د.ت)، " معجم العين "، تحقيق: مهدي مخزومي، إبراهيم السامرائ ي، المجلد الأول، دار الهلال.

ISSN: 2523 – 1871

المؤاخذات النحوية على ابن مجاهد من خلال تخطئته للقراءات الصحيحة

دراسة وصفية تحليلية نقدية

د. نوري حسن حامد المسلاتي

أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم/ الأبيار، جامعة بنغازي

المستخلص:

يقوم البحث على بيان أن القراءة إذا صحت من حيث الرواية، لابد أن تكون صحيحة من حيث الدراية؛ أي: من حيث موافقتها لوجه نحوي، وأن النحوي إذا لم يجد لها وجها من كلام العرب فعليه أن يعود على نفسه بالتقصير، لا على القراءة بالتضعيف، لا سيما إذا كانت القراءة متواترة، وقد اتخذ البحث من ابن مجاهد أنموذجا في تضعيفه القراءات الصحيحة، وبيان صحة ما ضعفه من حيث المستوى النحوي.

الكلمات المفتاحية:

المستوى النحوي– التقصير – ابن مجاهد – المؤاخذات

المقدمة:

يُعد فن توجيه القراءات وتخريجها من الفنون اللغوية التي نشأت في كنف الدراسات القرآنية؛ ذلك لأن القراءة –كما يقرر أهل الاختصاص– لا تكون صحيحة إلا إذا توافر فيها شروط ثلاثة، وهي: صحة السند، والموافقة –ولو احتمالا– لرسم أحد المصاحف التي بعث بها الإمام عثمان إلى الأمصار، والموافقة لوجه نحوي، ولو كان ضعيفا (ابن الجزري،1/ 9)، فمتى ما اجتمعت هذه الشروط في قراءة كانت صحيحة –ولو لم تكن من السبعة (ابن الجزري،1/ 9)– ولا يصح ردّها، بل ولا المفاضلة بينها وبين غيرها من القراءات (الزركشي،1957م، 1/ 339)؛ فلا غرو إن عُد هذا الفن من علوم القرآن، على الرغم من أنه أصالة من علوم العربية؛ وذلك لأن بعض العلوم يتداخل بعضها في بعض.

وقد ظهر فن التوجيه على رأس المائة الثالثة على يد أبي بكر بن مجاهد؛ ذلك لأنه أول من وضع مصنفا في القراءات المتواترة، فلم يخلطها بغيرها من القراءات، وتكلم عنها لغويا في سورة الفاتحة،

ثم انصرف في بقية السور عن ذلك إلى ذكر القراءة مجردة (ابن مجاهد، 1400هـ، ص112) ، وربما أبدى رأيه في القراءة أو الطريق من حيث الرواية أو الدراية، كما أن له كتابا في القراءات الشاذة تحدث فيه عنها من حيث العربية، أسماه (المحتسب في شرح كتاب الشواذ)، فربما يكون كتاب (المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها) لابن جني هو توسعة لهذا الكتاب، مع إضفاء طابعه الخاص (الباباني، 1951م، 1/ 59).

ولعل من أبرز أسباب ظهور هذا الفن عند ابن مجاهد هو أن عصره هو العصر الذي استقرت فيه القواعد النحوية، ونضجت استنتاجا وتعليلا، كما يدل على ذلك كلام ابن جني في مقدمة خصائصه (ابن جني، 1/ 2)، فاستقرار تلك القواعد مهّد الطريق لظهور فنون تتعلق بعلم العربية، مثل: فقه اللغة وأصولها.

وعلى هذا، فليس صحيحا القول: إن سبب الطعن في القراءات عند النحاة الأوائل إذا خالفت وجها فصيحا أو قياسا صحيحا هو أن القراءات الصحيحة لم تكن قبل ابن مجاهد متميزة عن غيرها، ما سمح للنحويين آنذاك أن يجتهدوا في الحكم على القراءة (الزركشي،1957م، 1/ 327) (المحيميد، 2003م، ص17)؛ لأن هذا التعليل سرعان ما يهوي بمجرد المطالعة في كتاب (السبعة في القراءات)؛ إذ تجد في مواضع عديدة منه تغليطا لبعضها أو لبعض رواياتها أو بعض طرقها، ووصْفَها بأنها ليست بشيء، وأنها لا تجوز في العربية، ولا يصح القراءة بها، وأنها لحن، ونحو ذلك، وهو صنيع فتح الباب لاحقا أمام بعض علماء العربية للتأليف في أوجه القراءات والاحتجاج لها، سواء أكانت صحيحة* أم شاذة**؛ لأن الضعف من حيث الرواية لا يلزم منه الضعف من حيث الدراية (ابن جني، 2004م، 1/ 32 . 33).

والعجب من ابن مجاهد كيف يورد قراءة متواترة من انتقائه متفقا على حرفها بين رواياتها وطرقها أو مختلفا فيه، ثم ينتقدها من حيث الأداء، مع ما عُرف به أئمة القراءات السبع من الحفظ والإتقان

* كما هو صنيع أبي علي الفارسي في كتابه الحجة للقراء السبعة.

** كما هو صنيع ابن جني في كتابه المحتسب.

ISSN: 2523 – 1871

والمعرفة الجيدة بالعربية*، لاسيما ابن عامر وأبو عمرو(الزركشي،1957م)، ولذلك الحرف ما يدل على صحته من كلام العرب؛ ومن ثم رأيتني مدفوعا لحصر القراءات التي انتقدها سواء أكانت من السبعة أم من العشرة*، وبيان وجه القول فيها من حيث العربية، وبيان خطأ تغليطه.

هذا، ولم يتناول موضوع انتقاد ابن مجاهد لبعض القراءات الصحيحة بالبحث سوى باحثين اثنين:

الأول: الدكتور محمّد الحسين مليطان، وعنوان بحثه :**(القراءات القرآنية إشكالية النقد: قراءة في كتاب السبعة لابن مجاهد)**، وهو بحث يختلف عن هذا البحث جوهريا، وفضلا عن ذلك لم يبين موقفه من تغليط ابن مجاهد للقراءات، كما أنه لم يقم بحصر القراءات التي انتقدها.

والآخر: الدكتور السالم محمّد محمود أحمد، وعنوان بحثه :**(القراءات التي حكم عليها ابن مجاهد بالغلط أو الخطأ)** وبحثه يختلف عن هذا البحث فيما يأتي:

1. أنه اقتصر على انتقاد ابن مجاهد للقراءات المتواترة في كتابه (السبعة) من غير تحديد للمستوى اللغوي، بينما بحثنا هذا تناول نقده من حيث المستوى النحوي للقراءات المتواترة من طريق كتاب السبعة وطريق غيره، والقراءات الثلاث المتممة للعشر أيضا، وهي: قراءة أبي جعفر، ويعقوب، وخلف.
2. أنه لم يبين وجه خطأ ابن مجاهد في انتقاده بعض القراءات، بل اكتفى بذكر رأي بعض أئمة النحو مجرد ذكر، على الرغم من أن رأي بعض النحاة الذي تبناه يفضي إلى تضعيف قراءة متواترة، وقد وُضع البحث للدفاع عنها، كما الحال في تخريج قراءة أبي عمرو من رواية روح ﴿بالصبر﴾؛ إذ تبنى رأي الفارسي (محمود، 1427هـ، ص107)، وهو رأي يحكم بشذوذ قراءة نافع ﴿محياىْ﴾ بسكون الياء في الوصل.

* أما نافع فيكفينا أن شيخه أبا جعفر كان نحويا، وأن الراويين عنه قالون وورش كانا نحويين كذلك، ينظر: إنباه الرواة (2/ 172)، وتاريخ الإسلام (15/ 351)، و(13/ 437)، وكذلك الحال بالنسبة لحمزة، فأحد الرواة عنه –وهو الكسائي الذي اختار حرفه منه– قد كان رأسا في النحو الكوفي، وعاصم كان فصيحا، ينظر: تاريخ الإسلام (8/ 139)، وكذلك كان ابن كثير، ينظر: تاريخ الإسلام (7/ 404).

* وهذه القراءات أجازني بها وبالمتممة للعشر (د. محمّد لامات) عن (أ. شكري لحفي) عن شيخ قراء الديار الشامية كريم راجح بسنده.

3. أنه جعل تخطئة ابن مجاهد لتخريج بعض النحاة لبعض القراءات تخطئة للقراءة (محمود، 1427هـ، ص68)، وليس ذلك كذلك، ومثاله: قول ابن مجاهد في قراءة ابن كثير :"**ويجوز أن يكون نصب ﴿غير﴾ على الحال**، وقد قال الأخفش نصب ﴿غير﴾ على الاستثناء، وهذا غلط" (ابن مجاهد، 1400هـ، ص112).

فهذا التغليط هو لإعراب الأخفش، لا للقراءة، وما يدل على ما رأينا مجموع أمرين:

الأول: أن ابن مجاهد نسب القراءة لابن كثير من رواية الخليل بن أحمد، وصوب النصب لغة.

والآخر: أن ابن مجاهد على مذهب نحاة الكوفة*، وهم يمنعون عطف النفي على الاستثناء (الداني، 2007م، 1/ 184).

4. أنه خلط بين القراءات التي غُلطت لغةً وتلك المغلطة روايةً، وبحثه قام لأجل الأولى.
5. أنه لا يبين –أحياناً– وجه تصويب ما خطأه ابن مجاهد، فيطلق التصحيح على أنه مسلَّم به.

ولما كان كتاب ابن مجاهد في القراءات الشاذة التي كان يُعنى بها القراءات التي وراء السبعة قد غيبه الزمان، فلم يعد له أثر، فقد اعتمدت في معرفة رأيه في القراءات الثلاثة المتممة للعشر على الكتب المتفرعة عنه، مثل كتاب ابن جني: المحتسب، وكتاب ابن خالويه: مختصر في شواذ القراءات، وغيرهما من الكتب التي تعنى بذكر القراءات.

وقد كان منهجي في البحث –بعد التعريف بابن مجاهد، وحصر القراءات التي انتقدها نحويا– الحديث –أولا– عن القراءات السبعة التي في كتاب السبعة، ثم تلك التي ليست فيه، ثم يأتي الحديث عن القراءات المتممة للعشر؛ ولذلك جاء البحث في تمهيد وثلاثة مباحث، وأخيرا تأتي الخاتمة، وفيها خلاصة ما توصل إليه البحث، والله أسأل أن يوفق ويسدد؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه.

* وسيأتي إيضاح ذلك.

ISSN: 2523 – 1871

تمهيد:

على الرغم من أن ابن مجاهد يعد شيخ المقرئين وإمامهم، وصاحب أول مصنف معتمد في صنعتهم*، لم نجد للدارسين والباحثين في حقل العلوم القرآنية وحقل الدراسات اللغوية المتصلة بالقرآن الكريم بأوثق صلة –حسبما هو متوافر بين أيدينا– لم نجد لهم اهتماما بتراثه وشخصيته يعبر عن ذلك الأثر الذي له، والدور الرائد الذي قام به؛ لنقوم بالبناء عليه، والابتداء مما انتُهي إليه، ما يجعل منه محل بحث خصب للدراسة، لاسيما في الحقل اللغوي.

اسمه وكنيته ونسبه ولقبه:

هو أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي، المكنى بأبي بكر، لقب ألقابا عديدة، منها: الحافظ، والأستاذ، وشيخ الصنعة، ومسبع السبعة، وشيخ القراء*.

مولده:

ولد سنة خمس وأربعين ومائتين بسوق العطش (الذهبي، 1997م، ص153)، وهي محلة كبيرة بالجانب الشرقي من بغداد، بين الرصافة ونهر المعلى (الحموي، 1995م، 3/ 284)، وسمي كذلك؛ لأنه لما بناه سعيد الحرشي للمهدي وحول إليها التجار ليخرّب الكرخ، قال له المهدي: سمّها سوق الرّيّ، فغلب عليها سوق العطش (الحموي، 1995م، 3/ 284)، وهي محلة يمر إليها في وسط شارع كرم المعرش نهر متفرع من نهر موسى، ويصب في دار ابن الفرات الوزير، ويفنى هناك (البغدادي،1417هـ،1/ 435)، ومن أشهر دروب هذا السوق درب البارزيين (البغدادي،1417هـ،13/ 223)؛ ولذلك قد يقال في نسبته: العطشي: بفتح العين والطاء المهملتين (الجزري،1351هـ، 2/ 54).

* ولا أدل على ذلك من المطالعة في كتاب (النشر في القراءات العشر) لخاتمة المقرئين وعمدتهم أبي الخير محمّد بن محمّد بن يوسف المشهور بابن الجزري، (المتوفى: 833 هـ)، فعلى الرغم من حصره كتب القراءات الصحيحة عبر التاريخ وذكر أسانيده إليها لم نره ذكر إسنادا واحدا إلى كتب القراءات التي قبل كتاب (السبعة في القراءات).

** ينظر: تاريخ بغداد (7/ 487)، معجم الأدباء (2/ 520)، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار ص153، غاية النهاية (1/ 139)، ديوان الإسلام (4/ 261)، الأعلام (1/ 261).

ISSN: 2523 – 1871

طلبه العلم:

كان ابن مجاهد مثالا لطالب العلم المجد المجتهد، الذي يشتغل بما ينفعه فيما يحقق مراده، والذي يبدو –كما يدل واقع حاله– أنه قد وضع لنفسه منهجا في تلقي العلم؛ ليصل إلى ما قد وصل إليه، فلم يكن يأخذ عمن يصادفه ممن ينتسب للعلم من أهل زمانه، بل حدد احتياجاته وما يصبو إليه، فرأى أنه لا غنى له عن علوم ثلاثة، وهي: المصدران الرئيسان في التشريع الإسلامي؛ أي: القرآن الكريم، والحديث الشريف، وأما العلم الثالث فهو علم العربية، إذ لا غنى عنه في فهم العلمين الأولين، فأخذ في كل علم بسهم وافر عن أبرز من يعرف به من الأعلام، لاسيما في القراءات والحديث، وهذا الجمع لتلك العلوم لم يتفق لأحد قبله سوى لأبي عبيد القاسم بن سلام، وابن جرير الطبري، وقد وصفه بالإمامة في هذه العلوم الثلاثة الذهبي، فقال :" الإمام المقرئ المحدث النحوي، شيخ المقرئين " (الذهبي، 1985م، 15/ 272).

والذي يعنينا الحديث عنه هنا هو أخذه علوم القرآن والعربية.

أولا ـ علوم القرآن:

نشأ ابن مجاهد في بيئة تعنى بعلوم القرآن أيما اعتناء، وتضج بكثير من علماء القراءات، والذي يبدو أن تعلقه بالقراءات قد ظهر في مرحلة مبكرة من حياته؛ إذ عدّ له ابن الجزري نحوا من مائة شيخ، وقرأ على بعضهم عشرين ختمة (الجزري، 1351هـ، 1/ 139 ـ 142)، وأصبح إمام عصره وعمره أربعون سنة (البغدادي،1417هـ، 5/ 353)، ومن أشهر شيوخه في موطنه:

1. محمّد بن يحيى الكسائي الصغير أبو عبد الله بغدادي مقرئ (الذهبي، 1997م، ص146).
2. الحسن بن الحباب بن مخلد، أبو علي البغدادي الدقاق، المقرئ، من حذاق أهل الأداء(الذهبي، 1997م).
3. عبد الرحمن بن عبدوس أبو الزعراء البغدادي، من جلة أهل الأداء وحذاقهم، وأرفع أصحاب أبي عمر الدوري(الذهبي، 1997م).

ISSN: 2523 – 1871

4. القاسم بن زكريا أبو بكر البغدادي المطرز، قرأ على الدوري، وبرع في الأداء والمعرفة(الذهبي، 1997م).
5. حسنون بن الهيثم أبو علي الدوري، المقرئ، قرأ على هبيرة التمار، صاحب حفص (الذهبي، 1997م).
6. إدريس بن عبد الكريم الحداد المقرئ، أبو الحسن البغدادي(الذهبي، 1997م).
7. أحمد بن علي بن الفضيل أبو جعفر الخزاز بغدادي، مشهور(الذهبي، 1997م).
8. الفضل بن مخلد بن عبد الله البغدادي الدقاق، الأعرج المقرئ المعروف بفضلان (الذهبي، 1997م).
9. محمّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري الإمام أبو جعفر، صاحب المصنفات والتفسير والتاريخ (الذهبي، 1997م).
10. أحمد بن محمّد بن حميد أبو جعفر المقرئ المخضوب البغدادي الفامي الفيل (الذهبي، 1997م).

وعلى الرغم من ذلك لم يكتف بما ناله من تنقله بين شيوخ بلدته، ومن جاء من خارجها؛ لِبَثّ علوم القرآن الكريم، وما جمع من حروف القراء فيها، بل ضرب أكباد الإبل مرتحلا إلى أشهر القراء في الأمصار والأقطار، حاله في ذلك حال الكثير من طلبة العلم آنذاك؛ طلبا لعلو الإسناد وصحته، وتبركا بصنيع السلف الصالح في طلبهم العلم من خلال الرحلة في الآفاق شرقا وغربا، ومن أشهر من أخذ عنهم خارج بلده:

1. إسحاق بن أحمد بن إسحاق بن نافع، أبو محمّد الخزاعي المكي، الإمام مقرئ المسجد الحرام.
2. قنبل مقرئ أهل مكة، هو: أبو عمر محمّد بن عبد الرحمن بن محمّد بن خالد بن سعيد بن جرجة المخزومي، مولاهم المكي.
3. الفضل بن شاذان أبو العباس الرازي، المقرئ، أحد الأعلام، وشيخ الإقراء بالري.

4. محمّد بن عبد الرحيم بن إبراهيم، أبو بكر الأصبهاني، المقرئ شيخ القراء في زمانه.
5. محمّد بن حمدون أبو الحسن الواسطي الحذاء.
6. أبو بكر الداجوني محمّد بن أحمد بن عمر الرملي، الضرير المقرئ، وهو الداجوني الكبير (الذهبي، 1997م).

تلاميذه:

بعد أن تلقى ابن مجاهد قراءات القرآن الكريم رواية ودراية ألقى عصا التسيار وجلس لإقرائه وتعليم حروفه، فازدحم الطلبة عليه في سابقة لم تعرف لأحد قبله أو بعده في هذا الشأن، فكان له في حلقته أربعة وثمانون خليفة يأخذون على الناس (الذهبي، 1997م، ص153)، ومن أشهر من تتلمذ عليه في القراءات:

1. صالح بن إدريس أبو سهل البغدادي المقرئ، أحد الحذاق.
2. عبد الواحد بن عمر بن محمّد بن أبي هاشم أبو طاهر البغدادي، المقرئ أحد الأعلام ومصنف كتاب البيان، ومن انتهى إليه الحذق بأداء القرآن.
3. محمّد بن عبد الله بن أشته أبو بكر الأصبهاني، المقرئ النحوي أحد الأئمة.
4. طلحة بن محمّد بن جعفر الشاهد أبو القاسم البغدادي المقرئ.
5. محمّد بن يوسف بن نهار الحرتكي، أبو الحسين البغدادي المقرئ، إمام جامع البصرة.
6. محمّد بن محمّد بن محمّد بن أحمد أبو بكر البغدادي، المقرئ المعروف بالطرازي.
7. عمر بن إبراهيم بن أحمد بن كثير الكتاني، أبو حفص البغدادي، المقرئ المحدث.
8. الحسين بن عثمان أبو علي المجاهدي الضرير المقرئ.
9. عبيد الله بن إبراهيم أبو القاسم البغدادي، مقرئ أبي قرة شيخ معمر (الذهبي، 1997م، ص103).

ISSN: 2523 – 1871

ثانيا ـ علوم العربية:

مما لا ريب فيه أن ابن مجاهد كان نحويا، كما سبق أن ذكرنا عن الذهبي، ويؤثر عنه آراء نحوية ولغوية تتناغم مع المذهب الكوفي، فقد أخذ علم الفراء عن صاحبه وراويته محمّد بن الجهم السمري النحوي، كما أخذ عن ثعلب، وأبرز من أخذ عنه اللغة ابن خالويه، كما يدل على ذلك كتاب :(ليس في كلام العرب) و(إعراب ثلاثين سورة من القرآن)، وعلى الرغم من ذلك لم نر أحدا من أهل التراجم المتخصصين بذكر النحاة قد ترجم له، ولعل السر في ذلك قول ابن جني عنه عند حديثه على قراءة الزهري والأعرج وأبي جعفر بخلاف عنهم :﴿**ولا يَؤُودُه حِفْظَهُمَا**﴾ [البقرة: 255] بلا همز :" خلَّط ابن مجاهد في هذا التفسير تخليطًا ظاهرًا غير لائق بمن يُعتد إمامًا في روايته، وإن كان مضعوفًا في فقاهته" (ابن جني، 2004م، 1/ 130).

وهذا يفسر سبب خطأ ابن مجاهد في تغليط القراءات أو الروايات أو الطرق في كتابه (السبعة)، ودفاع غيره من النحويين الكبار عنها، كما سترى لاحقا، إن شاء الله تعالى.

صفاته:

كان ابن مجاهد صاحب لطف وظرف، يجيد معرفة الموسيقى (الذهبي، 1985م، 15/ 273)، مع الدين والحفظ والخير (الجزري، 1351هـ،1/ 142)، جاء عنه قوله :"من قرأ لأبي عمرو، وتمذهب للشافعي، وأتجر في البز، وروى شعر ابن المعتز، فقد كمل ظرفه" (الذهبي، 1993م، 7/ 487). وجاء عنه . أيضًا . أنه قال :"الناس أربعة: مليح يتبغض لملاحته فيحتمل، وبغيض يتملّح فذاك الحمى والداء الذي لا دواء له، وبغيض يتبغض فيعذر؛ لأنه طبعه، ومليح يتملح فتلك الحياة الطيبة" (الحموي، 2/ 522).

ثناء العلماء عليه:

لا شك في أن الجهد الذي بذله ابن مجاهد في إتقان القراءات لابد أن يلقى قبولا لدى أهل الصنعة، وينعكس إيجابا عليه، فمن جد وجد، ولذلك اتفقت كلمة العلماء على الثناء عليه، والاعتراف بفضله، وإسباغ عبارات الثناء والإجلال عليه.

ISSN: 2523 – 1871

قال ثعلب : "ما بقي في عصرنا هذا . يعني سنة ست وثمانين ومائتين . أحدٌ أعلم بكتاب الله من أبي بكر بن مجاهد " (البغدادي، 1417هـ، 5/ 353).

وقال الخطيب : "كان شيخ القراء في وقته، والمقدم منهم على أهل عصره، وكان ثقة مأموناً"(البغدادي، 1417هـ، 5/ 353).

وقال أبو عمرو الداني: "فاق ابن مجاهد في عصره سائر نظائره من أهل صناعته، مع اتساع علمه، وبراعة فهمه، وصدق لهجته، وظهور نسكه" (الذهبي، 1985م، 15/ 273).

آثاره:

إمام كبير كابن مجاهد لا بد أن يكون له اهتمام بنشر علمه وحفظه، وبقاء ذكره وخبره، ولا شك في أن ذلك لا يكون إلا بوضع الكتب وتأليفها، فصدرت عنه كتب عديدة، منها (الزركلي، 2002م،5/ 311):

- كتاب السبعة في القراءات، المسمى القراءات الكبير.
- كتاب القراءات الصغير.
- كتاب الياءات.
- كتاب الهاءات.
- كتاب قراءة أبي عمرو.
- كتاب قراءة ابن كثير.
- كتاب قراءة عاصم.
- كتاب قراءة نافع.
- كتاب قراءة حمزة.
- كتاب قراءة الكسائي.

ISSN: 2523 – 1871

- كتاب قراءة ابن عامر.
- كتاب قراءة النبي صلى الله عليه وسلم.

وفاته:

توفي يوم الأربعاء، وقت الظهر، في العشرين من شعبان، سنة أربع وعشرين وثلاثمائة (الجزري، 1351هـ،1/ 142) ، رحمه الله تعالى، قال عبيد الله الزهري: انتبه أبي فقال: رأيت يا بني كأن من يقول: مات مقوم وحي الله، فلما أصبحنا إذا ابن مجاهد قد مات (الذهبي، 1993م،7/ 487).

ودفن في يوم الخميس لعشر بقين من شعبان، في تربة في حريم داره بسوق العطش بباب البستان، وصلى عليه الحسن بن عبد العزيز الهاشمي الإمام عند باب البستان في الجانب الشرقي (البغدادي، 1417هـ، 5/ 355).

المبحث الأول: انتقاد ابن مجاهد القراءات السبعة من رواية كتابه السبعة

القراءات السبعة هي بعض أحرف القرآن الكريم التي نزل بها ترخيصا وتخفيفا على الناس (أبو شامة، 1975م، ص96)، وليس صحيحا ما ورد عن بعض الناس من أن المراد بالأحرف السبعة هذه القراءات (أبو طالب، ص33، 41، 43)، التي تنسب للقراء السبع، وهم: نافع المدني، وابن كثير المكي، وابن عامر الشامي، وأبو عمرو البصري، وعاصم، وحمزة، والكسائي الكوفيون؛ ذلك لأن هذه القراءات أول من سبعها هو ابن مجاهد في كتابه (السبعة في القراءات)، وتبعه عليه أهل عصره ومن جاء بعده، ومن ثم يعد كتابه إماما في علم القراءات، كما سبق أن بينا، وقد أوضح ابن مجاهد في مقدمة كتابه أن سبب اختياره هؤلاء القراء هو توافر عوامل الإمامة فيهم، فهو قد جعل القراء في طبقات على النحو الآتي:

الطبقة الأولى: طبقة الأئمة الذين يفزع إليهم حفاظ القرآن الكريم في كل مصر، وهؤلاء هم المعربون العالمون بوجوه الإعراب والقراءات، العارفون باللغات ومعاني الكلمات، البصيرون بعيب القراءات المنتقدون للآثار، وهذه الطبقة هي طبقة الأئمة السبع؛ ألا ترى أن ابن مجاهد قد وصفهم بأنهم أئمة القراء (ابن مجاهد، 1400هـ، ص53)، وكذا الرواة عنهم.

ISSN: 2523 – 1871

الطبقة الثانية: طبقة المطبوعين، وهم من كانت لهم القراءة طبعا، فحالهم كحال الأعرابي المطبوع على لغته، فهو يتكلم بها سليقة.

الطبقة الثالثة: طبقة الحفاظ، وهم: من يؤدّون ما سمعوه ممن أخذوا عنه، ليس عندهم إلا الأداء لما تعلموه، لا يعرفون الإعراب.

الطبقة الرابعة: من لا علم لهم بهذا الشأن، وإن كانوا يعربون قراءتهم، ويبصرون المعاني، ويعرفون اللغات، وهؤلاء ربما دعاهم بصرهم بالإعراب إلى أن يقرؤوا بحرف جائز في العربية لم يقرأ به أحد من الماضين؛ فيكونون بذلك مبتدعين (ابن مجاهد، 1400هـ، ص45 . 46).

وعلى هذا، فإن تخطئة ابن مجاهد لقراءة أحد هؤلاء القراء، أو لرواية أحد رواتهم بعد أن ضمنها كتابه هو من أعجب العجب؛ لأن من كان وصفه على النحو الذي ذكره في الطبقة الأولى قُبِلَ منه ما يأتي به على الانفراد، فضلا عن أن يوافقه غيره.

وهذا بيان لتلك القراءات التي انتقدها من حيث المستوى النحوي، وبيان سبب تخطئته، والرد عليه بإيضاح وجهها في العربية، وسرد شواهدها، وبيان حججها.

1/ **قرأ ابن عامر** وحده قوله تعالى: ﴿ **فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾ [البقرة: 117، آل عمران: 47، النحل: 40، يس: 82] بنصب النون، وخطأه ابن مجاهد في ثلاثة مواضع من كتابه بالقول :" **وَهُوَ غلط**" (ابن مجاهد، 1400هـ، ص169)، :"**وَهُوَ وهم**" (ابن مجاهد، 1400هـ، ص206)، :"**وَهَذَا خطأ في العربية**" (ابن مجاهد، 1400هـ، ص409).

سبب التخطئة:

ووجه تخطئة الإمام أبي بكر أحمد بن مجاهد لهذه القراءة راجع لمجموع أمرين: أحدهما: تخطئة من حيث المعنى، والآخر: تخطئة من حيث الصنعة، وبيان ذلك كالآتي:

أولا . من حيث المعنى:

سبب كون النصب غير جائز –عنده– من حيث المعنى هو أن تقدير الكلام: احدث فيحدث، فالفاء –على هذا– ليست واقعة في جواب؛ لأنها ليست سببية، بل هي عاطفة، وليس بين الفعلين اختلاف؛ لأن كلا الفعلين كائن وقوعهما، بدليل جواز العطف على ظاهر الفعل الأول، فالجملة –على هذا– خبرية لا إنشائية، ومن ثم فإن الوجه الرفع لا غير (سيبويه،1988م،3/ 38)(المبرد،2/ 18).

ثانيا . من حيث الصنعة:

وسبب منع النصب في القراءة من حيث الصنعة هو أن النصب باستقراء الشائع من كلام العرب إنما يجوز بشرطين، هما:

أ . أن يكون الفعل المنصوب جوابا لشرط مقدر أو مذكور، فتضمر (أن) على تخيل مصدر في أول الكلام؛ لأن الفعل لا يعطف على اسم صريح، فتحتاج لإضمار (أن) قبل الفعل الثاني؛ ليصح العطف، فيكون ذلك من قبيل عطف مصدر مؤوّل على مصدر صريح، وليس ذلك كذلك في قراءة ابن عامر.

ب . أن يكون الفعل الثاني مخالفا للفعل الأول معنى أو فاعلا، فإن اتحدا لم يجز النصب (سيبويه،1988م،3/ 38–41).

الرد على ابن مجاهد:

وأما وجه خطأ ابن مجاهد –رحمه الله تعالى– في تخطئته القراءة فكالآتي:

أ . أن القرآن الكريم –كما سبق بيانه– نزل بلغة كل حي من أحياء العرب؛ تخفيفًا على الناس، ولتيسير القرآن للذكر، ومن المعلوم أن العرب ليسوا في الفصاحة سواء، فمنهم: من لغته فصحى، ومنهم من لغته فصيحة، ومنهم من لغته صحيحة، ومنهم من لغته ضعيفة، وهذا من الوضوح بحيث لا يحتاج لبيان.

ISSN: 2523 – 1871

ب . أن من شروط القراءة الصحيحة –كما يقرر علماء القراءات– أن تكون موافقة لوجه نحوي، ولو كان ضعيفا، قال الداني: "وأئمة القراءة لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة، والأقيس في العربية، بل على الأثبت في الأثر، والأصح في النقل، والرواية إذا ثبتت لا يردّها قياس عربية، ولا فشوّ لغة؛ لأن القراءة سنّة متبعة، يلزم قبولها والمصير إليها" (الداني،2007م،1/ 51).

وقال ابن الجزري: " فكم من قراءة أنكرها بعض أهل النحو أو كثير منهم ولم يعتبر إنكارهم، بل أجمع الأئمة المقتدى بهم من السلف على قبولها " (ابن الجزري،1/ 10).

ج . أن حرف ابن عامر روعي فيه ظاهر اللفظ من غير نظر للمعنى (أبو حيان،1420هـ،1/ 586)، والحمل على ظاهر اللفظ وارد في كلام العرب الفصحاء الأقحاح (ابن جني،1/ 252)، ومن ذلك قول عمر بن أبي ربيعة(عبد الحميد،1952م ،ص56):

فَقُلْتُ لِجَنادٍ خُذِ السيفَ وَاشْتَمِلْ عَلَيْهِ بِحَزْمٍ وَانْظُرِ الشمسَ تَغْرُبِ

فجعل (تغرب) جوابا لـ(انظر) على اللفظ، لا على المعنى، فلا شك في أن غروب الشمس غير مترتب على نظر جناد إليها، هذا أولا، وأما ثانيا فإن من مذهب النحاة الكوفيين جواز إضمار (أنْ) الناصبة بعد الحصر بـ(إنما) اختيارا، وحكوا عن العرب: "إنما هي ضربة من الأسد فتحطم ظهره" بنصب (تحطم) (ابن مالك،3/ 1555)، فقراءة ابن عامر –على هذا– وافقت وجها نحويا، وأسلوبا عربيا فصيحا.

2/ قرأ عاصم من رواية أبي بكر قوله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً**﴾ [الأنفال: 35] (وَمَا كَانَ صلَاتهم) نصبا، (عِنْد الْبَيْت إِلَّا مكاءٌ وتصديةٌ) رفعا جميعا، قال ابن مجاهد :"حدثني محمّد بن الحسين، قال: حدثنا حسين بن الأسود، قال: حدثنا عبيد الله بن موسى، قال: حدثنا سفيان الثوري، عن الأعمش: أن عاصما قرأ (وَمَا كَانَ صلَاتهم) نصبا، (إِلَّا مكاء وتصدية) رفعا، فقال الأعمش: وإن لحن عاصم تلحن أنت" (ابن مجاهد، 1400هـ، ص305).

سبب التخطئة:

وجه تخطئة هذه القراءة من وجهين:

الأول: أن الاسم جاء نكرة، والخبر جاء معرفة، وهذا بخلاف الأصل؛ لأن الأولى بالاسم التعريف.

والآخر: أن الاسم –الذي هو في الأصل مبتدأ– لا يكون نكرة إلا إذا أفاد، فلا تحصل الإفادة في الإخبار عن النكرة المحضة.

الرد على ابن مجاهد:

نعم، الأصل في كلام العرب هو ما ذكره ابن مجاهد، ولكن ذلك على الجملة لا على التفصيل، فالحق أن هذه القراءة لها ما يعاضدها من كلام العرب، وهو –كما يرى ابن جني (ابن جني،2004م،279/1)–: أن نكرة الجنس ومعرفة الجنس تشتركان في الإفادة ذاتها؛ ألا ترى أنه لا فرق بين قولك :(خرجت فإذا الأسد بالباب)، وبين قولك :(خرجت فإذا أسدٌ بالباب)؛ لأنك لم تقصد أسدًا بعينه، هذا أولا، وأما ثانيا، فإن (كان) إذا كانت منفية جاز في اسمها أن يكون نكرة؛ ألا تراك تجيز: (ما كان إنسانٌ خيرًا منك)، ولا تجيز :(كان إنسانٌ خيرًا منك) (ابن جني،2004م،279/1) ، قياسا على جواز الابتداء بالنكرة إن كانت في سياق نفي، وأما ثالثا، فقد ورد من كلام العرب ما يدل على جواز التركيب الوارد في القراءة، ومن ذلك قول حسان (مهنأ،1994م،ص18):

كأنَّ سَبِيئَةً مِنْ بَيْتِ رَأْسٍ يكونُ مزاجَها عسلٌ وماءُ

ومن ثم قال أبو منصور الأزهري عن حرف عاصم هنا: " وليس بِلحنٍ، وكان عاصم فصيحًا، وكان كثيرًا يقرأ الحرف على وجهين، ولا يقرأ إلا بما سمع، ووجهه في العربية صحيح"(الهروي،1991م،1/ 439).

3 / روى هبيرة عن حفص عن عاصم في قوله تعالى: ﴿ **حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ**﴾ [يوسف: 110] (فننجي) بنونين مضمومة وخفيفة وفتح الياء، قال ابن مجاهد: "وهذا غلط" (ابن مجاهد، 1400هـ، ص352).

سبب التخطئة:

ISSN: 2523 – 1871

ووجه تخطئته هذه القراءة –كما يقول أبو علي الفارسي–: "لا شيء هاهنا ينتصب به الياء للمضارعة، فلا يجوز أن تنتصب من غير ناصب له" (الفارسي،1993م،4/ 447).

الرد على ابن مجاهد:

والعجب يطول من ابن مجاهد وأبي علي في تخطئتهما هذه القراءة؛ لأنه –كما هو معلوم– إذا وقع بعد جزاء الشرط فعل مضارع مقرون بالفاء أو الواو جاز فيه ثلاثة أوجه: الجزم، والرفع، والنصب، وقد قرئ بالثلاثة قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ**﴾ [البقرة: 248] بجزم (يغفر) و(يعذب) ورفعهما ونصبهما، والنصب قراءة حكاها سيبويه (سيبويه،1988م،3/ 90) ، وكفى به راويا لها، وإن كان الأَوْلى الرفع، وهذان الوجهان –اللذان هما الرفع والنصب– جائزان في المضارع المعطوف على جواب الشرط، سواء أكانت أداة الشرط جازمة أم غير جازمة (سيبويه،1988م،3/ 92).

* * *

4 / قال ابن مجاهد: "قرأ ابن كثير فيما قرأت على قنبل ﴿**أن رآه**﴾ [العلق: 7] بغير ألف بعد الهمزة وزن رعه، وهو غلط؛ لأن (رآه) مثل (رعاه) مُمَالًا وغير مُمَالٍ" (ابن مجاهد، 1400هـ، ص692).

سبب التخطئة:

ووجه التخطئة أن الفعل ماضٍ ناقصٌ، وقد حذف منه لامه، ولا موجب لذلك.

الرد على ابن مجاهد:

العجب من ابن مجاهد كيف يروي هذا الحرف عن قنبل، ثم يخطئه، ووجه القراءة أنها اجتزأت بالفتحة عن الألف، قال أبو حيان: " وينبغي أن لا يغلطه، بل يتطلب له وجها، وقد حذفت الألف في نحوٍ من هذا، قال:

وصاني العجاج فيما وصّني

يريد: وصاني، فحذف الألف، وهي لام الفعل، وقد حذفت في مضارع رأى في قولهم :(أصاب الناس جهد ولو تر أهل مكة)، وهو حذف لا ينقاس، لكن إذا صحت الرواية به وجب قبوله، والقراءات جاءت على لغة العرب قياسها وشاذها" (أبو حيان،1420هـ،10/ 508).

* * *

5 / قرأ أبو عمرو قوله تعالى: ﴿**وَتَوَاصَوْا بِالصبرِ**﴾ [العصر: 3] (بِالصبر) يشم الباء شيئا من الجر ولا يشبع، قَالَ ابن مجاهد: "هذا الذي قال أبو حاتم لا يجوز إلا في الوقف" (ابن مجاهد، 1400هـ، ص696).

سبب التخطئة:

وجه تخطئة القراءة في الوصل هو: أن فيها استهلاكا لحركة حرف الإعراب حال الوصل بالنقل، ولا يجوز ذلك إلا في ضرورة الشعر (الفارسي،1993م،6/ 436).

الرد على ابن مجاهد:

هذه القراءة جاءت على إجراء الوصل مجرى الوقف، وذلك ظاهرة لغوية صوتية مشهورة معلومة عند العرب (أبو حيان،1420هـ،3/ 334)، وردت –فضلا عن الشعر– في قراءات صحيحة في مواضع عديدة، والأمثلة كثيرة، أكتفي منها بخمس:

أ / قراءة عاصم في رواية عصمة بن عروة عن أبي بكر عنه (الغرناطي،ص253) وهارون (اليشكري،2007م،643) قوله تعالى: ﴿ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ﴾ [القمر: 53] بتشديد راء (مستطر) في الوقف، ثم أجرى الوصل مجرى الوقف.

ب / قراءة العشرة عدا حمزة والكسائي ويعقوب وخلف (ابن الجزري،142/2) قوله تعالى: ﴿**فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ**﴾ [البقرة: 259] بإثبات الهاء في الوصل والوقف، وذلك يكون من باب إجراء الوصل مجرى الوقف.

ISSN: 2523 – 1871

ج / وقرأ أبو جعفر (الدمياطي،2006م،81) قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ﴾ [البقرة: 260]: جزا، بحذف الهمزة وتشديد الزاي، كما يفعل في الوقف، كقولك :(هذا فرج)، ثم أجرى الوصل مجرى الوقف.

د / وقرأ أبو جعفر وقالون والأصبهاني عن ورش (ابن الجزري،172/2) قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: 162] بسكون ياء المتكلم في (محياي)، فجمع بين ساكنين على إجراء الوصل فيه مجرى الوقف.

هـ / وقرأ أبو جعفر (الدمياطي،2006م،85) قوله تعالى: ﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي﴾ [القصص: 34] ردأ: بالنقل، وأبدل من التنوين ألفا في الوقف والوصل.

فبمجموع هذه القراءات وغيرها وما وافقها من شواهد شعرية يستنتج الناظر الباحث في اطمئنان ويقين أن ظاهرة إجراء الوصل مجرى الوقف هي ظاهرة لا تختص بالضرورة الشعرية، بل ذلك سنة عند بعض العرب، إن لم تكن عندهم جميعا.

المبحث الثاني: انتقاد ابن مجاهد القراءات السبعة من رواية غير كتابه السبعة

لم يكن ابن مجاهد أول من صنف في القراءات، فقد سبقه إلى ذلك علماء عديدون، اختلفت طرقهم، وتباينت مناهجهم، وتعددت مآربهم، ومن أولئك العلماء حسب التسلسل الزمني بدءًا بالأقدم:

يحيى بن يعمر (ت 90)، وابن عامر المقرئ (ت 118)، وأبان بن تغلب (ت 141)، ومقاتل بن سليمان البلخي (ت 150)، وأبو عمرو بن العلاء (ت 154)، وحمزة بن حبيب الزيات (ت 156)، والكسائي (ت 189)، ويعقوب بن إسحاق الحضرمي (ت 205)، وأبو عبيد القاسم بن سلام (ت 224)، وخلف بن هشام البزار (ت 229)، وأبو جعفر بن سعدان (ت231)، وأبو حاتم سهل بن محمّد السجستاني (ت 248)، وأحمد بن جبير الكوفي (ت 258)، والقاضي إسماعيل بن إسحاق (ت 282)، وثعلب (ت291)، ومحمّد بن إسحاق الربعي (ت 294)، وأبو جعفر بن جرير الطبري (ت 310 هـ)، وابن قتيبة (ت 322) (الورّاق،1997م،54.56) (السيوطي،1974م،1/ 253).

ISSN: 2523 – 1871

غير أن تلك الكتب –فيما يبدو– قد حوت من القراءات ما لا يصح رواية؛ كمثل مخالفتها رسم المصحف، أو ضعف أسانيدها، فكان عمل ابن مجاهد في تسبيعه السبعة عملا فريدا، قام على اختيار أصح الصحيح من القراءات، القائم على تعدد الرواة وكثرتهم عن الأئمة المنقول عنهم(السيوطي،1974م،1/ 275) ، فلا شك في أن حصول العلم واطمئنانَ النفس إلى ما نُقِل نَقْل التواتر والقطعَ بصحته أكثر مما دونه.

ولكن ما يمكن أن يؤخذ على ابن مجاهد أنه لم يكن متسع الرواية والرحلة، بخلاف غريمه ابن شنبوذ (أبو حيان،1420هـ،10/ 303)؛ ولذلك فإن أئمة القراءات بعده كأبي عمرو الداني والشاطبي وغيرهما، ممن صنفوا في القراءات السبع، لم يكتفوا بطريق ابن مجاهد، بل ضموا إليها طريق ابن شنبوذ وابن بويان وابن فرح وابن سعدان وابن المسيبي وغيرهم.

وبحصر انتقاد ابن مجاهد من حيث المستوى النحوي للقراءات السبعية من غير طريق كتابه (السبعة في القراءات) لم أظفر سوى بثلاثة مواضع: انتقد في الأول قراءة عاصم من رواية المفضل، وفي الآخرين انتقد فيهما قراءة ابن عامر، وهذا بيان ذلك:

1 / روى المفضل عن عاصم قوله تعالى :﴿**وَالَّذِينَ يَتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ**﴾ [البقرة: 234] بفتح الياء(الداني،2007م،2/ 915) ، قال ابن مجاهد: "ولا يُقرأ بها" (ابن جني،2004م،1/ 125).

سبب التخطئة:

وجه تخطئة ابن مجاهد أخذه بظاهر الجملة، وهو: أن الإنسان هو محدث وفاة نفسه، لا أن ربه هو الذي يتوفاه، ولا شك في أن هذا المعنى فاسد، روي "أن بعض الناس حضر جنازة فسأل بعض الفضلاء، وقال: من المتوفي ؟ –بكسر الفاء– فقال له: الله –تعالى– فأنكر ذلك، إلى أن بيَّن له الغلط، وقال: قل: من المتوفى؟ بفتح الفاء"(الصفدي،2000م،1/ 54).

وبناء على هذا المعنى فابن مجاهد رأى أن الفعل (يتوفى) لازم.

ISSN: 2523 – 1871

الرد على ابن مجاهد:

والحق أن ابن مجاهد لم يعط القراءة حقها من النظر، وفزع إلى أول سانح عرض له ببابه؛ إذ معنى (يتوفون) في القراءة ليس كما رأى، بل المعنى: استوفوا أيامهم ورزقهم في الدنيا، فيكون الفعل متعديا إلى مفعول به محذوف؛ ولذلك قال ابن جني: "هذا الذي أنكره ابن مجاهد عندي مستقيم جائز؛ وذلك أنه على حذف المفعول؛ أي: والذين يتوفون أيامهم أو أعمارهم أو آجالهم ... وحَذْفُ المفعول كثير من القرآن وفصيح الكلام، وذلك إذا كان هناك دليل عليه"(ابن جني،2004م،1/ 125).

2 / قرأ ابن عامر (الداني،2007م،4/ 1655) قوله تعالى: ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ﴾ [الحاقة: 14]، مشددة الميم، قال ابن مجاهد: "وما أدري ما هذا؟" (ابن جني،2004م،2/ 328).

سبب التخطئة:

أنه لا يدري ما وجهها من العربية.

الرد على ابن مجاهد:

والحق أن ما لم يعرفه ابن مجاهد من القراءة له وجه صحيح من العربية، وليس عدم علمه بسبب يقضي برد القراءة، قال ابن جني: " هذا الذي تبشع على ابن مجاهد حتى أنكره من هذه القراءة صحيح وواضح؛ وذلك أنه أسند الفعل إلى المفعول الثاني، حتى كأنه في الأصل: وحملنا قدرتنا –أو ملكا من ملائكتنا، أو نحو ذلك– الأرض، ثم أسند الفعل إلى المفعول الثاني، فبني له، فقيل: فحملت الأرض.

ولو جئت بالمفعول الأول لأسندت الفعل إليه، فقلت: وحملت قدرتنا الأرض، وهذا كقولك: (ألبست زيدا الجُبَّة)، فإن أقمت المفعول الأول مقام الفاعل قلت: (ألبس زيد الجبة)، وإن حذفت المفعول الأول أقمت الثاني مقامه، فقلت :(ألبست الجبة).

نعم، وقد كان –أيضًا– يجوز مع استيفاء المفعول الأول أن يبنى الفعل للمفعول الثاني، فتقول: (ألسبت الجبة زيدا)، على طريق القلب؛ للاتساع، وارتفاع الشك، فإذا جاز –على هذا– أن تقول: حملت الأرض الملك، فتقيم الأرض مقام الفاعل مع ذكر المفعول الأول، فما ظنك بجواز ذلك وحسنه، بل

بوجوبه إذا حذف المفعول الأول؟ .. ورحم الله ابن مجاهد! فلقد كان كبيرا في موضعه، مسلما فيما لم يمهر به"(ابن جني،2004م،2/ 329.328).

3 / ومن ذلك ما رواه أيوب عن يحيى عن ابن عامر أنه قرأ قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ أَدْرِيَ لَعَلَّه**﴾ [الأنبياء: 109]، ﴿وَإِنْ أَدْرِيَ أَقَرِيبٌ﴾ [الأنبياء: 111]، بفتح الياء فيهما جميعا(الداني،2007م،3/ 1373).

وأنكر أبو بكر بن مجاهد –رحمه الله تعالى– تحريك هاتين الياءين (ابن جني،2/68).

سبب التخطئة:

وسبب التخطئة أن الياء حرف إعراب، ولا موجب لتحريكها بالفتح، فلا يوجد عامل نصب قبل الفعل.

الرد على ابن مجاهد:

وعلى الرغم من ذلك فإن تحريكها بالفتح في هذين الموضعين له ما يسوغه من لغة العرب، وهو القياس على الشبيه؛ ألا ترى أن العرب أعربوا الفعل المضارع على الرغم من أن الأصل فيه البناء؛ لعلة شبهه بالاسم، وأكملوا الشبه بأن أعطوا اسم الفاعل عمل الفعل، فلما كان الياء في (داري) إذ وليها همزة فتحت، وهذه الياء في (أدري) بعدها همزة فتحها في الموضعين؛ ولذلك قال ابن جني –ردا على ابن مجاهد–: "وذلك أنك إذا قلت :(أدري) فلك هناك ضمير، وإن كان فاعلا، فأشبه آخرهُ آخرَ ما لك فيه ضمير وإن كان مضافا إليه، كقولك: (غلامي) و(داري)، فلما تشابه الآخران بكونهما ياءين، وهناك أيضا للمتكلم ضميران، وهما المرفوع في (أدري) و(صاحبي)؛ ففتحت الياء في (أدري)، كما تفتح في نحو (داري) و(غلامي).

ولا تستبعد في الشبه نحو هذا، فقد همزوا مصائب لما أشبه حرف اللين في (مصيبة) –وإن كانت عينا– حرف اللين في (صحيفة)، وإن كان زائدا، وقالوا: ما هو أعلى من هذا، وهو أنهم تركوا صرف أحمد وأصرم؛ لما أشبها بالمثال نحو (أركبُ) و(أذهبُ)... فكذلك شبهوا ياء (أدري) بياء غلامي وداري من حيث ذكرنا"(ابن جني،2004م،2/ 68. 69).

ISSN: 2523 – 1871

المبحث الثالث: انتقاد ابن مجاهد القراءات المتممة للعشرة

اختلف العلماء في حكم القراءات التي من وراء السبعة، أهي صحيحة أم شاذة؛ وسبب ذلك الاختلافُ في شروط القراءة المقبولة من حيث النقل، أهي: ما وصلت إلينا بطريق التواتر، أم يكفي فيها مجرد صحة إسنادها، فمن ذهب إلى الأول رأى أنها شاذة، سواء أصح إسنادها أم لم يصح، ما دامت لا تصل إلى حد التواتر، وهذا الرأي –فيما يبدو– كان سائدا في زمن ابن جني، أي العصر التالي لعصر ابن مجاهد، فرأوا أن كل قراءة لم يضمّنها ابن مجاهد كتابه (السبعة في القراءات) فهي قراءة شاذة (ابن جني،2004م،1/ 32)، ومن اكتفى في صحة القراءة من حيث النقل بمجرد صحة السند لم يعد القراءات المتممة للعشرة وما كان مثلها من الشواذ، بل ألحقها بالمتواترة، وأول من فتح الباب إلى ذلك ابن جني، فهو يقول: " ولسنا نقول ذلك فسحًا بخلاف القراء المجتمع في أهل الأمصار على قراءاتهم، أو تسويغًا للعدول عما أقرته الثقات عنهم، لكن غرضنا منه أن نُرِي وجه قوة ما يسمى الآن شاذًّا، وأنه ضارب في صحة الرواية بِجِرانه، آخذ من سمت العربية مهلة ميدانه؛ لئلا يُرَى مرى أن العدول عنه إنما هو غض منه، أو تهمة له، ومعاذ الله! وكيف يكون هذا والرواية تنميه إلى رسول الله ﷺ، والله تعالى يقول: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ**﴾ [الحشر: 7]، وهذا حكم عام في المعاني والألفاظ، وأَخذه هو الأخذ به، فكيف يسوغ مع ذلك أن ترفضه وتجتنبه؟"(ابن جني،2004م،2/ 32. 33).

وتبعه على ذلك المحققون من أئمة القراءات بعده، ولا سيما شيخهم وخاتمتهم أبو الخير بن الجزري، فهو يقول: " وقد شرط بعض المتأخرين التواتر في هذا الركن، ولم يكتف فيه بصحة السند، وزعم أن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر، وأن ما جاء مجيء الآحاد لا يثبت به قرآن، وهذا مما لا يخفى ما فيه، فإن التواتر إذا ثبت لا يحتاج فيه إلى الركنين الأخيرين: من الرسم وغيره؛ إذ ما ثبت من أحرف الخلاف متواترا عن النبي ﷺ وجب قبوله، وقطع بكونه قرآنا، سواء أوافق الرسم أم خالفه، وإذا اشترطنا التواتر في كل حرف من حروف الخلاف انتفى كثير من أحرف الخلاف الثابت عن هؤلاء الأئمة السبعة وغيرهم، وقد كنت قبل أجنح إلى هذا القول، ثم ظهر فساده وموافقة أئمة السلف والخلف"(ابن الجزري،1/ 13).

بل إن في القراءات المتممة للعشر ما هي أرجح من بعض القراءات السبعية، قال اليشكري: "قال بعض المتأخرين: لولا ابن مجاهد حين قدم ابن عامر في السبعة لجعلت يَعْقُوب مكانه" (اليشكري،2007م،ص70. 71).

وعليه فإن القراءات الثلاث المتممة للعشر قراءات صحيحة السند، وذهب بعض العلماء إلى أبعد من ذلك فرأوا تواترها (الشنقيطي،2001م،ص65).

ومن القراءات الصحيحة الإسناد من غير القراءات العشر: قراءة الأعمش، فهي من القراءات الأربعة عشر، ودليل صحتها –بل تواترها– قول أبي طاهر بن أبي هاشم تلميذ ابن مجاهد: "ولولا أن أبا بكر شيخنا جعله سابعا لأئمة القراءة –فاقتدينا بفعله؛ لأنه لم يزل موفقا، فاتبعنا أثره، واهتدينا بهديه– لما كان إسناد قراءته مرضيا، [و]لكان أبو محمّد سليمان بن مهران الأعمش بذلك أولى منه؛ إذ كانت قراءته منقولة عن الأئمة المرضيين، وموافقة للمصحف المأثور باتباع ما فيه" (أبو شامة،1975م،ص162).

ولما كان ابن مجاهد ليست له عناية بالقراءات التي وراء السبعة فإنه لم يتأت الظفر بما نقده نحويا عليها سوى في موضع واحد، وهو: انتقاده قراءة أبي جعفر لقوله تعالى: ﴿ **لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ** ﴾ [هود: 80] بفتح الياء من آوِيَ (اليشكري،2007م،ص450)؛ إذ قال: "ولا يجوز تحريك الياء هاهنا"(ابن جني،2004م،1/ 326).

سبب التخطئة:

أنه لا يوجد عامل نصب قبل الفعل (آوي)، فالوجه –على هذا– أن يكون مرفوعا، كما هي قراءة الجمهور.

الرد على ابن مجاهد:

والحق أن قراءة أبي جعفر لا غبار عليها هنا، فلها ما يوافقها من كلام العرب الفصحاء؛ ذلك لأن الفعل المضارع قبله مصدر صريح، ومن عادة العرب في مثل ذلك أن تنصب المضارع بأن مضمرة؛ عطفا على المصدر؛ أي: هو من قبيل عطف المصدر المؤوّل على المصدر الصريح، فيكون الفعل (آوي) المنصوب معطوفا على المصدر (قوة)، وتقدير الكلام حينئذ: لو أن لي بكم قوة أو أويًا إلى ركن

ISSN: 2523 – 1871

شديد، ومنه قوله تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا** ﴾ [الشورى: 51]، فنصب (يرسل) لما كان معطوفا على مصدر، وهو (وحيا) (ابن جني،2004م،1/ 326).

الخاتمة

هذا ما تأتى للباحث الوقوف عليه من انتقاد الإمام أبي بكر بن مجاهد للقراءات الصحيحة من خلال المستوى النحوي، وجانبه الصواب فيه؛ لأجل أن لها ما يعاضدها من كلام العرب، وقبل طي البحث ورفع القلم لابد من تسجيل ما توصل إليه الباحث من نتائج، أجملها في النقاط الآتية:

- أن ابن مجاهد –رحمه الله تعالى– كان علما من أعلام القراءات، ولكنه لم يكن واسع الرواية والرحلة، ومن ثم فاته من أحرف القراءات السبعة الشيء الكثير، ضمنها الداني في كتابه جامع البيان.

- أن العلماء الذين جاؤوا بعد ابن مجاهد قبلوا على مضض صنيعه في تسبيعه السبعة بمن ذكرهم، فثمة من أئمة القراء –كيعقوب الحضرمي وسليمان بن مهران الأعمش– من كان أحق بجعله ضمن القراء السبعة بدل الكسائي أو حمزة أو ابن عامر.

- أن من العلماء من ألحق القراءات الثلاث المتممة للعشر بالقراءات السبع في التواتر، وبعضهم جعلها قاصرة عن رتبة السبع، ولكنه لا يرى شذوذها.

- أن من القراءات التي شاع في الأزمنة المتأخرة شذوذها هي في الحقيقة عند أئمة القراء المحققين متواترة، مثل قراءة الأعمش.

- أن علماء القراءات قد جعلوا من شروط قبول القراءة موافقتها لوجه نحوي، وإن كان ضعيفا، فالقراءة لا تثبت بالأفصح استعمالا والأقوى قياسا، بل بموافقتها للغة من لغات العرب، وكان من العرب من ليست لغته بالمرضية.

- أن ابن مجاهد لم يكن ذا باع في علم النحو، وهو ما تنبه له ابن جني وأبو حيان، فكلاهما حكم بضعفه فيه (ابن جني،2004م،1/ 329) (أبو حيان،1420هـ،10/ 303)، ولعل هذا سر من لم يترجم له ممن صنف في التراجم النحوية واللغوية.

- أن القراءات التي ضعفها ابن مجاهد من حيث المستوى النحوي هي قراءات صحيحة من جهة موافقتها الفصيح من كلام العرب أو صحيحه.

قائمة المصادر

1. **القرآن الكريم.**
2. ابن أبي طالب، مكي (التاريخ مجهول). " الإبانة عن معاني القراءات "، تحقيق الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي، القاهرة، دار نهضة مصر للطبع والنشر.
3. ابن جني، أبي الفتح عثمان (2004م). " المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها"، تحقيق علي النجدي ناصف وعبد الحليم النجار وعبد الفتاح إسماعيل شلبي، القاهرة، وزارة الأوقاف: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.
4. ابن الغزي، محمّد بن عبد الرحمن(1990م). " ديوان الإسلام "، تحقيق سيد كسروي حسن، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية.
5. ابن مجاهد، أحمد بن موسى بن العباس(1400هـ). " السبعة في القراءات "، تحقيق شوقي ضيف، الطبعة الثانية، القاهرة، دار المعارف.
6. ابن يوسف، محمّد بن محمّد (1999م). " منجد المقرئين ومرشد الطالبين "، الطبعة الأولى ، بيروت ،دار الكتب العلمية.
7. ابن يوسف، محمّد بن محمّد (التاريخ مجهول). " النشر في القراءات العشر"، تحقيق علي محمّد الضباع، القاهرة، المطبعة التجارية الكبرى.
8. ابن، مالك محمّد بن عبد الله (التاريخ مجهول). "شرح الكافية الشافية"، تحقيق عبد المنعم أحمد هريدي، الطبعة الأولى، مكة المكرمة، جامعة أم القرى.

9. أبو شامة، أبي القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي (1975م). " المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز "، تحقيق طيار آلتي قولاج، بيروت دار صادر.
10. الأندلسي، أبي حيان محمّد بن يوسف(1420ه). " البحر المحيط في التفسير "، تحقيق صدقي محمّد جميل، بيروت، دار الفكر.
11. الباباني، إسماعيل بن محمّد أمين (1951م). " هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين "، مصر ، وكالة المعارف.
12. البغدادي ،أحمد بن علي بن ثابت الخطيب (1417ه). " تاريخ بغداد "، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى ،بيروت، دار الكتب العلمية.
13. الجزري، محمّد بن محمّد بن يوسف(1351ه). " غاية النهاية في طبقات القراء "، عني بنشره هـ ج. برجستراسر، الطبعة الأولى، القاهرة، مكتبة ابن تيمية.
14. الحموي، ياقوت (التاريخ مجهول). " معجم الأدباء "، بيروت، دار المستشرقين.
15. الحموي، ياقوت بن عبد الله (1995م). " معجم البلدان "، الطبعة الثانية، بيروت، دار صادر.
16. الداني، عثمان بن سعيد (2007م). " جامع البيان في القراءات السبع "، الطبعة الأولى ، الإمارات ، جامعة الشارقة.
17. الدمياطيّ، أحمد بن محمّد بن أحمد(2006م). " إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر "، تحقيق أنس مهرة، الطبعة الثالثة، بيروت، دار الكتب العلمية.
18. الذهبي، محمّد بن أحمد بن عثمان (1993م). " تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير وَالأعلام "، تحقيق عمر عبد السلام التدمري، الطبعة الثانية، بيروت، دار الكتاب العربي.
19. الذهبي، محمّد بن أحمد بن عثمان(1985م). " سير أعلام النبلاء "، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط،: الطبعة الثالثة، بيروت، مؤسسة الرسالة.
20. الذهبي، محمّد بن أحمد بن عثمان(1997م). " معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار "، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية.

21. الزركشي، بدر الدين محمّد بن عبد الله(1957م). " البرهان في علوم القرآن "، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية.
22. الزركلي، خير الدين بن محمود(2002م) " الأعلام "، الطبعة الخامسة عشر، بيروت ، دار العلم للملايين.
23. سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر. (1988م). " الكتاب "، تحقيق عبد السلام محمّد هارون، الطبعة الثالثة، القاهرة، مكتبة الخانجي.
24. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين (1974م). " الإتقان في علوم القرآن "، ، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، الهيأة المصرية العامة للكتاب.
25. الشنقيطي، محمّد الأمين بن محمّد المختار. (2001م) " مذكرة في أصول الفقه "، الطبعة الخامسة ، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم.
26. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك(2000م). "الوافي بالوفيات "، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، بيروت، دار إحياء التراث.
27. الطبري، محمّد بن جرير (2000م).جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد محمّد شاكر، الطبعة الأولى، بيروت، مؤسسة الرسالة.
28. عبد الحميد، محمّد محيي الدين(1952م). " ديوان عمر بن أبي ربيعة "، الطبعة الأولى، القاهرة، مطبعة السعادة.
29. الغرناطي، لأحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري (التاريخ مجهول). " الإقناع في القراءات السبع "، القاهرة ، دار الصحابة للتراث.
30. الفارسيّ، الحسن بن أحمد (1993م).الحجة للقراء السبعة، تحقيق بدر الدين قهوجي وبشير جويجابي، راجعه ودققه عبد العزيز رباح وأحمد يوسف الدقاق، الطبعة الثانية، دمشق، دار المأمون للتراث.
31. القفطي، علي بن يوسف(1982م) ." إنباه الرواة على أنباه النحاة "، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، القاهرة، دار الفكر العربي؛ بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية.

32. المبرد، أبو العباس محمّد بن يزيد (التاريخ مجهول). " المقتضب "، تحقيق عبد الخالق عضيمة، بيروت، عالم الكتب.

33. محمود، السالم محمّد(1427هـ). " القراءات التي حكم عليها ابن مجاهد بالغلط أو الخطأ "، ، **مجلة الجامعة الإسلامية**، المدينة المنورة، العدد 138.

34. مليطان، محمّد الحسين(2010م). " القراءات القرآنية إشكالية النقد: قراءة في كتاب السبعة لابن مجاهد "، **مجلة الساتل**، العدد السابع.

35. المحيميد، ياسر جاسم (2003م). " تلحين النحويين للقراء "، **مجلة الأحمدية، دبي**، العدد الخامس عشر.

36. الموصلي، عثمان بن جني (التاريخ مجهول)." الخصائص "، تحقيق محمّد علي النجار، الطبعة الرابعة، القاهرة، الهيأة المصرية العامة للكتاب.

37. مهنأ، عبد(1994م). " ديوان حسان "، الطبعة الثانية، بيروت، دار الكتب العلمية.

38. الهروي، محمّد بن أحمد بن الأزهري (1991م). " معاني القراءات "، الطبعة الأولى، الرياض، مركز البحوث في كلية الآداب جامعة الملك سعود.

39. الوراق، محمّد بن إسحاق(1997م). " الفهرست "، تحقيق إبراهيم رمضان، الطبعة الثانية، بيروت، دار المعرفة.

40. اليشكري، يوسف بن علي(2007م). " الكامل في القراءات والأربعين الزائدة عليها "، تحقيق جمال الشايب، الطبعة الأولى، مؤسسة سما للتوزيع والنشر.

ISSN: 2523 – 1871

القيم الأخلاقية في شعر عَدّي بن زيد العِبّادي

أ. سعاد غيابة

(طالبة دكتوراة بجامعة محمد خيضر – بسكرة – الجزائر)

المستخلص:

جاءت هذه الدّراسة للبحث في أحد أهم قضايا العصر الجاهلي وهي القيم الأخلاقية –وما أحوجنا وأحوج هذا العصر لمثل هذه الدراسات– مسلّطين الضّوء عليها عند أبرز شعراء الحضر، وهو الشاعر **(عَدِّي بن زيد العِبَّادي)** وهذا من خلال التطرّق إلى مرجعية هذه الأخلاق عند الجاهليين، وقد وجدناها محصورة في: الفطرة، والبيئة بكلّ ظروفها، وكذلك إلى المعتقد الدّيني السّائد آنذاك، وهذا كلّه بغية الوصول إلى أهمّ القيم الأخلاقية التّي تميّز بها الشعر العِبَّادي، وقد أبرزنا هذه القيم من خلال أمهات الفضائل الأربع (العقل، الشجاعة، العفّة، العدل)، التّي اتّفق عليها الباحثون، وقد كانت بارزة بوضوح في شعره من خلال أغراضه الشّعرية المختلفة.

الكلمات المفتاحية:

مرجعية التخلق، شعر عَدّي بن زيد العِبَّادي، أمهات الفضائل الأخلاقية: (العقل، الشجاعة، العفة، العدل).

تمهيد:

تعدّ القيم الأخلاقيّة بمثابة الأساس الذّي تُبنى عليه الحضارات؛ كونها القاسم المشترك بين جميع شعوب العالم، منذ القديم إلى وقتنا الحالي، وإذا ما خصّصنا الحديث عن القيم الأخلاقية عند العرب الجاهليين، هنا يصبح الموضوع في غاية الأهمية؛ كون هذا العصر أكثر ما أشيع عليه هو الحرب وإراقة الدّماء، ومع أن مثل هذه الأحكام والنظرات السلبية مازالت منتشرة حتى في وقتنا الحالي عن الدارسين والباحثين وحتى عند أبنائنا الناشئين، والذي ساعد في انتشار مثل هذا الحكم وترسيخها هو ما سرده بعض المستشرقين الغربيين في كتبهم، وأيّدهم في ذلك بعض الباحثين العرب، وفي هذا يرى **(علي سليمان)** أن المؤرّخين قد أسرفوا في «تضخيم وتعميم مفاسد العصر الجاهلي ومثالبه، سواء من كان منهم من المؤرخين أو المستشرقين الغربيين، الذين بالغوا –أيضًا– في تضخيم مثالب عرب الجاهلية،

ISSN: 2523 – 1871

ربّما مجاراة لما قاله المؤرّخون المسلمون أنفسهم عن عرب الجاهلية، أو بدافع التّحامل والرّغبة في الحطّ من شأن العرب» (علي،2000: 89).

وإضافة إلى هذا نرى كذلك أن السّينما لها دور كبير في تأكيد هذه المغالطات، وهذا من خلال ما يعرض على شاشة التلفاز من أفلام تاريخية–على سبيل المثال نذكر: فيلم "**عنتر وعبلة**" الذي أنتجته السينما المصرية في وقت مضى، فعند مشاهدته نلحظ أنّ هناك مغالطات كثيرة عن حقيقة عنترة الرجل والشاعر، فقد جُعل منه عبدا لعبلة وذليلا أمامها، وأنه لا يقول الشعر إلّا إذا أمرته مولاته عبلة... وهذا لا حقيقة له، فعندما نرجع إلى ديوانه؛ نجد حياته واضحة وفق تسلسل شعره، فقد كان عفيفا وحليما ويحمل صفات أخلاقية لا نبالغ إن قلنا: إنّها لا تتوفّر عند شاعر آخر غيره، وعليه عندما نريد معرفة حياة الشاعر، خاصّة الجاهلي من الشعراء، لا بدّ لنا من الرجوع إلى شعره؛ لنعرفه حقّ المعرفة (رشيد، 2017)– تحمل بين طيّاتها تحريفا لما ورد في الكتب الأدبية، التي أرّخت حياة تلك الفترة، وكأن هؤلاء عمدوا إلى تبيين الجانب السلبي للعرب، منذ أول عصر نعرفه عنهم، والذي بدوره يمثّلنا نحن العربَ.

ولكي نغوص في الأخلاق النبيلة، التي تحلّى بها الجاهليون، ونعرفها حقّ المعرفة، ونبرزها للناشئين؛ يلزم علينا الرجوع إلى المصدر الأوّل الذي خلّد لنا حياة الجاهليين من جميع نواحيها، وأبرز لنا كذلك طرق تفكيرهم، ونقصد هنا الشعر الجاهلي الذي «فيه مجال أوسع لاستكناه الحقيقة من سجلّات متنوعة، خلّفها شعراء عبّروا عن عواطفهم صادقين، وصوّروا حياتهم العامّة غير كاذبين» (الحوفي، د.ت: 04)؛ فالشعراء الجاهليون وغيرهم لم يتركوا لنا ذرّة من حياتهم وحياة أبناء عصرهم إلّا وذكروها في شعرهم، وعليه إذا أردنا أن نعرف أيّ مجتمع –خاصّة الجاهلي– كان لا بدّ لنا من الرجوع إلى الأدب، ونخصّ بالذكر الشعر منه؛ لأنه أقرب الفنون اتّصالا بحياة الناس وتصويرها تصويرا دقيقا من جميع جوانبها، وهذه حقيقة يقرّها الشعراء أنفسهم، فها هو **أبو تمام** في معرض مدحه لأحمد بن أبي داود يؤكد لنا أنّه لا يمكننا أن نعرف الصفات الحميدة للإنسان إلا من خلال الشعر يقول: (أبوتمام، د.ت: 287)

ISSN: 2523 – 1871

(بحر البسيط)

لَوْلاَ خِلاَلٌ سَنَّهَا الشِّعْرُ مَا دَرَى بُغَاةُ العُلاَ مِنْ أَيْنَ تُؤْتَى المَكَارِمُ

ولكي نعرف أخلاق العربي على بيّنة ووضوح؛ عمدنا في هذا المقام إلى تسليط الضوء على شعر شاعر من أبرز شعراء الجاهلية، أقلّ ما يقال عنه: إنه من دهاتها الأوّلين في قول الشعر، ونقصد بذلك الشاعر:(**عَدّي بن زيد العِبَّادي**)، الذي يعتبر شاعر الحِيرة الأول والأشهر، وهو من تميم، عاش في بلاط **(كسرى أبرويز)** وفي الحيرة حين ملكها **(النّعمان بن المنذر)**، كان سياسيا، وأديبا، وشاعرا اشتهر بشعر الحكمة، والخمريات، وكانت له مكانة مرموقة في بلاط كسرى، وفي بلاط **(النّعمان)**، ويقرر **(الجاحظ)** هذه الملامح في قوله: «كان عدّي نصرانيا ديّانيا وترجمانا، وصاحب كتب، وكان من دهاة أهل ذلك العصر» (الجاحظ، 1988م،ج4: 480)، وقد كان **(عدّي)** ينعم بحياة حضرية تختلف تماما عن طريقة العيش في الحياة البدوية، التي طالما قامت الدراسات القليلة في الجانب الأخلاقي على هذه البيئة دون البيئة الحضرية، مع أنّها كانت مواكبة لها في الزمن، وأردنا من خلال هذه الدراسة تبيين أنّ الشاعر الحضري آنذاك كان هو الآخر يتمتع بأخلاق سامية يتحلّى بها وأفراد مجتمعه، والتي من شأنها أن تخلّد هذا الإنسان عبر العصور، وعند استقرائنا لقصائد ديوان (عَدّي) تبدت لنا مجموعة من القيم الأخلاقية، كشفتها الأغراض الشعرية عنده، وقبل معرفة أهمّ القيم الأخلاقية عند الشاعر، لا بدّ لنا من الوقوف عند معرفة المنابع التي استقى منها العربي هاته الأخلاق، وعلى هذا ستكون بداية انطلاق بحثنا عن المرجعية الأخلاقية عند الإنسان العربي قبل الإسلام.

ISSN: 2523 – 1871

أولا: المرجعية الأخلاقية عن العرب الجاهليين:

1 – الفطرة:

من المعروف أنّ الجانب الفطري في الإنسان يتمثّل في الأعمال التي ألهمها الله له، ومعنى هذا أنها وُلِدت معه، ولا إرادة له فيها، وتكون هذه الأعمال التي جُبل عليها الإنسان خيّرة؛ أي أنها تستحسن الحلال، وتمقت الحرام في الفعل والقول، فبالفطرة نستطيع أن نعرف معدن الإنسان وجوهره على أساس أنّ: «جوهر الإنسان يتمثّل في عمق الفطرة وثرائها، فيه إمكانيّات الإنسان الكامنة، وطاقاته المتأصّلة لإنسانيته، وإعلائها فوق ماديّاتها» (زريقي، شتاء 1340هـ/2012م:65).

وعرب الجاهلية –كغيرهم من الأمم التي خلقها الله وجَبلها على أخلاق رفيعة– كانوا يتحلّون بأخلاق ليست لهم القدرة على تكوينها أو اكتسابها، فقد ألهمهم الله بها، فلو أمعنّا النظر في أغلب دواوين شعراء ما قبل الإسلام، سواء أكانوا أهل بداوة أم أهل حاضرة، لوجدناها تحمل بين طيّاتها قيمًا أخلاقية كانت مُتَجَذِّرة في الإنسان العربي منذ ولادته بعامل الفطرة، ونكاد نجدها متشابهة عندهم؛ لأنّها كانت تدفع بالعربي إلى كلّ ما هو خير، ويُدعم ويحيي الجانب الإنساني فيه، وما يؤكّد لنا هذا هو ما وجدناه من قيم رفيعة عند الشعراء **الصعاليك** الذين يعتبرون الفئة المتمرّدة عن مجتمعهم، فلو اطّلعنا على شعرهم لوجدناه يتضمّن دعوة إلى التحلّي بالإنسانية وبمكارم الأخلاق، فعلى سبيل المثال لا الحصر، لو قرأنا لاميّة العرب لـ:**(الشنفرى)** لوجدنا أنّها تتضمّن قيما أخلاقية راقية، وقد دلّت على أخلاق الفارس الشجاع الذي لا يُقْهَر، ولا يحبّ الظلم، ولا يطمع في الدنيا... ومثل هذه الفضائل زادت في السموّ الفكري عند الشاعر، وجعلتنا –نحن قرّاءَ شعره– نؤيّد رفض الشاعر لمجتمعه، وما يسود فيه من ظلم وجبروت، بَدلًا من رؤية أنّه شاعر تمرّد عن قبيلته، ولم يحافظ على انتمائه القبلي، إلى جانب ما ذكرناه نجد شاعرًا آخر وهو **(امرئ القيس)**، والمعروف بلهوه ومجونه، إلا أنّ هذا لم يمنع من أن نجد في شعره فضائل كانت فطريّة لم تتأثّر بمعطيات حاله وعربدته، ونذكر في هذا المقام أنّ الباحث **(محمّد الغامدي)** قد أجرى "استبانة" (الغامدي، 1423هـ/2002م:339)، على المعلقات العشر من ناحية الفضائل والرذائل، وأيّ منها طغت على شعر شعراء المعلقات، وقد وجد أنّ الفضائل أكثر من الرذائل في أشعارهم، فقد بلغ عدد الفضائل: (228)، أما الرذائل فقد بلغ عددها: (30)، وهذا البون الشاسع بين الفضائل والرذائل

ISSN: 2523 – 1871

من ناحية العدد يجعلنا نطمئنّ إلى أنّ الأخلاق الرفيعة –بفضل ملكتها الفطرية– ظلّت وستظلّ بمثابة الصوت الخفيّ الذي يسكن أعماق النفس البشرية؛ لكي يترك صداه أثرًا كلّما انحرفت عن طريق الخير، فبفضل: «هذه الفطرة المهتدية المطمئنة التي أحاطت بها مقوّماتها ومنبّهاتها في بدائها المضيء الفسيح، فأصبحت أهلا لحمل رسالة الإسلام بالوعي والعقل، واللغة والسلوك» (سالم، 1989م: 190).

وعلى الرغم من أنّ القيم الأخلاقية وجدناها فطرية عند عرب الجاهلية، إلا أنها تتأثّر وتتحدّد كذلك بالاكتساب، وهنا تأتي في الطليعة البيئة المحيطة بالفرد، التي تترك بصمتها في كلّ فرد من أفرادها.

2– البيئة العربية بمختلف ظروفها:

قد أثّرت البيئة الجاهلية بمختلف مظاهرها (طبيعية، واجتماعية، وسياسية...) في الإنسان العربي تأثيرًا كبيرًا، وقد انعكس ذلك في سلوكه، وفيما يقوم به من أنشطة، التي بدورها تحدّد مساره الأخلاقي، ولا يخفى علينا أنّ البيئة الجاهلية كانت مقسّمة إلى قسمين: بيئة حضرية مستقرّة، وبيئة بدوية غير مستقرّة، وعلى الرغم من الاختلاف الواضح بين البيئتين في طريقة الحياة، وكذلك من ناحية تكوين الفرد فكريا وثقافيا، إلّا أنّ هذا لم يمنع من وجود أخلاق سامية متشابهة؛ لأن كلتيهما عربية الأصل، وقد نبّه **(الجاحظ)** إلى أنّ العرب على الرغم من اختلافهم في البيئة وفي تكوين الفرد، إلّا أنّهم يبقون أمّة واحدة من حيث الأخلاق واللّغة والشمائل، يقول: «إنّ العرب لما كانت واحدة فاستووا في التربة وفي اللّغة والشمائل والهمّة وفي الأَنَفِ والحَمِيَّة وفي الأخلاق والسجيّة، فسكبوا سكبا واحدا وأفرغوا إفراغا واحدا، وكان القالب واحدا، تشابهت الأجزاء وتناسبت الأخلاط» (الجاحظ، 1399هـ،ج$_1$:11)، ويعرض لنا **(يوسف خليف)** العلاقة بين الإنسان وبيئته –وقد أخذها عن الباحثة الإنجليزية **(سِمبل)**– بقوله: «هناك عاملان أساسيّان في كل مشكلة من مشكلات التاريخ؛ هما: الإنسان، والبيئة، وأنّ العامل الإنساني هو القوة المحركة الدافعة في كلّ نشاط بشري، في حين أنّ العامل الجغرافي يمثّل القوّة الثابتة الموجّهة لهذا النشاط، التي لا تكفّ عن العمل وفرض حتميّتها على اتّجاهاته ومجالاته» (خليف، فبراير 1965:

16)، ونفهم من قوله أنّ الإنسان بالنسبة للبيئة يمثل القوّة المحرّكة لها، وهذا من خلال مختلف الأنشطة التي يقوم بها، في حين أن البيئة تُعَدّ بمثابة القوة الثابتة، التي تحتاج إلى دفع وتحريك من طرف الإنسان، وهذا يعني أن البيئة والإنسان يشكّلان كتلة واحدة.

ومن المعروف أنّ البيئة الجغرافية الجاهلية في عمومها كانت المساحة الأكبر منها صحراء قاحلة، لذا كان المناخ السّائد فيها هو المناخ الحارّ، الذي أدّى إلى الجفاف ووعورة العيش والتأقلم، وقد تحدّى العربي هذا المناخ، ولم يجعله حاجزا سلبيا أمامه قطّ، بل تعدّاه وتحدّاه بالمواجهة والرفض، وخير دليل على ما قلناه هو أنّه: من رَحِم هاته الطبيعة القاسية تولّدت لنا قيم أخلاقية، وكأنّ المناخ القاسي انعكس إيجابا على شخصية العربي، وهو بهذا العمل يكون قد قَبِل التحدّي من الطبيعة القاسية، وكان أهلا لذلك، فواجه هذه القساوة بالفضائل الأخلاقية كالكرم والشجاعة... وما يدعم ما أسلفناه هو قول **(زكي العشماوي)** في تَولّد القيم الأخلاقية من قسوة المناخ، يقول: «إنّ الجفاف والجدب ووعورة الحياة هي التي حدّدت القيم الأخلاقية عند العرب، فشعور العرب بالضعف أمام قوّة الطبيعة وقسوتها، هو الذي فرض عليهم تقديس القوّة والبسالة، وهو الذي جعلها مبدأً من مبادئ السيادة عند العربي، وهو الذي ولّد الشعور بالحاجة إلى جانب واجب مقدّس، وهو واجب الضّيافة والنجدة والمروءة». (العشماوي، 1980: 220)، والبيئة الطبيعية ليست هي وحدها فقط من حدّدت لنا الأخلاق الفاضلة، التي كان يتمتّع بها العربي، بل كانت إلى جانبها البيئة الجغرافية والسياسية، فقد كان المجتمع الجاهلي مقسّمًا إلى قبائل (بدو) وقرى (حضر)، وقد كان سكان البدو والحضر موحّدين من ناحية الشكل السياسي، وبالطبع مختلفين من ناحية سير النظام، وكذا المناصب السيّاسية المتاحة عندهم، وقد كانوا كذلك يدا واحدة وأخلاقا واحدة وإن تفاوتت بينهم، ويتحدّث لنا **(شوقي ضيف)** عن بعض أخلاق سكان البدو فيصفهم بقوله: «إن أفراد القبيلة كانوا متضامنين أشدّ ما يكون التضامن وأوثقه، وهو تضامن أحكم عراه حرصهم على الشرف، وقد تكوّنت حوله مجموعة من الخلال الكريمة، لعل خير كلمة تجمعها هي كلمة المروءة، التي تضم مناقبهم من مثل: الحِلْم، والكرم، والوفاء، وحماية الجار، وسعة الصدر، والإعراض عن شتم اللئيم، والغض عن العوراء...» (ضيف، د.ت، ج1: 67).

ISSN: 2523 – 1871

وبعد هذا العرض الموجز المفيد نستطيع القول: إنّ هذه البيئة بمختلف ظروفها، عند سكان الجزيرة العربية، هي التي خطّطت لمختلف الأنشطة البشرية آنذاك وفي جميع الأصعدة، ومنها استقى العربي أخلاقه، وهي تأتي في المرتبة الأولى من ناحية تأثيرها في الأخلاق المكتسبة، وبعدها يأتي المعتقد الديني الذي كان سائدًا آنذاك.

3- الدين:

لعلّه من القلّة أن نجد الأخلاق بمعزل عن الدّين، هذا الأخير الذي يعتبر بمثابة الموجّه والهادي للبشرية جمعاء إلى الطريق المستقيم، وإذا ما خصّصنا الحديث عن الدين، أو بمعنى أدقّ المعتقد الدّيني عند عرب ما قبل الإسلام فإننا نجد أنفسنا أمام معتقدات دينية متعدّدة، إذْ لم يكن يجمعهم «معتقد ديني واحد، وعرفوا عقائد متباينة، لعلّ الوثنية كانت أوسع أديانهم انتشارا، وعرف العرب اليهودية والنصرانية وعبادة الكواكب التي سمّى القرآن من يعبدونها الصابئين، أمّا فكر الأحناف فكان مقتصرا على جماعة من العرب لم يعبدوا الأصنام، وقد آمنوا بوجود إله واحد، وقد قيل بأنّ هاته الجماعة كانت على دين إبراهيم الخليل» (الإسكندري، 1994م: 03)، وعلى الرغم من وجود بعض الاضطراب في المعتقد الديني لديهم، من ناحية أنّه لم يكن لديهم إلٰه واحد يخلصون العبادة له، إلّا أنّ هذا لم يمنع من حديثهم عن هذا المعتقد، بمختلف أشكاله، وهذا ما بينه لنا شعرهم، فالشعراء لما أحسّوا بقيمة الفكر الخلقي، ومدى تأثيره في حياة الناس وفي توجيههم، رأوا أنّه من الأفضل عليهم أن يبرزوا العقائد السائدة في زمانهم، وقد عكست بوضوح حياتهم الدينية، فنجد كل شاعر يعبّر عن المعتقد الدّيني الذّي كان يعتنقه، وقد بدا هذا في شعرهم الوِجداني وحِكَمِهِم، وقد لاحظنا كذلك ورود كلمات: الله، والإلٰه، والرّب، كثيرا في أشعارهم، وهذا ينبئ بمعرفتهم أن هناك إلٰهاً واحدًا، هو من يملك هذا الكون، وقد خلق كل شيء، ولعل هذا راجع إلى ما جاء في الكتب السماوية آنذاك، ونقصد هنا المسيحية واليهودية، اللتان تُقرانّ بعبادة الرّب الواحد وإنْ اختلفتا في طرق العبادة، وكذلك إلى تأثير مبادئ الديانة الحنيفية، التي جاء بها **(سيدنا إبراهيم عليه السلام)**، والتي تدعو إلى عبادة الإله الواحد، ويجب أن نشير هنا إلى أنّ الشعراء عندما كانوا

ISSN: 2523 – 1871

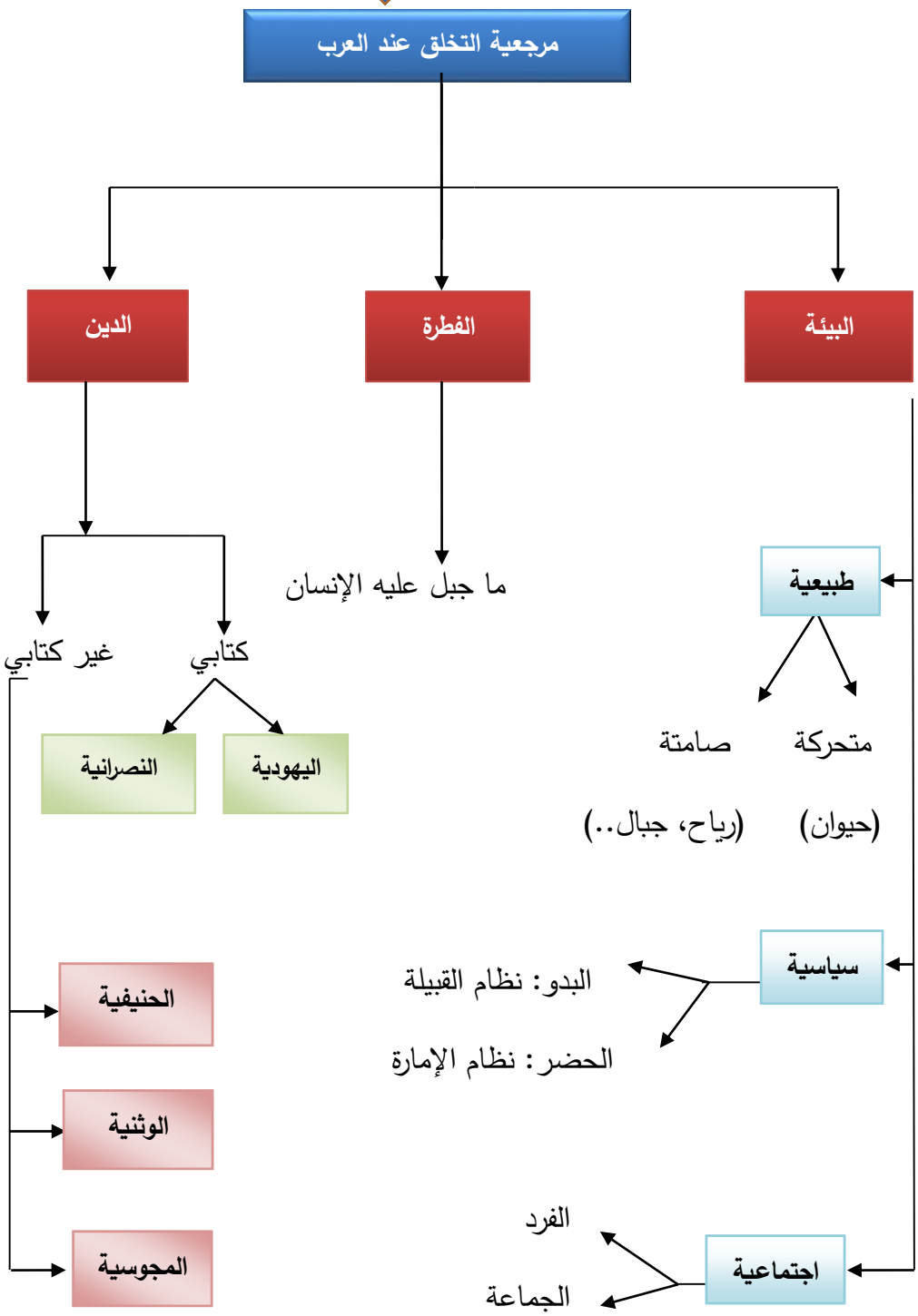
يدعون إلى التحلّي بمكارم الأخلاق، كانوا يبرزون أهمّ القصص الدينية، التي تلخّص حياة السابقين لكي تكون عبرة لهم، وكانوا يذكرون أهمّ الصفات الأخلاقية التي تحلّى بها الأنبياء آنذاك، والأمثلة في هذا الشأن كثيرة، ولا بأس أن نورد بيتا شعريا **(للنابغة الذبياني)**، يصف فيه **(النعمان بن المنذر)** بالأمين، ويقرنه بـ**(نوح عليه السلام)** في الحفاظ على الأمانة، يقول (الذبياني، 1996م: 73): (بحر الوافر)

فَأَلْفَيْتَ الْأَمَانَةَ لَمْ تَخُنْهَا كَذَلِكَ كَانَ نُومُ لَا يَخُونُ

وفي نهاية حديثنا عن المعتقد الديني الجاهلي نستطيع القول: إنّ هذا التنوع في المعتقد وعلى الرغم من أنّ ما وصلنا منه من نصوص شعرية قليل، ولا نستطيع من خلاله الحكم على وجود دين بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى، فإنه أسهم بدرجة كبيرة في غرس قيم أخلاقية في نفوس العرب آنذاك، وبقيت خالدة حتى وقتنا الحالي.

وممّا تقدّم عن المرجعية الأخلاقية عن عرب الجاهلية، نستطيع أن نقول: إنّ الإنسان في أصله تنبع أخلاقه من فطرته قولا وعملا، وهذا لا يتجسّد ولا يكتمل إلّا بالاكتساب من البيئة التّي يعيش ويترعرع فيها، ويقوم المعتقد الديني بتقويم هاته القيم والحفاظ عليها.

وقبل أن نغوص في القيم الأخلاقية عند **(عدّي)** لا بأس أن نورد مخطّطا نُظهر من خلاله المرجعية الأخلاقية عند عرب ما قبل الإسلام لكي تتّضح لنا الفكرة:

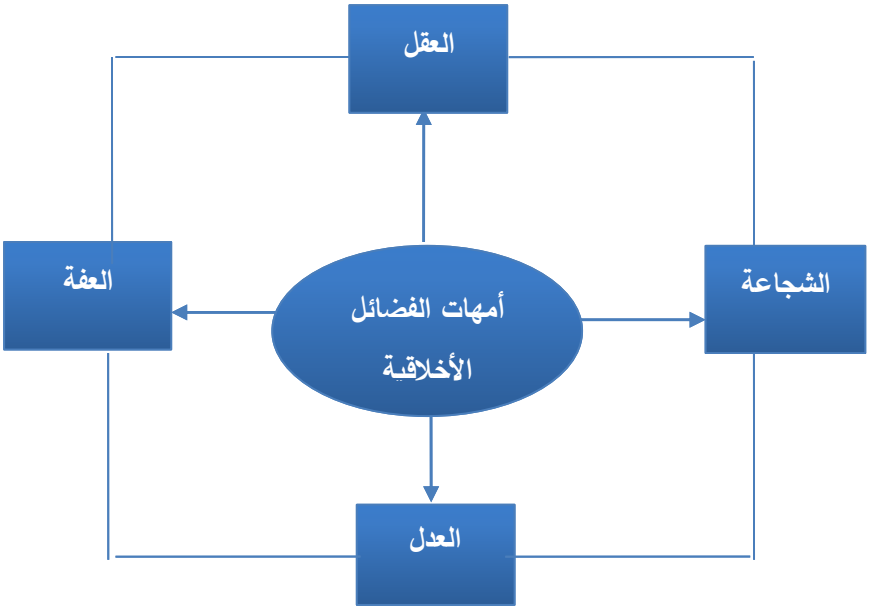


مخطط توضيحي للمرجعية الأخلاقية عند العرب

ISSN: 2523 – 1871

ثانيا: تجلّيات القيم الأخلاقية في الفضاء الشّعري العبّادي:

سندرس في هذا المجال القيم الأخلاقية من منظور أمّهات الفضائل، وعلاقتها بالأنفس التي حدّدها **(أفلاطون)**، وهذا في أثناء حديثه عن تقسيم النّفس البشرية، وبعد أن قسّمها حدّد من خلالها أربعة فضائل، وهي: العقل، والشجاعة، والعفّة، والعدل. وقد توسّع فيها وشرحها صاحب كتاب "**نقد الشعر**" وهذا في موضع حديثه عن نعت المديح، وقد حصر الفضائل في أربع، وكل فضيلة تتفرّع عنها فضائل أخرى، وللتوضيح أكثر نذكر ما جاء بين طيّات كتابه في هذه الفضائل، يقول: «إنّه لمّا كانت فضائل النّاس من أنهم ناس، لا من طريق ما هم مشتركون فيه مع سائر الحيوان، على ما هي عليه أهل الألباب من الاتّفاق في ذلك، إنّما هي العقل والشّجاعة والعدل والعفّة... ومن أقسام العقل: ثقابة المعرفة، والحياء، والبيان، والسياسة، والكفاية، والصدع بالحجّة، والعلم، والحِلم عن سفاهة الجهلة، وغير ذلك ممّا يجري هذا المجرى، ومن أقسام العفّة: القناعة وقلّة الشَّرَهِ، وطهارة الإزار، وغير ذلك ممّا يجري مجراه، ومن أقسام الشجاعة: الحماية والدفاع، والأخذ بالثأر، والنكاية في العدو، والمهابة، وقتل الأقران والسير في المهامِهِ الموحشة والقِفار، وما أشبه ذلك، ومن أقسام العدل: السماحة، ويرادف السماحة: التغابن، وهو من أنواعها، والانظلام، والتبرّع بالنائل، وإجابة السائل، وَقِرى الأضياف وما جانس ذلك » (قدامة، د.ت: 96–98) يبدو أنّ ما جاء به **(قدامة)** في هذا الصدد لم يسلم من انتقاد بعض النقّاد له (القيرواني، د.ت،ج2: 108)، مثله مثل بقية الكتّاب والنقاد، وعلى الرغم من تضارب الآراء حول هذه الفضائل إلا أننا نجد فئة منهم قد اجتهدت في استنباط ما يصدر من اعتدال الأصول الأربعة السابقة من أخلاق رفيعة، فمن اعتدال «**قوة العقل** يحصل: حسن التدبير، وجودة الذهن، وثقافة الرأي، وإصابة الظن، والتفطّن لدقائق الأعمال وخفايا آفات النفوس، ومن **اعتدال قوّة الشجاعة** يصدر: الكرم، والجِدَة والشهامة، وكسر النفس والاحتمال، والحِلم والثبات، وكظم الغيظ، والوقار، والتودّد، ومن **اعتدال العفّة** يصدر: السخاء، والحياء، والصبر، والمسامحة، والقناعة، والورع، واللَّطَافَة، والمساعدة، والظُّرف، وقلة الطمع، أما **العدل** إذا فات فليس له طرفا زيادة ونقصان، بل له ضدّ واحد ومقابل واحد وهو الجور» (الغامدي، 1423هـ/2002م:17)، وإذا ما أردنا أن نوضح أمّهات الفضائل برؤية شكلية كانت كالآتي:



مخطط توضيحي يبرز أمهات الفضائل الأخلاقية

وبعد أن عرفنا أصول الفضائل وما ينطوي تحتها سنبرز أهمّ القيم الأخلاقية عند **(عَدِّي)** منطلقين من اعتدال الأصول الأربعة للفضائل، والبداية ستكون مع:

1 – العقل:

يُعَدُّ العقل بمثابة المحرّك الذي يُشغل الإنسان، ويجعله يضبط الأمور بين ما هو خير وما هو شر، فحقيقة العقل تكون: «بتمييز الحقائق والعلوم من كل ما يدور، ثم إدراكها؛ أي الإمساك بها، وتنظيمها في سجل الحافظة والذاكرة... والعقل يكون بمعنى الضبط وقدرة الرفض والتمييز للخطأ أو الشّر أو الزيف، وبذلك يستقيم الطريق لمهمته الأولى وهي تحصيل المدركات السليمة، والعلوم، والحقائق التي تحفظ النّفس والبدن وتهديهما إلى سواء السبيل» (سالم، 1989م:209)، وعلى هذا يكون العقل المنبع الأساس الذي تهتدي إليه نفس الإنسان، في تحديد الأخلاق، وأوّل قيمة أخلاقية تستند إلى العقل، في عملية إبداعها هي الحكمة؛ لأنها نِتاج تجارب الإنسان عبر الزمن، وقد كان للحكمة حضور مُلِحٌّ في شعر **(عَدّي)**، فقد كانت نابعة من رجل حكيم، ذي بصيرة نافذة في الحياة.

ISSN: 2523 – 1871

أ- الحكمة:

تُعَدُّ الحكمة الجاهلية بمثابة المثل العليا السائدة في ذلك العصر، فهي ثمرة تجارب طويلة، خاصة أنها اتّسمت بالواقعية والصدق في التعبير عن التجارب والخبرات، فالحكمة تكاد تكون جامعة للقيم الأخلاقية في المجتمع الجاهلي، والمُطّلع على الشعر الجاهلي يجد أنّ أغلب شعرائه يطرقون باب الحكمة بوصفها الفنّ الذي يستطيع أن يحافظ على الفضائل، التي طالما افتخر وحافظ عليها الإنسان الجاهلي، والحكمة على حدّ تعبير **(يحيى الجبوري)**، هي: «نظرات وانطباعات وتأمّل في الحياة والموت، ومحاولات لسنّ نظم خلقية يتّبعها النّاس فيما يرضونه من خصال وسلوك، أو ما ينكرونه من أفعال وعادات، ولذلك جاءت حكمتهم حقائق مجرّدة في متناول الفطرة السليمة تمليها التجربة والمشاهدة، وفق مثلهم العليا السّائدة في عصرهم» (الجبوري، 1986م: 304).

وإذا ما تكلّمنا عن الحكمة في شعر **(عَدّي)**، فإننا نجد ديوانه يكاد يكون أغلب قصائده حِكم، ولهذا نستطيع أن نقول عنه إنّه شاعر الحكمة في الجاهلية بامتياز، وقد كانت حكمه بصيرة مهذّبة، فله قصيدة طويلة تبلغ حوالي اثنين وأربعين بيتا عَدّها **(أبو زيد القُرشيّ)** في كتابه **(جمهرة أشعار العرب)** من أجود المجمهرات، وما يميّز هذه الحكمة أنّها ثمرة للتأمّل الفكري المنظّم، وهي ذات طابع إنساني اشتملت على مجموعة من المبادئ والآمال التّي يشترك فيها جميع الناس في أقطارهم المختلفة، وأزمنتهم المتباعدة، فقد طابقت حكمه الحقيقة إلى حدّ يمكن أن نعدّها قوانين اجتماعية، يُسَلِّم بصوابها جميع النّاس، فلحكمة **(عَدّي)** غايات أخلاقية وتربوية تهدف إليها، وما لاحظناه كذلك عن مجمهرة (عَدِّي) أنه جمع فيها بين جودة المعنى ومتانة المبنى، حيث أضفى على الحِكمة مسحة من الجمال، ممّا يعطيها قوّة التأثير، فالمعنى الجيّد والصياغة الأنيقة هما اللذان يصنعان الحكمة المؤثّرة، وقد بيّنتْ هذه الحِكمة –كغيرها من حِكمه– نُضج فكر قائلها وتديّنه وخبرته بالحياة وأهلها، كما أنّ أفكاره تبدو عميقة تدلّ على أنّ الشّاعر خَبَرَ النفوس وعرف مكنوّناتها، وكيف لا وهو العارف بأحوال كثير من النّاس، وهذا بفضل ثقافته العميقة وطوافه عبر البلاد، وممّا جاء في مجمهرته نذكر حديثه عن إصلاح النفس، وابتعاده عن الكلام الفاحش، يقول (العبّادي، 1965م: 104):

(بحر الطويل)

ISSN: 2523 – 1871

فَنَفْسَكَ فَاحْفَظهَا مِنَ الغَيِّ وَالخنا مَتَى تُغْوهَا يُغْوَ الذِّيْ بِكَ يَقْتَدِيْ

بدأ الشاعر بيته الشعري باستخدام الأسلوب الإنشائي الطّلبي الذي جاء بصيغة الأمر، والغرض منه النصح والإرشاد، وهي دعوة صريحة إلى عدم اتّباع شهوات الدنيا وملذّاتها، وفي هذا تعبير عن شخصية الشاعر الزاهدة، فهو يحمل رسالة إصلاح النفس واستكمال فضائلها، وهذا لا يكون إلّا بالابتعاد عن شهوات الدنيا، لترسم النهج القويم لمن أراد أن يقتدي بك؛ لأنّ الغنى غنى النفس.

كما يحذّر الشاعر من سرعة الغضب في مقام المزاح، ويدعو إلى عدم الجزع والضجر في قوله: (المصدر نفسه: 104)

(بحر الطويل)

إِذَا أَنْتَ فَاكَهْتَ الرِّجَالَ فَلَا تَلَعْ وَقُلْ مِثْلَمَا قَالُوالا تَتَزَيَّدِ

ويقدّم لنا نصيحة ثمينة وهي عدم الإفراط في المزاح؛ لأنه يقلّل من شأن صاحبه ولو كان حكيما حليما، فكلّما كثر الهزل والضحك نقصت مكانته، وهذا يبرز في قوله (المصدر نفسه: 104):

(بحر الطويل)

وَإِيّاكَ مِنْ فَرْطِ المُزَامِ فَإِنَّهُ جَدِيْرٌ بِتَسْفِيْهِ الحَلِيمِ المُسَدِّدِ

وفي معرض حديثه عن المرء ومصاحبته، يقول الشّاعر: إذا أردت أن تعرف المرء جيّدا فلا تسأل عنه هو، وإنما اسأل عن صاحبه؛ لأن المُصَاحِب يفعل مثل ما يفعل صاحبه تشبّها به، وعليه يجب على المرء أن يجانب مَنْ كان ذا شرّ من أقرانه، أمّا إذا كان ذا خير فيجب مصاحبته؛ ليكون مثله في الهداية والرشاد إلى الخير يقول: (المصدر نفسه: 122)

(بحر الطويل)

عَنِ المَرْءِ لَا تَسْأَلْ وَسَلْ عَنْ قَرِينِهِ فَكُلُّ قَرِيْنٍ بِالمُقَارَنِ يَقْتَدِيْ

فَإِنْ كَانَ ذَا شَرٍّ فَجَانِبْهُ سُرْعَةً وَإِنْ كَانَ ذَا خَيْرٍ فَقَارِنْهُ تَهْتَدِيْ

ISSN: 2523 – 1871

والملاحَظ من حكم **(عَدّي)** أنها حِكَم تنمّ عن كره وازدراء لمن اتّبع الهوى واللغو، وتنمّ عن تقدير واحترام في إشارته إلى الشرفاء ومناقبهم، والهدف منها هو تكوين إنسان مثالي ملتزم، يؤمن بالقيم والمبادئ.

ب- التسليم بحتمية الموت والتذكير بها لأخذ العبرة:

يُعَدُّ التذكير بحتميّة الموت من الأفكار الدينية السامية، التي توجّه الإنسان نحو الأخلاق الرفيعة، فالإنسان يبقى عاجزا أمام حتميّة الموت، فيتدخّل المعتقد الديني؛ ليكون بديلا عن حالة اليأس التي تسيطر على الإنسان، وقد تناول الشعراء الجاهليّون الموت من جوانب عدّة، ورصدوا مجموعة من الظواهر المتعلقة بها، فتحدّثوا عن «حتمية الموت، وإتيانه على جميع الخلائق، وعن تفاوت الآجال، وعن كراهية الإنسان للموت، وهم في كلّ ذلك يصوّرون الموت طالبا والإنسان مطلوبه، أو صائدا يلقى شباكه على النّاس، فيصيب منهم ما يريد؛ لأنّ سهمه لا يخطئ، وقصده لا يخيب» (حسن،عبد الحميد، 1991م:128)، وفي شعر **(عَدّي)** نجد تذكيرا بالموت من خلال أخذ العبرة من الأمم السّابقة والزائلة، يقول (العبّادي: 122):

(بحر الخفيف)

أَيْنَ أَهْلُ الدِّيَارِ مِنْ قَومِ نُوحٍ	**ثُمَّ عَادٍ مِنْ بَعْدِهِمْ وَثَمُودُ**
أَيْنَ آبَاؤُنَا وَأَيْنَ بَنُوهُم	**أَيْنَ آبَاؤُهُمْ وَأَيْنَ الجُدُودُ**
سَلَكُوا مَنْهَجَ المَنَايَا فَبَادُوا	**وَأَرَانَا قَدْ كَانَ مِنَّا وُرُودُ**
بَيْنَمَا هُمْ عَلَى الأَسِرَّةِ وَالأَنْـ	**ـطِ أَفْضَتْ إِلَى التُّرَابِ الخُدُودُ**
ثُمَّ لَمْ يَنْقَضِ الحَدِيثُ وَلَكِنْ	**بَعْدَ ذَا الوَعْدُ كُلُّهُ وَالوَعِيدُ**
وَالأَطِبَّاءُ بَعْدَهُمْ لَحَقُوهُمْ	**ضَلَّ عَنْهُمْ سُعُوطُهُمْ وَاللَّدُودُ**
وَصَحِيحٍ أَضْحَى يَعُودُ مَرِيضًا	**وَهُوَ أَدْنَى لِلْمَوتِ مِمَّنْ يَعُودُ**

ففكرة الفناء كانت بمثابة المحرّك للشّعور الديني الذّي فرض نفسه على الخطاب الشعري لـ(عَدّي بن زيد) لِسَدّ الفراغ الرّوحي الذي يعيشه في غياهِب السجن، حين وقف مذكّرا بحتمية الموت بهدف

توجيهنا إلى المُثُل والأخلاق الحسنة، وقد استعان بالقصص التاريخية؛ لإبراز حتمية الموت فـ«هو يتّخذ من التاريخ دروسا وعظات، يتفكّر في مصير النّاس وفناء الماضيين وزوال النعم، وهو في مواضِع كثيرة من شعره يقصّ على الناس أخبار الملوك والجبابرة، الذين أبادهم الدّهر، وأخنى عليهم الزمان، ولذلك فلا مطمح في الدنيا ولا مأمن من غدرها، فالإنسان ضعيف في هذه الدنيا يسافر في طريق الفناء، فلا يغرنّك ما تراه من رفاه الناس وما عليهم من نعمة وترف» (الجبوري: 411–412)، معبّرا بذلك عن سؤال وجودي في قوله: (أَينَ أَهلُ الدِّيَارَ منْ قومِ نُوحٍ)، وقد ربط الشاعر هذا السؤال بالمكان مذكّرا بالأمم السابقة وما آلت إليه، واعتمد الشاعر لتأكيد حتمية الفناء على التكرار الذي جاء بصيغة الاستفهام، وقد أراد به ترسيخ فكرة الفناء في ذهن المتلقي.

وسعى (عَدّي) –كذلك– إلى تنوير العقل وتحريره من نمط التفكير المنحطّ، والاعتقاد بدوام الحياة، مبيّنا أن تلك الأقوام البائدة كانت في غفلة ورغد عيش، متناسين يوم الآخرة، ويهدف من خلال قوله الترفّع عن شهوات الدنيا وملذّاتها، وهذا ما يكشف لنا عن صفاء قريحته، وعن معرفة كاملة بأحوال الملوك والأمم والناس جميعا، وقد ساعده في هذا التنقّل بين أرجاء البلاد والتبصّر في مصائر الناس.

ونختم حديثنا عن فكرة الموت والتذكير به عند **(عَدّي)** ببيت شعري يلخّص لنا رؤيته الصائبة في هذا المجال، التي تنتهي بالرجوع إلى الله في حتمية الموت، وهنا تبرز بوضوح ديانته وزهده، فقد كان راهبًا في زمانه يقول: (العبّادي: 150):

(بحر الخفيف)

لَيْسَ شَيءٌ عَلَى المَنُونِ بِبـاقٍ غَيْرِ وَجْهِ المُسَبِّحِ الخَـلَّاقِ

2–الشّجاعة:

قد كانت الشجاعة في الجاهلية مظهرا من مظاهر القوّة والبسالة، وقد كان العرب يتفاخرون بها، ويكثرون منها في أشعارهم، فهي من أبرز صفاتهم؛ لأن «فيها قوّةً، وتحدّيًا للمنيّة، وفيها دربةً وتفوّقًا في استعمال الأسلحة المختلفة، وفيها إنسانيةً وكرمًا، وإنصافًا للأعداء، ووفاءً للوعد...» (الدسوقي، د.ت: 29)، ومن مظاهر الشّجاعة في شعر **(عَدّي)** نذكر:

ISSN: 2523 – 1871

أ-الوفاء:

إنّ الوفاء من أهمّ القيم الخلقية البارزة في عصر ما قبل الإسلام، فالعرب قديما عدّوه من صفات الرجولة والمروءة؛ لأنّ من سمة الرجل الشهم هو وفاؤه بما ألزم نفسه به، وقد كان للوفاء صور متعدّدة آنذاك، منها: الحفاظ على الأمانة، وأداء الدَّيْن، وحفظ العهد والوعد والميثاق...، فالوفاء موقفٌ أخلاقيٌ يفرض نفسه على الإنسان، ويستدعي نوعا من الالتزام به، وكلّما كان الفرد أكثر وفاءً وتمسّكا بهذه القيمة، كان أكثر قيمة ومكانة عند الآخرين، ومن لا يتحلّى بالوفاء لا قيمة له عند الآخرين. وقد ذكر صاحب كتاب **(المستطرف في كل فن مستظرف)** أنّ الوفاء «من شيم النّفوس الشّريفة، والأخلاق الكريمة، والخلال الحميدة، يعظم صاحبه في العيون، وتصدق فيه خطرات الظّنون» (الأبشيهي، د.ت،ج1: 206) ، والوفاء في النص الشّعريّ العبّاديّ كان مغايرا تماما عمّا ألف في الوفاء، فنجده وفاءً للصديق الذي تحول بين ليلة وضحاها إلى العدو اللّدود؛ بسبب زجه للشاعر في السجن دونما حق، وقد تحدّث **(عَدّي)** عن الوفاء في شعره، وأثبت هذه الصفة لنفسه بقوله: (العبّادي: 51-52)

(بحر البسيط)

فَعِشْتُ أُولي صديقِي ما يُسَرُّ بهِ	**ومَنْ تكَيَّدني نابـاً وأظْفـارَا**
فَخَالَ ذلكَ أَحْلَاماً أُذكرهـــاَ	**بَعْدَ النَّعِيمِ وكانَ العيشِ أَطوَارَا**
مَنْ مُبلِغُ الصَّعْبَ عَنْ عانٍ يودُ لَه	**طُولَ الحيـاةِ وفيماَ رامَ إظْهارَا**
إنِّي سُررتُ عَلَى مَا كَانَ مِنْ وَصَب	**بـمَا ينـبِئُ قيْسٌ عنْكَ أَخْبَـارَا**
إذَا حلَّ عنكَ عَيزُ الفقْدِ مجْتَنِباً	**للهَاجِراتِ تَقِيَّ الصَّدْرِ نَحَّـارَا**
فَلو هَلكتَ تَرَكتَ النَّاسَ في وَهَلٍ	**بَعدَ الجميعِ وصارَ العيْشُ إكْسَارَا**
فَالحَمدُ لله إذْ نَجَّـاكَ من عَطَبٍ	**واللهُ لا يبتغي لِلْحَمدِ أَنْصَـارَا**

البعد الأخلاقي في هاته الأبيات واضح المعالم، عندما عبر الشاعر عن روح التسامح، وقيمة الوفاء للصديق، والصديق الذي يتكلم عنه هو **(النّعمان بن المنذر)** ملك الحيرة، الذي كان لـ**(عَدّي)** الفضل في تولّيه الحكم، ثمّ أوقع الوشاة بينهما، فزجّ به الملك في السجن، وعلى الرغم من هذا فإنّ

ISSN: 2523 – 1871

الشاعر بيَّنَ لنا أنه وفيّ لـ(**النّعمان**) يُسَرّ لسروره، ويحزن لحزنه أنَّى وجد، مقيم على عهده، يودّ طول الحياة، وينفي عن نفسه شبهة الفرح فيما أصابه، وبهذا يتجاوز الشاعر أنانية الذّات، فينتقل هذا الإحساس إلى من ظلمه وأسره حتى وإن كان عدّوه الذي كاد له المكائد، وهذا ما يتضح في قوله: (وَمَنْ تَكِيَدنِي نَاباً وَأَظْفَارَا). ويوجه الشاعر خطابه إلى من يبلغ رسالته إلى (**النعمان بن المنذر**)، الذي لقبه الشاعربـ(الصعب) وقد أطلقوا هذه التسمية عليه؛ لصعوبته في ملكه، فأورد الشاعر الصفة (**الصعب**) وحذف الموصوف (**النعمان بن المنذر**)، وفي هذا مبالغة في الوصف، ليعبّر له عن وفائه وإخلاصه له، وبهذا يخرج الاستفهام (**من**) من دلالته الحرفية إلى دلالته المجازية؛ ليعبّر عن عظمة الشخص الموصوف، وكذلك نراه يحمد الله الذي نجّى الملك من كل مكروه، ويقول كذلك مفتخرا بوفائه وشهامته (العبادي، المصدر نفسه: 171):

(بحر البسيط)

وَمَا بَدَأْتُ خَلِيْلًا لِيْ أَخَا ثِقَـــةٍ ... بِرِيْبَـةٍ لاَ وَرَبِّ الحِلِّ والحَـــرَمِ

يَأْبَى لِيْ اللهُ خَونَ الأَصْفِيَاءِ وَإِنْ ... خَانُوا وِدَادِيْ لِأَنِّي حَاجِزِي كَرَمِي

في هذين البيتين إشارة واضحة عن وفاء الشاعر لأصدقائه، وما يزيد البيت صدقا هو قسمه بالله، فهو الذي تأبى له نفسه خون أصدقائه حتى وإن خانوه؛ لأن أخلاقه ترفض له أن يكون من الخائنين، وهذا تلميح لـ(**النعمان**) وخيانته لعدي، ونكرانه للجميل من الأصفياء، و(**عدي**) في هذين البيتين «يعكس إحساسا إنسانيا عظيم النبل، يسبق فيه بحسّ حضريّ، ناقدًا قيم الجاهليين وما تعارفوا عليه من أخلاق. والجميل في هذا البيت –أيضًا– هو ذلك الفخر المستكنّ في نهايته، فهو لا يدافع عن نفسه بأن ينفي عنها خيانة الأصفياء، وإن خانوه ويقف عندئذ وحسب، بل إنّه يرجع هذه الخلة إلى حاجز كرمه، والبيت بهذا غاية في الجمال المعنوي، ويقع على المتلقّي نغما حلوا كريما، لا يني يردّده في يومه المرات» (الشطّي، 1998م: 96–97).

وما لاحظناه أن الوفاء عند (**عَدّي**) كان في مجمله وفاء إلى الملك (**النّعمان**) على الرغم من استعمال (**عدّي**) لضمير الجماعة بدل التخصيص، وهذا الوفاء هو بمثابة تذكير لـ(**النّعمان**) بما كان من الشاعر من نعم عليه، وعلى رأسها فضله في توليه الحكم، وفي الوقت نفسه نجد أن الوفاء عند

ISSN: 2523 – 1871

شاعرنا بمثابة تصغير من شأن الملك الذي خان صديقه، فأراد أن يقول له: أنا لست ملكا لكنني وَفِيّ أكثر منك؛ لأن الملك من واجبه أن يتحلّى بمكارم أخلاقية سامية؛ لأنه يعبّر عن الجماعة.

ب–الكرم:

يُعَدّ الكرم أبرز صفة أخلاقية امتاز بها العربي آنذاك، وقد حافظ عليها حفاظًا شديدًا؛ لأن الكرم هو القيمة الوحيدة التي ترفع من شأنه، وتعطيه مهابة بين النّاس، ولكي نعرف حقيقة الكرم العربي، نورد ما قاله "**حسن مسكين**" في حديثه عن الكرم وبواعثه: «وقد جسّد مقوّما أساسيا في تثبيت التميز لكل ذات، تبتغي الفوز بِرضى الجماعة، هاته التي آمنت بالقِرى من غير سؤال، والمنح من غير حدود أو حصر، تبتغي بذلك تخليد الاسم، وضمان الاستمرار في التميز والحضور، ضدا على مكر الزمان، وتعاقب الأيام، خاصة وأنّ هذا العربي عرف منذ القديم بتفانيه الشديد في حب البذل الكثير، إلى درجة أن صفة الكرم ارتبطت باسمه، بل إنّها هي التي حدّدت شخصه كذات متفرّدة، تستحقّ الذّكر، وتتطلّب الإشادة؛ لتغدو أخيرا ذلك النموذج الذي تحتذيه الذوات اللاحقة، وتتمثل به باستمرار تشريعا لعمله، وتخليدا لصنيعه خلال الحياة، بعد الموت» (مسكين، 2005: 131)، و(**عدي**) في كرمه يأخذ اتّجاهين: اتّجاه العربي البدوي الأصيل واتّجاه العربي القروي، فمن كرم البدوي نجده في قوله: (العبّادي: 98):

(بحر الرجز)

يَبِيْضُ مَطَاعِيمَ فِي الشِّتَـــاءِ وَإِنْ ... أَخْلَـفَ نَوْءٌ عَنْ وَبْلِـهِ وَبَلَّـــــو

لايَتَـــأَرِوْنَ فِيْ المَضِيـــقِ وَإِنْ ... نَـــادَى المُنَادِيْ أَنْ أَنْزِلُوا نَـزَلُوا

صوّر لنا (**عَدّي**) كرم أفراد قومه، وهذا بكثرة إطعامهم للسائلين، وقد خصّص الشتاء هنا لدلالته على عظمة الكرم في هذا الفصل بوصفه الفصل الأكثر صعوبة في العيش وجلب الرزق، وقد استعمل كذلك لفظة (مطاعيم) التي هي من صيغ المبالغة، والتي زادت تقوية للمعنى، ويعدد لنا في الشطر الثاني جلالة هذا الكرم من قومه، حيث شبّههم بالمطر في الجود على الأرض، وهذا إذا انعدم الخير على الناس أمطروا عليهم بالخير والرزق، وهذا لكي يعوضوهم عن القحط، ومن كرمه نجده يوجه كلامه لعاذلة جاءت تذمّه لكرمه الذي تراه هي تبذير للمال، يقول (المصدر نفسه: 103):

ISSN: 2523 – 1871

(بحر الطويل)

ذرِينِي فَمَالِيْ مَا تَقَدَّمَ مِنْ رَدَى ... وَمَا أَشْتَهِيْ مِنْهُ وَمَا خَفَّ عُوِّدِيْ

وحُمِّتْ لِمِيْقَاتٍ إِلَيَّ مَنِيَّتِيْ ... وَغُودِرْتُ، إِنْ وُسِّدْتُ أَوْ لَمْ أُوَسَّدِ

فَلِلْوَارِثِ البَاقِيْ مِنَ المَالِ فَاتْرُكِيْ ... عِتَابِيْ فَإِنِّيْ مُعْلِمٌ غَيْرَ مُفْسِدِ

و**(عَدّي)** كان مقتنعا بحتميّة الموت مصيرا للجميع، وهي كانت بمثابة السبب الرئيس والدافع لإنفاق ماله وعدم الجدوى من حفظه، خاصّة أن الموت يترصّد به من كل جانب، وقد بدا هذا واضحا من خلال رفضه لعتاب زوجته التي غالت في لومه بسبب إنفاق ماله والتبرع به، وهو بهذا العمل وكأنه يريد مواجهة مصيره الذي هو من دون شكّ مشؤوم، فبكرمه هذا «يسعى بإنفاقه من أَجْل تحقيق ذاته بصورة أفضل، ولكنه كان يقدّم ما هو معلوم من أجل ما هو مجهول، وهو بذلك يعبّر –بصورة ما– عن قلقه من المجهول الذي ينتظره» (رياح، 2013/2012م: 232)، والكرم عند عدي لا يتوقف عنده هو فحسب، إنما ينتقل إلى ملكه، فقد بيّن لنا كرم النعمان في قوله (العبّادي: 52):

(بحر البسيط)

إِذَا حَلَّ عَنْكَ عَزِيزُ القَدْرِ مُجْتَنِبًا ... لِلْهَاجِرَاتِ نَقِيِّ الصَّدْرِ نَحَّارَا

الشاعر – هنا – يعلي من شأن ممدوحه، وهذا من خلال وصفه بالكريم الذي ما حلّ عنده ضيف إلّا وجده في استقباله بصدر رحب، وأعدّ له كلّ ما لذّ وطاب، والشاعر بإعطاء هذه الصفة لممدوحه، إنّما أراد أن يُعلي من شأن الجماعة، فالملك يمثّل إمارة بأكملها، ووصفه بكرم أخلاقه ما هو إلّا إعلاء من شأن إمارة الحيرة، التي ينتسب إليها شاعرنا، وهو بهذا يتجاوز ذاته التي طالما رأيناه ينسب أغلب الصفات الأخلاقية إليها.

وما يمكن قوله هو: إنّ **(عديا)** في كرمه يأخذ اتّجاهين: اتّجاه العربي البدوي الأصيل، واتّجاه العربي القروي، فمن عادة الشعراء الحضريين إذا أدرجوا الكرم في شعرهم، فإنّ أغلبهم ينسبونه إلى إنفاق المال ولوم العاذلة لهم في هذا الشأن؛ لأنّ بذل المال سيؤدّي إلى نقصه، ومن ثم سيقود إلى الاحتياج والسؤال، أمّا الكرم عند أصحاب القبائل فنجده مقرونًا بالذبائح ولون القدور، وتشبيهات تُستقى منابعها

ISSN: 2523 – 1871

من مظاهر الطبيعة؛ ليرسموا لنا صورة عن هذا الكرم، وقد وُفِّقَ **(عَدّي)** في الجمع بين الصورتين البدوية والحضرية في كرمه، وهذا يدل على مدى ثقافته وبراعته في تقريب صور الكرم ومزجها، فالشاعر صرّح بكرم قومه، وكذلك كرم الملك وكرمه.

ج- الحِلم وسعة الصدر:

إنّ الحِلم وسعة الصّدر قيمة أخلاقية تجعل من حاملها يتعالى عن توافه الأمور وصغائرها، وتجعله كذلك واسع الصدر لا ينفعل مع أغلاط الآخرين، بل تجده مستوعبا لها وصابرا على كلّ التفاهات، وهذه المزايا لا تؤتى إلا لمن كان رزينا يحتكّم بعقله في التصرف مع الأمور، وهو بهذا يكون من مصاف الحكماء الذين «لا يغضبون في الوقت الذي يثور فيه الناس، ولا تضيق صدروهم لأخطاء الآخرين، بل يجدون لها الأعذار، وإلى جانب أنّ الحِلم قيمة أخلاقية فإنّه قاعدة سلوكية ينطلق منها الفرد؛ ليصلح ما فسد من أخلاق مجتمعه، فتكون أخلاقه وسعة صدره بمثابة دعوة لمن حوله للاقتداء بها والتخلّق بأخلاقه الحليمة» (الكحلوت، 2010: 288)، و**(عَدّي)** من أبرز شعراء عصره الذين يتحلّون بهذه القيمة الأخلاقية، وممّا جاء في هذا الصدد قوله (العبّادي: 69-70):

(بحر السريع)

فَلَا يَزَلْ صَدْرُكَ فِيْ رَيْبَـــــةٍ ... تَذْكُرُ مِنِّي تلَفِي أَو خَلُــوصْ

يَا نَفْسُ اِبْقِيْ وَاتّقِي شَتْمَ ذِيْ الـ ... أَعْرَاضِ إِنّ الحِلْــمَ مَا إِنْ يَنُوصْ

في هذا الخطاب الذّي وجّهه الشاعر إلى **(عَبْدِ هند)** يصف لنا الشاعر حاله في تحمل إساءة أقرب الناس إليه وهي زوجه **(هند بنت النعمان)** التي كانت ترتاب على أعدائه، وتسمع منهم ما يقولون عن **(عَدّي)** بغير حق دون أن تدافع عنه، وقد قابل **(عَدّي)** هذه المعاملة السيئة بسعة صدره وحِلمه، وذلك بابتعاده عن شتم ذي الأعراض؛ لأنّ مجافاة القريب ليست من أخلاقه، وقد استعمل أسلوب النداء وهذا في أثناء محاورته لذاته، وقد ربط هذا النداء بصيغة الأمر، وعليه يكون «خطاب النّفس بأداة النداء يعود إلى سياق الخطاب المجازي المتعلّق بتقريب الأشياء غير الملموسة، ووضعها في إطار قريب من الإنسان، فالشاعر يأمر نفسه بأن تبتعد عن شتم ذي الأعراض، وإن زجر النفس عن غيّها ومحاولة ثنيها

عن السوء والقبح جاء بصيغة الأمر، التي تبرز وعي الشاعر وحرصه على أن يظلّ بعيدا عن دائرة السوء» (ربابعة، 2011: 31)، وقد كان شجاعا في هذا الموقف؛ لأن أقرب إنسان إليه –وهو زوجه– لم تقف معه في أشدّ أيّامه عصيبةً.

3–العفّة:

ومن مظاهرها نذكر:

الصبر:

يُعَدُّ الصبر أجلّ سمة أخلاقية في الإنسان، فقد وُجِد بمثابة اختبار للمرء وانعكاس لشخصيته في مدى تحمّل المتاعب ومواجهته، «وهو قوّة خُلُقية من قوى الإرادة، تمكّن الإنسان من ضبط نفسه؛ لتحمّل المتاعب والمشقّات والآلام، وضبطها عن الاندفاع بعوامل الضجر والجزع، والسأم والملل، والعجلة والرعونة، والغضب والطيش، والخوف والطمع، والأهواء والشهوات والغرائز» (الميداني، 2002،ج2: 305)، والصبر عند **(عَدّي)**، كما يقال، صبران: صبر على من يحب وهو **(النّعمان)** الملك، وصبر على من يكره وهو السجن، وما أَجَلَّه من صبر عند الشاعر عندما يعرض لنا غدر الأيام التي تتقلّب على صاحبها وما عليه إلّا التحلّي بالصبر، يقول (العبّادي: 90):

(بحر الخفيف)

غَيْرَ أَنَّ الأَيـــــامَ يَغْدُرْنَ بِالمَرْءِ ... وَفِيْهَا المَيْسُورُ وَالمَعْسُـــــورُ

فَاصْبِرِ النَّفْسَ الخَطُـــــوبَ فَإِنَّ ... الدَّهْرَ يَدْجُو حِيْنًـا وَحِيْنًـا يُنِيـــرُ

لقد صوّر لنا **(عَدّي)** غدر الأيام بالمرء، وتقلب الأحوال فيها من ميسور إلى معسور أو العكس صحيح، وقوله هذا يعكس حاله وكيف كان تقلّب الزمان عليه، فبعدما كان يعيش حياة ترف وسلطة ونفوذ، انقلب عليه الحال وحيدا خلف قضبان السجن، ويوجّه نصيحة للمرء جاءت بصيغة الأمر (فاصبر النّفس) بمزاولته للصبر، وأن يَصبر النفس في جميع الأحوال، فبالصبر آخر يتجاوز الهمّ والأزمات .

ISSN: 2523 – 1871

4- العدل:

إنّ العدل يُعَدُّ بالدرجة الأولى ضرورة إنسانيّة، وهذا من ناحية كونه الأساس الذي تُبنى عليه وتنتظم العلاقات الاجتماعية والاقتصادية، ويقترن العدل دائما بالعمل الصالح والبرّ والإحسان (السحمراني، 1988: 117)، وممّا جاء في شعر عدي يدعو إلى العدل نذكر ما جاء في قوله (العبّادي،: 107):

(بحر الطويل)

وَبِالعَدْلِ فَانْطِقْ إِنْ نَطَقْتَ وَلَا تَلُمْ وَذَا الذّمِ فَاذْمُمْهُ وَذَا المَمْدِ فَاحْمَدِ

الشاعر يأمرنا بأن نعدل في كلامنا وحكمنا على الناس، وأن نبتعد كلّ البعد عن النفاق الاجتماعي، وألّا نقول إلّا الحقّ، فإذا كان الإنسان يحمل صفة سيّئة، فيجب أن نكون منصفين في قولنا له دون زيادة أو نقصان، كذلك هو الحال بالنسبة للإنسان الذي يستحقّ الحمد الحامل للصفات الحميدة، فيجب أن نذكر خصاله الحميدة للناس، ونثني عليه؛ لأنّه يستحق ذلك.

خاتمة:

وصفوة القول بعد الذي تقدم هو: إنّ القيم الأخلاقية في العصر الجاهلي –بتنوع مرجعيّتها من فطرة وبيئة ودين– أسهمت في توجيه سلوك العربي، وخلقت نوعا من الاستقرار آنذاك؛ لأنها كانت عندهم بمثابة الهويّة يحافظون عليها ويفتخرون بها، وقد بدا لنا هذا جليّا من خلال ما عرضناه من قيم أخلاقية في شعر **(عَدّي بن زيد العِبَّادي)** والتي تبدّت لنا متشكلة عنده في ثلاث نقاط هي:

- **معاملته مع نفسه:** بالابتعاد عن كل ما يسيئ له أو يهدم أخلاقه التي عرف بها.
- **معاملته مع الأصدقاء:** من خلال روح التسامح والوفاء سواء أكانوا أوفياء أم لا.
- **معاملته مع خالقه:** وهذا من خلال التسليم بحتميّة الموت، والرضا بالقضاء والقدر، وما يحمله له من خير وشر.

وعلى الرغم من أنّ هذه الأخلاق التي تحلّى بها العربي في الجاهلية فأنها لم ترتقِ إلى النموذجية إلّا عندما اتّصلت بالإسلام؛ لأنه منحها الامتداد والتعمق.

قائمة المصادر

1. الأبشيهي، شهاب الدين محمد بن احمد أبي الفتح(د.ت). "المستطرف في كلّ فنّ مستظرف"، مصر، مكتبة الجمهورية العربية. ج1.
2. ابن رشيق القيرواني، أبي علي الحسن(د.ت). " العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده "،تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة.
3. الإسكندري، أحمد وآخرون(1994) " المفصّل في تاريخ الأدب العربي"، ط1، بيروت، دار إحياء العلوم.
4. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر.(1988م). " الحيوان"، تحقيق عبد السلام محمد هارون. بيروت، دار الجيل،ج4.
5. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر.(1399هـ). " رسائل الجاحظ "، تحقيق عبد السلام محمد هارون،ط1، القاهرة، مكتبة الخانجي.
6. الجبوري، يحيى(1986). "الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه"، ط5، بيروت، مؤسسه الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع.
7. حسن، عبد السّلام ، أحمد عبد الحميد(1991) "الموت في الشعر الجاهلي "، ط1، القاهرة، مطبعة الحسين الإسلامية.
8. الحوفي، أحمد محمد. ""، الحياة العربية من الشعر الجاهلي، ط2، مصر، مكتبة نهضة مصر.
9. خليف، يوسف.(فبراير1965). "مقدّمة القصيدة الجاهلية محاولة جديدة لتفسيرها"، **مجلة المجلة**، 1(98) متاحة على الموقع http://archive.sakhrit.co/newPreview.aspx
10. الدسوقي ،عمر(د.ت). " الفتوة عند العرب أو أحاديث الفروسية والمثل العليا "، الفجالة، مكتبة نهضة مصر.

11. الذبياني، النابغة (1996). " الدّيوان "، شرح وتقديم عباس عبد السّاتر، ط3، بيروت، دار الكتب العلمية.

12. ربابعة ، موسى سامح(2011). " تشكيل الخطاب الشعري دراسات في الشعر الجاهلي "، ط1، عمان، دار جرير للنشر والتوزيع.

13. رباح، علي(2013). "البحث عن الذات في الشعر الجاهلي"، رسالة دكتوراه غير منشورة. كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تشرين، اللاذقية، سورية.

14. رشيد،أبو القيس محمد(2017)، "حقيقة الشاعر عنترة العبسي بين ديوان الشعر والسينما المصرية"، قناة الشعر الجاهلي. متاح على الموقعhttps://www.youtube.com/watcho

15. زريقي، سميحا (شتاء1390هـ/2012). "القيم الأخلاقية والإنسانية في شعر أبي فراس الحمداني وسلوكه"، **مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، جامعة دمشق** ، ع8.

16. سالم، أحمد موسى (1989م). " لماذا ظهر الإسلام في جزيرة العرب "، ط2، بيروت، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة.

17. السحمراني، أحمد(1988). "الأخلاق في الإسلام والفلسفة القديمة" ، ط1، بيروت، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع.

18. سليمان،علي.(2000). "الشّعر الجاهلي وأثره في تغيير الواقع: قراءة في اتجاهات الشعر المعارض" ، ط1، دمشق، منشورات وزارة الثقافة.

19. الشطّي، عبد الفتاح عبد المحسن(1998). " شعراء إمارة الحيرة في العصر الجاهلي "، ط1، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع.

20. ضيف، شوقي(د.ت) "تاريخ الأدب العربي: العصر الجاهلي "، ط11، القاهرة، دار المعارف، ج1.

21. الطائي، أبو تمّام. " الديوان "، ط1، بغداد، نظارة المعارف العمومية الجليلة.

22. العبّادي عدّي بن زيد(1965). " الديوان "، حققه وجمعه محمد جبار المعيبد، بغداد، شركة دار الجمهورية للنشر والطبع.

23. العشماوي، محمد زكي.(1980). " النابغة الذبياني مع دراسة للقصيدة العربية في الجاهلية "، ط1، بيروت، دار النهضة للطباعة والنشر.

24. الغامدي، محمد بن عبد الله بن حسين(1423هـ/2002). "الجانب الخُلُقي في المعلقات العشر"، رسالة ماجستير غير منشورة. كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، السعودية.

25. قدامة بن جعفر، أبي الفرج(د.ت). " نقد الشعر "، تحقيق: محمّد عبد المنعم خفاجي، بيروت، دار الكتب العلمية. ، لبنان.

26. الكحلوت، يوسف شحدة(2010). " الأخلاق الإسلامية في الشعر الأندلسي عصر ملوك الطوائف"، قسم اللغة العربية، الجامعة الإسلامية بغزة.

27. مسكين، حسن(2005). " الخطاب الشعري الجاهلي: رؤية جديدة" ،، ط1، ، الدار البيضاء المركز الثقافي العربي.

28. الميداني، عبد الرحمن حسن حنبكة(2002). "الأخلاق الإسلامية "، ط6 ، دمشق، دار القلم. ج2.

ISSN: 2523 – 1871

علاقة بعض المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية بظاهرة العود إلى الجريمة

دراسة ميدانية لبعض السجناء العائدين إلى الجريمة بمؤسسة الإصلاح والتأهيل بمدينة طبرق

د. عمر اكريم عبد النبي

أستاذ مساعد بقسم علم الاجتماع / كلية الآداب جامعة بنغازي

المستخلص:

تُعد دراسة السلوك الإجرامي بصفة عامة، وظاهرة العود إلى الجريمة بصفة خاصة، ضرورة ملحة، باعتبارها مشكلة تؤرق المجتمع، وتحد من تطوره، كما أنها معاناة لعدد كبير من الأفراد والأسر، لذا قرر الباحث وضع هذه الظاهرة موضع البحث والدراسة؛ للوقوف على أسبابها ونتائجها في منطقة حدودية، ذات طابع صحراوي وبدوي. اعتمد الباحث أسلوب الدراسة الوصفية التحليلية الميدانية، وقد تطلبت طبيعة هذه الدراسة الاستعانة بأكثر من منهج علمي في آن واحد، فقد استعانت الدراسة بمنهج المسح الاجتماعي الشامل، كما استعانت بالمنهج التاريخي. توصلت الدراسة لعدة نائج منها: (1) تدني المستوى التعليمي لمعظم المبحوثين، حيث لم تتجاوز نسبة حملة المؤهلات الجامعية (11.4%). (2) معظم المبحوثين من ذوي الدخول المنخفضة بنسبة تجاوزت (45.7%). (3) أبرز جرائم العود إلى الجريمة، التي تمثلت في جرائم التهريب، وجرائم تعاطي المخدرات والاتجار بها، وجرائم السرقة. وتوصي الدراسة بعدة أمور منها: (أ) ضرورة فتح فرص عمل متنوعة، ولا تتطلب شهادات علمية عالية. (ب) أهمية قيام مؤسسات الإصلاح والتأهيل بتشخيص النزلاء الوافدين إليها.

الكلمات المفتاحية

الجريمة – العود إلى الجريمة

المقدمة:

لا شك في أن دراسة السلوك الإجرامي بصفة عامة، وظاهرة العود إلى الجريمة بصفة خاصة، تُعد ضرورة ملحة، باعتبارها مشكلة تؤرق المجتمع، وتحد من تطوره، كما أنها معاناة عدد كبير من الأفراد والأسر؛ لذا كان لزاماً علينا –من منبر المعرفة المستمد من العلوم الاجتماعية– أن ندرس هذه

الظاهرة ونحللها؛ لنقف على بواعثها، ونُحدّد خطورتها، ونتعرف على أسبابها. من هذا المنطلق، جاءت فكرة هذه الدراسة؛ لإبراز دور بعض المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، في إحداث ظاهرة العود إلى الجريمة في مجتمع الدراسة بمدينة طبرق؛ لتضع بذلك لبنة في صرح العمل الجاد والمثمر، ومن ثم المساعدة في وضع الحلول والمقترحات المناسبة؛ للتصدي لهذه الظاهرة، ومواجهتها بأسلوب علمي. كما شجع على إقامة هذه الدراسة –أيضاً– اللقاء الذي كان مع السيد مدير الأمن بمنطقة طبرق، في أثناء فترة انتدابي للتدريس بكلية الآداب بجامعة طبرق خلال عام 2016م، الذي نوقشت خلاله العديد من القضايا المتعلقة بالسلوك الإجرامي في المنطقة؛ مثل: التهريب، والسرقة، وتعاطي المخدرات والاتجار بها، وغيرها، وتكرار مثل هذه الجرائم من قبل أشخاص معينين، رغم العقوبات المشددة ضدهم.

من هذا المنطلق، قرر الباحث وضع هذه الظاهرة موضع البحث والدراسة؛ للوقوف على أسبابها ونتائجها في منطقة حدودية، ذات طابع صحراوي وبدوي.

اشتملت هذه الدراسة على ثلاثة محاور: خصصت الأول منها لعرض مشكلة الدراسة، والدراسات السابقة ذات العلاقة بموضوع الدراسة، وفروض الدراسة، أما المحور الثاني فقد تضمن الإطار النظري المتعلق بتعريف ظاهرة العود إلى الجريمة، والفرق بين العود وغيره من الأشكال القانونية المشابهة له، وأنواع العود وعوامله، في حين احتوى المحور الثالث على الإجراءات المنهجية للدراسة، وتحليل البيانات، وما توصلت إليه من نتائج وتوصيات.

أولاً– مشكلة الدراسة:

إذا كانت الجريمة في ذاتها تعد ظاهرة خطيرة، تهدد كيان المجتمع واستقراره، فعليه أن يبذل كل ما في وسعه؛ لوضع القواعد والتدابير الكفيلة بالحد منها، فإن تكرار ارتكاب الجريمة من الشخص ذاته يعد أمراً شديد الخطورة، فمن جهة قد يخلق هذا الفعل أفراداً جعلوا من الجريمة مهنة أو حرفة لهم، وارتضوا ذلك، أو يجعل منهم أكثر خبرة وتمرساً في عالم الرذيلة والإجرام، ومن جهة أخرى، يعد عاملاً يزعزع أمن المجتمع واستقراره، ومعول هدم لطاقاته وقدراته.

وتجدر الإشارة إلى أنه على الرغم من انتشار العديد من الدراسات والبحوث التي تناولت الجريمة والانحراف بشكل عام، إلا أن ظاهرة العود إلى الجريمة لم تنل اهتمام الباحثين في علم الجريمة لسنوات طويلة. وعليه فإن الظروف التي تنتج عنها الجريمة أو العوامل المسببة لها والعودة إليها مرة أخرى، إنما هي عوامل وأسباب شائكة ومتداخلة، ومن الضروري معرفة تلك العوامل والظروف التي تؤدي إلى عودة المجرم إلى الجريمة مرة أخرى.

والسؤال المتجدد هنا لماذا لا يعود المجرمون كلهم إلى الجريمة، أو بالأحرى يقتصر العود على بعضهم فقط؟ لابد أن ما يحمل بعض المجرمين لمعاودة الجريمة تكون بالضرورة أسباباً مجتمعةً، تراكمت حتى عظمت وقوي أثرها، وقرر معها أن يعود المجرم إلى الجريمة، وأن يتحمل أوزار عقوبة عودته. وإذا نظرنا إلى أبعاد هذه الظاهرة، سيحثنا ذلك على الاهتمام بدراسة السلوك الإجرامي، ومحاولة تقصي وجوده، وإحاطته بالبحث والإحصاء؛ للحد من انتشاره في المجتمع، ويحذو مجتمعنا الليبي حذو مجتمعات العالم قاطبة في تتبع مؤشرات الجريمة وتوثيقها، ولكن للأسف لا يوجد تصنيف خاص بهذه الظاهرة، أو بأعداد المجرمين العائدين في السجون الليبية، ويقتصر المتوفر منها على عرض إحصائيات الجريمة فقط، التي تصدرها الهيأة العامة للبحث الجنائي في طرابلس، فيما يعرف بالتقرير السنوي عن حالة الجريمة في ليبيا، والتي توقفت نهائياً عقب أحداث ثورة فبراير 2011م، وانطلاقاً من أن سلوك العود إلى الجريمة يتأثر بمؤثرات السلوك الإجرامي في ارتفاعه وانخفاضه – رأى الباحث أن يعرض مقارنة سريعة لكمية الجريمة على مستوى الجنايات، وهي أخطر أنواع الجرائم وفق التصنيف الليبي للجرائم خلال ثلاثة عقود متوالية (1973– 2003م) حيث يظهر لنا ارتفاع ملحوظ في جرائم الجنايات بشتى أنواعها، بلغ خلال العقد الأول (73–82) (16808) جريمة، وفي العقد الثاني (83–92) ارتفع إلى (25803) جريمة، حتى وصل إلى (58969) جريمة جنائية خلال العقد الثالث (1993–2003)؛ أي ما مجموعه (101580) جريمة جنائية خلال العقود الثلاثة المشار إليها (عبدالنبي، 2007،ص306).

لا شك في أن العوامل الاجتماعية والاقتصادية والثقافية الدافعة للسلوك الإجرامي بوجه عام، هي –أيضاً– الدافعة إلى نشوء ظاهرة العود إلى الجريمة عند بعض الأفراد إذا لم تعالج وتدرس. فهل تكون الظروف الاجتماعية بما تتضمنه من أوضاع اقتصادية وأسرية وثقافية ورفاق السوء عوامل كامنة وراء

العود إلى الجريمة؟ وهل تكون بيئة الإصلاح هي التي تغري من قضى بها مدة العقوبة بالعودة إليها، كأن تكون تربة خصبة، ومحمية آمنة؛ لاكتساب السلوكيات المنحرفة، أو فشل النظام العقابي في ردع الجاني أو إصلاحه.

كل هذه التساؤلات تسعى الدراسة الحالية إلى الإجابة عنها؛ للوقوف على العوامل والأسباب التي أدت إلى بروز هذه الظاهرة.

ثانياً – أهمية الدراسة ومبرراتها العلمية:

1– قلة الدراسات السابقة التي تناولت ظاهرة العود إلى الجريمة بشكل متعمق على مستوى المجتمع الليبي بصفة عامة، ومجتمع الدراسة بمنطقة طبرق بشكل خاص.

2– خطورة هذا النمط من الجرائم، فالمجرم الذي يعود إلى الجريمة مرة بعد أخرى، دون أن تؤدي الوسائل العقابية والإصلاحية المختلفة إلى ردعه، يمثل أكثر مصادر الخطر على المجتمع.

3– الفوائد النظرية والتطبيقية لهذا النوع من الدراسات، فمن الناحية النظرية مثل هذه الدراسات يمكن أن تلقي الضوء على علاقة المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية بظاهرة العود إلى الجريمة.

أما من الناحية التطبيقية، فإن النتائج المؤمل الحصول عليها من خلال هذه الدراسة، يمكن أن تمكن المسؤولين والمتخصصين في مجالي الأمن والجريمة من رصد الجريمة عملياً، ووضع الخطط الوقائية والعلاجية لها؛ وذلك لتلافي الآثار السلبية المترتبة على ظاهرة الجريمة بشكل عام، والعود إليها بشكل خاص.

ثالثاً – أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق الأغراض الآتية:

1– معرفة الحالة الاجتماعية للعائدين، وأثرها في العود إلى الجريمة.

2– التعرف على المستويات التعليمية للعائدين، وأثرها في العود إلى الجريمة.

3- التعرف على الأوضاع الاقتصادية للعائدين، وأثرها في العود إلى الجريمة.

4- معرفة أثر رفقاء السوء في عود المجرمين إلى السلوك الإجرامي.

5- معرفة أسباب عودة المجرمين إلى السلوك الإجرامي.

6- الوقوف على الظروف المجتمعية المحيطة بالعائدين، وأثرها في العود إلى الجريمة.

7- معرفة طبيعة الجرائم التي يرتكبها المجرمون العائدون ونوعيتها.

8- معرفة مدى قناعة المجرم بالعودة إلى الجريمة مرة أخرى.

رابعاً- تعريف المفاهيم والمصطلحات:

العوامل الاجتماعية: المقصود إجرائياً بالعوامل الاجتماعية في هذه الدراسة هو اشتمال المفهوم على العناصر الآتية: الظروف والأوضاع الاقتصادية، الأصدقاء، ورفقاء السوء، والظروف الأسرية.

1- **الأصدقاء ورفقاء السوء:** تعد جماعة الأصدقاء إحدى الجماعات الأولية التي تؤثر في الفرد، وتشكل اتجاهات سلوكه وأنماطه، وتمارس جماعة الأصدقاء تأثيراً مباشراً على قيم الفرد ومعاييره.(العبيدي، 1991، ص12).

ومن الناحية الإجرائية يعرف مفهوم الأصدقاء والرفاق بأنهم تلك الزمرة من الأفراد التي تكون عضويتها اختيارياً، وليس لها بناء رسمي، وتقوم على المصالح المتبادلة، والصداقة في بعض الأحيان، أو تكون العلاقة بين أفرادها مباشرة، وتربطهم أهداف ومعايير مشتركة، وقد تكون متعارضة مع الأهداف التنظيمية العامة.

2- الظروف والأوضاع الاقتصادية: يرجع الفضل في إبراز علاقة السلوك الإجرامي بالوضع الاقتصادي إلى أفكار كل من (كارل ماركس) (وإنجلز) التي ظهرت عام (1850م) على الحتمية الاقتصادية في سببية الجريمة، وتدور فكرة (ماركس) الأساسية حول التباين الاجتماعي، والفقر الناجم عن الحرمان من حق الملكية لوسائل الإنتاج، والنظام الذي يستغل الطبقات العاملة يكون سبباً في تحوّل الناس تجاه

الجريمة. أما (بيرت) فيتميّز بقوله: إنه إذا كانت غالبية المجرمين من الفقراء، فإن غالبية الفقراء ليسوا من المجرمين (رمضان، 1990، ص140).

ويقوم التعريف الإجرائي لمفهوم الظروف الاقتصادية للدراسة على خلاصة الأبحاث الدائرة حول الحالة الاقتصادية من حيث تأثيرها على ظاهرة الجريمة التي تتمثل في الآتي:

أ. إن الأحوال الاقتصادية للأفراد والجماعات في مختلف الأمكنة مع وحدة الزمان لها تأثيرها على ظاهرة الإجرام.

ب. الشعور بالحاجة ليس في ذاته سبباً للإجرام بقدر ما يرجع إلى الاستعداد الإجرامي.

ج. الإجرام ليس رهناً بضغط ظروف اقتصادية سيئة في وقت ما بقدر استمراره على مر الوقت.

3- الجريمة: وفق التعريف القانوني، عرفها العلامة الفرنسي (جارو فالو) بأنها: فعل يفرض لها القانون عقاباً، واصطلاح الجريمة يرمز إلى " كل فعل يقرر له النظام القانوني عقوبة جنائية"(أبوتوتة، 1994، ص24).

وتعرف إجرائياً في هذه الدراسة بأنها: كل فعل يجرمه المشرع بنص من نصوص قانون العقوبات، ويقرر له جزاءً جنائياً. وهكذا فإن القانون هو مصدر التجريم والعقاب، فلا جريمة ولا عقوبة إلاّ بقانون (الهريش، 1999، ص89).

4- مفهوم العود: وفق التعريف القانوني، العود هو حالة الشخص الذي يرتكب جريمة أو أكثر بعد الحكم عليه نهائياً من أجل جريمة سابقة (السماك، 1985،ص32).

فهو يعني صدور حكم سابق على ارتكاب الجريمة الأخيرة، والعائد هو الشخص الذي حكم عليه نهائياً في جريمة، ثم عاد فارتكب جريمة ثانية وفقاً للشرط المحدد في القانون (الألفي، 1965.ص56).

ويعرف العود إجرائياً في هذه الدراسة بأن العائد هو السجين الذي سبق إيداعه في السجن؛ بسبب الحكم عليه في جريمة ارتكبها، ولا يعتبر الجاني المحكوم عليه في جريمة عائداً ما لم يكن قد نفذت فيه فعلاً العقوبة الصادرة ضده.

ISSN: 2523 – 1871

خامساً – الدراسات السابقة:

قبل الخوض في هذا الجانب من الدراسة، تجدر الإشارة إلى أن دراسة عودة المجرمين للجريمة لا تزال تشكل موضوعاً هامشياً في مجال دراسة الجريمة، ويشار إليها بعبارات سريعة وهشة بدلاً من أن يتخذ منه موضوعاً للبحث والدراسة، ومن ثم فمازال هذا الموضوع من الموضوعات التي في حاجة إلى مزيد من الدراسات؛ نظراً لتزايد حجم هذه المشكلة. هذا ويمكننا القول –أيضاً–: إنّ معظم الدراسات التي أجريت في مجال العودة إلى الجريمة ترتبط بمنظومة المجرمين المحترفين فقط، ولم تتطرق الدراسات إلى مجال العودة بالنسبة للمجرمين العاديين، ومن ثم تتضح لنا ندرة الدراسات العربية في مجال العود لدى المجرمين العاديين بشكل عام، وفي ليبيا بشكل خاص، إضافة إلى قدم العهد لهذه الدراسات، فمن النادر أن تجد دراسة حديثة في هذا المجال في المكتبات العربية أو شبكة المعلومات (الإنترنت).

من بين الدراسات المحلية في هذا المجال، دراسة (مصطفى كارة) عام (1408هـ) عن ظاهرة العود في السجون الليبية، وقد أجريت هذه الدراسة على عينة قوامها (903) سجيناً، وانتهى في دراسته إلى النتائج الآتية:

1- عدم صحة الفرضية القائلة بأنه كلما لجأ الفرد إلى الجريمة والانحراف عند سن مبكرة، زادت احتمالات ارتكابها من ناحية، ومزاولة ما هو أخطر منها من ناحية أخرى خلال مراحل العمر اللاحقة.
2- يزداد مستوى العود بين الذكور أكثر منه بين الإناث.
3- ترتفع نسبة العود عكسياً مع التعليم بصورة عامة (كارة، 1408هـ).

كما تناول هذه الظاهرة –أيضاً– (صالح معمر الدبيب) في دراسة له بعنوان: العوامل الاجتماعية الكامنة وراء العود إلى الجريمة؛ دراسة ميدانية لمجموعة من المجرمين بمدينة بنغازي عام (2001م) بهدف التعرف على طبيعة الأحياء السكنية للمجرمين، وأوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية ورفاق السوء، وأثر ذلك في عودتهم إلى الجريمة. وقد توصل الباحث إلى مجموعة من النتائج

عن أهم عوامل العود إلى الجريمة، تمحورت جميعها حول التصدع الأسري، والحي الفاسد، والمستوى الاقتصادي والتعليمي المتدني، ورفاق السوء أو القدوة السيئة (الدبيب، 2001).

أما عن الدراسات العربية التي تناولت ظاهرت العود إلى الجريمة فهي –أيضاً– محدودة، مقارنة بغيرها من الدراسات التي تناولت السلوك الإجرامي بوجه عام.

من هذه الدراسات، الدراسة التي قامت بها (ناهد صالح) بعنوان: ظاهرة العود إلى الإجرام عند المرأة في مصر (1975م) بهدف الكشف عن صور العود إلى الجريمة عند المرأة، وبيان مدى انتشارها وحدتها، إلى جانب الكشف عن بعض العوامل الاجتماعية المؤدية بشكل مباشر أو غير مباشر إلى عودة المرأة إلى الإجرام، وسبب عودة بعضهن إلى الإجرام من دون الأخريات. وقد توصلت الباحثة إلى مجموعة من النتائج، لعل أبرزها:

1- يتخذ العود إلى الجريمة عند المرأة –غالباً– نمط التكسب من الجريمة، فقد بلغت نسبة العائدات اللاتي ارتكبن أول جريمة بغرض الكسب المادي منها (82.6%).
2- المرأة العائدة للإجرام عاشت في ظروف اجتماعية سيئة إبان نشأتها وقبل ارتكابها أول جريمة أدينت فيها.
3- المرأة العائدة إلى الجريمة تخالط جماعات إجرامية وأفراداً مجرمين بنسبة بلغت (65.5%).
4- إيداع المرأة العائدة إلى الإجرام بالسجن أسهم في بعض حالات العود إلى الجريمة، حيث إن نسبة النساء العائدات، واللاتي كن قبل إيداعهن السجن أول مرة قد اتخذن الجريمة أسلوباً؛ لكسب معاشهن قد بلغت (75%)، أما فيما يخص النساء اللاتي يعملن قبل ارتكاب أول جريمة فقد كانت نسبتهن (31.9%) وهي نسبة ضعيفة (صالح، 1975. ص ص 215-236).

كما قدم (أحمد المجذوب) دراسة تحليلية إحصائية بعنوان: المجرمون العائدون (1972) تناول فيها جميع الأفراد (المحكوم عليهم بأحكام سالبة للحرية في السجون المصرية كافة خلال مدة ثلاثة أشهر، ابتداءً من أول مارس (1972م) حتى نهاية مايو (1972م)، وقد هدفت الدراسة إلى تحديد نسبة العود بين السجون المصرية، والتعرف على سمات العائدين وخصائصهم وموازنتها مع غير العائدين،

والتعرف على الأنماط الإجرامية الشائعة بين العائدين. وقد توصل الباحث إلى مجموعة من النتائج، من أهمها:

1. نسبة العائدين إلى الجريمة لأول مرة بلغت (27.5%) وهي نسبة منخفضة مقارنة بالإحصاءات العالمية.
2. توزيع العائدين حسب السن، فكانت الأعلى فئة (23–24 سنة) بنسبة (23.8%).
3. علاقة السن بالنوع، العود بنسبة أكبر لدى الذكور في سن ما بين (23–27) سنة، حيث بلغت نسبتهم (20.2%).
4. توزيع العائدين بحسب الحالة الاجتماعية، بلغت نسبة غير المتزوجين العائدين (49.4%).
5. توزيع العائدين بحسب الحالة التعليمية، تبيّن أن (83%) من العائدين هم من الأميين (المجذوب، 1972، ص ص 281–310).

ومن الدراسات التي تناولت هذه الظاهرة –أيضاً– دراسة (هادي صالح محمّد) بعنوان: عوامل العود إلى الجريمة (1985م) في دائرة إصلاح الكبار في سجن أبي غريب بالعراق، بهدف البحث عن العوامل المؤدية لظاهرة العود إلى الجريمة، وقد شملت الدراسة جميع النزلاء العائدين بالسجن البالغ عددهم (100) سجين، وقد توصلت الدراسة إلى عدة نتائج، لعل أبرزها:

1. تبيّن أن (92%) من العائدين كانوا يقيمون في مناطق حضرية.
2. تبيّن أن (73%) من العائدين يقعون في الفئات العمرية (18–41).
3. تبيّن أن (90%) من العائدين كانوا حاصلين على الشهادة الابتدائية فما دون.
4. تبيّن أن أعلى نسبة للعود تظهر بين صفوف غير المتزوجين (49%).
5. تبيّن أن أعلى نسبة للعود تظهر بين أصحاب المهن العمالية (74%).
6. تبيّن أن (64%) من العائدين كان لهم أقارب مجرمون، وأن (66%) منهم كان لهم أصدقاء مجرمون (محمد، 1985).

كما قدم (فاروق السيد عبد السلام) دراسة بعنوان: العود للجريمة من منظور نفسي اجتماعي عام (1409هـ)، وقد أجريت هذه الدراسة في ثلاث دول عربية (الصومال– الأردن – السعودية) وكان حجم العينة (297) سجيناً، وإن كانت الدراسة تركز على الجانب النفسي أكثر من الجانب الاجتماعي، إلا أنّ أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة هي:

1. انخفاض المستوى التعليمي للمجرمين العائدين، حيث إن (67%) منهم لم يتجاوز المرحلة الابتدائية و (40%) تركوا المدارس دون إكمال الدراسة.
2. إن نسبة (15.5%) من العائدين لديهم أقارب سبق لهم ارتكاب جرائم.
3. أظهرت الدراسة أن المجرمين العائدين ينتمون إلى الطبقة الاجتماعية الدنيا، التي تعاني من عدم الرخاء أو الوفرة الاقتصادية، وشيوع الأمية، وسوء العلاقات الأسرية وغيرها.
4. اتضح ارتباط العود إلى الجريمة بطول مدة العقوبة. أي كلما زادت مدة العقوبة زادت احتمالية العود إلى الجريمة (عبدالسلام، 1409هـ).

وفي السياق نفسه، قدم (سعيد الشهراني) دراسة بعنوان: عوامل العود إلى الجريمة في سجون الرياض عام (1412هـ) شملت (115) نزيلاً عائداً، وقد هدفت الدراسة إلى معرفة حجم ظاهرة العود إلى الجريمة، فضلاً عن تحديد دور الأحكام الشرعية في الحد من جرائم العود، ومن أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة:

1. جرائم العود تكثر في البيئات الحضرية أكثر منها في البيئات القروية أو البدوية.
2. توجد علاقة قوية بين العود وتدني المستوى التعليمي للعائد.
3. يوافق غالبية أفراد العينة على أن السجناء أول مرة يتعلمون من أصحاب السوابق أساليب وأفكاراً جديدة عن الجريمة؛ بسبب الاختلاط داخل السجن (الشهراني، 1412هـ).

سادساً – متغيرات الدراســـــة:

تنطلق الدراسة الحالية من افتراض أساسي مؤداه: أن هناك علاقة سواء أكانت مباشرة أم غير مباشرة، علاقة تأثر وتأثير بين مجموعة من العوامل الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وظاهرة العود إلى

الجريمة. هذا ولا يمكننا القول إنّ شكل هذه العلاقة يأخذ طابع سبب ونتيجة، وإنما هي علاقة متداخلة تفترض الدراسة أن لها علاقة بدفع العائد إلى العود إلى الجريمة؛ لما تلعبه من دور مؤثر في حياة العائد. وتنقسم هذه المتغيرات إلى:

المتغيرات المستقلة: ومن أهمها:

1- المستوى التعليمي.
2- الحالة الاجتماعية.
3- العمر.
4- المهنة.
5- الدخل والظروف الاقتصادية.
6- الرفقاء والأصدقاء.
7- تكرار العود.

أما المتغير التابع: فيشمل العود إلى الجريمة.

سابعاً – فروض الدراسة:

بناء على ما تقدم، صيغت الفروض الآتية:

1. توجد علاقة بين العود إلى الجريمة والمستوى التعليمي للعائدين.
2. توجد علاقة بين العود إلى الجريمة والحالة الاجتماعية للعائدين.
3. توجد علاقة بين العود إلى الجريمة ووجود مظاهر إجرامية بأحياء العائدين.
4. توجد علاقة بين العود إلى الجريمة والحالة الاقتصادية للعائدين.
5. توجد علاقة بين العود إلى الجريمة ومعدل العمر لدى العائدين.
6. توجد علاقة بين العود إلى الجريمة ووجود أصدقاء للعائدين لهم سوابق إجرامية.

الإطار النظري: العود إلى الجريمة

أولاً- مفهوم العود:

توجد تعريفات عديدة لمفهوم العود إلى الجريمة، سواء في علم القانون أو الجريمة أو علم العقاب، حيث يرى علماء القانون والجريمة أن العود هو ارتكاب المجرم لجريمة جديدة، سواء أكانت الجريمة السابقة ذاتها أم جريمة أخرى، فالعود وفق مفهوم علم الإجرام هو خروج متكرر على المعايير والقيم السائدة في المجتمع. وينظر علم الإجرام إلى العود بأنه صورة صادقة، تمثل صاحبها وما تنطوي عليه نفسيته من إجرام، سواء أكان ذلك وفق نظام محدد من القوانين التي تحدد الأفعال وتجرمها، أم وفق النظام العقابي الذي يطبق بذلك، وتحدده التشريعات الوضعية. كما يشير العديد من القانونيين إلى أن العود إلى الجريمة يختلف من الناحية القانونية عن تعدد الجرائم، ويضيفون إلى أن العود وتعدد الجرائم يتشابهان في طبيعتهما من ناحية أنهما يمثلان معاً حالة المجرم المعتاد على الجريمة (صالح، 1969، ص ص 207-225). كما يمكن تعريف العود بأنها حالة يعود بسببها الفرد إلى الإجرام مرتين. بمعنى أن الفرد يرتكب جريمة ما، ثم يعاقب عليها، ثم يعود مرة أخرى عمداً؛ ليرتكب جريمة أخرى.

الفرق بين العود وغيره من الأشكال القانونية المشابهة له:

1- **العود المتكرر**: ويقصد به حالة الشخص الذي تعددت أحكام الإدانة الصادرة ضده؛ من أجل نوع معين من الجرائم، ثم ارتكب جريمة ثانية تنتمي إلى النوع ذاته.

وقد حصر المشرّع نطاق العود المتكرر في مجموعتين من الجرائم: الأولى هي جرائم الاعتداء على الأموال، والثانية هي بعض جرائم الاعتداء على المال التي يدفع الانتقام إلى ارتكابها (حسني، 1977 . ص ص 895-897).

2- **الاعتياد على الإجرام**: وهو حالة من توافرت إزاءه شروط العود المتكرر، وثبت بالإضافة إلى ذلك خطورته الإجرامية، أي احتمال إقدامه على ارتكاب جريمة تالية، وهنا يجوز للقاضي بدلاً من توقيع

عقوبة العود المتكرر الأمر بإيداع المجرم الذي اعتاد الإجرام إحدى مؤسسات العمل. وإذا تبيّن للقاضي أن المتهم قد تفرغ للإجرام فعليه أن يقرر اعتباره محترفاً اعتاد الإجرام، إذا توفرت فيه الشروط الآتية:

أ. أن يسبق الحكم عليه في جنايتين أو جنحتين متعمداً، أو في جناية وجنحة متعمداً، ولا يشترط أن تكون هذه الأحكام قد نفذت، ولكن يتعين أن تكون قد أصبحت نهائية وقت ارتكاب الجريمة.

ب. أن يرتكب الجاني جريمة جديدة، بشرط أن تكون جناية أو جنحة متعمداً، ولم يتطلب المشرع أن تكون هذه الجريمة مماثلة للجرائم السابقة، واكتفى بأن تكون جميع الجرائم متعمدة.

ج. أن يتبيّن للقاضي من طبيعة الجريمة المرتكبة وخطورتها، والزمان الذي ارتكبت فيه، وسلوك الجاني، ودوافع ارتكاب الجريمة، وخلق المجرم وظروفه الشخصية والعائلية والاجتماعية – أنه قد اعتاد على الإجرام (أبوعامر، 1986، ص ص 593–594).

3– **احتراف الإجرام:** تنص المادة (147) من قانون العقوبات الليبي على أنه من توافرت فيه الشروط المقررة لاعتباره مجرماً معتاداً (الشروط المشار إليها في الفقرة الثانية أعلاه) وحكم عليه لجريمة أخرى يُعد مجرماً محترفاً عندما يبدو للقاضي من طبيعة الجرائم ونوعيتها، وسيرته والظروف الأخرى المنصوص عليها في الفقرة الثانية من المادة (28) أنه يعتمد عادة في معيشته ولو جزئياً على ما يجنيه من الإجرام، ويشترط لاعتبار المجرم محترفَ الإجرام أن تتوافر فيه الشروط المقررة؛ لاعتباره مجرماً معتاداً، ثم يرتكب بعد ذلك جناية أو جنحة، وأن يتبين للمحكمة من طبيعة الجرائم المرتكبة، وسلوك الجاني، ونوع حياته وظروفه الأسرية، ودوافع ارتكاب الجريمة أنه يتعيش عادة أو جزئياً من متحصلات جرائمه، ولا يكفي لإثبات احتراف الإجرام أن يكون الهدف من الجرائم المرتكبة هو الحصول على كسب أو مغنم، بل يجب أن تدل هذه الجرائم على أن الجاني قد اتخذ من ارتكابها وسيلة للتعيش، حتى ولو كانت لديه وسيلة أخرى.

4– **الانحراف في الإجرام:** لم يشترط قانون العقوبات في المادة (148) في الميل أو الانحراف الإجرامي توافر شروط العود أو الاعتياد أو احتراف الإجرام، باعتباره يعد مظهراً للعود الكامن أو المستتر؛ لأن المجرم المنحرف لو ترك وشأنه لتكرَّر منه ارتكاب الجرائم، كما أنه يعد أحد تطبيقات فكرة الخطورة

الإجرامية، ويقصر القانون الليبي في مجال الانحراف في الإجرام على الجرائم التي ترتكب ضد الأشخاص نظراً لخطورة هذه الجرائم، ويشترط لاعتبار الجاني مجرماً منحرفاً أن يكون قد ارتكب جناية ضد حياة فرد أو سلامته، يعاقب عليها بالسجن مدة لا تقل عن خمس سنوات، وأن يكون قد ارتكبها لدافع تافه، أو لسبب دنيء، أو ارتكبها بغلظة ووحشية (الألفي، 1969.ص ص544-548).

ثانياً- أنواع العود إلى الجريمة:

1- **العود البسيط:** تتوافر شروطه إذا صدر ضد المتهم حكم باتٌّ بعقوبة واحدة قبل أن يرتكب جريمته الأخيرة، والعود البسيط يعتبر نواة للعود المتكرر، والاعتياد على الإجرام، وأهم أسباب العود البسيط بجانب الأسباب العامة للإجرام، هي سوء نظام السجون، وما تنتجه من اختلاف سيء بين نزلائها، ثم العقبات التي يصادفها المفرج عنه حينما يحاول استرداد مكان شريف في المجتمع، مما يجعله يرتد إلى الجريمة (حسني، 1977، ص ص 832- 856).

2- **العود المتكرر**: وهو درجة من العود أشد جسامة من العود البسيط؛ لأنه لا يتوافر إلا بالنسبة لشخص يُعد عائداً عوداً بسيطاً، وأنه فضلاً عن ذلك له ميل إجرامي نحو جرائم من نوع معين. وقد قسم المُشرِّع هذه الجرائم إلى طائفتين: الطائفة الأولى؛ وتشمل: السرقة، النصب، خيانة الأمانة، التزوير، إخفاء الأشياء المسروقة أو الشروع المعاقب عليه فيها. وتشمل الطائفة الثانية: جرائم إتلاف المزروعات وقتل الحيوانات (مصطفى، 1983. ص ص 588-591).

ثالثاً: صور العود إلى الجريمة:

لا يتطلب العود مجرد توافر حكم سابق، بل يتطلب من الجاني السقوط من جديد في هاوية الجريمة بصورة من الصور التي أرادها التشريع شرطاً لتشديد العقاب، وهي قد تستمد من نوع الجريمة الجديدة، أو من تاريخ وقوعها، أو من عدد الأحكام السابقة.

فينقسم العود البسيط من حيث المدة التي يجب أن تنقضي بين الجريمة السابقة والجريمة الجديدة إلى: عود عام، وعود خاص، ويتوافر العود العام إذا لم يشترط القانون بين الجريمة الجديدة والسابقة نوعاً من التماثل أو التشابه، أما الخاص فإنه اشترط التماثل.

1. **العود العام المؤبد:** العود المؤبد هو الذي لا يشترط فيه القانون أن تقع الجريمة في مدة زمنية معينة، ويتجسد في حالة من حكم عليه بعقوبة جنائية، وثبت ارتكابه بعد ذلك جناية أو جنحة، وكل ما يشترط هنا أن يكون المحكوم عليه قد صدر ضده حكم بعقوبة جنائية.
2. **العود العام المؤقت:** من حكم عليه بالحبس لمدة سنة أو أكثر، وثبت أنه ارتكب جنحة قبل مضي خمس سنوات من تاريخ انقضاء العقوبة، أو سقوطها بانقضاء المدة.
3. **العود الخاص المؤقت:** من حكم عليه لجناية أو جنحة بالحبس مدة تقلّ عن سنة واحدة، وثبت أنه ارتكب جنحة مماثلة للجريمة الأولى قبل مضي خمس سنوات من تاريخ الحكم المذكور.
4. **الاعتياد على الإجرام:** ويتوافر في حالتين:

أ. إذا سبق الحكم على العائد بعقوبتين مقيدتين للحرية، كلتاهما لمدة سنة على الأقل.

ب. أن تكون الجريمة الجديدة التي ارتكبها المتهم –وعُدَّ فيها عائداً– جنحةً، أو سرقةً، أو إخفاءَ أشياء مسروقةٍ، أو نصباً، أو خيانةَ أمانةٍ، أو تزويراً، أو مشروعاً معاقباً عليه في أحد هذه الجرائم التي يجب أن تكون جنحة (سرور، 1981.ص ص 791–798).

رابعاً– العوامل المؤدية لظاهرة العود إلى الجريمة:

1– العوامل الفردية: تنقسم العوامل الفردية إلى عوامل بيولوجية وأخرى نفسية، ومن العوامل البيولوجية المؤدية للعود إلى الجريمة الاضطرابات العضوية في المخ (الصرع)، والعاهات الجسدية، حيث تعد هي الأخرى من بين العوامل المؤدية إلى العود. فالعائدون من ذوي العاهات قد ينتابهم اعتقاد بعدم الأهمية، وشعور بالنقص؛ مما قد يُمارَس عليهم ضغطٌ نفسيٌّ يدفعهم في بعض الأحيان إلى ارتكاب أفعال إجرامية.

أما العوامل النفسية المؤدية للعود فترجع إلى اضطراب نفسية العائد، وعدم الاستقرار العاطفي، والصراع النفسي، والأنانية، فضلاً عن الخواص النفسية المضطربة التي تثير انحراف الفرد عن السلوك السوي، والانخراط في السلوك المضاد للمجتمع، وعدم النضج الأخلاقي، وضعف القدرة على الاستفادة من التجارب السابقة، وعدم القدرة على ضبط النفس. ومع هذا تبقى ظاهرة العود أشد تعقيداً من أن تفسر بمجرد اكتساب عادات معينة (عيسوي، 1997. ص ص 83-93).

2- **العوامل الاجتماعية:** لاشك في أن الظروف الاجتماعية التي تسهم في خلق السلوك الإجرامي بشكل عام، تسهم –أيضاً– في نشوء ظاهرة العود إلى الجريمة. ومن العوامل الاجتماعية المفسرة لظاهرة العود إلى الجريمة: نشأة الفرد في بيئة تشيع فيها المظاهر الإجرامية، وهي ما اصطلح على تسميتها بالأحياء الفاسدة، التي ترتفع فيها نسبة الجريمة، أو ربما نشؤوا في أسر منحرفة منحلة تشربوا منها أصول الجريمة، وهذا يدفعنا للإشارة إلى ربط ظاهرة العود –ولو نسبياً– بظاهرة جنوح الأحداث وتشردهم، فالانخراط المبكر في سبيل الإجرام، ثم تكرار سقوطه في عامل الإجرام قبل البلوغ يجعل من اليسير –عند توفر ظروف معينة– على الفرد حتى بعد بلوغه أن يعاود باستمرار سلوكه الإجرامي، خاصة إذا لم يلق رعايةً واهتماماً ومتابعةً بعد ارتكاب جريمته الأولى.

كما تمارس جماعة الأصدقاء دوراً بارزاً في مجال العود إلى الجريمة، فضلاً عما تؤديه عقوبة السجن من إبعاد للسجين عن مجتمعه مادياً ومعنوياً (درويش، 1988 . ص16).

4- **الوسائل الآلية في الإصلاح:** قد تحولت السجون من أماكن مخصصة للعقاب والألم إلى مؤسسات لغرض علاج المجرم وإصلاحه، وأضحى للعقوبة وظيفة اجتماعية بجانب عقوبة الردع والتأديب، وهي إعادة تأهيل الجاني؛ ليكون مواطناً صالحاً لنفسه ومجتمعه؛ لمساعدته على اكتساب مهارات تعليمية ومهنية تؤهله ليستطيع معه تحقيق الاندماج والتكيف في مجتمعه بعد خروجه من السجن، ولا يتأتى هذا إلا بأن تكون السجون أماكن مهيأة للإصلاح، يعتنى فيها بالسجين من جميع النواحي، وفق استراتيجية تتضمن تصنيف النزلاء وفق معايير معينة، تمنع اختلاط النزلاء، بحيث لا تتحول السجون إلى أماكنَ يتعلم فيها النزلاء فنون الجريمة وأساليب

الانحراف، وملجأ للمجرمين، وسبيلٍ لتدعيم الاتجاهات المنحرفة بدلاً من القضاء عليها (جعفر، 1998. ص49).

الإجراءات المنهجية للدراسة

أولاً– نوع الدراسة والمنهج العلمي المستخدم:

يتوقف تحديد نوع الدراسة على طبيعة موضوعها من ناحية، وعلى أهدافها من ناحية ثانية، وعلى وفرة المعلومات بموضوعها من ناحية ثالثة، ووفقاً للاعتبارات السابقة، اعتمد الباحث أسلوب الدراسة الوصفية التحليلية الميدانية، أما من حيث المنهج المستخدم في الدراسة، فقد حتمت طبيعة هذه الدراسة ومتطلباتها العلمية الاستعانة بأكثر من منهج علمي في آن واحد، فقد استعانت الدراسة بمنهج المسح الاجتماعي الشامل، الذي يتناسب مع طبيعة الظاهرة المدروسة، كما استعانت بالمنهج التاريخي؛ للوقوف على الظروف والأحداث التاريخية التي أثرت في تطور الظاهرة، ويُعد المنهج الإحصائي ثالث هذه المناهج التي استعان بها الباحث في تحقيق الأغراض العلمية والمنهجية لهذه الدراسة، حيث يساعد هذا المنهج في تحديد الصورة الكمية والوصفية للحركة الإجرامية، بما فيها ظاهرة العود إلى الجريمة في أوقات منتظمة.

ثانياً– مجالات الدراسة:

أ. **المجال المكاني:** ويشمل مؤسسة الإصلاح والتأهيل بمدينة طبرق.

ب. **المجال الزمني:** وقد شمل الفترة من 2016/11/23م إلى 2016/12/4م، وهي الفترة التي استغرقتها مهمة جمع البيانات الميدانية.

ج. **المجال البشري:** وقد شمل كل النزلاء الليبيين العائدين إلى السلوك الإجرامي بمؤسسة الإصلاح والتأهيل بطبرق، البالغ عددهم (35) نزيلاً عائداً في وقت إجراء الدراسة، ولم يتضمن هذا المجال بقية النزلاء غير العائدين والموقوفين على ذمة التحقيق في قضايا مختلفة، البالغ عددهم (72) نزيلاً، حيث شكلت نسبة العائدين حوالي (33%) من المجموع الكلي للنزلاء.

ثالثاً– أداة جمع البيانات:

قد استعان الباحث بأداة المقابلة الشخصية كأداة رئيسية لجمع البيانات؛ نظراً لتناسبها مع طبيعة مجتمع الدراسة، الذي يتضمن بعض الأفراد الأميين ومحدودي التعليم.

رابعاً– العينة وأسلوب اختيارها:

1. **مجتمع الدراسة:** يتكون مجتمع الدراسة من جميع النزلاء بمؤسسة الإصلاح والتأهيل بمدينة طبرق، البالغ عددهم (107) نزيل، منهم عدد (35) نزيلاً من العائدين إلى السلوك الإجرامي، وهم المستهدفون بالدراسة، يشكلون عينة بلغت حوالي (33%) من المجموع الكلي وقت إجراء الدراسة.
2. **وحدة تحليل البيانات:** وحدة التحليل في هذه الدراسة هو الفرد ذكراً كان أم أنثى، المحكوم عليه في قضية أو أكثر من قضايا العود إلى الجريمة.
3. **إطار العينة:** وقد تضمن قائمة بأسماء جميع النزلاء الذكور والإناث المحكوم عليهم في قضايا مختلفة، ثمّ أُعدّت قائمة فرعية أخرى بأسماء النزلاء المستهدفين بالدراسة العائدين إلى الجريمة، وعددهم (35) نزيلاً ونزيلةً، منهم (32) نزيلاً من الذكور، و(3) نزيلات من الإناث.

– تحليل البيانات:

فيما يلي تحليلاً للبيانات التي أسفرت عنها الدراسة الميدانية:

جدول رقم (1) التوزيع التكراري والنسبي وفقاً لمتغير النوع

النوع	التكرار	النسبة
ذكر	32	%91.4
أنثى	3	%8.6
المجموع	35	%100

بالنظر إلى معطيات الجدول رقم (1) يتبين لنا أن فئة الذكور شكلت أعلى نسبة بلغت (91.4%) من المجموع الكلي للمجرمين العائدين إلى الجريمة، في حين لم تتجاوز نسبة الإناث (8.6%) من المجموع الكلي؛ وذلك لصغر حجم فئة الإناث في مجتمع الدراسة المترتب في الأصل على العادات والتقاليد والأعراف السائدة في المجتمعات التقليدية، والمحافظة التي تتستر على جرائم المرأة، ولا يكشف إلا القليل عنها في الإحصاءات الجنائية الرسمية.

جدول رقم (2) يوضح متغير العمر

الفئات العمرية	التكرار	النسبة
25-19	8	%22.9
32-26	13	%37.1
39-33	10	%28.6
40 سنة فما فوق	4	%11.4
المجموع	35	%100

تعكس معطيات الجدول رقم (2) بوضوح أن أغلب المبحوثين من متوسطي الأعمار، الذين تتراوح أعمارهم ما بين (26 إلى 39) سنة، وقد شكلت هذه الفئة ما نسبته (65.7%) من المجموع الكلي للمبحوثين، في حين شكلت نسبة صغار السن (22.9%)، أما كبار السن فلم تتجاوز نسبتهم (11.4%) من المجموع الكلي للعائدين إلى الجريمة.

جدول رقم (3) يوضح الحالة الزواجية

الحالة الزواجية	التكرار	النسبة
متزوج	18	%51.4
أعزب	–	00
مطلق	15	%42.9
أرمل	2	%5.7
المجموع	35	%100

في هذا الجدول شكل المتزوجون أعلى نسبة، حيث بلغت نسبتهم (51.4%) أي ما يجاوز نصف عدد المبحوثين، وهي نتيجة منطقية باعتبار أن أغلب المبحوثين من متوسطي الأعمار، ومن اللافت للنظر في هذا الجدول ارتفاع معدل المطلقين، فقد سجل هذا المعدل ما نسبته (42.9%) من المجموع الكلي للمبحوثين؛ ومرجع ذلك أن هذه الفئة القابعة في السجن حالياً وتكرّر عودهم إلى السلوك الإجرامي ربما شكل مشاكل أسرية وعائلية ساهمت بشكل أو بآخر في ارتفاع معدل الطلاق لدى هذه الفئة، أما فئة الأرامل فلم تتجاوز (5.7%) من المجموع الكلي، في حين لم يكن للعزاب أي ظهور في هذه النسب.

جدول رقم (4) يوضح المستوى التعليمي للمبحوثين

المستوى التعليمي	التكرار	النسبة
أمّي	5	%14.3
ابتدائي	8	%22.9
إعدادي	7	%20.0
ثانوي	11	%31.4
جامعي	4	%11.4
المجموع	35	%100

من خلال تحليل معطيات الجدول رقم (4) تبين لنا بوضوح تدني المستوى التعليمي لمعظم المبحوثين بشكل عام، فقد شكل المبحوثون ذوو التعليم الثانوي المتوسط بعد مرحلة التعليم الأساسي أعلى نسبة بلغت (31.4%) من المجموع الكلي للمبحوثين، كما شكل أصحاب التعليم الابتدائي والإعدادي ما نسبته (22.9%) و(20%) على التوالي، أما الأميون فقد تجاوزت نسبتهم (14.3%)، في حين لم تتجاوز نسبة حملة المؤهلات الجامعية (11.4%) من المجموع الكلي للمبحوثين. وتتفق هذه المعطيات إلى حد بعيد مع ما جاء من نتائج في دراسة (مصطفى كارة) الموسومة بـ: السجون كمؤسسة اجتماعية؛ دراسة عن ظاهرة العود التي بينت ارتفاع نسبة العود عكسياً مع التعليم بصورة عامة.

جدول رقم (5) الدخل الشهري لأسرة المبحوث

فئات الدخل	التكرار	النسبة
أقل من 450 دينار	11	%31.4
549-450	5	%14.3
649-550	14	%40
749-650	1	%2.9
750 دينار فما فوق	4	%11.4
المجموع	35	%100

يتضح من الجدول (5) أن معظم المبحوثين هم من ذوي الدخول المنخفضة، التي تتراوح دخولهم الشهرية ما بين (450) و (550) دينار، حيث بلغت نسبتهم (45.7%)، وتضم هذه الفئة عادة أرباب الأسر الذين يتلقون مساعدات ضمانية لفئات كبار السن والعجزة والأرامل والمتقاعدين وصغار الموظفين. أما أصحاب الدخول المتوسطة فقد بلغت نسبتهم (40%) من المجموع الكلي، في حين لم تتجاوز نسبة الدخول المرتفعة (14.3%) من المجموع الكلي.

جدول رقم (6) يوضح نوعية الجرائم التي ارتكبها المجرم وكررها

نوعية الجرائم	التكرار	النسبة
تعاطي المخدرات	8	%22.9
السرقة	6	%17.1
هتك العرض	2	%5.7
التهريب	9	%25.7
النصب والاحتيال	3	%8.6
إيذاء الآخرين	4	%11.4
التسول	3	%8.6
المجموع	35	%100

ISSN: 2523 – 1871

تعكس معطيات الجدول رقم (6) بوضوح أبرز جرائم العود إلى الجريمة لدى المبحوثين، يأتي على رأس هذه الجرائم جرائم التهريب، التي شكلت أعلى نسبة بلغت (25.7%) من المجموع الكلى، تليها جرائم تعاطي المخدرات والاتجار بها، وقد سجلت (22.9%) من المجموع الكلي، مثل هذه الجرائم تنتشر بشكل واسع في مناطق الحدود والمنافذ الدولية؛ نتيجة لضعف السيطرة عليها من قبل الأجهزة الأمنية وأجهزة مكافحة المخدرات والتهريب، كما ارتفع معدل جرائم السرقة ليصل إلى (17.1%) من المجموع الكلي، في حين شكلت جرائم إيذاء الآخرين والنصب والاحتيال والتسول وهتك العرض ما نسبته (11.4%) و (8.6%) و(5.7%) على التوالي.

جدول رقم (7) يوضح عوامل ارتكاب جرائم العود وأسبابها

العوامل والأسباب	التكرار	النسبة
انخفاض الدخل	14	%40
المشاكل الأسرية والطلاق	8	%22.8
أصدقاء السوء	6	%17.1
طبيعة الحي والجيرة	3	%8.6
غياب القدوة	1	%2.9
وفرة المال وضعف الرقابة	3	%8.6
المجموع	35	%100

تبرز معطيات الجدول (7) بوضوح أثر العامل الاقتصادي في اتجاه العديد من المجرمين نحو العود إلى السلوك الإجرامي، فقد شكل انخفاض الدخل وتدني مستوى المعيشة ما نسبته (40%) في عودة هؤلاء إلى الجريمة، كما شكلت المشاكل الأسرية والطلاق ما نسبته (22.8%) في أسباب العود إلى الجريمة، كما ساهمت متغيرات طبيعة الحي والجيرة وأصدقاء السوء ووفرة المال لدى البعض في عودتهم إلى السلوك الإجرامي، حيث شكلت هذه المتغيرات ما نسبته (8.6%) و(17.1%) و(8.6%) على التوالي.

جدول رقم (8) يوضح عدد مرات العود إلى الجريمة

عدد مرات العود	التكرار	النسبة
مرة واحدة	21	%60
مرتان	10	%28.6
ثلاث مرات فأكثر	4	%11.4
المجموع	35	%100

طالما أن أسباب العود إلى الجريمة قائمة ومستمرة كما لاحظنا في الجداول (4) و(5) و(7) المتعلقة بتدني المستوى التعليمي، وانخفاض الدخل الشهري لأسر أغلب المبحوثين، فمن المتوقع أن تستمر ظاهرة العود إلى الجريمة في مجتمع الدراسة، وهذا ما تبيّن من خلال معطيات الجدول (8)، فقد عاد (60%) من المبحوثين إلى الجريمة مرة واحدة، وما يعادل (40%) من المجموع الكلي للمبحوثين أجابوا بأن عودتهم إلى الجريمة تكررت مرتين أو ثلاث مرات فأكثر.

جدول رقم (9) يوضح الظروف المجتمعية المؤثرة في ظاهرة العود إلى الجريمة

الظروف المجتمعية المؤثرة في ظاهرة العود	التكرار	النسبة
نظرة المجتمع للمجرم العائد	7	%20
الشعور بالحرمان وعدم المساواة	16	%45.7
سهولة ارتكاب الجريمة وضعف القانون	12	%34.3
المجموع	35	%100

باستعراض معطيات الجدول (9)، أقر ما نسبته (20%) من المبحوثين أن نظرة المجتمع إليهم ووصمهم بالعار كانت سبباً في عودتهم إلى السلوك الإجرامي، بينما أكد ما نسبته (45.7%) من المبحوثين أن الشعور بالحرمان وعدم المساواة كانت سبباً في عودتهم إلى السلوك الإجرامي، في حين أكد ما نسبته (34.3%) من المبحوثين أن سهولة ارتكاب الجريمة المترتب على ضعف الأجهزة الأمنية والرقابية وضعف القانون والعقوبات الرادعة كانت سبباً في تكرار السلوك الإجرامي والعود إليه.

ISSN: 2523 – 1871

جدول رقم (10) يوضح تأثير اكتساب ثقافة الانحراف

تأثير اكتساب ثقافة الانحراف	التكرار	النسبة
تعلمتها من أبي	8	%22.9
تعلمتها من أصدقائي في الشارع	20	%57.1
تعلمتها من الأشخاص الكبار	3	%8.6
تعلمتها من السجن	4	%11.4
المجموع	35	%100

تنطلق معطيات الجدول رقم (10) من مسلمات نظرية المخالطة الفارقة لعالم الإجرام الأمريكي (أدوين سارلاند) التي افترضت أن السلوك الإجرامي سلوك مُتعلم مكتسب وليس موروثاً، فقد جاءت آراء أغلب المبحوثين مطابقة للتوجهات العامة لهذه النظرية، فقد أكد ما نسبته (57.1%) من المبحوثين أن اكتسابهم للانحراف والسلوك الإجرامي، وتكراره جاء عن طريق الأصدقاء ورفقاء السوء في الشارع أو الحي، في حين أكد ما نسبته (22.9%) من المبحوثين أن ولي الأمر في الأسرة أو القدوة السيئة كان سبباً في اتجاهه إلى السلوك الإجرامي والعود إليه، كما رأى البعض الآخر وبنسبة بلغت (8.6%) من المجموع الكلي أن اكتسابهم للسلوك الإجرامي جاء عن طريق مرافقة أشخاص كبار، في حين أكد ما نسبته (11.4%) من المبحوثين أن إيداعهم في السجن، وتكرار هذا الإيداع مكنهم من الاختلاط بأشخاص ذوي خبرة في السلوك الإجرامي، ومع استمرار الوقت اكتسبوا العديد من الخبرات الإجرامية.

النتائج العامة والتوصيات:

أولاً: النتائج العامة:

أسفرت الدراسة الحالية عن عدة نتائج، لعل أهمها ما يأتي:

1. شكل الذكور أعلى نسبة تجاوزت (91%) مقابل (8.6%) فقط للإناث؛ وذلك لصغر حجم فئة الإناث في مجتمع الدراسة، المترتب في الأصل على العادات والتقاليد والأعراف السائدة في المجتمع الليبي، التي تحول دون إعطاء الأرقام الحقيقية لجرائم المرأة، وتتفق هذه النتيجة مع ما جاء في

دراسة (مصطفى كارة) عن ظاهرة العود في السجون الليبية، التي بينت ازدياد مستوى العود بين الذكور أكثر منه بين الإناث.

2. أوضحت الدراسة تدني المستوى التعليمي لمعظم المبحوثين، حيث لم تتجاوز نسبة حملة المؤهلات الجامعية (11.4%) من المجموع الكلي، وتتفق هذه النتيجة –أيضاً– مع ما جاء من نتائج في دراسة (مصطفى كارة): السجون كمؤسسة اجتماعية، التي بينت ارتفاع نسبة العود عكسياً مع التعليم بصورة عامة. كما تتفق هذه النتيجة –أيضاً– مع ما جاء في دراسة (أحمد المجذوب) الموسومة بـ: المجرمون العائدون، التي بينت أن (83%) من العائدين هم من الأميين.
3. أكدت الدراسة أن معظم المبحوثين من ذوي الدخول المنخفضة بنسبة تجاوزت (45.7%) من المجموع الكلي للمبحوثين، وهذا يعني أن الفقر وانخفاض الدخل وانخفاض مستوى المعيشة ربما لعبت دوراً أساسياً أو ثانوياً في عود المجرم إلى السلوك الإجرامي.
4. أوضحت الدراسة أبرز جرائم العود إلى الجريمة، التي تمثلت في جرائم التهريب، وجرائم تعاطي المخدرات والاتجار بها، وجرائم السرقة، والتي شكلت في مجموعها ما نسبته (65.7%) من المجموع الكلي.
5. وعن عوامل ارتكاب جرائم العود وأسبابها أوضحت الدراسة أن انخفاض الدخل والمشاكل الأسرية والطلاق وأصدقاء السوء وطبيعة الحي والجيرة، كانت من أبرز الأسباب في عودة هؤلاء إلى السلوك الإجرامي بما نسبته (88.5%) من المجموع الكلي.
6. أكدت الدراسة أن ما نسبته (40%) من المبحوثين أجابوا بأن عودتهم إلى الجريمة تكررت مرتين أو ثلاث مرات فأكثر، مما يؤكد على وجود عوامل اجتماعية واقتصادية وأسرية وثقافية، ساعدت على العود إلى الجريمة.
7. أوضحت الدراسة أن ما نسبته (65.7%) من عينة الدراسة كانت تشعر بالحرمان وعدم المساواة، مما يؤكد على أن العود مرتبط بنظرة المجتمع لمرتكبي الجريمة.
8. أوضحت الدراسة أن ما نسبته (88.6%) من عينة الدراسة اكتسبت ثقافة الانحراف من الآباء وأصدقاء الشارع ومخالطة المجرمين الكبار، مما يؤكد صحة توجهات نظرية المخالطة الفارقة لعالم

الإجرام الأمريكي (أدوين سارلاند) التي أكدت أن السلوك الإجرامي سلوك متعلم مكتسب وليس موروثاً.

.9

ثانياً: التوصيات:

1. فتح فرص عمل متنوعة، ولا تتطلب شهادات علمية عالية بقدر ما تعتمد على المجهود العضلي، وأن يكون المردود المالي منها مجزياً؛ حتى ينخرط بها الشباب من ذوي الحاجة والتعليم المنخفض.
2. قيام مؤسسات الإصلاح والتأهيل بتشخيص النزلاء الوافدين إليها حسب ظروفهم الاجتماعية، وطبيعة جرائمهم وأعمارهم، وتصنيفهم وفقاً لذلك؛ وذلك لإضعاف النزعة الإجرامية عند المجرمين لأول مرة، ومجرمي الصدفة.
3. توعية أرباب الأسر بضرورة مساعدة أبنائهم وتوجيههم في اختيار أصدقائهم؛ تجنباً لمخالطة رفقاء السوء، وتوفير برامج الترفيه، وشغل أوقات الفراغ.
4. يمكن لوسائل الإعلام ودور العبادة المختلفة –وخاصة المساجد– توجيه البرامج والخطب التي تنبه إلى مخاطر السلوك الإجرامي وتكراره، ونشر الوعي لدى أفراد المجتمع؛ لمحاولة الأخذ بيد مرتكبي الجرائم إلى الطريق السوي، والابتعاد عن الانحراف.
5. ضرورة إجراء المزيد من الدراسات ذات العلاقة بموضوع العود إلى الجريمة باستخدام متغيرات أخرى؛ حتى يُحاط بمختلف الظروف والأوضاع التي تساهم في ظهور ظاهرة العود إلى الجريمة وانتشارها.

قائمة المصادر:

1. أبو توته، عبد الرحمن محمد. (1994). "علم الإجرام." بيروت، منشورات دار النسيم للطباعة والنشر.
2. أبو عامر، محمد زكي. (1986). "قانون العقوبات، القسم العام." الإسكندرية، دار المطبوعات الجامعية.
3. الألفي، أحمد عبد العزيز. (1965) "العود إلى الجريمة والاعتياد على الإجرام، دراسة مقارنة." أطروحة دكتوراه). القاهرة، المطبعة العالمية.

4. الألفي، أحمد عبد العزيز. (1969). "شرح قانون العقوبات الليبي: القسم العام." الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث.
5. جعفر، علي محمد. (1998). "مكافحة الجريمة: مناهج الأمم المتحدة والتشريع الجزائي." لبنان، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
6. حسني، محمود نجيب. (1977). "شرح قانون العقوبات، القسم العام." ، ط4، القاهرة، دار النهضة العربية، مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعي.
7. الدبيب، صالح معمر. (2001). "العوامل الاجتماعية الكامنة وراء العود إلى الجريمة." رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة قاريونس.
8. رمضان، السيد. (1990). "الجريمة والانحراف من المنظور الاجتماعي." الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث.
9. سرور، أحمد فتحي. (1981). "الوسيط في قانون العقوبات: الجزء الأول: القسم العام." القاهرة، دار النهضة العربية للنشر.
10. السماك، أحمد حبيب. (1985). "ظاهرة العود إلى الجريمة في الشريعة الإسلامية والفقه الجنائي الوضعي". الكويت: مطبوعات جامعة الكويت.
11. الشهراني، سعيد. (1412هـ). "دراسة عوامل العود إلى الجريمة في سجن منطقة الرياض." رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض.
12. صالح، ناهد. (1969). "العود إلى الإجرام : مفهومه وأنماطه." **المجلة الجنائية القومية**. (ع1).
13. صالح، ناهد. (1975). "العود إلى الإجرام عند المرأة." **المجلة الجنائية القومية**. (ع 2، مج 9).
14. عبد السلام، فاروق السيد. (1409هـ) "العود للجريمة من منظور نفسي اجتماعي." **مجلة المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب**.
15. عبد النبي، عمر اكريم. (2007). "خصائص الظاهرة الإجرامية في مجتمع متغير." أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية.
16. العبيدي، إبراهيم بن محمد. (1411 هـ). "أثر الأسرة في الوقاية من المخدرات." **مجلة الأمن** (3).
17. عيسوي، عبد الرحمن. (1997). "سيكولوجية المجرم." بيروت، دار الراتب الجامعية.

18. كاره، مصطفى. (1408هـ). "السجون كمؤسسة اجتماعية: دراسة عن ظاهرة العود." **مجلة المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب.**
19. المجذوب، أحمد. (1972). "المجرمون العائدو." **المجلة الجنائية القومية** (ع 3، مج 15).
20. محمد، هادي صالح. (1985). "عوامل العود إلى الجريمة." رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة بغداد.
21. مصطفى، محمود محمد. (1983). "شرح قانون العقوبات، القسم العام." ، ط6، القاهرة، مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعي.
22. الهريش، فرج صالح. (1999). "علم الإجرام." بنغازي، الدار الأهلية للطباعة والتجليد.

ISSN: 2523 – 1871

دراسة تحليلية لبعض المعوقات التي تواجه التربية البدنية المدرسية بمراحل التعليم الأساسي والثانوي بمدينة أجدابيا

د. محمد سليمان عبد المجيد المغربي– أ. فرج محمد سالم الفيتوري

عضوا هيأة التدريس بقسم التربية البدنية وعلوم الرياضة/كلية الآداب/ جامعة بنغازي

المستخلص:

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على بعض المعوقات التي تواجه التربية البدنية المدرسية لمراحل التعليم الأساسي والثانوي بمدينة أجدابيا، وذلك من خلال المحاور الآتية: معلم التربية البدنية، التلاميذ، درس التربية البدنية، برامج البدنية المدرسية وخططها وأنشطة التربية، الإمكانيات (الأجهزة، والأدوات، والملاعب الرياضية)، واعتمد الباحثان على استخدم المنهج الوصفي لملاءمته لطبيعة البحث وأهدافها، واشتملت عينة البحث على معلمي التربية البدنية المدرسية ومعلماتها، البالغ عددهم (20) معلمًا ومعلمةً، وبنسبة مئوية (20%) من مجتمع البحث. وقد أظهرت النتائج أن الواقع الإيجابي كان في الاهتمام والاطلاع والاستعانة بالمراجع العلمية من قبل المعلمين عند تحضير الدروس، واقتناع التلاميذ بدور معلم التربية البدنية بالمدرسة وأهميّته، بينما كان الواقع السلبي في عدم إعطاء الفرصة للمعلمين للمشاركة في تقويم المناهج الدراسية وتطويرها، وقلة الحوافز المادية والمعنوية للمعلمين، وعدم اهتمام وزارة التعليم بالدورات العلمية والتأهيلية للمعلمين؛ للرفع من كفاءتهم. وقد أوصى الباحثان بالآتي: إعطاء فرصة للمعلمين للمشاركة في وضع برامج التربية البدنية ومناهجها، وتوفير الوسائل التعليمية اللازمة في مجال التربية البدنية، وتوفير الأدوات والأجهزة والملاعب المناسبة حتى يستطيع المدرس القيام بعمله.

الكلمات المفتاحية:

المعوقات – التربية البدنية المدرسية – مراحل التعليم الأساسي والثانوي

مقدمة البحث وأهميته:

تنال التربية البدنية اهتماما خاصا وملحوظا من كل الدول المتقدمة على كافة المستويات، ولاسيما في المدارس والجامعات، وينصب هذا الاهتمام بأكبر قدر على طلبة المدارس باعتبارهم عماد المستقبل

لكل مجتمع، فالتربية البدنية في حد ذاتها قيمة تربوية اجتماعية، لها خاصية التأثير المتكامل في سلوك الفرد.

ويذكر الرماحي وآخرون (2003) أنّ التربية البدنية المدرسية تساهم في انتقاء الرياضيين في مختلف الألعاب الرياضية، بالإضافة إلى أهميتها في إعداد التلاميذ إعدادًا متعدد الجوانب فكريا ونفسيا واجتماعيا وبدنيا ومهاريا. (الرماحي وآخرون ،218،2003).

كما يؤكد الديري (1987) أن للتربية البدنية دورًا مهمّاً في نمو شخصية الفرد نموا متزنا شاملا، ومكان تحقيق هذا النمو هو المدرسة، فإنها كمؤسسة اجتماعية مطالبة بتهيئة الفرص؛ لتسهيل السبل أمام طرق التدريس، وبرامج التربية البدنية، مما يتضمن تحقيق الأهداف العامة والخاصة لبرنامج التربية البدنية بالصورة المثلى المرجوة. (الديري ،127،1987).

وانطلاقا من أهمية التربية البدنية المدرسية ومكانتها، حرصت أغلب المجتمعات على تطوير خططها وبرامجها وتحديثها؛ لتلبية احتياجات التلاميذ وميولهم ورغباتهم، نظرًا لما يتميز به المجال الرياضي المدرسي من تفاعل اجتماعي، يساهم في تعديل سلوك الفرد في الاتجاه المرغوب فيه، وخلق المواطن الصالح والمتكامل. (عمر علي سالم،2008، 172).

مشكلة البحث:

إن القيمة التربوية لمادة التربية البدنية ترجع إلى ما توفره للتلاميذ من فرص لتلبية حاجاتهم الأساسية، ومساعدتهم على النمو المتكامل بشكل متوازن في كافة الجوانب المعرفية والانفعالية والنفس حركية والاجتماعية، فهي تهيئ المجال لنمو المهارات الحركية الأساسية للتلميذ خلال مراحل نموه الأولى، وتعد الوسيلة الأولى التي يتعامل بها الطفل بفاعلية وبشكل مباشر مع الحقائق الواقعية أو المادية في البيئة. (النجار،1995، 3).

ويذكر أحمد ماهر وآخرون (2007) أن درس التربية الرياضية هو ذلك النشاط الحركي الذي يقدم للتلاميذ في وقت محدد، له مكان في الجدول في أثناء اليوم الدراسي، ويجبر التلاميذ على حضوره إلا من أعفي بسبب يستوجب الإعفاء. (أحمد ماهر وآخرون ،2007، 64).

وتضيف زينب علي، وغادة جلال (2008) أن درس التربية الرياضية يحتوي على أوجه نشاط مختلفة ومتنوعة، تتناسب وطول مدة الدرس، وتتمشى مع حاجات التلاميذ وميولهم ورغباتهم، فالدرس اليومي يعتبر وحدة متكاملة يرتبط بعضها ببعض، لذا وجب أن ندرس درس التربية الرياضية إجمالا وتفصيلا، وأن نلم بكل ما يمكن الإلمام به من معلومات عن هذا الحجر الأساسي في بناء برنامج التربية الرياضية بالمدرسة. (زينب علي، وغادة جلال،23،2008، 24).

ومن الأمور الطبيعية أن يواجه المتخصصون أو العاملون في مجال التربية البدنية المعوقات والصعوبات التي تحول دون أدائهم لواجباتهم تجاه مهنتهم، وبطبيعة عمل الباحثين كعضوي هيأة تدريس، وعلاقتهما الجيدة بأعضاء مكتب التوجيه التربوي بتعليم أجدابيا لاحظا كثرة الشكاوى من عدم وجود أنشطة ومهرجانات رياضية في المدارس الواقعة في نطاق مدينة أجدابيا؛ مما دفع الباحثين لزيارة ميدانية لبعض مدارس مرحلة التعليم الأساسي بالمدينة، حيث لاحظا أن هناك ضعفًا في العطاء وتدني مستوى تنفيذ البرامج والأنشطة الرياضية، ومن خلال بعض المقابلات التي أُجْرِيَتْ مع معلمي التربية البدنية ومعلماتها ومدراء المدارس بهذه المرحلة، اتضح وجود الكثير من الصعوبات والمعوقات التي حالت دون أداء واجبهم، مما أدت إلى عدم تطبيق وتنفيذ خطط التربية البدنية المدرسية وبرامجها وأنشطتها، الأمر الذي سبب الكثير من السلبيات والقصور من قبل المعلم والتلميذ وإدارات المدارس، وكذلك الجهات ذات العلاقة بالتربية البدنية في وزارة التعليم.

ومن هنا ارتأى الباحثان إجراء هذه الدراسة؛ للتعرف على أهم المعوقات والصعاب التي تواجه التربية البدنية المدرسية وتحديد مصادرها، وللمساهمة في إيجاد واقتراح الحلول المناسبة لتحسين وتطوير وتنفيذ برامج وأنشطة التربية البدنية، ولتحقق التربية البدنية المدرسية أهدافها المناط بها على أكمل وجه بمدارس مرحلة التعليم الأساسي بمدينة أجدابيا.

– أهداف البحث:

يهدف البحث إلى التعرف على المعوقات التي تواجه التربية البدنية بمدارس مرحلة التعليم الأساسي والثانوي بمدينة أجدابيا، وذلك من خلال المحاور الآتية:

1- معلم التربية البدنية.

2- التلاميذ.

3- درس التربية البدنية.

4- برامج التربية البدنية المدرسية وخططها وأنشطتها.

5- الإمكانيات (الأجهزة، والأدوات، والملاعب الرياضية).

– تساؤلات البحث:

تحاول هذه الدراسة الإجابة عن التساؤلات التالية:

1- ما إيجابيات معلم التربية البدنية وسلبياته؟

2- ما مدى اقتناع التلميذ بأهمية التربية البدنية؟

3- ما مدى تأثير درس التربية البدنية في إشباع حاجات التلميذ؟

4- ما مدي فاعلية برامج التربية البدنية المدرسية وخططها وأنشطتها في تحقيق أهدافها في هذه المرحلة العمرية؟

5- ما حجم الإمكانيات (الأجهزة، والأدوات، والملاعب الرياضية) المتاحة لتطبيق الأنشطة الرياضية المدرسية؟

المصطلحات المستخدمة في البحث:

– المعوقات:

هي كل ما يمنع المعلم سواء أكان هذا الشيء ماديا كنقص في الوسائل التعليمية أم معنويا لعدم وجود التشجيع والترقيات، وعدم مشاركة المعلم في وضع المنهج الدراسي، وكذلك النظام الإداري والتوجيه الفني. (تعريف إجرائي).

التربية البدنية المدرسية:

تعد التربية البدنية المدرسية إحدى أهم فروع التربية العامة، حيث تستهدف بشكل رئيسي الجانب البدني والعقلي والنفسي للفرد. (تعريف إجرائي).

الدراسات السابقة:

قد تحصل الباحثان على أربع دراسات سابقة، رُتِّبَتْ من الأحدث إلى الأقدم، وفي ضوء ذلك استفاد الباحثان منها في الفهم العميق لمشكلة البحث، وتحديد الأهداف والتساؤلات بشكل دقيق وواضح، وتحديد الطرق والوسائل المستخدمة في جمع البيانات، والوسائل الإحصائية التي تناسب البحث، وكذلك الأسلوب المناسب لعرض نتائجه ومناقشتها.

دراسة أحمد محمّد عبد العزيز وآخرون (2014) "المشكلات التي تواجه معلمي التربية البدنية في تنفيذ برامج التربية البدنية في مرحلة التعليم الأساسي بمدينة مصراته"، وهدفت إلى التعرف على المشكلات التي تواجه معلمي التربية البدنية في تنفيذ برامج التربية البدنية في مرحلة التعليم الأساسي بمدينة مصراته، والمرتبطة بالعناصر الأساسية الآتية: (منهج التربية الرياضية، المتعلم، إدارة المدرسة، التوجيه التربوي، الإمكانيات)، وقد استُخْدِمَ المنهج الوصفي المسحي؛ لملاءمته لأهداف الدراسة، وبلغ حجم العينة (30) معلمًا، طبقت استمارة استبيان تضمنت (84) عبارةً موزعة على خمسة محاور، وكانت أهم النتائج: المنهج لا يلبي احتياجات المتعلمين وميولهم ورغباتهم، كثرة عدد المتعلمين المسجلين بمرحلة التعليم الأساسي، قلة الحصص الخاصة بالتربية البدنية، عدم حل المشكلات التي تواجه المعلم، عدم القدرة على توفير الاحتياجات المادية، قلة الحوافز للمتفوقين رياضيا، قلة الملاعب الرياضية القانونية.

دراسة فتحي عبد الهادي محمّد وآخرون (2014) "المعوقات التي تواجه طلاب قسم علوم التربية البدنية في التربية العملية بجامعة بنغازي"، وهدفت إلى التعرف على المعوقات المرتبطة بالإمكانات وبطلبة المدارس، وبالإشراف على التدريب الميداني، وببرنامج التدريب الميداني، وقد استُخدِم المنهج الوصفي؛ لملاءمته لأهداف الدراسة، وبلغ حجم العينة (14) طالبًا، طبقت استمارة استبيان تضمنت (41) فقرة موزعة على خمسة مجالات هي: الإمكانيات الرياضية، والطلبة، والإشراف، وإدارة المدرسة، والبرنامج والمناهج، وكانت أهم النتائج: ضعف الإمكانيات الرياضية الأساسية في المدارس، عدد التلاميذ الزائد في الفصل وعدم مشاركتهم جميعا في الدرس، قلة زيارات المشرفين.

دراسة غانم علي سكران (2007) "دراسة تحليلية لواقع الرياضة المدرسية بدولة الكويت"، وتهدف تلك الدراسة إلى التعرف على واقع الرياضة المدرسية بدولة الكويت، من خلال التعرف على الأهداف والمنهج والإمكانات المادية والبشرية والإدارة المدرسية وأوجه النشاط والتقويم، وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي ، واشتملت عينة البحث على (93) معلمًا وموجهًا للتربية الرياضية، وعدد (126) طالبًا، واستخدم الباحث استمارة الاستبيان كوسيلة لجمع البيانات، وكانت أهم النتائج: يتفق كل من الطلاب الممارسين ومعلمي التربية البدنية أن ممارسة النشاط الرياضي يحقق عائدًا صحيّاً قويّاً للممارسين، وتنمي اللياقة البدنية، كما أن الملاعب والأدوات والأجهزة غير مناسبة لتحقيق أهداف النشاط الرياضي المدرسي، ولا تؤمن الإدارة المدرسية بأهمية التربية البدنية.

دراسة عمر علي سالم (2003) "واقع التربية البدنية المدرسية بمرحلة التعليم الأساسي الحلقة الثالثة بشعبية طرابلس"، وهدفت إلى التعرف على الإيجابيات والسلبيات في واقع التربية البدنية المدرسية لشعبية طرابلس، من خلال دراسة بعض العناصر وتحليلها، ومعلم التربية البدنية، والتلميذ، ودرس التربية البدنية، والخطط والبرامج المدرسية، وقد طبقت هذه الدراسة على عينة بلغ عدد المجموعة الأولى للمدرسين (35) معلمًا ومعلمةً، اختيروا بالطريقة العشوائية، والمجموعة الثانية بلغ عددها (370) تلميذًا وتلميذةً من مرحلة التعليم الأساسي، وكانت أهم النتائج: تمكين المعلمين من المشاركة في صياغة أهداف التربية البدنية، وتحديد مناهجها وبرامجها، تكريم التلاميذ المتفوقين رياضيا، والاهتمام بهم ومتابعتهم، ضرورة توفير الأدوات والأجهزة الرياضية الحديثة؛ لمواكبة كل ما هو جديد وحديث في المجال الرياضي.

إجراءات البحث:

منهج البحث: استخدم الباحثان المنهج الوصفي لملاءمته طبيعة البحث وأهدافه.

مجتمع البحث: يتكون مجتمع البحث من جميع معلمي التربية البدنية ومعلماتها بمرحلة التعليم الأساسي والثانوي بمدينة أجدابيا البالغ عددهم (100) معلم ومعلمة لسنة 2016–2017ف.

عينة البحث: اختيرت عينة البحث بالطريقة العشوائية، حيث بلغ عددهم (20) معلمًا ومعلمة وبنسبة مئوية (20%) من مجتمع البحث.

مجالات البحث: تتمثل فيما يأتي:

1–المجال الزمني: نُفِّذَ البحث في الفترة من 20–3 –2017 إلى14 –6 –2017م.

2–المجال البشري: معلمو التربية البدنية ومعلماتها بمرحلة التعليم الأساسي والثانوي بمدينة أجدابيا.

3–المجال المكاني: جُمِعَت البيانات الخاصة بالبحث من بعض مدارس مرحلة التعليم الأساسي والثانوي بمدينة أجدابيا.

وسائل جمع البيانات:

- **الاستبيان:**

– قام الباحثان بتطبيق الاستبيان الخاص بمعلمي التربية البدنية الذي صممه عمر على سالم (2003)، وطبقه على البيئة الليبية بمدينة طرابلس، ويتضمن الاستبيان على (51) عبارة موزعة على (5) محاور، حيث صيغت وفق طريقة ليكرت ثلاثي التدرج على الشكل الآتي: (نعم – إلى حد ما – لا)، ووزعت عبارات الاستمارة على خمسة محاور كالآتي:

- محور معلم التربية البدنية وعدد عباراته (15).
- محور التلاميذ وعدد عباراته (8).
- محور درس التربية البدنية وعدد عباراته (8).
- محور برامج التربية البدنية المدرسية وخططها وأنشطتها وعدد عباراته (10)
- محور الإمكانيات وعدد عباراته (10).

- **تطبيق الاستبيان:**

وُزِّعَتْ استمارة الاستبيان على أفراد عينة الدراسة في الفترة من 2-4-2017م إلى 12-4-2017 حيث جُمِعَ عدد (20) استمارة عُبِّئَتْ بطريقة صحيحة من قبل أفراد عينة الدراسة.

- **المعالجات الإحصائية:**

بعد جمع الاستبيانات والتأكد من صلاحيتها للتحليل، وتفريغ البيانات وتحليلها، للإجابة عن تساؤلات البحث، وقد استُخْدِمَتْ المعالجات الإحصائية الآتية:

- ❖ النسبة المئوية.
- ❖ التكرارات.

عرض النتائج:

لتحليل إجابات عينة البحث من المعلمين فقد حدد الباحثان نسبة الأسئلة التي تحقق 50% فأكثر من الإجابة في أحد الموازين الثلاثة (نعم-إلى حد ما-لا) فإن هذه النسبة تمثل أغلبية رأي أفراد العينة، وبالتالي يمكن تحليل تلك الجوانب سواء أكانت إيجابية أم سلبية، أما الأسئلة التي تقل نسبتها عن 50% من الإجابات فهذا يعني أن الأمر طبيعيا وغير مؤثر.

جدول (1) يوضح التكرارات والنسب المئوية وقيمة كا² ومستوى الدلالة
لإجابات المعلمين على محور معلم التربية البدنية ن= 20

رقم العبارة	الاستجابة						كا²	مستوى الدلالة
	نعم		إلى حد ما		لا			
	ك	%	ك	%	ك	%		
1	12	60	3	15	5	25	6.7	دال
2	7	35	7	35	6	30	0.11	غير دال
3	8	40	4	20	8	40	1.61	غير دال
4	13	65	2	10	5	25	9.7	دال
5	6	30	9	45	5	25	1.3	غير دال
6	8	40	8	40	4	20	1.61	غير دال
7	17	85	3	15	صفر	صفر	24.68	دال
8	9	45	7	35	4	20	1.9	غير دال

ISSN: 2523 – 1871

9	8	40	4	20	8	40	1.61	غير دال
10	9	45	3	15	8	40	2.15	غير دال
11	14	70	6	30	صفر	صفر	14.8	دال
12	5	25	8	40	7	35	0.71	غير دال
13	9	45	8	40	3	15	2.47	غير دال
14	6	30	9	45	5	25	1.3	غير دال
15	2	10	3	15	15	75	15.69	دال

قيمة كا²عند مستوى دلالة 0.05 =5.99

يتضح من الجدول (1) الخاص بإجابات المعلمين عن أسئلة محور معلم التربية البدنية أن قيمة كا² المحسوبة أكبر من الجدولية في أسئلة الأرقام الآتية: (1،4،7،11،15)، أما باقي الأسئلة فكانت قيمة كا² المحسوبة أقل من الجدولية، حيث تراوحت النسب المئوية لهذه الأسئلة من (60% إلى 85%) وكانت دالة عند مستوى دلالة 0.05.

جدول (2) يوضح التكرارات والنسب المئوية وقيمة كا²ومستوى الدلالة

لإجابات المعلمين على محور التلاميذ ن= 20

رقم العبارة	الاستجابة						كا²	مستوى الدلالة
	نعم		إلى حد ما		لا			
	ك	%	ك	%	ك	%		
1	4	20	7	35	9	45	1.9	غير دال
2	8	40	8	40	4	20	1.6	غير دال
3	6	30	9	45	5	25	1.3	غير دال
4	5	25	9	45	6	30	1.3	غير دال
5	9	45	9	45	2	10	4.89	غير دال
6	14	70	3	15	3	15	12.1	دال
7	8	40	8	40	4	20	1.61	غير دال
8	7	35	7	35	6	30	0.11	غير دال

قيمة كا²عند مستوى دلالة 0.05 =5.99

ISSN: 2523 – 1871

يتضح من الجدول (2) الخاص بإجابات المعلمين على أسئلة محور التلاميذ أن قيمة كا² المحسوبة أكبر من الجدولية في السؤال رقم(6)، أما باقي الأسئلة فكانت قيمة كا² المحسوبة أقل من الجدولية، وكانت النسبة المئوية لهذاالسؤال من (70%) وكانت دالة عند مستوى دلالة 0.05.

جدول (3) يوضح التكرارات والنسب المئوية وقيمة كا²ومستوى الدلالة

لإجابات المعلمين على محور درس التربية البدنية ن= 20

رقم العبارة	الاستجابة						كا²	مستوى الدلالة
	نعم		إلى حد ما		لا			
	ك	%	ك	%	ك	%		
1	5	25	8	40	7	35	0.71	غير دال
2	8	40	8	40	4	20	1.61	غير دال
3	13	65	5	25	2	10	9.7	دال
4	7	35	6	30	7	35	0.11	غير دال
5	2	10	9	45	9	45	4.89	غير دال
6	8	40	3	15	9	45	3.1	غير دال
7	4	20	8	40	8	40	0.11	غير دال
8	16	80	2	10	2	10	19.59	دال

قيمة كا²عند مستوى دلالة 0.05 =5.99

يتضح من الجدول (3) الخاص بإجابات المعلمين على أسئلة محور درس التربية البدنية أن قيمة كا² المحسوبة أكبر من الجدولية في أسئلة الأرقام الآتية: (8،3)، أما باقي الأسئلة فكانت قيمة كا² المحسوبة أقل من الجدولية، حيث تراوحت النسب المئوية لهذه الأسئلة من (65% إلى 80%) وكانت دالة عند مستوى دلالة 0.05.

جدول (4) يوضح التكرارات والنسب المئوية وقيمة كا²ومستوى الدلالة

لإجابات المعلمين على محور برامج التربية البدنية المدرسية وخططها وأنشطتها ن= 20

رقم العبارة	الاستجابة						كا²	مستوى الدلالة
	نعم		إلى حد ما		لا			
	ك	%	ك	%	ك	%		
1	8	40	7	35	5	25	0.71	غير دال
2	7	35	9	45	4	20	1.9	غير دال

ISSN: 2523 – 1871

3	13	65	4	20	3	15	9.1	دال
4	18	90	2	10	صفر	صفر	29.19	دال
5	6	30	8	40	6	30	0.16	غير دال
6	17	85	3	15	صفر	صفر	24.68	دال
7	4	20	8	40	8	40	1.61	غير دال
8	8	40	7	35	5	25	0.71	غير دال
9	4	20	8	40	8	40	1.61	غير دال
10	12	60	2	10	6	30	7.6	دال

قيمة كا²عند مستوى دلالة 0.05 =5.99

يتضح من الجدول (4) الخاص بإجابات المعلمين على محور برامج التربية البدنية المدرسية وخططها وأنشطتها أن قيمة كا² المحسوبة أكبر من الجدولية في أسئلة الأرقام الآتية: (3،4،6،10)، أما باقي الأسئلة فكانت قيمة كا² المحسوبة أقل من الجدولية، حيث تراوحت النسب المئوية لهذه الأسئلة من (60% إلى 90%) وكانت دالة عند مستوى دلالة 0.05.

جدول (5) يوضح التكرارات والنسب المئوية وقيمة كا²ومستوي الدلالة

لإجابات المعلمين على محور الإمكانات (الأجهزة، والأدوات، والملاعب الرياضية) ن= 20

رقم العبارة	الاستجابة						كا²	مستوى الدلالة
	نعم		إلى حد ما		لا			
	ك	%	ك	%	ك	%		
1	3	15	4	20	13	65	9.1	دال
2	12	60	7	35	1	5	9.1	دال
3	7	35	8	40	5	25	0.71	غير دال
4	5	25	7	35	8	40	0.71	غير دال
5	6	30	5	25	9	45	1.3	غير دال
6	4	20	4	20	12	60	6.4	دال
7	9	45	8	40	3	15	3.1	غير دال
8	8	40	8	40	4	20	1.61	غير دال
9	17	85	3	15	صفر	صفر	24.68	دال
10	20	100	صفر	صقر	صقر	صفر	39.98	دال

قيمة كا²عند مستوى دلالة 0.05 =5.99

يتضح من الجدول (5) الخاص بإجابات المعلمين على محور الإمكانات (الأجهزة، والأدوات، والملاعب الرياضية) أن قيمة كا² المحسوبة أكبر من الجدولية في أسئلة الأرقام الآتية: (1،2،6،9،10)، أما باقي الأسئلة فكانت قيمة كا² المحسوبة أقل من الجدولية، حيث تراوحت النسب المئوية لهذه الأسئلة من (60% إلى 100%) وكانت دالة عند مستوى دلالة 0.05.

مناقشة النتائج:

يتضح من الجدول (1) الخاص بإجابات المعلمين عن أسئلة محور معلم التربية البدنية أن هناك تباينًا متوازنًا في الإجابات عن أسئلة الأرقام الآتية: (2،3،5،6،8،9،10،12،13،14) التي لم تحقق نسبة 50% فأكثر في أحد الموازين الثلاثة، وهذا يدل على أن الأمر غير مؤثر وطبيعي في هذه الجوانب، وكانت قيمة كا² المحسوبة أصغر من الجدولية حيث تراوحت ما بين (0.11 إلى 2.47) وكانت غير دالة، أما بالنسبة للأسئلة التي حققت نسبة 50% فأكثر وكانت في الاتجاه الإيجابي وهي أسئلة الأرقام الآتية: (4،15) وهذا يعني أن الجوانب الإيجابية في هذا المحور كانت في الآتي: الاطلاع والاستعانة بالمراجع العلمية من قبل المعلمين عند تحضير الدروس، اقتناع التلاميذ بدور معلم التربية البدنية وأهميته بالمدرسة، وكانت قيمة كا² المحسوبة أكبر من الجدولية، حيث تراوحت ما بين (9.7 إلى 15.69) وكانت دالة، أما بالنسبة للأسئلة التي حققت نسبة 50% فأكثر وكانت في الاتجاه السلبي وهي أسئلة الأرقام الآتية: (1،7،11) وهذا يعني أن الجوانب السلبية في هذا المحور تتمثل في الآتي: عدم إعطاء الفرصة للمعلمين للمشاركة في تقويم المناهج الدراسية وتطويرها، قلة الحوافز المادية والمعنوية للمعلمين، عدم اهتمام وزارة التعليم بالدورات العلمية والتأهيلية للمعلمين؛ للرفع من كفاءتهم، وكانت قيمة كا² المحسوبة أكبر من الجدولية، حيث تراوحت ما بين (6.7 إلى 24.68) وكانت دالة عند مستوى دلالة 0.05، وتتفق هذه النتيجة مع ما أشار إليه محمود سليمان عزب (2006) (12)، **ويري الباحثان** ضرورة إقامة دورات تنشيطية مكثفة وتخصصية؛ للرفع من كفاءة المعلمين، وكذلك منح المعلمين حوافز مادية ومعنوية؛ لبذل مزيد من الجهد.

يتضح من الجدول (2) الخاص بإجابات المعلمين عن أسئلة محور التلاميذ أن هناك تباينًا متوازنًا تقريبا في الإجابات عن أسئلة الأرقام الآتية: (1،2،3،4،5،7،8) التي لم تحقق نسبة 50% فأكثر في

أحد الموازين الثلاثة، الأمر الذي يؤكد أن هذه الجوانب لم تحدد أي اتجاه، والأمر فيها طبيعي، وكانت قيمة كا² المحسوبة أصغر من الجدولية، حيث تراوحت ما بين (0.11 إلى 4.89) وكانت غير دالة، أما بالنسبة للاتجاه الإيجابي فلا يوجد سؤال حقق نسبة 50% فأكثر في الاتجاه الإيجابي، حيث كانت أغلب إجابات المعلمين بنسبة أقل من 50%، أما بالنسبة للسؤال الذي حقق نسبة 50% فأكثر وكانت في الاتجاه السلبي، فظهرت في الإجابة عن السؤال رقم (6) وهذا يعني أن الجانب السلبي لهذا المحور يتمثل في أن سبب عزوف التلاميذ يرجع لعدم وجود رسوب ونجاح في مادة التربية البدنية، وكانت قيمة كا² المحسوبة أكبر من الجدولية حيث كانت (12.1) وكانت دالة عند مستوى دلالة 0.05، وتتفق هذه الدراسة مع دراسة فتحي عبد الهادي محمّد (2014) (11)، **ويري الباحثان** ضرورة إدراج مادة التربية البدنية ضمن مواد الرسوب والنجاح في المدارس؛ لما لها من أثر بدني وصحي على مراحل النمو المختلفة للتلاميذ.

يتضح من الجدول (3) الخاص بإجابات المعلمين عن أسئلة محور درس التربية البدنية أن هناك تباينًا تقريبا متوازنا في الإجابات عن أسئلة الأرقام الآتية: (7،6،5،4،2،1) التي لم تحقق نسبة 50% فأكثر في أحد الموازين الثلاثة، الأمر الذي يؤكد أن هذه الجوانب طبيعية، وكانت قيمة كا² المحسوبة أصغر من الجدولية حيث تراوحت ما بين (0.11 إلى 4.89) وكانت غير دالة، أما بالنسبة للسؤال الذي حقق نسبة 50% فاكثر وفي الاتجاه الإيجابي فظهر في إجابة الرقم (3) وهذا يعني أن الجانب الإيجابي في هذا المحور –هو محتويات الدرس– تشبع حاجات التلاميذ ورغباتهم وميولهم، وكانت قيمة كا² المحسوبة أكبر من الجدولية، حيث كانت (9.7) وكانت دالة، أما بالنسبة للسؤال الذي حقق نسبة 50% فاكثر وفي الاتجاه السلبي فظهر في إجابة السؤال رقم (8) وهذا يعني أن الجانب السلبي في هذا المحور يظهر في عدم وجود وسائل تعليمية مساعدة تساعد في الدرس، وكانت قيمة كا² المحسوبة أكبر من الجدولية، حيث كانت(19.59) وكانت دالة عند مستوى دلالة 0.05، **ويري الباحثان** أن الوسائل التعليمية مهمة جدا؛ لمساعدة المعلم في تنفيذ درس التربية البدنية، ولتسهيل الشرح، وفهم المهارة بكل سهولة لدى التلاميذ.

يتضح من الجدول (4) الخاص بإجابات المعلمين عن أسئلة محور برامج التربية البدنية المدرسية وخططها وأنشطتها أن هناك تباينًا متوازنًا في الإجابات عن أسئلة الأرقام الآتية: (9،8،7،5،2،1) التي لم تحقق نسبة 50% فأكثر في أحد الموازين الثلاثة، الأمر الذي يؤكد أن هذه الجوانب مازالت طبيعية، وكانت قيمة كا² المحسوبة أصغر من الجدولية، حيث تراوحت ما بين (0.16 إلى 1.9) وكانت غير دالة، أما بالنسبة للأسئلة التي حققت نسبة 50% فأكثر وكانت في الاتجاه الإيجابي فظهرت في إجابات أسئلة الأرقام الآتية: (6،4،3) وهذا يعني أن الجوانب الإيجابية في هذا المحور كانت في الآتي: خطة تنفيذ البرامج تساعد على تحقيق أهداف مرحلة التعليم الأساسي، خطة الأنشطة الرياضية تساعد على اكتشاف المواهب الرياضية، يوجد إقبال كبير من التلاميذ على ممارسة الأنشطة الرياضية المدرسية، وكانت قيمة كا² المحسوبة أكبر من الجدولية حيث تراوحت ما بين (9.1 إلى 29.19) وكانت دالة، أما بالنسبة للأسئلة التي حققت نسبة 50% فأكثر وكانت في الاتجاه السلبي فظهرت في الإجابة عن السؤال رقم (10) وهذا يعني أن الجانب السلبي لهذا المحور يتمثل في أن أسباب عزوف التلاميذ عن ممارسة الأنشطة الرياضية يرجع إلى عدم وجود حوافز تشجيعية للتلاميذ، وكانت قيمة كا² المحسوبة أكبر من الجدولية، حيث كانت (7.6) وكانت دالة عند مستوى دلالة 0.05، وتتفق هذه النتيجة مع نتيجة دراسة كل من أحمد محمّد عبد العزيز وآخرون (2014)(2)، عمر علي سالم (2003)(8)، **ويري الباحثان** أن الحوافز التشجيعية سواء أكانت مادية أم معنوية مهمة جدا؛ لجذب التلاميذ لدرس التربية البدنية لممارسة الأنشطة الرياضية الداخلية والخارجية.

يتضح من الجدول (5) الخاص بإجابات المعلمين عن أسئلة محور الإمكانات (الأجهزة، والأدوات، والملاعب الرياضية) أن هناك تباينًا متوازنًا في الإجابات عن أسئلة الأرقام الآتية: (8،7،5،4،3) التي لم تحقق نسبة 50% فأكثر في أحد الموازين الثلاثة، الأمر الذي يؤكد أن هذه الجوانب مازالت طبيعية ، وكانت قيمة كا² المحسوبة أصغر من الجدولية، حيث تراوحت ما بين (0.71 إلى 3.1) وكانت غير دالة، أما بالنسبة لسؤال رقم (10) الذي حقق نسبة 50% فاكثر وفي الاتجاه الإيجابي فمما يؤكد أن أهم الجوانب الإيجابية في هذا المحور هو وجود غرف خاصة بالأدوات والأجهزة الرياضية بالمدرسة، وكانت قيمة كا² المحسوبة أكبر من الجدولية، حيث كانت (39.98) وكانت دالة، أما بالنسبة للأسئلة التي

ISSN: 2523 – 1871

حققت نسبة 50% فأكثر وكانت في الاتجاه السلبي فهي إجابات الأسئلة الآتية: (1،2،6،9) وهي تتمثل في عدم توفر عوامل الأمن والسلامة بالملاعب الرياضية بالمدرسة، لا توجد في المدرسة خطة لتوفير الإمكانيات (الأدوات، والأجهزة، والملاعب) وكذلك لدى إدارة النشاط الرياضي، وكانت قيمة كا² المحسوبة أكبر من الجدولية، حيث تراوحت ما بين (6.4 إلى 24.68) وكانت دالة عند مستوى دلالة 0.05، وتتفق هذه الدراسة مع دراسة كل من أحمد محمّد عبد العزيز وآخرون (2014)(2)، غانم علي سكران (2007)(10)، عمر علي سالم (2003)(8)، **ويري الباحثان** أنه يجب على المدرسة توفير جميع الإمكانات المادية والمعنوية؛ لضمان نجاح تنفيذ درس التربية البدنية والمشاركة في النشاط الداخلي والخارجي.

الاستنتاجات والتوصيات:

❖ الاستنتاجات:

تبين من خلال عرض نتائج الدراسة التحليلية ومناقشتها للمعوقات التي تواجه التربية البدنية المدرسية بمرحلة التعليم الأساسي والثانوي بمدينة أجدابيا، التي استهدفت العناصر الأساسية في العملية التعليمية، والتي تتكون من (المعلم، والتلاميذ، ودرس التربية البدنية، والخطة والبرامج، والأنشطة الداخلية والخارجية، والإمكانات (الأجهزة، والأدوات، والملاعب)).

فقد توصل الباحثان إلى المعوقات التي تواجه التربية البدنية المدرسية من خلال ثلاث مستويات، وفق إجابات أفراد العينة من المعلمين وهي كالآتي:

1-الواقع غير المؤثر:

في هذا المستوى كانت إجابات أفراد العينة أقل من 50% في أحد الموازين الثلاثة (نعم، إلى حد ما، لا) للاستبيان، وبالتالي اعتبر الباحثان هذا المستوى غير مؤثر ومعتدل ومتقارب.

2-الواقع الإيجابي:

تظهر الإيجابيات في العناصر الأساسية في كل محور من المحاور التي قامت عينة الدراسة بالإجابة عنها، وتتمثل هذه العناصر الإيجابية فيما يأتي:

1- الاهتمام والاطلاع والاستعانة بالمراجع العلمية من قبل المعلمين عند تحضير الدروس.

2- اقتناع التلاميذ بدور معلم التربية البدنية وأهميته بالمدرسة.

3- محتوى درس التربية البدنية يشبع حاجات ورغبات وميول التلاميذ.

4- تخصيص حجرة خاصة بالأدوات والأجهزة الرياضية بالمدرسة.

3-الواقع السلبي:

من خلال تحليل آراء عينة الدراسة اتضح العديد من الجوانب السلبية التي لها علاقة بالمعوقات التي تواجه التربية البدنية المدرسية، ومن هذه المعوقات ما يأتي:

1- عدم إعطاء الفرصة للمعلمين للمشاركة في تقويم المناهج الدراسية وتطويرها.

2- قلة الحوافز المادية والمعنوية للمعلمين.

3- عدم اهتمام وزارة التعليم بالدورات العلمية والتأهيلية للمعلمين؛ للرفع من كفاءتهم.

4- عزوف بعض التلاميذ عن المشاركة في دروس التربية البدنية؛ لعدم وجود رسوب ونجاح في مادة التربية البدنية.

5- عدم وجود حوافز تشجيعية للتلاميذ.

6- قلة وجود وسائل تعليمية مساعدة تساعد في الدرس.

7- عدم توفر عوامل الأمن والسلامة بالملاعب الرياضية بالمدرسة.

8- لا توجد لدى المدرسة خطة لتوفير الإمكانيات (الأدوات، والأجهزة، والملاعب).

❖ **التوصيات:**

في حدود هذا البحث وانطلاقا من نتائجه يوصي الباحثان بما يأتي:

1- إعطاء فرصة للمعلمين للمشاركة في وضع برامج التربية البدنية ومناهجها.

2- توفير الوسائل التعليمية اللازمة في مجال التربية البدنية.

3- يجب توفير الأدوات والأجهزة والملاعب المناسبة؛ حتى يستطيع المدرس القيام بعمله.

4- ضرورة تكريم التلاميذ المتفوقين وتقديرهم.

5- ضرورة الاهتمام بالأنشطة الداخلية والخارجية.

6- ضرورة اهتمام وزارة التعليم بإقامة دورات تأهليه وتنشيطية للمعلمين والمعلمات وتكون بصورة دورية.

7- ضرورة تحسين الوضع المادي لمدرس التربية البدنية.

8- إجراء بحوث مشابهة وعلى عينة أكبر لدراسةالحالة الاقتصادية والاجتماعية والنفسية للمعلم ومدي تأثيرها على أداء عمله.

قائمة المصادر:

1. الديري، علي (1987). "أصول التمرينات الرياضية وطرق تدريسها"، الأردن، دار الأمل للنشر والتوزيع.
2. الرماحي، عبد الرازق وآخرون (2003) "تأثير تمرينات القوة العضلية باستخدام التدريب الدائري على تنمية القدرات البدنية والمستوى الرقمي لدفع الجلة" **مجلة علمية محكمة متخصصة في علوم التربية البدنية والرياضة**، كلية التربية البدنية الزاوية، جامعة الزاوية. ص ص218، 230.
3. سالم، عمر علي (2003). "دراسة واقع التربية البدنية المدرسية بمرحلة التعليم الأساسي الحلقة الثالثة بشعبية طرابلس"، **مجلة علمية محكمة متخصصة في علوم التربية البدنية والرياضة**، كلية التربية البدنية الزاوية، جامعة الزاوية، ص 172، 189.
4. عبد العزيز، أحمد وآخرون (2014) "المشكلات التي تواجه معلمي التربية البدنية في تنفيذ برامج التربية البدنية في مرحلة التعليم الأساسي بمدينة مصراته"، المؤتمر العلمي الأول لقسم التربية البدنية بكلية التربية، جامعة مصراته. ص485، 502
5. عبد الهادي، فتحي وآخرون (2014). "**المعوقات التي تواجه طلاب قسم علوم التربية البدنية في التربية العملية بجامعة بنغازي**"، المؤتمر العلمي الأول لقسم التربية البدنية بكلية التربية، جامعة مصراته. ص470، 484.
6. عزب، محمود سليمان (2006). "دراسة العوامل المؤثرة على تنفيذ درس التربية الرياضية للمرحلة الأساسية"، **مجلة جامعة الأزهر بغزة، سلسلة العلوم الإنسانية**، مج8، ع2. ص 123، 140.

7. عمر، زينب علي وعبد الحكيم، غادة جلال (2008). "طرق تدريس التربية الرياضية . الأسس النظرية والتطبيقات العملية"، القاهرة، دار الفكر العربي.
8. ماهر، أحمد وآخرون (2007). "التدريس في التربية الرياضية . بين النظرية والتطبيق" القاهرة، دارالفكر العربي.
9. محزم، غانم علي سكران (2007). "دراسة تحليلية لواقع الرياضة المدرسية بدولة الكويت"، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية الرياضية للبنين، جامعة الزقازيق.
10. النجار، عبد الوهاب محمّد (1995). "معلم التربية الرياضية في دول الخليج العربي –اختياره– إعداده–مؤهلاته"، الرياض، مكتب التربية العربية لدول الخليج.

ISSN: 2523 – 1871

أثر نظامين تدريبيين بالأثقال على تحسين القدرة الانفجارية لعضلات الرجلين والذراعين والأداءات الهجومية لدى لاعبي كرة السلة

د. محمّد عبد القادر الشيخي – د. يوسف عمران النجار

عضوا هيأة التدريس بدرجة أستاذ مساعد بقسم التربية البدنية وعلوم الرياضة كلية الآداب جامعة بنغازي

المستخلص

تمثل الصفات البدنية الخاصة في مختلف الألعاب والمهارات الحركية حجر الأساس للوصول باللاعبين إلى مستويات رياضية أعلى، والكشف عنها بكل نشاط من الأنشطة الرياضية المختلفة يعتبر من المشاكل التي تواجه المتخصصين في المجال الرياضي؛ لما في ذلك من أهمية كبيرة في تطوير برامج التدريب الرياضي والأداء، وللاعتقاد بأن كفاءة اللاعب في كرة السلة وقدرته على تطوير مهاراته لن تكون كافيةً إلا إذا كان يتمتع بالقوة الانفجارية، فقد صُمِّمَ برنامجان تدريبيان لتطوير ذلك، ومعرفة أثره على بعض المتغيرات قيد البحث. أُجْرِيَ البحث علي عينة قوامها 20 لاعبا من لاعي كرة السلة ببعض أندية بنغازي، وقد أوضحت النتائج وجود فروق معنوية (α=0.01) بين القياسين القبلي والبعدي في القدرة الانفجارية لعضلات الرجلين والذراعين، وبعض الأداءات الهجومية لمجموعتي البحث لصالح الاختبارات البعدية، مما يدل على تأثير واضح للبرامج المقترحة، باستعمال نظام التدريب البالستي، وتدريبات القوى القصوى، مع أفضلية التدريب البالستي، لذلك يوصي الباحثون بضرورة الاطلاع على محتوى البرامج المقترحة، وتعميمها على المدربين؛ للاستفادة من نتائجها، والنهوض بمستوى الأداء والإنجاز الرياضي.

الكلمات المفتاحية:

كرة السلة – التدريب البالستي – العضلات

المقدمة ومشكلة البحث:

شهدت لعبة كرة السلة تطوراً كبيراً من حيث القواعد والمهارات والخطط؛ مما أدّى إلى إحداث تطور مماثل في إعداد اللاعبين من أجل الوصول بهم إلى المستويات العُلَى في اللعبة، وبذلك فهي تتطلب من لاعبيها أن يكونوا على قدر جيد من الأداء، وهذا –بالطبع– لا يتأتى إلا من خلال اكتساب الصفات البدنية الخاصة؛ كالسرعة، والرشاقة، والقوة بأنواعها... إلخ، مع مكونات اللياقة البدنية الأخرى، التي تكون مطلوبة بدرجات متباينة؛ لتحسين مستوى الأداء والإنجاز.

يذكر بسطويسى أحمد (1999) أن التدريب الرياضي يعد أحد الأمور المهمة التي تؤثر على الارتقاء والنهوض بالأداء الحركي، وخاصةً في لعبة كرة السلة، التي تتطلب مقداراً معيناً من مكونات اللياقة البدنية، وحيث إنّ لكل نشاط معين يقوم به الفرد قدراتٍ معينةً فإن الصفات البدنية الخاصة هي التي تمكن اللاعب من أداء مختلف المهارات الحركية؛ لأنها تشكّل حجر الأساس للوصول به إلى مستويات رياضية أعلى، وهي مرتبطة –أيضاً– بمدى الاهتمام بتنمية الصفات البدنية العامة للاعبين، حيث يسهم ذلك بشكل فعّال في إتقان متطلبات اللعبة المختارة.

كما يشير بوب ديفيز Bop Davis (1995) إلى أن القدرات البدنية الخاصة تعد من الأسس المهمة التي لها دور أساسي في تحقيق أعلى مستوى ممكن من الأداء والإنجاز، وفقا للنشاط الرياضي التخصصي المرتبط بها، حيث يتميز كل نشاط رياضي بمجموعة من القدرات البدنية تميزه عن غيره من الأنشطة الرياضية الأخرى، ويعتبر الكشف عن تلك القدرات البدنية بكل نشاط من الأنشطة الرياضية المختلفة من المشاكل التي تواجه المتخصصين في المجال الرياضي، لما في ذلك من أهمية كبيرة في تطوير برامج التدريب الرياضي.

وتعدّ القدرات البدنية والمهارية عاملاً مهماً جداً في إعداد اللاعب، والارتقاء بمستواه البدني والمهارى من خلال الاستمرار بالعملية التدريبية، سواء أكان التدريب من خلال التمارين المتعددة المنفردة أم المركبة من ناحية، والاستعانة ببعض الوسائل المساعدة والأجهزة المعدة لهذا الغرض من ناحية أخرى . فاستخدام وسيلة مساعدة في تطوير عمل مجموعة عضلية أو مجموعات عضلية في جسم

الإنسان ما هو إلا عامل مساعد في تطوير تلك المجموعات؛ لإنجاز قوة أكبر، وكذلك اقتصادية في أداء الحركات والمهارات في اللعبة المعنية، وهذا ما يدفع القائمين في مجال اللعبة إلى العمل والبحث والدراسة، من أجل ابتكار أساليب تدريبية جديدة، باستخدام بعض الوسائل المساعدة، وذلك لتطوير الأداء البدني والمهاري.

تعتبر القوة الانفجارية من أكثر عناصر اللياقة البدنية أهمية بالنسبة للأداء الحركي في العديد من الأنشطة الرياضية بصفة عامة، وكرة السلة خاصة؛ وذلك لما لها من أهمية كبيرة في زيادة فعالية الأداء الفني، والرفع من الكفاءة البدنية للاعبين، ويرى جيرى كار Gerry Carr(1997) أن معظم الأنشطة الرياضة تعتمد على القوة الانفجارية بشكل كبير عند أداء مهاراتها؛ وذلك لأنّ إخراج القوة بشكلٍ بطيءٍ يؤثر على تنفيذ الأداء بالصورة المطلوبة، وهنا يري عبد العزيز النمر (1991) أن كفاءة اللاعب وقدرته على تطوير مهاراته لن تكون كافيةً إلا إذا كانت لديه القوة الانفجارية بالقدر المناسب، ويمكن القول: إنّ القوة الانفجارية في حد ذاتها لا تعد ضمانا كافيا للأداء فحسب، ولكنها تساعد –أيضاً– على رفع كفاءة لاعبي كرة السلة، بالتنفيذ الجيد للمبادئ الأساسية لمعظم الواجبات الحركية باللعبة، كما أوضح عبد العزيز سلامة (1993) أن لاعبي كرة السلة في حاجة إلى القوة الانفجارية، فالأداء السريع، والتوقف المفاجئ، ومناورات تغيير الاتجاه، والسرعة، والقدرة على الوثب، والارتكاز –تعتبر حجر الزاوية في البناء الفني والخططي لكرة السلة الحديثة، التي تحتاج إلى قدرٍ كافٍ من هذا العنصر البدني.

ويشير رالف وبيم Ralph & Pim (1994) –أيضاً– إلى أن لاعبي كرة السلة يتحركون في الملعب من دون كرة بنسبة تقدر بحوالي 80% من الوقت، هذه النسبة تؤكد على أهمية إتقان المبادئ الأساسية من دون كرة، فلاعب كرة السلة يجب أن يكون قادراً على البدء السريع والجري والتوقف والخداع وتغير الاتجاه والقطع، ويضيف محمّد رضا(2008) إلى كل ذلك أنّ الدافع التدريبي الرئيسي المستخدم لتنمية القوة الانفجارية هو جعل اللاعب قادرا على أداء حركة التمرين بسرعة عالية جداً، مرعياً كمية القوة اللازمة في نفس التمرين، لذلك فإنّ فعاليات القفز والوثب وكل الواجبات الحركية التي تحتاج إليها تكون ضمن المستفيدين من تنمية القوة الانفجارية، وهذا ما تهدف إليه طرائق التدريب الرياضي الحديث

ونظرياته، فالارتقاء بمستوي إنجاز اللاعبين لا يكون إلا باستعمال الأساليب والتمرينات التدريبية الأكثر تقدماً وحداثةً.

ونظرًا لكون الباحثين يعملان في مجال التدريس والتدريب، ومن خلال رؤية عامة لمستوى الأداء البدني والمهاري للاعبي كرة السلة على صعيد مدينة بنغازي، فقد لوحظ وجود نقص في القدرة الانفجارية للذراعين والرجلين، فاللاعب يمكنه أن يمتلك القوة، لكن لا يستطيع أن يظهرها بسرعة عالية، ونظراً للتطور الكبير الذي شهدته كرة السلة في الآونة الأخيرة في جوانبها المختلفة، بما فيها القواعد القانونية للعب؛ لكي يكون اللاعبون –عل سبيل المثال– قادرين على إتمام الهجوم قبل 24 ثانية (الزمن القانوني لإتمام الهجوم) ونقل الكرة لنصف ملعب الفريق الخصم قبل الثمان ثوان التي يحددها قانون اللعبة، وهذا مما يجعلنا معنيين بالاهتمام بالنواحي الهجومية والدفاعية، وهذا ما يتطلب من اللاعبين أن يكونوا على قدر عال من اللياقة البدنية؛ لضرورة أنْ يتميز اللاعب بسرعة الحركة، ولحاجتهم إلى تنمية القدرة الانفجارية؛ لتمكنهم من إتمام كل الواجبات الحركية التي تتطلبها طبيعة الأداء بهذه اللعبة.

وعلى الرغم من تعدد الأنظمة والطرق التدريبية المستعملة في التدريب بكرة السلة في نطاق مدينة بنغازي إلا أنها لم تثبت جدواها في الارتقاء بمستوي هذه الفرق، الأمر الذي يدعونا للبحث عن حلول ومقترحات أخري تسهم في الارتقاء بالمستوى البدني؛ لما له من أثر فاعل في تحسين الأداء المهاري والخططي، لذا يقترح الباحثان استعمال أنظمة تدريبية تتميز بالحداثة والتأثير؛ كالنظام البالستي، ونظام التدريب باستعمال القوة القصوى، لعلها تسهم في الارتقاء والتطوير للقدرات الانفجارية لعضلات الرجلين والذراعين، وبعض الأداءات الهجومية.

أهداف البحث:

1. التعرف على أثر النظام التدريبي البالستي في تطوير القدرة الانفجارية لعضلات الذراعين والرجلين وبعض الأداءات الهجومية لدى لاعبي كرة السلة بمدينة بنغازي.
2. التعرف على أثر النظام التدريبي باستعمال القوة القصوى في تطوير القدرة الانفجارية لعضلات الذراعين والرجلين وبعض الأداءات الهجومية لدى لاعبي كرة السلة بمدينة بنغازي.

3. إجراء مقارنة بين النظامين التدريبيين؛ لتبيان الأفضلية في تحسين القدرة الانفجارية لعضلات الذراعين والرجلين وبعض الأداءات الهجومية لدى لاعبي كرة السلة بمدينة بنغازي.

أهم المصطلحات المستخدمة بالبحث:

مصطلح التدريب البالستي (Ballistic training): على الرغم من عدم تعريبه بعد إلا أنّه بالإمكان استعراض أهم التعريفات التي حاولت تعريفه على النحو الآتي:

أحمد فاروق (2003) التدريب البالستي (Ballistic training): "هو قدرة العضلات على أداء حركات بأقصى سرعة ممكنة عند مقاومات خفيفة ومتوسطة تتراوح من 30: 50 %. ويعرف –أيضاً– أحمد فاروق (2003) –نقلا عن جمال طلعت– المقاومة البالستية بأنها: حركات انفجارية ضد مقاومة بأقصى سرعة ممكنة، كما يذكر أن تدريب المقاومة البالستية (Resistance Training Ballistic) يشير إلى أسلوب تدريبي حديث نسبيّاً، يربط بين عناصر التدريب البلايومتري وبين تدريب الأثقال، وتتضمن رفع أثقال خفيفة نسبيّاً وبسرعات عالية.

الدراسات النظرية:

تجمع الدراسات والبحوث السابقة على أهمية الجانب البدني في تأهيل الرياضيين؛ للقيام بالواجبات الحركية والمهارية التي تتطلبها معظم الفعاليات الرياضية، فقد أشار محمّد عبد الرحيم إسماعيل (2010) إلى أهمية القوة العضلية للاعبي كرة السلة الناشئين والكبار، حيث يجب أن يكون لاعب كرة السلة جاهزًا للاحتكاك البدني بالآخرين، فاللاعبون الناجحون يمتلكون عضلات أو قوة عضلية كافية؛ للاختراق بقوة إلى الحلقة عند أداء التصويب، بعد ارتكاب أخطاء ضدهم، كما أنّ الاحتكاك أو المكافحة في مكان الارتكاز والحصول على مكان للاستحواذ على الكرة المرتدة يتطلب قدرًا كافيًا من القوة العضلية، حيث تساعد القوة العضلية الكافية لاعب كرة السلة على الحماية والوقاية من الإصابات في مفاصل الجسم المختلفة، وتُمِدُّ القوةُ العضلية والقدرةُ العضلية المكتسبة من تدريب الأثقال اللاعبَ بأساسيات القدرة على الوثب، ليس فقط لتعزيز الاستحواذ على الكرات المرتدة، بل إنّ ذلك يؤدّي إلى تحسن فرص التسجيل، وتمكن اللاعب من أداء التصويب الساحق، كما يحتاج اللاعب الخلفي إلى القوة العضلية؛

ليتحرك بسرعة ويكون قادرًا على التوقف السريع وتغيير الاتجاه في الحال، سواء أكان في الهجوم أم الدفاع، إذ يتطلب التصويبُ والقفزُ من على بعد 12 قدمًا قوةً عضليةً للجزء العلوي والسفلى من الجسم، ويستخدم اللاعبون في مناورات الهجوم ضد دفاع رجل لرجل مناورات الحجز، التي تتطلب –أيضًا– أن يكون اللاعبون أقوياءَ؛ من أجل أداء حجز فعال، وتجنب التعب المرتبط بحالات الدفع، لذلك فإن امتلاك القوة العضلية للاعب كرة السلة تمتعه بالمزايا الآتية:

1. قدرة أكبر على الوثب؛ لأداء التصويب من القفز.
2. قدرة أكبر على الوثب؛ لأداء الاستحواذ على الكرات المرتدة .
3. قدرة أكبر على أداء حركات متفجرة وانطلاقات سريعة .
4. قدرة على أداء المتطلبات البدنية المرتبطة بالقوة بشكل أفضل (تحمل القوة المميزة بالسرعة).
5. امتلاك القوة العضلية للجزء العلوي من الجسم يعنى قوة في مسك الكرة والاستحواذ عليها، وأيضًا أداء التصويب من مسافات بعيدة، وزيادة التحكم في الكرة، إضافة إلى مقاومة اصطدام واحتكاك الخصوم، وخاصة طوال القامة وذوى الأحجام الكبيرة .

يذكر عماد الدين عباس (2005) أنّ القوة العضلية بأشكالها المختلفة من الصفات البدنية التي يمكن أن يطورها المدرب بشكل كبير نسبياً (ولو أن للوراثة دورًا كبيرًا في إمكانية التطوير)، فالألعاب الجماعية –وخاصة كرة السلة– تتطلب إلى حد كبير توفر عنصر القوة الانفجارية، والقوة المميزة بالسرعة بالقدر الكافي، الذي يمكن اللاعب من أداء معظم الواجبات الحركية التي يحتاجها في النشاط الرياضي الممارس، لذا وجب تطويرها خلال عملية الإعداد.

كما يذكر عبد العزيز النمر ونايمان محمّد الخطيب(1996) أن رياضة كرة السلة تتطلب تنمية شاملة لكل أجزاء الجسم؛ لأنها تشتمل على العديد من الحركات والزوايا المتنوعة، وتحدد أهم المجموعات العضلية العاملة في كرة السلة، التي تتضمن –في المقام الأول– العضلات الأساسية للظهر، والكتفين، والصدر، والفخذين المقعدة، والذراعين، والبطن، والعضلات خلف الساق(السمانة).

وأشار أحمد خاطر وعلى البيك (1996) إلى أن القوة العضلية تعتبر إحدى المكونات البدنية التي يتميز بها اللاعب، والتي يمكن تنميتها لديه، ويذكر –أيضاً– أن عدم المقدرة على إظهار القوة يمكن أنْ يؤثر في إتقان الأداء المهاري وتطويره، وعدم الوصول إلى المستوى العالي.

هناك العديد من أساليب التدريب ونظرياته التي يستطيع منها المدرب أن يخلق برنامجًا تدريبيّاً فعالًا يمكنه من تحسين الأداء، وتعد برامج الأثقال وتدريبات البلايومترك هما من أكثر الأساليب المستخدمة؛ لتنمية القدرة العضلية والسرعة. ويرى معظم المدربين أن التدريب البلايومترك التقليدي هو الرابط بين السرعة والقوة، وهذا النمط من التدريب يربط –بشكل عام– بين التدريبات التقليدية للطرف العلوي للجسم مثل رمي الكرات الطبية، وتدريبات الطرف السفلي مثل الوثب العميق. أما التدريب البالستي (Ballistic Training) فيستخدم للتغلب على نقص السرعة الناتجة من التدريب التقليدي بالأثقال، ويقوم المدربون في الألعاب التي تتميز مهاراتها بالأداء الانفجاري وبطبيعتها القذفية، بابتكار الوسائل التدريبية التي تعمل على تعزيز الأداء في تلك الرياضات.

وتشير كلمة بالستي (Ballistics) إلى دراسة مسار طيران القذائف، كما تُعَرَّفُ الحركة البالستية (Movement–Ballistics) بأنها الحركة التي تؤدَّى بواسطة العضلات، ولكنها تستمر بواسطة كمية التحرك (العجلة) للأطراف، وفي اللغة الروسية تعني كلمة بالستي علم القذائف أو علم حركة المقذوفات.

إنّ التدريب البالستي يحتم إتمام عملية تعجيل الثقل وإطلاقه في نهاية الرفعة بالهواء بأقل من ثانية واحدة، وفيها يتحرك الرياضي، وينشط الألياف العضلية السريعة الانتفاض، إذْ يكون تركيز التدريب البالستي على الألياف السريعة الانتفاض، ولمدة قصيرة من الزمن قبل إطلاقها، فيكون هدفها السرعة اللحظية للعضلة، والحركة البالستية لها ثلاث مراحل رئيسية، هي:

- المرحلة الأولية للحركة، وذلك بواسطة الانقباض العضلي بالتقصير (Concentric) التي تبدأ بالحركة.

- المرحلة الثانية هي مرحلة الانحدار أو الهبوط، التي تعتمد على العجلة (كمية الحركة) المتولدة في المرحلة الأولى.

ISSN: 2523 – 1871

- المرحلة الثالثة هي مرحلة تناقص السرعة (Deceleration) المصحوبة بالانقباض العضلي بالتطويل (Eccentric) .

ويوضح تشارلز ستالسي Charles Stalcy (1996م) أن تدريب المقاومة البالستية يستخدم القوة بشكل اقتصادي، ويحسن في سلسلة الانقباضات والاسترخاء للوحدات الحركية، واللاعبون يتدربون على إتقان سلسلة الانقباض والاسترخاء، وبناء على زيادة الشدة ومراكز التحكم العضلية العصبية في المخ تتعرف على السلسلة المتكررة والمتقنة للانقباض والاسترخاء للوحدات الحركية، وتعيد تنظيم البروتوبلازم في الأثر الباقي في المخ، ويشير ميشيل كنت (1998م) إلى أن التدريبات البالستية تزيد من سرعة الأداء الحركي، بمعنى أن القوة المكتسبة من هذا النوع من التدريب تؤدي إلى أداء حركي أفضل في النشاط الرياضي الممارس، هذا بالإضافة إلى أن تدريب المقاومة البالستية يعمل على زيادة مقدرة العضلات على الانقباض بمعدل أسرع وأكثر تفجيراً، خلال المدى الحركي في المفصل وسرعة الحركة، ويهدف التدريب البالستي إلى تنمية العضلات العاملة والمقابلة والمثبتة، كما أنه يصف الحركات التي تتميز بتزايد السرعة لأقصى مدى على قذف الأداة أو الثقل في الفراغ، ويشتمل التدريب البالستي على تدريبات (رفع أثقال خفيفة الوزن وبسرعات عالية – كرات طبية – جاكيت أثقال – كيتر أثقال)، وبما أن أسلوب التدريب البالستي لا يوجد به نقص أو انخفاض في السرعة لذا فإنّه يحافظ على التوافق الخاص لمعظم الألعاب، وقد وجد أن الأحمال التي تتراوح بين 30% إلى 50% من أقصى ثقل يمكن للاعب رفعه هي الأكثر فاعلية في زيادة مخرجات القدرة الميكانيكية، في حين أوصى آخرون بأن الأحمال الثقيلة التي تتراوح ما بين 80 % إلى 90 % من أقصى ثقل يمكن رفعه يمكن أن تحسن الأداء الديناميكي.

كما بينت الدراسات العلمية التي قام بها ويلسون (Wilson) وآخرون أن التدريب البالستي يؤدي إلى تحسين القدرة العضلية بنسبة 18 % في الوثب العمودي، بينما كانت نسبة التحسن في تدريب البلايومترك 10 %، أما في تدريب الأوزان التقليدي أدى إلى تحسن في تنمية الوثب العمودي بنسبة 5 %.

فوائد التدريب البالستي:

1. إثارة الوحدات الحركية، وزيادة سرعة انقباض الألياف العضلية؛ نتيجة للسرعة القصوى عند أداء التمرينات البالستية.
2. تحسين مرونة العضلة بواسطة الاستطالة التي تحدث للنسيج العضلي أثناء أداء التمارين البالستية، وهذه بدورها تؤدي إلى استطالة العضلات.
3. يؤدي إلى تمرين قلبي وعائي فعال جدا؛ لأن الرفعات البالستية تتطلب استخدام العضلة كاملة، بسبب تحشيد كبير للألياف العضلية، نتيجة متطلبات الأداء البالستي، وهذا يزيد من معدل ضربات القلب.
4. التدريب البالستي يملك عوامل تحديد الحركة من خلال استخدام العضلات الضرورية في أثناء المنافسة، وهذا بدوره يؤدي إلى زيادة الكفاءة من خلال الاقتصاد بالجهد؛ لأنه يطبق القوة الاقتصادية، ويتقن عملية الانقباض والإرخاء المتتاليتين للوحدات الحركية؛ أي: انقباض وإرخاء مثالي للوحدات الحركية من خلال التوافق بالعمل.
5. سرعة الرفع في أثناء أداء الرفعات البالستية سوف تتحول إلى سرعة حركة الأطراف.
6. إضافة الطاقة المطاطية إلى قوة انقباض العضلة في أثناء الأداء.

وقت التدريب البالستي من الخطة التدريبية:

التدريب البالستي يبدأ العمل به في فترة الإعداد الخاص، إذ إنه يتطلب فترة كافية في فترة الإعداد العام؛ لتهيئة الأربطة والأوتار العضلية –فضلاً عن العضلات– لكي تكون قوية قوة كافية؛ لتكون مستعدة لأداء التمرينات البالستية لضمان السلامة، وتجنب الإصابات التي يمكن حدوثها نتيجة لطبيعة أداء التمرينات البالستية، التي تتطلب إخراج قوة عالية في أقصى سرعة ممكنة، من خلال قذف الثقل للأعلى، ومسكه عند الهبوط، أو القفز مع الثقل من وضع القرفصاء.

وبما أن فترة الإعداد الخاص هي إعداد الرياضي لفترة المنافسات التي تتطلب القدرة العضلية الانفجارية وزيادة مدى الحركة، والتأكيد على مبدأ الخصوصية في التدريب؛ لأن التدريب البالستي في طريقة أدائه تشبه أداء المهارات في أثناء المنافسات في فعاليات الرمي والقفز والضرب، لذا سيساهم

التدريب البالستي –في فترة الإعداد الخاص لجميع اللاعبين ومختلف الألعاب الرياضية– في رفع مستوى الأداء المهاري، الذي يتناسب مع طريقة أداء التمارين البالستية في تأكيد مبدأ الخصوصية في التدريب.

الملاحظات والشروط الواجب توفرها عند العمل بالتدريب البالستي:

يجب أن تتوفر عدة شروط عند العمل بالتدريب البالستي منها:

1- السلامة: وهي من الأولويات في التدريب البالستي، ويفترض أن تستخدم النقاط المثبتة (سبوتر) خاصة لمن لم يكن قد استخدم الأسلوب من قبل، وأن يكون حذرا جدا.

2- بسبب كون هذا التدريب انفجاريا فالرياضي سيتعب بسرعة، لذا يجب أن ينفذ في بداية القسم الرئيسي من الوحدة التدريبية وليس في نهايتها.

3- لا يستعمل هذا الشكل من التدريب في كل يوم، بل يجب أن يكون بين يوم وآخر.

4- يجب أن ينفذ كل تكرار كأنه محاولة تكرار انفجاري قصوى، مع التركيز الكامل على الآلية الملائمة والكاملة من البداية إلى النهاية، وأن يرمى الثقل للأعلى بأسرع ما يمكن في كل تكرار.

5- تؤخذ فترة راحة لا تقل عن (2–3) دقيقة بين المجموعات البالستية؛ لضمان الاستشفاء بعد كل مجموعة.

6- إن التدريب البالستي ليس تدريبًا لحد استنفاد الجهد، لذا تعمل (3–5) تكرارات فقط في كل مجموعة، حتى لو شعر الرياضي بأنه يمكنه الاستمرار أكثر في التدريب.

الدراسات السابقة:

أجرى أحمد فاروق خلف (2003) دراسة عنوانها: تأثير برنامج للتدريب البالستي على بعض المتغيرات البدنية والمهارية للاعبي كرة السلة، وذلك بهدف التعرف على تأثير استخدامه على بعض المتغيرات البدنية والمهارات الأساسية للاعبي كرة السلة، واستخدم الباحث المنهج التجريبي، واشتملت عينة البحث على 24 لاعبا لكرة السلة، كما استخدمت الاختبارات البدنية والمهارية كوسيلة لجمع البيانات، وأشارت أهم النتائج إلى أن برنامج التدريب البالستي أدى إلى تحسن في بعض المتغيرات البدنية للمجموعة التجريبية أكثر من التدريب بالأثقال للمجموعة الضابطة.

أجرى عزت إبراهيم السيد (2004) دراسة عنوانها: تأثير التدريب المتباين باستخدام الأثقال والبليومترك على بعض القدرات البدنية الخاصة والمستوى الرقمي للاعبي الوثب الطويل، واستخدم المنهج التجريبي، واشتملت عينة البحث على 12 لاعبًا للوثب الطويل، كما استخدمت الاختبارات البدنية والمهارية كوسيلة لجمع البيانات، وكانت أهم النتائج أن التدريب المتباين باستخدام الأثقال والبليومترك أثر إيجابيا على بعض القدرات البدنية للمستوى الرقمي للاعبي الوثب الطويل.

أجرت صفاء صالح حسين (2008) دراسة عنوانها: تأثير التدريبات التبادلية للبالستى والفالون دافا على بعض المتغيرات الوظيفية والعقلية لدى لاعبات الكاراتيه؛ وذلك بهدف التعرف على تأثير تدريبات البالستى والفالون دافا على بعض المتغيرات البدنية والفسيولوجية وبعض مظاهر الانتباه، واستخدمت المنهج التجريبي، واشتملت عينة البحث على 36 لاعبًا، كما استخدمت الاختبارات البدنية والقياسات الفسيولوجية ومقياس الانتباه كوسيلة لجمع البيانات، وكانت أهم النتائج وجود فروق دالة إحصائياً بين القياسين القبلي والبعدي في المتغيرات البدنية والفسيولوجية وبعض مظاهر الانتباه لصالح القياس البعدي.

أجرى محمود محمّد لبيب (2008) دراسة عنوانها: دراسة مقارنة لتأثير استخدام أسلوبين مختلفين لتنمية القدرة العضلية (البليومترى، البالستى) على مستوى الإنجاز الرقمي للاعبي الوثب الثلاثي؛ وذلك بهدف التعرف على الفروق بين المجموعتين التجريبية والضابطة في القدرة العضلية، والمستوى الرقمي لمتسابقي الوثب الثلاثي، واستخدم المنهج التجريبي، واشتملت عينة البحث على 20 لاعباً، كما استخدمت الاختبارات البدنية والمهارية كوسيلة لجمع البيانات، وأشارت أهم النتائج إلى أن التدريب باستخدام التدريب البالستي يؤدي إلى الارتفاع بمستوى الأداء الحركي للوثب عامة، والمستوى الرقمي للوثب الثلاثي خاصة.

ISSN: 2523 – 1871

فروض البحث:

بعد الاطلاع على الدراسات السابقة والمرتبطة بالبحث صِيغَتْ الفروض الآتية:

1- توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين القياسات القبلية والبعدية للمجموعة التجريبية الأولى (المستخدمة التدريب البالستي) في المتغيرات قيد البحث (القدرة الانفجارية لعضلات الرجلين والذراعين وبعض الأداءات الهجومية) لصالح القياسات البعدية.

2- توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين القياسات القبلية والبعدية للمجموعة التجريبية الثانية (المستخدمة تدريب القوة القصوى) في المتغيرات قيد البحث (القدرة الانفجارية لعضلات الرجلين والذراعين وبعض الأداءات الهجومية) لصالح القياسات البعدية.

3- توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين القياسات البعدية للمجموعة التجريبية الأولى والمجموعة التجريبية الثانية في المتغيرات قيد البحث لصالح المجموعة الأولى.

إجراءات البحث:

منهج البحث:

استخدم الباحثان المنهج التجريبي بتصميم يضم مجموعتين تجريبيتين (مجموعة تجريبية أولى، ومجموعة تجريبية ثانية)؛ وذلك لملائمته لطبيعة البحث.

مجتمع البحث وعينته:

يستهدف هذا البحث جميع لاعبي كرة السلة لفئة الأواسط بمدينة بنغازي، واقتصرت عينة البحث على 20 لاعبا منهم، بقوام 10 لاعبين من نادي الأهلي بنغازي؛ ليمثلوا المجموعة التجريبية الأولى، و10 لاعبين من نادي الهلال؛ ليمثلوا المجموعة التجريبية الثانية، وقد وُجِدَ التجانس في المتغيرات الأساسية للبحث (الطول، والوزن، والعمر الزمني، والعمر التدريبي) حيث كان معامل الالتواء بين (0.39-1.14) وهذه القيم محصورة بين (±3) مما يدل على تجانس أفراد عينة البحث كما هو مبين في الجدول رقم 1.

جدول رقم1 يوضح تجانس عينة البحث في المتغيرات الأساسية قيد البحث

ISSN: 2523 – 1871

م	المتغيرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوسيط	معامل الالتواء
1	الطول	184.29	5.46	185.00	-0.39
2	الوزن	83.11	5.90	81.00	1.07
3	العمر الزمني (سنة)	25.56	4.10	24.00	1.14
4	العمر التدريبي (سنة)	13.03	5.46	12.00	0.57

يتضح من جدول رقم 1 وجود تجانس بين افراد العينة في المتغيرات الأساسية للبحث، حيث تراوح معامل الالتواء ما بين (±3) وهذا مما يعطى دلالة مباشرة على خلو العينة من عيوب التوزيعات غير الاعتدالية، وأنها تتوزع توزيعا طبيعيا.

تكافؤ مجموعتي البحث:

كما قام الباحثان بالتحقق من وجود التكافؤ بين المجموعتين التجريبيتين للبحث بإجراء القياسات المطلوبة في بعض المتغيرات الجسمية والعمرية (الطول، الوزن، العمر الزمني، العمر التدريبي) واختبارات القدرة الانفجارية لعضلات الرجلين والذراعين، وبعض الأداءات الهجومية في كرة السلة، وذلك في إطار ضبط المتغيرات، بما يضمن حصول الباحثين على نتائج دقيقة لا تحتمل التشكيك، والجدول رقم 2 يوضح ذلك.

جدول رقم 2 يوضح دلالة الفروق بين مجموعتي البحث في بعض المتغيرات الأساسية والمتغيرات قيد البحث

	المتغيرات	المجموعة التجريبية الأولى فريق الأهلي		المجموعة التجريبية الثانية فريق الهلال		الفرق بين المتوسطين	قيمة (ت)
		س/	ع	س/	ع		
	الطول	161.13	2.13	160.73	2.43	0.40	0.48
	الوزن	64.40	2.23	65.67	2.94	1.27-	1.33-
	العمر الزمني	14.59	0.52	14.66	0.51	0.07-	0.36-
	العمر التدريبي	3.13	0.24	3.19	0.33	0.06-	0.57-
القدرات	الوثب العريض	200.00	5.67	201.33	5.50	1.33-	0.65-
	الوثب العمودي	35.13	1.30	20.00	2.51	1.13	1.55

ISSN: 2523 – 1871

الأداءات الهجومية	دفع كرة طبية	293.00	15.90	302.67	10.50	9.67-	1.96-
	3 حجلات على الرجل اليسرى	2.71	0.17	2.55	0.37	0.16	1.60
	3 حجلات على الرجل اليمنى	2.73	0.15	2.65	0.10	0.02	0.76
	زمن تكرار الوثب العمودي 5 ك	3.94	0.44	4.05	0.32	0.11	0.63
	اختبار التمرير على الحائط	18.59	1.12	18.87	1.50	0.28-	0.42
	اختبار الرميات الحرة	17.40	1.07	17.60	1.63	0.20-	0.43
	اختبار التصويب من القفز	15.56	1.15	15.40	1.84	0.16	0.31
	اختبار التصويب السلمي السريع	3.55	0.87	3.98	0.67	0.43-	1.65

قيمة تاء الجدولية عند مستوى 0.01 = 5.522 **درجة الحرية 20 – 2 = 18**

يتضـــح من الجدول رقم 2 عدم وجود فروق معنوية (عند مســـتوي دلالة α=0.01) بين مجموعتي البحث في بعض المتغيرات الأســـاســـية (الطول، الوزن، العمر الزمني، العمر التدريبي) والمتغيرات قيد البحث (القدرة الانفجارية لعضـــلات الرجلين والذراعين وبعض الأداءات الهجومية بكرة السلة) وهذا مما يشير إلى تكافؤ مجموعتي البحث قبل الشروع في تجربة البحث.

وسائل جمع البيانات:

- **الاختبارات والمقاييس:**

طبقـا للمراجـع النظريـة والدراسـات السـابقة المتخصصـة فـي الاختبـارات والمقـاييس اعتمـد الباحثـان فـي أثنـاء جمعهـم لبيانـات البحـث علـى بعـض الاختبـارات والمقـاييس المتمتعـة بالثقـل العلمـي المطلـوب، التـي تقـيس القـدرة الانفجاريـة لعضـلات الـرجلين والـذراعين، وكـذلك الاختبـارات الحركيـة المعنيـة بـبعض الأداءات الهجوميـة بكـرة السـلة، والمختـارة –أيضـاً– طبقـاً للمراجع النظرية المتخصصة في اختبارات الأداء بلعبة كرة السلة.

المعاملات العلمية للاختبارات المستخدمة في البحث:

- **صدق الاختبارات:**

على الرغم من تمتع جميع الاختبارات والمقاييس المختارة في جمع بيانات البحث بالثقل العلمي المطلوب إلا أنّ الباحثين أصرا على زيادة التحقق من تمتع الاختبارات بالصدق للاطمئنان، لذلك كان الاعتماد في حسابه لاختبارات القدرة الانفجارية لعضلات الرجلين والذراعين وبعض الأداءات الهجومية

ISSN: 2523 – 1871

بكرة السلة على طريقة صدق التمايز، حيث طُبِّقَتْ الاختبارات على 10 لاعبين ذوى مستوى عالٍ من فرق النصر، و10 لاعبين ذوى مستوى ضعيف من فريق التحدي؛ وفقا لنتائج أداء الفريقين، وحُسِبَ عن طريق برنامج spss إصدار 15.

جدول رقم 3 يبين معامل صدق الاختبارات المستخدمة في قياس المتغيرات قيد البحث

	المتغيرات	مجموعة المستوى العالي ن=10		مجموعة المستوى المنخفض ن=10		الفرق بين المتوسطين	قيمة (ت)
		س/	ع	س/	ع		
القدرات البدنية	الوثب العريض	196.67	5.77	220.00	10.00	23.33-	3.50-
	الوثب العمودي	20.67	0.58	25.33	0.58	4.67-	9.90-
	دفع كرة طبية	291.67	2.89	345.00	32.79	53.33-	2.81-
	3 حجلات على الرجل اليسرى	1.64	0.05	1.73	0.01	0.09-	2.89-
	3 حجلات على الرجل اليمنى	1.92	0.02	2.24	0.17	0.32-	3.25-
	زمن تكرار الوثب العمودي 5 ك	2.64	0.05	3.06	0.14	0.42-	4.94-
الأداءات الهجومية	اختبار التمرير على الحائط	20.20	2.35	16.90	1.45	3.30	3.78
	اختبار الرميات الحرة	19.40	1.07	16.60	2.63	2.80	3.11
	اختبار التصويب من القفز	18.00	1.63	14.40	1.84	3.60	4.63
	اختبار التصويب السلمي السريع	5.60	0.52	4.00	0.67	1.60	6.00

قيمة تاء الجدولية عند مستوى 0.01= 2.522 درجة الحرية 20 – 2 = 18

يتضح من الجدول رقم 3 عدم وجود فروق معنوية (عند مستوى دلالة α=0.01) بين اللاعبين ذوي المستوى العالي واللاعبين ذوى المستوى الضعيف، مما يؤكد على تمتع الاختبارات المستخدمة في قياس المتغيرات قيد البحث بمعامل الصدق، وأنها تقيس فعلا ما وضعت لأجله.

- **ثبات الاختبارات:**

على الرغم من تمتع جميع الاختبارات والمقاييس المختارة في جمع بيانات البحث بالثقل العلمي المطلوب إلا أن الباحثين أصرا على زيادة التحقق من تمتع الاختبارات بالثبات، لذلك قام الباحثان بحسابه للاختبارات المستخدمة في قياس المتغيرات قيد البحث

ISSN: 2523 – 1871

باستخدام طريقة إعادة تطبيق الاختبارات على عينة قوامها (10) لاعبين من خارج عينة البحث الأساسية للبحث، وفي نطاق المجتمع البحثي أُعِيدَتْ الاختبارات بفارق زمني مدته 10 أيام، كما هو موضح بالجدول رقم 4.

جدول رقم 4 معامل الارتباط بين التطبيق الأول والثاني للاختبارات المستخدمة في قياس المتغيرات قيد البحث

	المتغيرات	التطبيق الأول		التطبيق الثاني		قيمة (ر)	دلالة الارتباط
		س/	ع	س/	ع		
القدرات البدنية	الوثب العريض	205.50	11.65	206.50	10.55	0.862	دال
	الوثب العمودي	22.80	2.04	23.00	1.83	0.953	دال
	دفع كرة طبية	311.50	28.39	315.00	26.67	0.987	دال
	3 حجلات على الرجل اليسرى	2.07	0.16	2.07	0.15	0.995	دال
	3 حجلات على الرجل اليمنى	2.09	0.17	2.10	0.14	0.984	دال
	زمن تكرار الوثب العمودي 5 ك	2.80	0.20	2.81	0.18	0.988	دال
الأداءات الهجومية	اختبار التمرير على الحائط	20.20	2.35	16.90	1.45	0.87	دال
	اختبار الرميات الحرة	19.40	1.07	16.60	2.63	0.93	دال
	اختبار التصويب من القفز	18.00	1.63	14.40	1.84	0.91	دال
	اختبار التصويب السلمي السريع	5.60	0.52	4.00	0.67	0.74	دال

قيمة (ر) الجدولية عند مستوى 0.01 = 0.721 درجة الحرية 10 – 1 =9

يتضح من الجدول رقم 4 وجود معامل ارتباط عال ودال إحصائيا (عند مستوى دلالة α=0.01) بين التطبيق الأول والتطبيق الثاني للاختبارات قيد البحث، مما يدل على تمتع الاختبارات المستخدمة في البحث بمعامل الثبات.

التجربة الاساسية للبحث:

- **القياسات والاختبارات القبلية:**

أُجْرِيَتْ القياسات والاختبارات القبلية للبحث على النحو الآتي:

- القياس القبلي للاختبارات والمقاييس قيد البحث (القدرة الانفجارية لعضلات الرجلين والذراعين وبعض الأداءات الهجومية بكرة السلة) للمجموعة التجريبية الأولى التي أجريت بنادي الأهلي بنغازي، وذلك

في يوم السبت؛ الموافق: 2017/7/8م.

- القياس القبلي للاختبارات والمقاييس قيد البحث (القدرة الانفجارية لعضـــلات الرجلين والذراعين وبعض الأداءات الهجومية بكرة الســـلة) للمجموعة التجريبية الثانية التي أجريت بنادي الهلال، وذلك في يوم الأحد؛ الموافق: 2017/7/9م.

- **تنفيذ التجربة:**

قام الباحثان بتطبيق تجربة البحث باستعمال النظامين التدريبيين المقترحين (التدريب البالستى - وتدريب القوة القصـــوى) على مجموعتي البحث، حيث طبق نظام التدريب البالســـتي على المجموعة التجريبية الأولى، في حين طبق نظام تدريب القوة القصوى على المجموعة التجريبية الثانية، ولمدة 12 أســـبوعًا تدريبيّاً (في الفترة من2017/7/15م، وحتى 2017/12/5م) بواقع (3) وحدات تدريبية في الأسبوع، حيث خصصت أيام: السبت، والإثنين، والأربعاء؛ للمجموعة التجريبية الأولى، فيما خصصت أيام: الأحد، والثلاثاء، والخميس؛ للمجموعة التجريبية الثانية كأيام تدريبية؛ ليتســـنى للباحثين المتابعة والإشراف على المجموعتين.

- **القياسات والاختبارات البعدية:**

بعد انقضـــاء المدة التدريبية المحددة لتجربة البحث قام الباحثان بإجراء القياســـات والاختبارات البعدية على النحو الآتي:

- القياس البعدي للاختبارات والمقاييس قيد البحث للمجموعة التجريبية الأولى التي أجريت بنادي الأهلي بنغازي، وذلك في يوم السبت؛ الموافق: 2017/12/7م.
- القياس القبلي للاختبارات والمقاييس قيد البحث (القدرة الانفجارية لعضـــلات الرجلين والذراعين وبعض الأداءات الهجومية بكرة الســـلة) للمجموعة التجريبية الثانية التي أجريت بنادي الهلال، وذلك في يوم الأحد؛ الموافق: 2017/12/8م.

البرامج التدريبية المستخدمة في البحث:

باستخدام نظام التدريب البالستى ونظام تدريب القوة القصوى قام الباحثان بتصميم برنامجين تدريبيان لتطبيقهما على مجموعتي البحث؛ للوقوف على آثارهما في تحسين المتغيرات قيد البحث، فطبقا للمراجع والمصادر النظرية المتخصصة في التدريب الرياضي اختيرت التمرينات والتدريبات المشابهة لمتطلبات الأداء في أثناء المنافسة؛ لغرض الاستفادة القصوى من تأثيراتها الإيجابية لتحقيق الأداء الحركي المطلوب، وبما يؤدي إلى تحسين المتغيرات قيد البحث، وقد رُوعِيَ التدرج بالحمل عند استخدامها (بما يتناسب مع قدرات عينة البحث وإمكانياتها) وذلك من السهل إلى الصعب، حيث تبدأ التمرينات المستخدمة باستخدام الشدة تصاعدياً، وبأوزان مناسبة، وكانت تشمل: الحجل، والقفز فوق الموانع والصناديق بارتفاعات المختلفة، والركض لمسافات مختلفة أكثر وبشدة مختلفة، وكان التدريب بمعدل ثلاث وحدات تدريبية في الأسبوع، ويتراوح زمن الوحدة التدريبية الواحدة من 70–80 دقيقة، بمجموع تراوح ما بين 42–48 ساعة تدريبية خلال 36 وحدة تدريبية.

المعالجات الإحصائية المستخدمة في البحث:

المتوسط الحسابي.	معامل الالتواء.
الانحراف المعياري.	اختبار تاء (T–test) للعينات المرتبطة وغير المرتبطة.
الوسيط.	معامل ارتباط بيرسون.

عرض النتائج ومناقشتها:

جدول رقم 5 يوضح دلالة الفروق بين القياسين القبلي والبعدي للاختبارات قيد البحث للمجموعة التجريبية الأولى

	المتغيرات	القياس القبلي		القياس البعدي		الفرق بين المتوسطين	قيمة (ت)	نسب التحسن
		س/	ع	س/	ع			
القدرات البدنية	الوثب العريض	200.00	5.67	231.33	14.57	31.33–	6.01–	15.67
	الوثب العمودي	35.13	1.30	49.13	0.92	14.00–	25.00–	39.85
	دفع كرة طبية	293.00	15.90	325.00	11.34	32.00–	4.92–	10.92
	سرعة3 حجلات يمين	2.71	0.17	1.85	0.08	0.86	14.33	39.63
	سرعة3 حجلات شمال	2.73	0.15	1.78	0.07	0.95	19.00	34.79

ISSN: 2523 – 1871

الأداءات الهجومية	زمن تكرار الوثب العمودي 5 ك	3.94	0.44	2.25	0.19	1.69	10.56	42.89
	اختبار التمرير على الحائط	18.59	1.12	22.33	0.67	3.74-	8.04	20.11
	اختبار الرميات الحرة	17.40	1.07	21.23	0.77	3.83-	8.70	22.01
	اختبار التصويب من القفز	15.56	1.15	19.44	0.89	3.88-	8.81	24.93
	اختبار التصويب السلمى السريع	3.55	0.87	5.70	0.57	2.15-	6.14	60.56

قيمة تاء الجدولية عند درجة حرية (9) ومستوى معنوية (0.01) = 2.821

يتضح من جدول رقم 5 وجود فروق معنوية (عند مستوي دلالة α=0.01) بين القياسين القبلي والبعدي في جميع الاختبارات قيد البحث (القدرة الانفجارية لعضلات الرجلين والذراعين وبعض الأداءات الهجومية)، للمجموعة التجريبية الأولى لصالح القياسات والاختبارات البعدية، مما يدل على وجود تأثير واضح للبرنامج التدريبي المقترح باستعمال نظام التدريب البالستي.

وتتفق نتائج هذا البحث مع ما توصلت إليه العديد من الدراسات والبحوث السابقة كدراسة كل من جورج بلوج وآخرون (2001) التي أشارت إلى أن استخدام الكرات الطبية في برنامج التدريبات البالستية تعمل على تقوية الجسم، وتستخدم لجعل الجهاز العصبي العضلي أكثر حساسية، نحو الاستجابة بشكل فوري للأداء الحركي، وتُعد تدريبات الرمي البالستية مناسبة وهامة لتحسين أداء الرمي لدى الرياضيين، ويتفق ذلك –أيضاً– مع ما ذكره تشارلز ستالي Charles Styaley (1996) من أن التدريب البالستي يزيد من سرعة اللاعب وقدرته على الوثب، وذلك من خلال تمرينات مكثفة تقدم مخرجات قدرة أعلى، وتعمل على حدوث تكيف في الجهاز العصبي.

ويرجع الباحثان هذا التقدم إلى تأثير النظام التدريبي البالستي، وما تضمنه من تدريبات مصممة وموجهة؛ لتنمية القدرات البدنية، من خلال تدريبات باستخدام جيتر الأثقال أو وثب الصناديق، بالإضافة إلى استخدام الكرات الطبية وجاكيت الأثقال، وكلها تدريبات تزيد من مستوى القدرات البدنية، كما يعزو الباحثان هذا التحسن إلى أن التدريب البالستي وما يتضمنه من تدريبات تراوحت شدتها من 30: 50 % من قدرة اللاعب، وكذلك التركيز على سرعة أداء تدريبات الوثب بالقدمين أو دفع الأرض بالذراعين، مما يعمل على زيادة مخرجات القدرة الميكانيكية.

ISSN: 2523 – 1871

إن ما توصل إليه البحث من نتائج يؤكد أهمية التدريب البالستي في تنمية القدرة الانفجارية، وبالتالي ينمي السرعة والقوة العضلية، وهنا يذكر جورج وروبرت ووارد Robertr Ward George (1988) أنّ التدريب البالستي يعد من أنسب أنواع التدريب؛ لتنمية السرعة والقوة المميزة بالسرعة، حيث إنّ أغلب التدريبات تؤدي بصورة انفجارية، وليس بها أي انخفاض في السرعة، حيث حُوِّلَ الانقباض بالتطويل إلى انقباض بالتقصير بأقصى سرعة، ويضيف ميشيل كنت Michael Kent (1998) –إلى ما سبق– أن تنمية القوة المميزة بالسرعة من خلال تدريبات البالستي تؤثر بدورها على أي مهارة تحتاج إلى القدرة على الوثب لأعلى، وأيضاً قدرة الذراعين في أداء الواجبات الحركية، ومن ثم فهي تعد تدريبات فعالة في رياضات عديدة.

هذه النتيجة تأكد صحة الفرض الأول، الذي ينص على وجود فروق إحصائية دالة معنويا بين القياسين القبلي والبعدي للمجموعة التجريبية الأولى، التي استخدمت النظام البالستي في تحسين القدرة الانفجارية لعضـــلات الرجلين والذراعين وبعض الأداءات الهجومية قيد البحث، وبالتالي تقبل هذه الفرضية.

جدول رقم 6 يوضح دلالة الفروق بين القياسين القبلي والبعدي للاختبارات قيد البحث للمجموعة التجريبية الثانية

	المتغيرات	القياس القبلي		القياس البعدي		الفرق بين المتوسطين	قيمة (ت)	نسب التحسن
		س/	ع	س/	ع			
القدرات البدنية	الوثب العريض	201.33	5.50	210.33	5.16	9.00-	3.59-	4.47
	الوثب العمودي	20.00	2.51	29.55	2.30	19.55-	19.43-	47.75
	دفع كرة طبية	302.67	10.50	311.33	8.44	8.66-	2.72-	2.86
	سرعة3 حجلات يمين	2.55	0.37	2.03	0.23	0.52	2.36	20.39
	سرعة3 حجلات شمال	2.65	0.10	2.20	0.32	0.45	4.09	16.98
	زمن تكرار الوثب العمودي 5 ك	4.05	0.32	3.15	0.89	0.90	2.81	22.22
الأداءات الهجومية	اختبار التمرير على الحائط	18.87	1.50	20.73	0.65	1.86-	3.44-	9.86
	اختبار الرميات الحرة	17.60	1.63	18.44	1.07	0.84-	1.29-	4.77
	اختبار التصويب من القفز	15.40	1.84	17.07	1.22	1.67-	6.96-	10.84

ISSN: 2523 – 1871

اختبار التصويب السلمي السريع	3.98	0.67	4.70	0.09	-0.72	3.27	18.09

قيمة تاء الجدولية عند درجة حرية (9) ومستوى معنوية (0.01) = 2.821

يتضح من جدول رقم 6 وجود فروق معنوية (عند مستوي دلالة α=0.01) بين القياسين القبلي والبعدي في جميع الاختبارات قيد البحث (القدرة الانفجارية لعضلات الرجلين والذراعين وبعض الأداءات الهجومية)، للمجموعة التجريبية الثانية لصالح القياسات والاختبارات البعدية، مما يدل على وجود تأثير واضح للبرنامج التدريبي المقترح، الذي يطبق نظام التدريب الذي يستعمل القوة القصوى، والشائع استعماله في كثير من المراكز والأندية الرياضية بمدينة بنغازي.

وتتفق نتائج هذا البحث مع ما توصلت إليه العديد من الدراسات والبحوث السابقة كدراسة مفتي إبراهيم (1994) التي تشير إلى أن الإعداد البدني الجيد يسهم بشكل كبير في تنمية القوة العضلية، الذي بدوره يؤدي إلى تطوير الأداء وظهوره بمستوى أداء مثالي، ويتفق مع –أيضاً– كل من عبد العزيز النمر، وناريمان الخطيب (2007)، ومسعد علي محمود (2003) الذين يؤكدون أن التدريب الرياضي المنظم يؤدي إلى كفاءة الجهاز العضلي، ويظهر ذلك بصورة مباشرة في قدرة العضلة على الانقباض بمعدل أسرع وأكثر تفجراً، خلال المدى الحركي للمفصل، سواء أكانت هذه القوة حركية أم ثابتة.

يذكر أبو العلا عبدالفتاح (1997) أن القدرة العضلية تتحسن كنتيجة للتدريب المنتظم، خاصة إذا احتوى هذا التدريب على أحمال مقننة طبقاً للقدرات الخاصة لكل لاعب، وهذا ما توافق مع النتيجة التي توصل إليها هذا البحث، وبذلك تتأكد صحة الفرض الثاني، الذي ينص على وجود فروق إحصائية دالة معنويا بين القياسين القبلي والبعدي للمجموعة التجريبية الثانية، التي طبقت نظام التدريب الذي يستعمل القوة القصوى في تحسين القدرة الانفجارية لعضلات الرجلين والذراعين وبعض الأداءات الهجومية قيد البحث، وبالتالي تقبل هذه الفرضية.

ISSN: 2523 – 1871

جدول رقم 7 يوضح دلالة الفروق بين القياسين البعديين للاختبارات قيد البحث للمجموعتين الأولي والثانية

	المتغيرات	المجموعة التجريبية الأولى		المجموعة التجريبية الثانية		الفرق بين المتوسطين	قيمة (ت)
		س/	ع	س/	ع		
القدرات البدنية	الوثب العريض	231.33	14.57	210.33	5.16	15.00	5.77
	الوثب العمودي	49.13	0.92	29.55	2.30	19.58	33.76
	دفع كرة طبية	325.00	11.34	311.33	8.44	13.67	4.10
	سرعة3 حجلات يمين	1.85	0.08	2.03	0.23	0.18-	3.00
	سرعة3 حجلات شمال	1.78	0.07	2.20	0.32	0.42	5.25
	زمن تكرار الوثب العمودي 5 تكرارات	2.25	0.19	2.30	0.89	0.40	2.84
الأداءات الهجومية	اختبار التمرير على الحائط	22.33	0.67	20.73	0.65	1.60	7.27
	اختبار الرميات الحرة	21.23	0.77	18.44	1.07	2.79	9.00
	اختبار التصويب من القفز	19.44	0.89	17.07	1.22	2.37	6.58
	اختبار التصويب السلمي السريع	5.70	0.57	4.70	0.09	1.00	7.14

قيمة تاء الجدولية عند درجة حرية (18) ومستوى معنوية (0.01) = 2.522

يتضح من جدول رقم 7 وجود فروق معنوية (عند مستوى دلالة α=0.01) بين القياسين البعديين في جميع الاختبارات قيد البحث (القدرة الانفجارية لعضلات الرجلين والذراعين وبعض الأداءات الهجومية)، لمجموعتي البحث لصالح المجموعة التجريبية الأولى، مما يدل على وجود تأثير إيجابي واضح، وأفضل للبرنامج التدريبي المقترح الذي استخدم النظام البالستي في تحسين القدرة الانفجارية لعضلات الرجلين والذراعين وبعض الأداءات الهجومية قيد البحث.

وتتفق نتائج البحث الحالي مع نتائج الدراسات التي تناولت تدريب المقاومة البالستية، التي أجريت على مختلف الأنشطة الرياضية، وأثبتت تحسن المستوى البدني نتيجة للتدريبات البالستية المقننة لنوع النشاط، كما يذكر ميشيل كنت Michael Kent (1998) الذي يؤكد أن الحركة المتفجرة هي أكثر فائدة لأداء الرياضي؛ لكون معظم الحركات الرياضية تكون متفجرة على عكس التدريب التقليدي بالأثقال، الذي يركز على حجم العضلة أكثر من سرعة انقباضها، ومن ثم انقباض الألياف العضلية يكون بطيئاً

حتى وإنْ كان تأثيرها إيجابيّاً إلا أنّ المقارنة في التأثير بين التدريب البالستي والتدريب باستعمال القوة القصوى تأكد أفضلية التدريب البالستي في تحسين القدرة الانفجارية لعضلات الرجلين والذراعين وبعض الأداءات الهجومية قيد البحث، وهذا يتأكد –أيضاً– بالنظر إلى الجدول رقم 5، 6 والمقارنة بين نسب التحسن من جراء استعمال برنامجي البحث، حيث تبين النتائج أن نسب التحسن باستعمال التدريب البالستي كان من الواضح أفضل إذا ما قورن بنسب تطبيق التدريب باستعمال القوة القصوى.

بهذه النتيجة تتأكد –أيضـــاً– صـــحة الفرض الثالث، الذي ينص على وجود فروق ذات دلالة إحصـائية بين القياسـات البعدية للمجموعة التجريبية الأولى والمجموعة التجريبية الثانية في المتغيرات قيد البحث لصـــالح المجموعة الأولى، التي تســتخدم النظام البالســتي في تحســين القدرة الانفجارية لعضـــلات الرجلين والذراعين وبعض الأداءات الهجومية بكرة الســـلة قيد البحث، وبالتالي تقبل هذه الفرضية.

الاستنتاجات والتوصيات:

الاستنتاجات:

من خلال تحليل نتائج البحث وتفسيرها ومناقشتها توصل الباحثان إلى مجموعة من الاستنتاجات الملخصة علي النحو الآتي:

1- تؤكد النتائج أهمية النظامين التدريبيين اللذين اســتعملا في البحث، التي طبقت خلالهما التدريبات البالستية وتدريبات القوى القصوى.

2- أن المنهجين التدريبيين المقترحين قد ســاهما بشــكل فاعل في تطوير القوة الانفجارية لعضــلات الذراعين والرجلين وبعض الأداءات الهجومية لدى لاعبي كرة السلة قيد البحث.

3- تأكد أفضـلية التدريب البالسـتي في تحسـين القدرة الانفجارية لعضـلات الرجلين والذراعين وبعض الأداءات الهجومية قيد البحث عن التدريب باستعمال تدريبات القوى القصوى.

4- أن التدريبات البالستية تسهم في تطوير الأداء المهاري للاعبي كرة السلة، من خلال التناسق بين طول وتردد خطوات الركض، وأن التدريبات البالستية المستخدمة ضمن المنهج التدريبي تؤدي إلى تطوير الإنجاز الرياضي.

التوصيات:

بعد الانتهاء من هذا البحث، وجمع البيانات وتحليلها، والخروج بنتائج واســـتنتاجات يمكننا تقديم بعض الاقتراحات والتوصـــيات؛ بغية الاســـتفادة منها في مجال التدريب الرياضـــي والبحث العلمي، والملخصة في النقاط الآتية:

1- اعتمادا على نتائج البحث يوصي الباحثان بضرورة الاطلاع على محتوى البرامج التدريبية المقترحة، وتعميمها على المدربين عامة، ومدربي كرة السلة خاصة؛ للاستفادة من نتائجها، والنهوض بمستوى الأداء والإنجاز الرياضي.

2- التأكيد على ضرورة أن تكون تدريبات البالستي وفقا للفئة العمرية، ومراعية للأحمال التدريبية ومستوى الشدة.

3- التأكيد على ضرورة الاهتمام بتدريبات المرونة والارتخاء، وخصوصاً للأطراف السفلى في تدريبات البالستي خلال كل وحدة تدريبية.

4- إجراء دراسات مشابهة لفئات عمرية أخرى، ولفعاليات أخرى بأسلوب نظام التدريب البالستي، باعتبار أفضلية نتائجه إذا ما قورنت بتدريبات القوى القصوى.

قائمة المصادر

1. إبراهيم، محمّد رضا (2008). "التطبيق الميداني لنظريات وطرق التدريب الرياضي" ، بغداد، دار الكتب والوثائق.
2. أبو زيد، عماد الدين عباس (2005). "التخطيط والأسس العلمية لبناء وإعداد الفريق في الألعاب الجماعية"، الإسكندرية ، منشأة المعارف.
3. أحمد، بسطويسي (1999). "أسس ونظريات التدريب الرياضي" ، القاهرة ، دار الفكر العربي.
4. إسماعيل، محمّد عبد الرحيم (2010). "كرة السلة تطبيقات عملية 1: الهجوم" ، ط2، الإسكندرية، منشأة المعارف.
5. حماد، مفتي إبراهيم (1994). "الإعداد المهارى والخططى للاعب كرة القدم، القاهرة، دار الفكر العربي.

6. خاطر، أحمد محمّد و البيك، علي فهمي (1996). "القياس في المجال الرياضي" ، ط4، الإسكندرية، دار المعارف.
7. خلف، أحمد فاروق (2003). "تأثير برنامج للتدريب البالستي على بعض المتغيرات البدنية والمهارية والفسيولوجي للاعبي كرة السلة، بحث منشور، المجلة العلمية للتربية البدنية والرياضية، كلية التربية الرياضية للبنين، جامعة حلوان.
8. سلامة، محمّد عبد العزيز (1993). "وضع مستويات معيارية لمجموعة اختبارات لحركات القدمين لدى لاعبي كرة السلة: نظريات وتطبيقات، المؤتمر العلمي لقسم التمرينات والجمباز، كلية التربية الرياضية للبنين بالإسكندرية.
9. عبد الفتاح، أبو العلا أحمد (1997). "التدريب الرياضي: الأسس الفسيولوجية"، القاهرة، دار الفكر العربي.
10. لبيب، محمود محمّد (2008). "دراسة مقارنة لتأثير استخدام أسلوبين مختلفين لتنمية القدرة العضلية (البليومترى – البالستى) على مستوى الإنجاز الرقمي للاعبي الوثب الثلاثي"، المؤتمر الإقليمي الرابع للمجلس الدولي للصحة والتربية البدنية والترويح والرياضة والتعبير الحركي لمنطقة الشرق الأوسط ، كلية التربية الرياضية – أبو قير – جامعة الاسكندرية.
11. محروس، عزت إبراهيم السيد (2004). "تأثير التدريب المتباين باستخدام الأثقال والبليومترك على بعض القدرات البدنية الخاصة والمستوى الرقمي للاعبي الوثب الطويل"، أطروحة دكتوراه، كلية التربية الرياضية للبنين، جامعة حلوان.
12. محمود، مسعد علي (2003). "المدخل إلى علم التدريب"، المنصورة، دار جامعة المنصورة للطباعة والنشر والتوزيع.
13. النمر، عبد العزيز أحمد (1991). "تأثير برنامجين للتدريب بالأثقال على القدرة العضلية للاعبي كرة السلة" ، **مجلة علوم وفنون**، (مج3)، (ع3).
14. النمر، عبد العزيز ، والخطيب، ناريمان (1996). "تدريب الأثقال – تصميم برامج القوة وتخطيط الموسم التدريبي، القاهرة، مركز الكتاب للنشر.

15. Blough, George and others (2001). "Sports Speed forever, Buy Leroy" Burrell, Second edition.
16. Carr, Gerry (1997). "Mechanics of sports, Human Kinetics", U.S.A.
17. Davis, Bop and Others (1995). "Physical Education and the study of sported Mosby". M.S.H.
18. Dintimen, George .B and .Bob Ward (1997). "Sports Speed" , Second Edition , Human Kinetics .
19. Kent, Michael (1998). "The Oxford Dictionary of Sports Science and medicine, Oxford, Oxford University Press.
20. Ralph,L and Pi, Ed. D (1994)" .Winning basketball techniques and drills for playing better basketball, Human Kinetics".
21. Staley, Charles (1996). "Fundamentals of strength acquisition for combat sport", Staley West International Sport Science Association.

ISSN: 2523 – 1871

شوارع مدينة طرابلس في العهد القرمانلي وتخطيطها العام

أ. مصطفى فرج علي البركي

مساعد محاضر بقسم الآثار جامعة بنغازي، وطالب دكتوراه بالجامعة الوطنية الماليزية

د.روزية صديق – د.أزمول بن قمر الزمان

عضوا هيأة تدريس بالجامعة الوطنية الماليزية

المستخلص:

مدينة طرابلس من المدن المهمة في المغرب الإسلامي، وكان لها دور مهمّ في تشكيل تاريخ المنطقة، لاسيما في العصر العثماني، ومن خلال هذا البحث حاولنا تسليط الضوء على موضوع الشوارع في المدينة خلال فترة حكم الأسرة القرمانلية (1711–1835م) وظروف وطبيعة تخطيطها، فقد كانت هناك عدة عوامل كان من شأنها أن تؤثر على تخطيط شوارع المدينة، منها ما هو مرتبط بالموقع الجغرافي وبطبوغرافية المكان، وطبيعة الشاطئ التي جعلت الشوارع تسير في اتجاهين فقط، ووضع مدينة طرابلس كمدينة قديمة لم تستحدث في العصر الإسلامي، فضلاً عن إحاطة المدينة بسور، ممّا جعل مساحتها محصورة، وأثر بالتالي على ضيق الشوارع، ومنها ما هو مرتبط بالظروف المناخية والإقليمية لطرابلس، التي انعكست على مقاييس شوارعها واتجاهاتها وكيفية تخطيطها، وحاولنا البحث في تخطيط شوارع طرابلس من خلال ما تضمنته أحكام الشريعة الإسلامية، وكتب الفقه الإسلامي المتعلقة بتخطيط المدن وتخطيط شوارعها، وختمنا البحث ببعض النتائج التي توصلت إلها.

الكلمات المفتاحية:

الشوارع، الزنقة، الزنقة اللاطمة، الحومة، الأقواس، الساباطات، الأجنحة والرواشن.

المقدمة:

لقد شغل موضوع الطرق والشوارع في المدينة السلامية بال عامة المسلمين، فضلاً عن الحكام والفقهاء على مرّ العصور، ومن الطبيعي أن تتطرق الشريعة الإسلامية لذلك الموضوع، وتوليه عناية كبيرة؛ لكون الطرق هي الشرايين الأساسية التي تربط الأحياء والأجزاء المختلفة في أي مدينة، ومدينة

طرابلس ترجع أصولها إلى القرن الخامس قبل الميلاد، فقد أسسها الفينيقيون القادمون من بلاد الشام كمحطة تجارية، وسوقاً لتصدير المواد الأولية من إفريقيا، وبعد ذلك استوطنها الرومان، ومن بعدهم البيزنطيون، ثم فتحها العرب المسلمون سنة (29هـ / 649 م)، أما من حيث التسمية فإن اسمها يرجع إلى العصر الفينيقي، حيث عرفت باسم "أويا" أو "أويات، وهي واحدة من مدن ثلاث بناها الفينيقيون في غرب ليبيا، وهي أويا "طرابلس الحالية" ولبدة، وصبراتة، وقد سمى الإغريق الإقليم بأكمله باسم تريبولي؛ أي إقليم المدن الثلاث، وبعد أفول نجم المدينتين الأخريين صبراتة ولبدة، أُطلِقَ اسم الإقليم بكامله على مدينة أويا فأصبح اسمها تريبولي، الذي حرف بعد الفتح الإسلامي إلى طرابلس، وعندما دخلها العثمانيون زادوا عليه لفظة "غرب" تمييزا عن طرابلس الشام، وكتبت في بعض وثائقهم ومسكوكاتهم باسم طرابلس الغرب .

تنقسم مدينة طرابلس حالياً إلى قسمين هما: المدينة الحديثة التي ترجع بداياتها إلى نهاية العصر العثماني، والمدينة القديمة المسورة التي نحن بصدد دراستها في هذا البحث، وفي هذه الدراسة سوف نتعرض لموضوع الشوارع في مدينة طرابلس القديمة وتخطيطها؛ للوقوف على أهميتها بالنسبة للمدينة ولساكنيها على مرّ العصور، كما أن موضوع الشوارع في المدن الإسلامية المختلفة (البصرة، الكوفة، بغداد، القاهرة، وغيرها) حظي بالعديد من الدراسات، إلا أن ما كتب عن شوارع طرابلس يعد نادراً مع توفر كمّاً معقولاً من الإشارات التاريخية التي وردت عنها في كتب الرحالة والمؤرخين، وما التقط لها من صور، ووضع لها من مخططات، فضلاً عن كون المدينة لا تزال محافظة على الكثير من شوارعها ومعالمها القديمة، لاسيما تلك التي ترجع إلى العصر العثماني، كل ذلك أشعرني بأهمية الكتابة في هذا الموضوع.

وفي محاولة متواضعة حاولنا تسليط الضوء على شوارع مدينة طرابلس وفق المحاور الآتية:

1- التخطيط العام.

2- المسميات.

3- المعالجات المعمارية.

4- التأثيرات البيئية على شوارع المدينة.

5- الشوارع ومراعاة تطبيق قواعد الشريعة الإسلامية.

أولاً: التخطيط العام لشوارع مدينة طرابلس:

يرجع تخطيط شوارع طرابلس إلى عصور أقدم بكثير من الفترة القرمانلية؛ وذلك لأن كثيرًا من الباحثين يرون أن تخطيط شبكة طرق وشوارع مدينة طرابلس يرجع إلى العصر الروماني، حيث احتفظت المدينة بشكل كبير بالتخطيط الذي وضعه الرومان لها، وأن قوس النصر الروماني الذي أقيم في طرابلس سنة 163م-164م تخليداً لانتصار الإمبراطور ماركوس أوريليوس على الفرس (كنريك،2015م، ص 20) والذي لا تزال معالمه باقية إلى اليوم (انظر: الصورة رقم 1) يعطينا فكرة عن تخطيط شوارعها في الفترة الرومانية، فقد جرت العادة أن تبنى مثل تلك الأقواس عند تقاطع الشارعين الرئيسيين بالمدينة، فمن المعروف أن المدينة الرومانية التقليدية كانت تخطط على هيأة مربع أو مستطيل، يخترقه طريقان عموديان في الوسط، يتجه أحد هاذين الطريقين الرئيسيين من الشمال إلى الجنوب ويسمى كاردو Cardo ويعني محوراً، أما الطريق الثاني الرئيسي فيتجه من الشرق إلى الغرب ويسمى ديكومانوس Decumanus، ثم تمتد شبكة من الشوارع بشكل أفقي ورأسي، وبشكل موازٍ للشارعين المذكورين (عرفة، د.ت، ص6)، فينتج بذلك شبكة من الطرق تشبه رقعة الشطرنج، وهو ما اصطلح على تسميته بالتخطيط الشطرنجي أو التخطيط المتعامد.(ميسانا، 1973م، ص.255)

وقد ذهب سالفاتوري أوريدجما إلى الاعتقاد بأن الكاردو والديكومانوس في مدينة طرابلس الرومانية يتقاطعان تحت قوس ماركوس أوريليوس (Aurigemma،1933، p. 14)، على الرغم من أن موضع القوس الحالي يقع في الطرف الشمالي الشرقي للمدينة لا في مركزها، حيث يكون في امتداد الشارع الذي يشق المدينة بشكل طولي ابتداءً من باب الحرية، الذي يعرف في بعض أجزائه بشارع قوس الصرارعي، وفي جزء آخر بشارع جامع محمود، ثم يتقاطع مع الشارع الممتد بشكل أفقي في وسط المدينة، وهو ما يعرف بشارع سوق الحرارة وزنقة الريح (تقاطع الأربع عارصات)، ويستمر امتداد هذا الشارع بشكل طولي؛ ليمر بميدان السيدة مريم، الذي يطل عليه –أيضاً– بنك روما من جهة، وسجن الوالي صفر داي

المعروف بالسجن التركي من الجهة المقابلة، ثم يستمر هذا الشارع بالامتداد حتى يمر بالقنصلية الفرنسية (زنقة الفرنسيس)، إلى أن يصل إلى قوس ماركوس أوريليوس، وتحت ذلك القوس يتقاطع هذا الشارع مع الشارع الذي يمتد بشكل أفقي ابتداء من باب البحر مروراً بقوس ماركوس أوريليوس، وينتهي عند السور الغربي للمدينة، الذي فتح به مؤخراً الباب الواقع بالقرب من المعبد اليهودي، ويعرف هذا الشارع في بعض أجزائه بشارع الأكواش وشارع الحارة الكبيرة. (انظر المخطط رقم 1)

وإن كان هناك الكثيرون الذين يرون بأن شبكة الطرق في مدينة طرابلس قد احتفظت بشكل تقريبي بالتخطيط الذي وضعه لها الرومان قديماً، فإن المهندس المعماري الإيطالي غاسبري ميسانا يرى– ونحن نتفق معه في هذا الرأي– أن تخطيط شوارع مدينة طرابلس اتجاهاتها إنما فرضته طبوغرافية موقعها الجغرافي؛ وذلك لأن المدينة يحيط بها الشاطئ من الجهتين الشرقية والشمالية، إذ يلتف البحر عليها بشكل يكاد يكون زاوية قائمة، ومن ثم فلا غرو أن تتجه شوارع المدينة بشكل أفقي ورأسي لتطل على الشاطئ الشرقي والشاطئ الشمالي لها، لاسيما وأن البحر كان بمثابة الشريان الأساسي الذي تعتمد عليه المدينة في أغلب أوجه حياتها، ويضيف ميسانا بأن ذلك الوضع هو الذي أملى على الرومان اتخاذ شوارعهم بهذا الشكل، وكذلك الفينيقيين من قبلهم، ويضيف ميسانا أن شوارع مدينة طرابلس القديمة تمتد فقط في اتجاهين فرضتهما طبيعة الشاطئ المحيط بالمدينة(انظر: المخطط رقم 2)، الأمر الذي يميز تخطيط مدينة طرابلس عن غيرها من المدن المغربية الأخرى، وفي مقدمتها مدينة تونس والجزائر، حيث تتجه الشوارع في كل حدب وصوب. (ميسانا، 1973م، ص.255–256)

وإذا أمعنا النظر في خارطة مدينة طرابلس في العصر العثماني(انظر: المخطط رقم 1) نجد أن مخطط المدينة ظل محافظاً على ذات الفكرة؛ ذلك أن شوارعها تمتد وفق امتداد شارعين يعدان رئيسيين في المدينة آنذاك، وهما الشارع الذي يمتد من باب الحرية وحتى قوس ماركوس أوريليوس، الذي يتقاطع في منتصفه تقريباً مع الشارع الممتد من شاطئ البحر حتى الباب الجديد (تقاطع الأربع

عارصات)[2] (انظر: الصورة رقم 2)، ووفق امتداد هاذين الشارعين تمتد بقية شوارع المدينة وتتقاطع فيما بينها بشكل عمودي وأفقي، مكونة بذلك ما يشبه الرقعة الشطرنجية من الشوارع المتقاطعة.

وشوارع مدينة طرابلس أسوة بشوارع بقية المدن الإسلامية –ولاسيما الواقعة منها في المغرب الإسلامي والقريبة منها– تنقسم إلى نوعين: النوع الأول: الشوارع؛ وهي تلك الطرقات التي تتميز نوعاً ما بالاستقامة والاتساع، بحيث تكون هذه الشوارع من الطرق الرئيسية في المدينة، وتتميز بأنها تمتد لمسافات طويلة بين أحيائها وتتفرع منها طرقات أخرى أقصر طولاً وأقل اتساعاً، أما النوع الثاني: فهي الأزقة التي توصل بين الأحياء السكنية، وهي في العادة أقل اتساعاً وأقل طولاً من الشوارع، ويطلق عليها محلياً اسم الزنقة[3]، وهي بدورها تنقسم إلى قسمين: زنقة نافذة تربط بين شارعين أو زقاقين، وزنقة غير نافذة أو غير متصلة ببقية الشوارع في إحدى نهاياتها، فهي تتفرع من أحد الشوارع وتكون نهايتها مغلقة، وبذلك فهي خاصة بمجموعة من البيوت التي تفتح عليها أبوابها، وهو ما يعرف باللهجة العامية الطرابلسية (بالزنقة اللاطمة)[4]، (انظر: مخطط رقم3) وتتميز طرق طرابلس بشكل عام بعدة صفات لعل من أهمها ما يأتي:

1. **ضيق الشوارع:** تميزت طرابلس –كغيرها من المدن الإسلامية– بضيق شوارعها، فأحياناً لا يتعدى عرض بعضها المتر الواحد، ويذكر ميسانا أن مدينة طرابلس عبارة عن كتلة متراصة من المباني، تخترقها الأزقة الضيقة التي يفتح عليها عدد قليل من النوافذ، وهذا راجع إلى فقه العمران الذي يحافظ على الخصوصية وحفظ الحرمات في البيوت المسلمة، إذ إن البيوت تستمد الضوء والهواء من صحنها المكشوف، الذي تفتح عليه غرف المنزل لا من الشوارع (ميسانا، 1973م، ص254).

[2] يعرف هذا التقاطع بتقاطع الأربع عارصات، حيث وُضِعَتْ أربع دعامات كبيرة في زوايا ذلك التقاطع، ومن هذه الدعامات جاءت تسمية التقاطع بهذا الاسم، حيث تعرف الدعامة في اللهجة المحلية الطرابلسية بالعارصة؛ أي: العمود أو الدعامة وتجمع على عارصات.

[3] كلمة الزنقة في اللغة العربية مشتقة من الزنق وهو اسم له معانٍ كثيرة منها: طرف نصل السهم، والحبل الذي يربط تحت حنك البعير، وغيرها. وتستخدم الكلمة للدلالة على المسلك الضيق في القرية أو المدينة، (للمزيد راجع، ابن منظور، د.ت، ص1872).

[4] هناك فرق بين كلمة الزنقة والزنقة اللاطمة؛ حيث إن الزنقة –كما ذكرنا– هي الطريق أو الزقاق الضيق في المدينة، أما الزنقة اللاطمة فهي الطريق الضيقة غير النافذة حيث تكون مغلقة في نهايتها.

ويرجع السبب في ضيق شوارع طرابلس إلى عاملين أساسيين؛ الأول: هو نوعية وسائل المواصلات المستخدمة، والمتمثلة في الدواب والعربات الصغيرة التي تجرها الدواب، التي لم تكن تتطلب شوارع واسعة مثلما نحتاجه اليوم، لاسيما وأن تلك الشوارع الضيقة هي التي تستخدم في الأحياء السكنية، بينما الشوارع الرئيسية التي تشتهر بنشاطها التجاري فقد كانت واسعة نسبياً مقارنة بشوارع الأحياء السكنية. أما العامل الثاني الذي أثر في ضيق شوارع طرابلس وبعض المدن الإسلامية: فهو عامل المناخ، حيث إن الجو يكون حاراً لاسيما في فصل الصيف، وضيق الشوارع يعرضها لأقل قدر ممكن من الإشعاع الشمسي المباشر، ومع ارتفاع المباني المطلة على الشارع يبقى الشارع محتفظًا بالظل في أغلب فترات النهار، وبالتالي يحمي المارة من أشعة الشمس اللاهبة (وزيري، 2004م، ص 97)، وفضلاً عما سبق، قد يكون لضيق الشوارع بُعداً اجتماعياً فتلاصق البيوت يزيد من تآلف الأسر، ويقوي الروابط الاجتماعية بين أبناء المجتمع الواحد (بوجمعة، د.ت، ص79).

2- **التواء الشوارع وتعرجها:** من السمات التي تميزت بها شوارع طرابلس وتشابهت فيها مع مدن الجوار، أن شوارعها ملتوية ومتعرجة؛ وربما السبب في ذلك يعود لصورة الارتفاق بها، وإلى اختلاف ظروف نشأتها، فبعضها يقتطع من مساحة المباني المجاورة، لاسيما في حالات القسمة والإرث أو البيع أو غيرها من المعاملات، بحيث تتطلب الحاجة طرقًا فرعيةً توصل إلى التكوينات الجديدة الناتجة عن تلك المعاملات (عثمان، 1988م، ص 166)، وقد يكون السبب وراء اتخاذ الشوارع المتعرجة نوعًا من أنواع الحلول المتبعة للتحكم في العوامل المناخية، فإن هذه الأزقة المتعرجة تقوم بتخزين الهواء المعتدل البرودة في الليل وتمنع تسربه مع أول هبوب للرياح نهاراً في فصل الصيف، أما في فصل الشتاء فإن الطرق الطويلة الضيقة قد تتحول إلى أنفاق للرياح الشتوية الباردة أو لرياح الخماسين الساخنة والمحملة بالأتربة والغبار، وانكسارات الشوارع وتعرجها تؤكد على منع تلك الرياح والتحكم بسرعتها(وزيري، 2004م، ص98-99).

3- **طول الشوارع واستقامتها:** تميزت شوارع طرابلس -لاسيما الرئيسية منها- بأنها تمتد لمسافات طويلة، فأحيانا نجدها تشق المدينة بشكل كامل طولاً وعرضاً، وهذه الميزة انفردت بها المدينة دون غيرها من مدن الجوار، فبالنظر إلى مخطط مدينة الجزائر في العصر العثماني (انظر: مخطط رقم4) يتضح

الفرق من حيث طول الشوارع واستقامتها (ابن حموش، 2004م، ص128)، ومن خلال برنامج خرائط الجوقل تمكننا من قياس طول بعض الشوارع الأساسية في مدينة طرابلس، التي جاءت أبعادها كالآتي: الشارع الممتد من باب الحرية حتى ساحة قوس النصر الروماني طوله 654 مترًا، والشارع الممتد من بداية زنقة الريح وصولاً إلى الباب الجديد طوله حوالي 510 أمتار، أما الشارع الممتد من ساحة قوس النصر الروماني حتى الباب الواقع بالقرب من المعبد اليهودي فإن طوله يقدر بحوالي 470 مترًا، مع ملاحظة أن الشارع الأول يشق المدينة بشكل طولي، بيد أنه لا يصل إلى نهايتها، أما الشارعين الثاني والثالث فيشقان المدينة بشكل عرضي من بدايتها إلى نهايتها.

4- **أرضيات الشوارع:** ليس لدينا الكثير من المعلومات عن أرضيات الشوارع في طرابلس، ولا طريقة تبليطها، وإن ما يتوفر لدينا من معلومات تدل –فقط– على أن بعض شوارع طرابلس كانت أرضيتها ترابية من دون أي نوع من أنواع التبليط، فقد ذكر الرحالة كاوبر أن شوارع المدينة –ولاسيما شوارع حارة اليهود– كانت تمتلئ بالوحل إذا ما أمطرت (كاوبر، د.ت، 36)، وهذا يدل على أن الشوارع كانت ترابية؛ لأن التراب هو الذي يتحول إلى الوحل إذا ما سقطت عليه الأمطار، وقد ذكر الرحالة الإيطالي جوستنياني روسي –الذي زار المدينة في فترة ما بين عامي 1901–1902م، وألف رحلة بعنوان (تونس وطرابلس اليوم) في جملة حديثه عن المدينة–: "فشوارعها في أغلبها غير منتظمة، ضيقة وغير مرصوفة" (التليسي، 1997م، ص 202) فمن هذا الكلام نستنتج أن أغلب شوارع المدينة غير مرصوفة، ومن المحتمل أن تكون الشوارع الرئيسية في المدينة –لاسيما تلك القريبة من القلعة، التي بها أسواق تجارية– مبلطة بكتل حجرية.

5- **تجميل الشوارع والاعتناء بها:** من مظاهر الاعتناء بالشوارع القيام بتنظيفها وتجميع القمامة ونقلها خارج أسوار المدينة، وكذلك العمل على توحيد لون الطلاء التي كانت تدهن به واجهات المنازل، حيث عرفت طرابلس بالمدينة البيضاء؛ نسبة للون الشائع في طلاء واجهاتها، وقد أشاد الكثير من الرحالة بذلك، وهذا ما لاحظته الآنسة توللي عند قدومها لطرابلس، فقد شاهدت ذلك من عرض البحر، وعلى بعد عدة أميال من المدينة (توللي، 1967م، ص65)، ومن مظاهر تجميل الشوارع –أيضاً– تلك الأقواس والساباطات التي يشاهدها المتجول في شوارع المدينة، لاسيما وأن بعضها اتخذ شكلاً مائلاً من الأعلى؛ ليعطي قيمة

جمالية (انظر: الصورة رقم 3)، ويعد العمل على صيانة واجهات المباني من مظاهر الاعتناء بجمال الشوارع، فقد ذكر الفقيه حسن في يومياته أن ديوان المشورة في مجلس الولاية قد اجتمع من أجل العمل على ترميم الأربعة شوارع[5] لأجل البراني، وقد عين الباشا عدة أشخاص من بينهم الفقيه حسن نفسه لهذا الغرض، ويردف الكاتب قائلاً: إن ذلك العمل قد أُتِمَّ بعد حوالي شهر من تاريخ ذلك الاجتماع (الفقيه حسن، 2001م، ص128)، وعبارة (لأجل البراني) التي ذكرها المؤلف ربما تفسر على وجهين، الأول: يقصد به الواجهات الخارجية للمباني، والوجه الآخر ربما يقصد من أجل الغرباء الذين يزورون المدينة من سفراء وبحارة وتجار وغيرهم. حتى تظهر المدينة بأجمل حلة.

ومن الأساليب المتبعة في تزيين الشوارع وضع عدد من الأعمدة المزخرفة، كتلك المجلوبة من المواقع الرومانية القديمة، ونصبها عند زوايا المباني في تقاطعات الشوارع المختلفة، ومن أشهر الأمثلة في مدينة طرابلس تلك التي وضعت عند تقاطع الأربع عارصات، والتي سمي التقاطع نسبة إليها (انظر: الصورة رقم 2)، وكذلك الاهتمام بزخرفة مداخل البيوت وواجهاتها، فقد شكلت المداخل المرتفعة والبارزة وما يكسوها من زخارف أو بلاطات خزفية عناصر جمالية واضحة، لاسيما واجهات المساجد، ودور القنصليات، والمباني العامة.

6- **إضاءة الشوارع ليلاً:** هناك شح في المعلومات المتعلقة بطريقة إضاءة شوارع طرابلس ليلاً والآلية المستخدمة في ذلك، وهناك معلومات قليلة تذكر أن شوارع طرابلس كانت تزّين وتضاء في ليالي رمضان وفي الأعياد والمناسبات العامة، ومن هذه المعلومات ما ذكره الرحالة كاوبر عند حديثه عن طرابلس في شهر رمضان، حيث ذكر أنه في ليالي رمضان تكتظ المدينة بالناس القادمين من المنشية وضواحي طرابلس، الذين يجتمعون بالقرب من فم الباب، ويجتمع العرب بالمقاهي، وهو بذلك يقصد أن الحركة التجارية تنشط ليلاً في شهر رمضان، لاسيما مع اقتراب عيد الفطر؛ لأن الناس يقومون بشراء مستلزمات العيد من ملابس وحلوى وغيرها (كاوبر، د.ت، ص 33)، ويضيف الرحالة الإيطالي جوستنياني روسي أن مدينة طرابلس عام 1901م لم تكن إنارة شوارعها كافية، فنجده يقول في هذا الصدد: "وقلة الإضاءة

[5] يقصد بالأربعة شوارع في يوميات الفقيه حسن محلات المدينة مجتمعة (حومة البلدية، حومة باب البحر، حومة غريان، حومة كوشة الصفار) بما فيها حارتا اليهود، فقد ورد ذلك التفصيل في إحدى يومياته (للمزيد انظر: الفقيه حسن، 2001م، ج 1، ص 433. ج 2، ص 27).

الغازية بها تجعل التنقل بها ليلاً أمراً عسيراً، وخاصة في الليالي والأيام الممطرة، حيث تشاهد بعض الأشخاص يتقدمهم حملة المصابيح التي يمكن أن تعرف من عددها وضخامتها أهمية الشخص الذي يقطع الطريق" (التليسي، 1997م، ص 202)، ويبدو أن طرابلس لم تكن تختلف عن المدن الإسلامية المجاورة، فيذكر أن مناطق الأسواق في مدينة القاهرة كانت تغلق ليلاً فيما عدا شهر رمضان، وأن هناك أوامر من السلطات بتقليل التنقل ليلاً، وأن من يرغب في التنقل في أثناء الليل عليه أن يحمل قنديلاً أو مشعلاً، وأن أصحاب المباني العامة أو الخاصة الذين يرغبون بوضع قناديل في شوارعهم عليهم أن يدفعوا تكاليف ذلك، ويذكر أن القنديل الذي كان يشعل أمام مبنى القنصلية الفرنسية بالقاهرة كان يكلف القنصلية قرشين شهرياً كثمن للزيت الذي يشعل به القنديل.(ريمون، 1991م، ص113).

7- **تنظيف الشوارع:** جرت العادة أن يُكَلَّفَ موظفون تابعون لإدارة الولاية بتنظيف شوارع طرابلس بشكل دوري، حيث تُنْقَل القمامة ومحتويات الآبار السوداء بواسطة عربات تجرها الدواب وتنقلها؛ للتخلص منها خارج أسوار المدينة، وأحياناً تُبَاعُ تلك المواد للفلاحين؛ لاستخدامها كسماد، ويُوَزَّع ما يجبى من عملية البيع على العاملين، فضلاً عن مبالغ نقدية معينة تُجْبَى من القنصليات الأجنبية والمخازن والمطاحن والحوانيت وبعض السكان ويستثنى الفقراء منهم، وتضم دار الوثائق والمحفوظات التاريخية بطرابلس العديد من الوثائق التي تشير إلى أنواع التدابير والإجراءات التي كانت تتخذ لتنظيف شوارع المدينة، ولتنبيه السكان بنظم تجميع القمامة، وكذلك تحذيرهم أو تطبيق العقوبات في حالات الإهمال أو رمي القمامة في الأماكن العامة، كما يحوي سجل بلدية طرابلس شروطاً للمتعهدين بتنظيف شوارع المدينة، وأيضاً بعض النشرات حول طرق ونظم وتجميع ونقل القمامة ومقادير المخالفات للأهالي أو المتاجر(للمزيد راجع: أبو شويرب، 1993-1994م).

ثانياً: المسميات:

من الملاحظ أن الطرابلسيين كانوا يطلقون على الشارع الواحد عدة أسماء؛ لتكون عملية الوصف أكثر دقة، فهناك بعض الشوارع الطويلة يتخذ كل جزء منها اسمًا مختلفًا عن سابقه، ولذا فإننا نجد أن بعض الشوارع الطويلة يكون لها أربعة أسماء أو أكثر، (انظر: المخطط رقم 3) فعلى سبيل المثال الشارع الممتد من باب الحرية حتى قوس النصر الروماني يبدأ باسم شارع قوس الصرارعي من ناحية

باب الحرية، وبعد تقاطعه مع زنقة البقار فإن الجزء الواقع بعد هذا التقاطع وصولاً إلى تقاطع الأربع عارصات يسمى شارع جامع الدروج، ومن هذا التقاطع إلى ميدان السيدة مريم فإن هذا الجزء يعرف بشارع الأربع عارصات، ومن ميدان السيدة مريم إلى قوس النصر الروماني يعرف بشارع الفرنسيس، وذلك بخلاف الزناقي فلكل زنقة اسم واحد لا أكثر؛ نظراً لقصر طولها.

أما من حيث أصل التسميات في شوارع مدينة طرابلس فقد درج سكانها على إطلاق الأسماء على شوارعهم وفق الآتي: إما لوقوع مسجد من مساجد المدينة بذلك الشارع فيسمى باسمه مثل: شارع جامع درغوث، وشارع جامع محمود، وشارع جامع الدروج، وشارع سيدي سالم؛ نسبة لجامع سالم المشاط، وزنقة جامع النخلي. وهكذا، وأحيانا يأخذ الشارع اسمه من مبانٍ أخرى لها أهميتها في مجتمع المدينة مثل: زنقة الحمام؛ نسبة لحمام درغوث، وشارع قهوة دحمان؛ نسبة للقهوة التي كان يمتلكها اليهودي دحمان. وهناك بعض الشوارع التي تحولت إلى مراكز تجارية أو أسواق، حيث فتحت على جانبي تلك الشوارع مجموعة كبيرة من المحال التجاري، مثل: شارع سوق الحرارة، وشارع سوق النجارة، وشارع سوق الحرير، وشارع سوق الصاغة ، وشارع سوق العطارة، وشارع سوق القزدارة؛ نسبة للمكان الذي تُطْلَى فيه الأواني والتحف النحاسية بالقصدير لتنظيفها، وشارع الأكواش نسبة إلى أفران الخبز التي تكثر بهذا الشارع، حيث يعرف الفرن في اللهجة المحلية الطرابلسية بالكوشة، وزنقة النساء التي تشتهر بوجود المحال التجارية المتخصصة في بيع البضائع الخاصة بالنساء.

واكتسبت بعض الشوارع الطرابلسية أسماءها من خلال أضرحة الأولياء الصالحين المنتشرة بين أرجائها، مثل: شارع سيدي عمر، وزنقة سيدي البولاقي، وشارع سيدي عمران، وشارع سيدي اليعقوبي، وأحياناً يكتسب الشارع اسمه من إحدى الصفات المميزة له، فهناك شارع ضيق للغاية، حيث إن اتساعة في المنتصف لا يتعدى المتر الواحد، أطلق عليه اسم الزنقة الضيقة، وهناك شارع انتصبت فيه أربعة أعمدة جلبت من أحدى المواقع الآثرية عرف باسم شارع الأربع عارصات، وهناك شارع عرف باسم زنقة الريح، وقد جاءت تلك التسمية من خلال تيار الهواء الذي يشعر به المار بهذا الشارع؛ نظراً لإطلالته على البحر وقلة اتساعه، فإن تيار الهواء يمر بسرعة كبيرة من خلاله، وبعض شوارع مدينة طرابلس اكتسبت أسماءها من خلال معالجة معمارية معينة، كوجود قوس في منتصف الشارع، مثل: شارع قوس

الصرارعي، وشارع قوس المفتي، وقد يسمى الشارع نسبة لشخصية مرموقة أو عائلة سكنته، مثل: شارع باي بنغازي، وزنقة بيت المال، وزنقة حواء علجية، وزنقة البقار، وزنقة المجروح، وزنقة رحومة، ونظراً لأن المجتمع الطرابلسي في العصر العثماني كان يشتمل على طائفة من اليهود، فقد عرفت بعض الشوارع الطرابلسية بأسماء شخصيات يهودية، مثل: شارع شالوم، وشارع الربي؛ نسبة للثري اليهودي نسيم الربي، وشارع حنونة، وشارع حوش أنجلو، وشارع الحارة الكبيرة، وشارع الحارة الصغيرة؛ نسبة لحارات اليهود.

وبعض الشوارع تقطنها عائلات غير عربية في تجمع سكني خاص بها، لذلك نجد أسماء هذه الطوائف والجاليات تطلق على تلك الشوارع، مثل: شارع الفرنسيس الذي كانت تسكنه الجالية الفرنسية، وبه تقع القنصلية الفرنسية، وشارع الإسبانيول حيث كانت تقطنه الجالية الإسبانية، وشارع الرقريق؛ نسبة للجالية اليونانية، وشارع حومة غريان نسبة إلى المكان الذي يسكنه العرب، وهم في غالبهم قادمون من منطقة غريان.

ثالثاً: المعالجات المعمارية في شوارع طرابلس:

إن المتجول في شوارع طرابلس يلاحظ بعض الحلول والمعالجات المعمارية من دون معرفة الغرض منها وما هي وظيفتها، وأهم هذه الظواهر وأكثرها انتشاراً هي ظاهرة الأقواس والساباطات التي تشترك فيها طرابلس مع بعض مدن المغرب الإسلامي، حيث جرت العادة بناء مجموعة أقواس على امتداد الشوارع تربط بين المباني التي تطل على الشارع ذاته (انظر: الصورة رقم3) وقد ذكر المهندس المعماري الإيطالي غاسبري ميسانا –ونحن نؤيد رأيه– أن الغرض من بناء تلك الأقواس راجع إلى الاستفادة منها كوسيلة من وسائل الموازنة بين قوى الدفع الناتجة عن كتل البناء التي تكتنف الشارع؛ نظراً لأن تلك المباني قد بنيت بطريقة ضرب الباب•، وبما أن هذه الطريقة لها الكثير من مواطن

• تعد طريقة ضرب الباب من أشهر الطرق المستخدمة في بناء الجدران قديماً، وفيها يبنى وجها الجدار بالحجارة الصغيرة والجص، في حين يُحشى الوسط بالطين أو التراب المبلول بقليل من الماء، وعملية البناء تتم بوساطة قالب من الخشب يتكون من قطعتين متشابهتين في الشكل والقياس، لا يقل طول الواحدة منها عن ثلاثة أمتار وارتفاع القالب يربو على المتر. (ابن خلدون 1959.ص737). (الدراجي، 2003م، ص 182).

الضعف، التي يسميها ميسانا طبقات الانفصال (انظر: الصورة رقم4)، لذلك فقد وجب الربط بين الكتلتين بواسطة تلك العقود؛ ليدعم بعضها البعض، وفضلاً عن دعم الجدران فإن لتلك الأقواس وظائف أخرى منها وظائف جمالية، حيث إنها تقطع الملل في الشوارع الطويلة والمستقيمة، لاسيما وأن بعض تلك الأقواس بنيت بشكل مائل، وعلى نسق واحد بطول الشارع، وهناك وظيفة أخرى وهي قيامها بتلطيف الجو في شوارع المدينة، حيث تقوم مع ضيق الشوارع وارتفاع كتل المباني المحيطة بها بخلق مساحات من الظل في الشارع، مما يعمل على تخفيف شدة درجة الحرارة.

ومما يؤكد الرأي القائل بأن وظيفة تلك الأقواس الأساسية هي دعم الكتل البنائية التي تكتنف تلك الشوارع، أن عددًا كبيرًا من الشوارع التي لم يُبْنَ فيها مثل تلك الأقواس، بدأت جدرانها تتصدع مع مرور الزمن، وعوضاً عن تلك الأقواس فقد بدأ جهاز مدينة طرابلس القديمة وسكانها في محاولات حديثة القيام بوضع عوارض خشبية في الشوارع التي تخلو من الأقواس؛ لتعمل عملها (انظر: الصورة رقم5).

أما الظاهرة الثانية التي يشاهدها المتجول في شوارع مدينة طرابلس القديمة فهي ظاهرة الساباطات• وهي –أيضاً– من المعالجات المعمارية، حيث تُبْنَى غرفة معلقة فوق الشارع بشكل يشبه الجسر الذي يربط بين منزلين يطلان على الشارع عينه، وينسبان لنفس المالك، فيوصل بينهما بواسطة تلك الغرفة، وهي طريقة الغرض منها الاستفادة من الفراغ الذي يعلو الشارع، لاسيما وأن مساحات المنازل تكون ضيقة في المدن القديمة، وأن أي متر إضافي لمساحة تلك المنازل يزيد من راحة قاطنيها، وقد يكون الساباط بعرض غرفة واحدة، مثل: ما هو موجود في زنقة شارع الفرنسيس (صورة رقم 6)، أو بعرض غرفتين متجاورتين، مثل: ما هو موجود في حوش القرمانلي، الواقع عند تقاطع الأربع عارصات (صورة رقم 7)، أو أن الساباط يمثل امتدادًا لواجهة البيت بكامله كما هو الحال في زنقة الأزرق (صورة رقم 8)، وأحياناً يقوم أكثر من جار تكون بيوتهم متلاصقة ببناء ساباطاتهم فوق الطريق لدرجة تجعلك تشعر كأنك تسير في نفق طويل، حيث يشغل الساباط أغلب مساحة الشارع كما هو الحال في

• كلمة ساباطات جمع مفرها ساباط، والساباط في المصطلح الأثري المعماري هو عبارة عن سقيفة بين دارين أو بناءين أو حائطين تحتهما ممر أو طريق، ومن أقدم أمثلته في العمارة الإسلامية عامة الساباط الذي كان بين قصر قرطبة ومسجدها، والساباط الذي كان بين قصر الزهراء ومسجدها(للمزيد راجع، رزق، 2000م، ص 136).

ISSN: 2523 – 1871

زنقة قرامة (صورة رقم 9)، وزنقة مهنى (صورة رقم10)، وذكرنا أن لبناء تلك الساباطات دورًا وظيفيًّا يتمثل في إضافة مساحة للبيت، وقد يكون لها دور اجتماعي كان يستخدم مثلاً لتنقل النساء من بيت إلى آخر من دون الحاجة إلى الشوارع، وقد يكون لها ناحية جمالية مثلها في ذلك مثل الأقواس، حيث تقطع الملل الذي يمكن أن ينتاب المتجول في الشوارع الطويلة المستقيمة.

وأما بخصوص الطريقة التي بنيت بها ساباطات مدينة طرابلس فهي متنوعة، أكثرها شيوعاً أن يقام الساباط على أقواس تعترض الشارع وترتكز على جانبي الجدران المطلة على الطريق، وأغلب هذه الأقواس من النوع الذي يكون على شكل نصف دائرة، كما نشاهد في زنقة شارع الفرنسيس (صورة رقم 6)، وفي حوش القرمانلي بشارع الأربع عارصات (صورة رقم 7)، وزنقة كفالة (صورة رقم 11)، وزنقة قرامة (صورة رقم 9)، وزنقة سوق الحرارة (صورة رقم 12)، ومن ثم يُسْقَفُ الفراغ المحصور بين الأقواس بعوارض خشبية تكون بمثابة الأرضية التي تقام عليها الغرفة المعلقة أو المجلس، وهذا النوع هو الأكثر انتشاراً في مدينة طرابلس، وفي بعض الشوارع الضيقة يكتفى بوضع عوارض خشبية كبيرة؛ لتحمل الساباط من دون الحاجة لوجود تلك الأقواس المتتالية، كما نشاهده في زنقة بيت المال (صورة رقم 13)، واستخدم المعمار الطرابلسي طريقة أخرى لبناء الساباطات، وهي القيام ببناء قبو نصف برميلي كما في زنقة مهنى (صورة رقم 10)، وزنقة ميزران (صورة رقم 14)، وزنقة بن موسى (صورة رقم 15)، ونجده –أحياناً– على هيأة قبو متقاطع تقام علية الغرفة المعلقة، كما هو الحال في زنقة الأزرق (صورة رقم 8)، وفي هذه الحالات تكون وظيفة القوس أو العقد حمل الجدران، بينما تمثل العوارض الخشبية أو الأقبية أرضية الغرفة وسقف الشارع.

رابعاً: شوارع طرابلس بين التأثيرات البيئية والتقاليد الإسلامية:

لقد تأثرت شوارع مدينة طرابلس بموقعها الجغرافي الذي نرى تأثيراته الواضحة عليها من حيث التخطيط، ومن حيث المعالجات المعمارية، فقد فرض الموقع الجغرافي تحديد اتجاه الشوارع، فنجدها كلها تسير في اتجاهين فقط، فالشوارع العرضية للمدينة تمتد من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي، والشوارع الطولية تمتد من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي، وللعوامل البيئية الدور الأساسي في امتداد

الشوارع بهذا الشكل، إذ إن المدينة محاطة بالبحر من الجهتين الشمالية الشرقية والشمالية الغربية، ولما كان مناخ مدينة طرابلس حارًّا صيفاً أسوة بمناخ البحر المتوسط، فإن تخطيط الشوارع بهذه الكيفية جعل نسيم البحر يسير بانسيابية بين أحياء المدينة وأزقتها، ومن أهم الأمثلة على ذلك ما يجده المتجول في طرابلس في الزنقة المسماة بزنقة الريح، ويكون هذا الشارع ضيقًا ويطل على ميناء المدينة، فإنك تشعر بقوة التيار الهوائي الذي يأتي من ناحية البحر بنسيمه العليل، ومن هنا كانت تسميته بزنقة الريح.

ومن ناحية أخرى –ونظراً لارتفاع درجة الحرارة– فقد أُسْقِفَتْ بعض شوارع المدينة، لاسيما التي بها أسواق تجارية، مثل شارع سوق الترك الذي أُسْقِفَ مدخله بقبو نصف برميلي (صورة رقم 16)، وأُسْقِفَ باقي السوق بعوارض خشبية، فرش عليها بعض صفائح من الصاج المعدني في الوقت الحاضر (صورة رقم 17)، أما في الماضي فكانت تفرش بسعف النخيل والحصير، تتخللها بعض الفتحات؛ للتهوية ودخول أشعة الشمس للشارع، وقد كان التسقيف بواسطة أقبية نصف برميلية كما في شارع سوق الرباع القديم، وسوق الرباع الجديد، وغيرها من الأسواق، ومن الملاحظ أن مدخل سوق الرباع القديم أُسْقِفَ بأقبية متقاطعة (صورة رقم 18)، بينما أُسْقِفَ باقي السوق بقبو نصف برميلي، والغرض من تسقيف الشوارع المكونة لتلك الأسواق؛ حماية التجار وبضائعهم من مياه المطر وحرارة الشمس، وكذلك توفير الجو الملائم للزبائن؛ ليتبضعوا بعيداً عن حرارة الشمس، وأعتقد أن هناك عاملًا آخر وهو جعل هذه الأسواق تبدو كمبنى واحد له بابان للدخول والخروج، والسقف هنا مع مداخل السوق يمنع تسلل اللصوص إلى المحال التجارية ليلاً، وفي هذا الصدد تذكر مابل لمس تود –التي زارت طرابلس عام 1900م وأقامت بها فترة من الزمن، وكتبت تفاصيل المدينة وحياة سكانها وعاداتهم– أن شوارع طرابلس كانت ضيقة شبيهة بالأنفاق، وأن تلك الشوارع كانت تسقف أحياناً بالحصر أو بالعرائش؛ وذلك لتلافي أشعة الشمس اللاهبة (لومس تود، 1985م. ص 41).

إن جل الدراسات الأثرية والحضارية والتاريخية للمدينة الإسلامية قد وصفت شوارعها وصفاً اتّسم بالتعميم، حيث أكد هذا الوصف على ضيق شوارعها والتوائها، بل إنّ بعض هذه الدراسات اتّهمت المسلمين بإفساد نظام الشوارع في المدن التي فتحوها؛ مثل: دمشق، وحلب، وغيرهما، وإذا ما أمعنا النظر في تخطيط شوارع المدن الإسلامية التي استحدثت في الإسلام نجد أن هذا الافتراء باطلاً، ففي

مدينة البصرة –مثلاً– التي أُسِّسَتْ زمن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، نجد أن عرض شارعها الأعظم كان ستين ذراعاً، وباقي الشوارع كان عشرين ذراعاً، وعرض كل زقاق سبعة أذرع، وكانت مقاييس شوارع الكوفة قريباً من ذلك، أما مدينة واسط فقد كان اتساع شوارعها الأربعة الرئيسية ثمانين ذراعًا، وكان اتساع شوارع بغداد خمسين ذراعاً، والفرعية منها ستة عشر ذراعاً، وقد بلغ اتساع شارع سامراء الأعظم (شارع السريجة) مائة ذراع، وهو ما يضاهي أعرض شوارع العواصم العالمية حتى يومنا هذا(عثمان، 1988م، ص ص 162–166).

وإذا ما قارنا اتساع شوارع طرابلس بشوارع المدن الإسلامية التي أسست بعد الفتح الإسلامي وجدنا أن هناك اختلافاً كبيراً بينها، فشوارع طرابلس بصفة عامة اتسمت بالضيق، ولعل السبب في ذلك أن طرابلس مدينة قديمة نشأت ونمت قبل الإسلام بزمن طويل، وتعاقبت عليها العديد من الحضارات قبل أن تتطور وتتحول إلى مدينة إسلامية، وبالتالي فإن تخطيطها يختلف شيئاً ما عن المدن الإسلامية الأولى، من ناحية أخرى فإن الأسوار والتحصينات التي أحاطت بالمدينة منذ تاريخها القديم لعبت دوراً في جعل المدينة محصورة في مساحة محدودة عمل سكانها على استغلالها كل جزء فيها استغلالاً مكثفاً، وذلك من خلال تقليل عرض شوارع المدينة بشكل عام لاسيما الفرعية، وأيضاً الاتجاه نحو الامتداد الرأسي للمباني، فجل مباني طرابلس تتألف من طابقين أو أكثر، كما اسْتُغْنِيَ عن الشوارع كعنصر للتهوية والإضاءة والاعتماد عوضاً عن الفناء الداخلي، وكان من النتائج المترتبة على ضيق المساحات التي تشغلها مدينة طرابلس أن تجد مبانيها تراصّت وتلاصقت بشكل كبير، وقلّ وجود الفراغات والساحات في داخلها، الأمر الذي جعل سكانها يقومون بعمل الأجنحة والرواشن والساباطات في الطوابق العليا المطلة على الشوارع؛ وذلك للاستفادة من استغلال كل مساحة ممكنة، بل إنهم –مع مرور الزمن وازدياد عدد السكان– اضطروا إلى الامتداد بالمدينة خارج الأسوار، فظهرت أحياء جديدة خارجها، وهو ما عبر عنه ميلانو فيتش في تقريره عن مدينة طرابلس عام 1765م [6] بقوله: " إنّ ضيق مساحة طرابلس المسورة

[6] التقرير أعده ألفيسي ميلانو فيتش عن وضع مدينة طرابلس عام 1765م وتحصيناتها وحكومتها وأسلحتها، يوجد هذا التقرير بمحفوظات الرهبان بالبندقية، وقد أورد جورج كابوفين صورة منه في كتابه طرابلس والبندقية في القرن الثامن عشر الميلادي. (كابوفين،. 1988م. ص 299).

ISSN: 2523 – 1871

جعل الناس يتجمعون في ضواحٍ خارج طرابلس، وليس بعيدًا عنها، وأنها أضحت الآن آهلة بالسكان" (كابوفين، 1988م،ص 301).

وعلى الرغم من هذه الملاحظات التي ذكرناها عن شوارع طرابلس فإن الكثير من الرحالة العرب والأجانب أشادوا باتساع شوارعها واستقامتها، وذلك وفقاً لوسائل النقل المستخدمة آنذاك، فقد أشاد بها الرحالة التجاني عندما قال عنها: "رأيت شوارعها، فلم أر أكثر منها نظافة ولا أحسن اتساعاً واستقامة؛ ذلك لأن أكثرها يخترق المدينة طولاً وعرضاً من أولها إلى آخرها على هيأة شطرنجية" (التجاني، 1981م، ص 238)، وقد وصفها الرحالة الإسباني علي بيك العباسي بقوله: "مدينة طرابلس مدينة أجمل بكثير من أي مدينة بمملكة المغرب، وأنها تقع على شاطئ البحر، وشوارعها مستقيمة وعرضها مناسب" (الهدار، 2003م،ص 108)، ويذكر الرحالة كاوبر أن شوارع الأحياء العربية أنظف وأقل عفونة، حيث إنّ السائرين يختارونها ويفضلونها على شوارع اليهود والمالطيين، وأن الأوروبيين لا يمرون من هذه الشوارع إلا للضرورة القصوى، حيث إنّ هذه الشوارع من القذارة تجعل من يمر منها يتقيأ (كاوبر، د.ت، ص 36)، بينما ذكر الجراح الفرنسي جيرارد أن الشوارع الممتدة داخل المدينة تتسم في الغالب نسبياً بالضيق (التليسي، 1985م، ص 93)، ولعل مردّ ذلك أنه نظر إلى شوارع طرابلس بعين الأوروبي القادم إليها من المدن الأوروبية، التي عادة ما تكون شوارعها متسعة، فيما نظر إليها الرحالة الآخرين من خلال مقارنتهم لها بالمدن العربية، ولاسيما المغربية المجاورة لها.

ومن الأشياء التي تؤخذ على مخطط مدينة طرابلس عدم وجود مسجدها الجامع في وسطها، بخلاف ما جرت عليه العادة في المدن التي أُسِّسَتْ بعد الإسلام، مثل: المدينة المنورة، والبصرة، والكوفة، والفسطاط، والقيروان، وواسط، وبغداد، وفاس، وغيرها الكثير من المدن الإسلامية، حيث يتوسط تلك المدن المسجد الجامع الذي امتدت باتجاهه كل الطرق الرئيسية منها والفرعية، فتتقاطع في الساحة التي يوجد بها المسجد، وحتى في المدن القديمة التي فتحها المسلمون نجد حكامها يحرصون على اختيار موضوع متوسط ليقام به المسجد الجامع؛ وذلك ليسهل الوصول إليه من أي اتجاه، وقد ذكر ابن أبي الربيع ضمن الشروط الثمانية التي يجب على الحكام تحقيقها عند إنشاء المدن واتخاذ الأمصار أن يقدر طرقها وشوارعها حتى تتناسب ولا تضيق، وأن يبني فيها جامعاً للصلاة في وسطها ليقرب على جميع

أهلها (ابن أبي الربيع، 2010م، ص،154)، أما في طرابلس فإن الموضع الذي اختِير لبناء مسجدها الجامع بعد الفتح لم يكن في وسط المدينة (على الأرجح أن المسجد الجامع لطرابلس كان في الموضع الذي يشغله جامع الناقة)، وكذلك الأمر بالنسبة لدار الإمارة فهي الأخرى كانت توجد عادة بوسط المدينة جنباً إلى جنب مع المسجد الجامع، وفي طرابلس جاءت قلعتها –باعتبارها مقرَّ الحكم لأغلب حكامها– في طرف المدينة، وتطلّ مباشرةً على البحر، ويفصلها خندق عن باقي المدينة؛ لحماية الحكام وقت الثورات والفتن الداخلية، بيد أنه في الفترة القرمانلية أُسِّسَ جامع أحمد القرمانلي بالقرب من القلعة، وكان اختيار هذا الموقع اختياراً موفقاً، فهو من جهة قريب من القلعة مقر الحاكم التي ربطها باب بهذا المسجد، ومن جهة أخرى كان المسجد يقع في قلب منطقة الأسواق، وهي المنطقة الحيوية بالمدينة.

ولعله من المفيد الإشارة إلى أن شوارع طرابلس والطرق والمواصفات التي شيدت بها البوابات والأقواس والساباطات جاءت ملتزمة إلى حد كبير بما حددته الشريعة الإسلامية من شروط وضوابط، ولا أجد بأساً من الإشارة هنا إلى بعض النصوص والآراء الفقهية التي وجدنا صداها في شوارع مدينة طرابلس ومبانيها.

ففي البداية قد أجمع الفقهاء من أصحاب المذاهب الأربعة أن الطريق تنقسم إلى نوعين: الأول وهو الطريق النافذ، والثاني وهو الطريق غير النافذ، أما النوع الأول فهو ليس حكراً على أحد، فالناس كلهم فيه سواء يستحقون المرور فيه، ولا اختصاص فيه لأحد، فالانتفاع به عام لكل المسلمين، وعليه فلا يجوز لأحد التصرف فيه بما يضر المارة ويضيق عليهم، كأن يشرع به شرفة بارزة أو يعلق عليه ساباطاً إذا كان ذلك يضر المارين به، فإن لم يضر جاز له ذلك، وهذا هو رأي الإمام مالك، أما الإمام أحمد فقد قال بعدم جواز إشراع الجناح إلا إذا أذن الإمام، بينما الإمام أبو حنيفة فقد قال: لا اعتبار بالضرر من عدمه، ولكن إن خاصمه إنسان فيه نزع وإن لم يضر، وإلا ترك وإن ضر، وقد قال الفقهاء ذلك قياساً على فعل النبي –صلى الله عليه وسلم– عندما نصب ميزاباً بيده الشريفة في دار العباس رضي الله عنه.

والقاعدة الفقهية التي استند عليها الفقهاء في هذه القضية وغيرها من القضايا المشابهة هي حديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي أورده الإمام مالك في كتابه الموطأ عن عمر بن يحيى المازني عن أبيه عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "لا ضرر ولا ضرار". وقد فسر بعض الفقهاء ذلك القول بمعنى ألا تضر نفسك ولا تضر غيرك. (ابن الرامي، 1995م ،ص 57) وبناءً على ذلك فقد رأى بعض الفقهاء أن مسالة الضرر مسألة نسبية، وأن ذلك الضرر ينتفي إذا تحققت بعض الشروط، وذلك وفق نوع الطريق الذي سيقام عليه الجناح أو الساباط، فإذا كان الطريق ضيق لا يمر به الفرسان ولا القوافل فيشترط ان يكون الساباط مرتفعا بالقدر الذي يسمح بمرور الماشي منتصباً، وقد أضاف بعض العلماء كالماوردي أن يسمح بمرور الماشي وعلى رأسه الحمولة العالية وهذا النوع نراه كثيراً في شوارع طرابلس كما في ساباط زنقة الأزرق، أما إذا كان الطريق واسعاً تمر به الفرسان والقوافل فيجب أن يكون الساباط مرتفعاً بالحد الذي يسمح بمرور الراكب في المحمل فوق البعير(أي الجمل المهودج)، (المقدسي، 1988م،ص 72)، وقد تحققت تلك الشروط في بوابات وأقواس وساباطات طرابلس، حيث جاءت متماشية –إلى حدٍّ كبير– مع تلك الشروط التي حددها الفقهاء.

وقد أورد التطيلي في كتابه الجدار في حكم اتخاذ الساباطات أن الإمام سحنون قد سئل عن الرجل تكون له الدار عن يمين الطريق ويساره، فيريد أن يرفع على السكة غرفة أو يتخذ مجلساً على جدار داره؟ فقال: ذلك له إن كان لا يضيق الطريق ولا يضر أحدًا من المسلمين، (التطيلي، 1996م، ص149) وقد أجاز بعض الفقهاء ذلك وإن لم يكن الرجل يملك البيت عينه على جانبي الطريق، حيث يمكن أن يستغل من يملك بيتاً على أحد الجانبين من عمل جناحٍ معلق، وقد ذكر ذلك ابن الرامي في كتابه أحكام البنيان، حيث قال: قال ابن شعبان: إذا كان باب الدار على الطريق، وأراد أحدهم أن يخرج جناحاً لم يمنع وإن أخذ الطريق أجمع إن سبق غيره، فإن أراد ذلك أهل الجانبين وتشاجروا يقسم الهواء بينهم نصفين. (ابن الرامي، 1995، ص 148)

الخاتمة

وفي ختام هذا البحث عن شوارع مدينة طرابلس والظروف التي صاحبت تخطيطها ونشأتها استنتجنا بأن هناك عدة عوامل أثرت في تخطيط شوارعها، يمكن أن نجملها في النقاط الآتية:

1- طرابلس في الأصل مدينة قديمة ذات صبغة رومانية، وليست مستحدثة في الفترة الإسلامية، وهذا ما جعل شوارعها لا تخضع للشروط التي وضعها المسلمون عند تخطيطهم للمدن الإسلامية الجديدة، ولمسناها في أوصاف مدن البصرة والكوفة والقيروان وبغداد وغيرها من المدن الإسلامية.

2- الموقع الجغرافي للمدينة وإحاطة البحر لها من جهتين فرض على شوارع طرابلس أن تسير في اتجاهين فقط باتجاه شاطئ البحر الذي يحيط بالمدينة من الجهة الشمالية الشرقية والشمالية الغربية.

3- الظروف المناخية المتمثلة في ارتفاع درجات الحرارة في فصل الصيف وانخفاضها في فصل الشتاء، جعلت شوارع طرابلس كغيرها من مدن المغرب الإسلامي تتسم بالضيق والتعرج، ودفعت السكان إلى تسقيف بعض الشوارع لاسيما التي بها أسواق تجارية.

4- إحاطة مدينة طرابلس بسور وتحصينات دفاعية حصر المدينة في مساحة محدودة، وبالتالي ضاقت شوارعها، وقلّت بها الساحات والميادين.

5- كان للآراء الفقهية والتعاليم الدينية صداها الواضح في تقسيم شوارع طرابلس، وتخطيطها مواصفاتها.

6- تضاربت آراء الرحالة العرب والأجانب بخصوص شوارع طرابلس، فمنهم من أشاد باتساعها واستقامتها، ومنهم من وصفها بالضيق والتعرج؛ وسبب ذلك أن كلاً منهم وصفها حسب خبرته الشخصية، فالرحالة المغاربة أو الأوربيون الذين عاشوا في مدن المغرب وصفوا شوارع طرابلس بالاتساع والاستقامة؛ لأنهم قارنوها بشوارع مدن المغرب، وأما الرحالة الأوروبيون الذين وصفوها بالضيق والتعرج فقد جاء وصفهم ذلك قياساً على شوارع مدنهم التي اتسمت بالاتساع؛ نظراً لطبيعة الجو الغائم لديهم.

وأتمنى أن تقام مستقبلاً دراسات مستفيضة تلقي الضوء بشكل أكبر على شوارع مدينة طرابلس. **وفي الختام** إن أصبت فذلك بتوفيق من الله عز وجل، وإن قصرت فمن نفسي.

قائمة المصادر:

1. ابن أبي الربيع، شهاب الدين أحمد بن محمد. (2010م). "سلوك المالك في تدبير الممالك" ، تحقيق عبدالعزيز بن فهد بن عبدالعزيز، الرياض، دار العاذرية للطباعة والنشر والتوزيع.
2. ابن حموش، مصطفى، وبالقاضي، بدر الدين. (2004م) "خطط مدينة الجزائر من خلال مخطوط ديفولكس والأرشيف العثماني" ،أبو ظبي ، إصدارات المجمع الثقافي.
3. ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد. (1959م). "العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاهدهم من ذوي السلطان الأكبر"، المجلد الأول، القسم الرابع، بيروت ، دار الكتاب اللبناني.
4. ابن منظور. (د.ت). لسان العرب، القاهرة، دار المعارف .
5. أبو شويرب، عبد الكريم. (1993–1994م). "وثيقة حول تنظيف شوارع طرابلس في منتصف القرن الماضي" ، **مجلة آثار العرب**، (ع 7و 8).
6. البناء، ابن الرامي. (1995م). "الإعلان بأحكام البنيان" ، تحقيق عبد الرحمن الأطرم. الرياض. مركز الدراسات والإعلام: دار إشبيلية..
7. بوجمعة، خلف الله. (1981م) "المدينة الإسلامية بين الوحدة والتنوع" ، الجزائر، مجمع عمران نت.
8. التجاني، أبو محمد عبد الله بن محمد بن احمد. (د.ت). "رحلة التجاني"، ليبيا–تونس ، الدار العربية للكتاب.
9. التطيلي، عيسى بن موسى. (1996م) "كتاب الجدار" تحقيق إبراهيم الفايز، الرياض. نشر المحقق.
10. التليسي، خليفة محمد. (1997م). "حكاية مدينة طرابلس لدى الرحالة العرب والأجانب" ، الطبعة الثالثة، طرابلس–تونس، الدار العربية للكتاب.

11. توللي، الآنسة. (1967م). "عشرة أعوام في طرابلس" ، ترجمة عبد الجليل الطاهر، بنغازي، دار ليبيا للنشر والتوزيع.
12. الدراجي، سعدي إبراهيم. (2003م). "دراسة في العمارة الإسلامية" ، زليتن ، منشورات القيادات الشعبية الاجتماعية.
13. رزق، عاصم محمد. (2000م). "معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية" ،القاهرة ، مكتبة مدبولي.
14. ريمون، أندريه. (1991م) "المدن العربية الكبرى في العصر العثماني" ، ترجمة لطيف فرج، القاهرة؛ باريس، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع.
15. الشافعي، أبو حامد المقدسي. (1988م). "الفوائد النفيسة الباهرة في بيان حكم شوارع القاهرة في مذاهب الأئمة الأربعة الزاهرة"، تحقيق آمال العمري، القاهرة، هيأة الآثار المصرية.
16. عثمان، محمد عبدالستار. (1988م). "المدينة الإسلامية"، الكويت ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
17. عرفة، ضحى. (د.ت). "العمارة الرومانية" ، الإسكندرية، الرواد للكمبيوتر والتوزيع.
18. حسن، الفقيه حسن. (2001م). "اليوميات الليبية" ، طرابلس، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية.
19. كابوفين، جورجو. (1988م). "طرابلس والبندقية في القرن الثامن عشر"، ترجمة عبد السلام مصطفى باش إمام، طرابلس ، مركز جهاد الليبيين.
20. كاوبر، هـ. س. ((د.ت)). "مرتفع إلاهات الجمال واستكشاف الهياكل الثلاثي في المواقع المغليثية في طرابلس"، ترجمة أنيس زكي حسن، طرابلس، مكتبة الفرجاني.
21. كنريك، فيليب. (2015م). "دليل المواقع الأثرية في ليبيا إقليم المدن الثلاث" ، لندن ، منشورات جمعية الدراسات الليبية.
22. لومس تود، مابل. (1985م). "أسرار طرابلس" ، لندن، منشورات دارف المحدودة،.

23. ميسانا، غاسبري. (1973). " المعمار الإسلامي في ليبيا" ، تعريب: علي الصادق حسنين، طرابلس، منشورات مصطفى العجيلي.

24. الهدار، خالد محمد. (2003م). " رحلة الرحالة الإسباني علي بك العباسي إلى طرابلس في أوائل القرن التاسع عشر" ، **مجلة تراث الشعب**، (س13) (ع 1-2) .

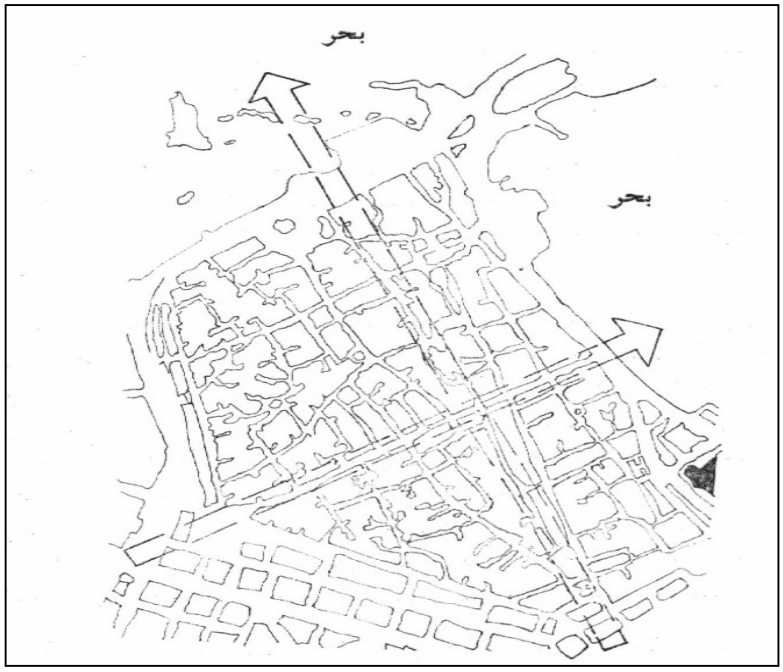
25. وزيري، يحيى. (2004م). "العمارة الإسلامية والبيئة " ، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

26. Aurigemma، Salvatore، (1933)."il coronamento architettonico dell 'Arco di Marco Aurelio in Tripoli " **Africa Italiania**. (Vol n 1 – 2 Roma)، p. 142.



مخطط رقم (1) طرابلس في العهد التركي (عن القسم الفني

ISSN: 2523 – 1871



مخطط رقم (2) الاتجاهات الرئيسية لطرق طرابلس (عن ميسانا)



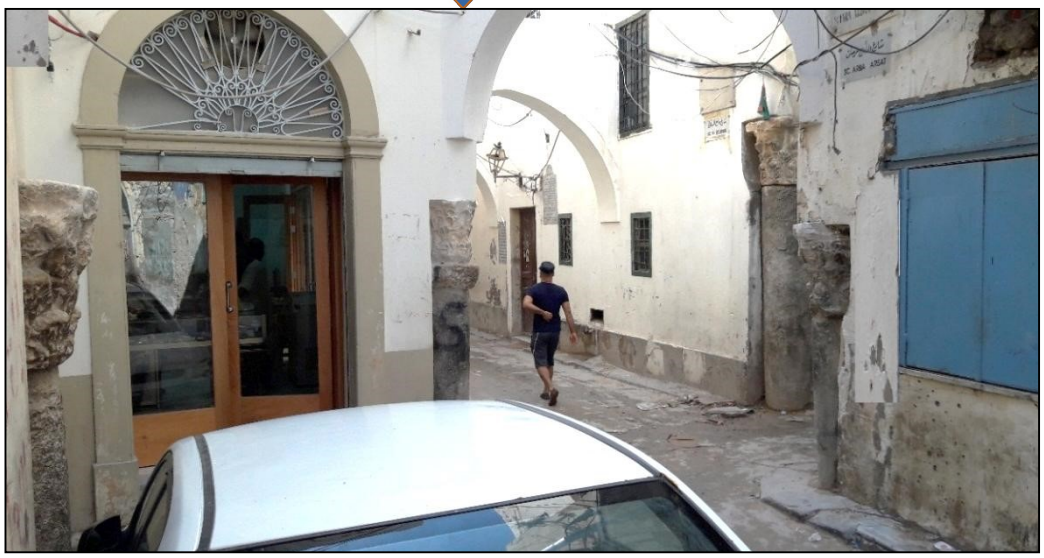
مخطط رقم (3) شوارع مدينة طرابلس(عن القسم الفني بجهاز حماية المدن القديمة)



مخطط رقم (4) شوارع مدينة الجزائر (عن بن حموش)



الصورة رقم (1) قوس ماركوس أوريليوس بطرابلس(تصوير الباحث)

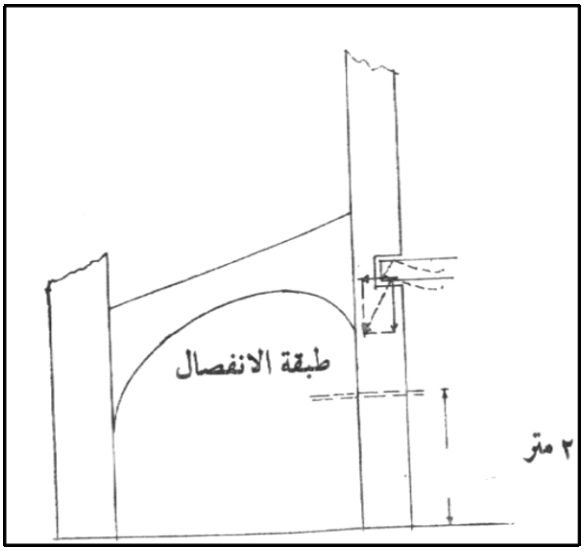


الصورة رقم (2) تقاطع الأربع عارصات (تصوير الباحث)



الصورة رقم (3) الأقواس التي تربط بين المباني في شوارع طرابلس (تصوير الباحث)

ISSN: 2523 – 1871



الصورة رقم (4) الأقواس التي تربط بين المباني في شوارع طرابلس (عن ميسانا)



الصورة رقم (5) العوارض الخشبية التي حلت محل الأقواس في شوارع طرابلس (تصوير الباحث)



الصورة رقم (6) ساباط شارع الفرنسيس (تصوير الباحث)



الصورة رقم (7) ساباط حوش القرمانلي (تصوير الباحث)



الصورة رقم (8) ساباط زنقة الأزرق
(تصوير الباحث)



الصورة رقم (9) ساباط زنقة قرامة
(تصوير الباحث)



الصورة رقم (10) ساباط زتقة مهنى (تصوير الباحث)

ISSN: 2523 – 1871



الصورة رقم (11) ساباط زنقة كفالة (تصوير الباحث)



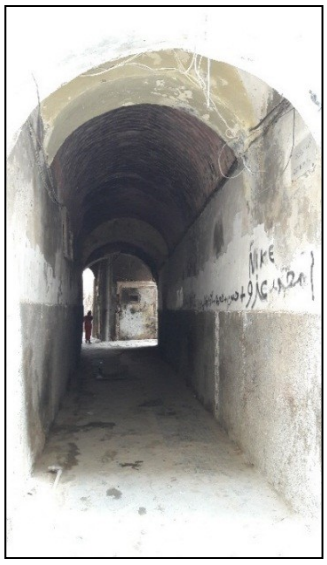
الصورة رقم (12) ساباط زنقة سوق الحرارة (تصوير الباحث)



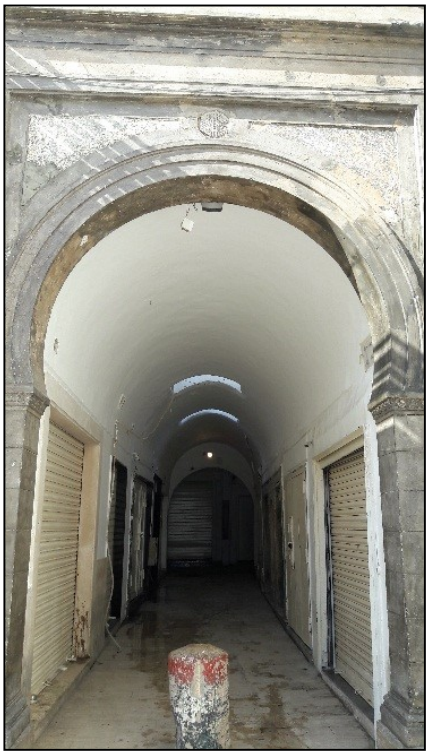
الصورة رقم (13) ساباط زنقة بيت المال (تصوير الباحث)



الصورة رقم (14) ساباط زنقة ميزران (تصوير الباحث)



الصورة رقم (15) ساباط زنقة بن موسى (تصوير الباحث)



الصورة رقم (16) مدخل سوق الترك
(تصوير الباحث)



الصورة رقم (17) سوق الترك (تصوير
الباحث)

ISSN: 2523 – 1871



الصورة رقم (18) مدخل سوق الرباع القديم (تصوير الباحث)

ISSN: 2523 – 1871

الحماية الدستورية للتراث الأثري في ليبيا

الدكتور: أحمد عيسى فرج الحاسي

أستاذ مساعد في إدارة وحماية الآثار والتراث الليبي جامعة عمر المختار

المستخلص

هذا البحث يتناول الجوانب القانونية والتشريعية لحماية التراث الأثري، من خلال استخدام المنهج الوصفي التحليلي، والمنهج التاريخي في بعض جزئيات البحث، حسب متطلبات الدراسة. وتحاول الدراسة إظهار أهمية دسترة حماية التراث الأثري في ليبيا، من خلال استعراض المساعي الرامية لدسترة حماية الآثار والتراث في ليبيا وبعض دول العالم، وتعرض الدراسة التطور التاريخي لهذه المساعي، وصولا إلى الدستور الليبي المقترح، حيث أن المواد المقترحة حول حماية التراث الثقافي في مسودة الدستور مثالية إلى حد كبير، ولكن حجم التحديات والاعتداءات التي يتعرض لها التراث خلال السنوات الماضية، هو ما قاد لتحقيق هذه الخطوة الهامة، ولكن يظل القصور مصاحباً لقانون حماية الآثار الليبي، ويجب العمل على تقويته.

الكلمات المفتاحية:

التراث الأثري – الدستور – مصلحة الآثار – المراقبات

المقدمة:

تُعد دولة ليبيا من أغني دول العالم بالتراث الأثري، الذي يعود لمراحل تاريخية مختلفة، حيث تنتشر آثار تعود لعصور ما قبل التاريخ في البلاد في عدة مواقع؛ مثل: كهف هواء افطيح، و حقفة جازوفا، وكهف المقرنات، وحقفة الطيرة، ومواقع الفن الصخري فى سلسلة جبال أكاكوس، وجبال العوينات، ووادي ماتخندوش، وغيرها الكثير.

كما شكل التراث الأثري الفنيقي والروماني تنوعا غاية في الروعة والخصوصية في غرب البلاد، وأهم مواقعه في (لبدة الكبري، صبراتة)، وفي شرق البلاد ينتشر التراث الأثري الإغريقي، والذي يتمازج

مع التراث الأثري الروماني، ويكونا معا نسيجا غاية في الروعة، يظهر بوضوح في قورينيا وأبولونيا وبطولمايس.

ولكن للأسف الشديد لم يحض هذا التراث العظيم بما يليق به من اهتمام وحماية، بل صار مهدداً بالضياع والاندثار؛ وذلك لعدة أسباب يمكن تلخيصها في الآتي:

- التطرف والاعتقاد بوجوب هدم الأضرحة والآثار.
- أفكار موروثة من نظام القذافي " بأن الآثار لا تعني إلا بقايا للاستعمار".
- الطمع والرغبة في المتاجرة بالآثار.
- التجريف للمواقع الأثرية وما يتعلق بقضايا حقوق الملكية.

مشكلة البحث وأهدافه:

هذا البحث يتناول الجوانب القانونية والتشريعية لحماية التراث الأثري، وهذه الجوانب تُعد أهم أسس الحماية، فهي تمثل الردع وتترتب وفقها جوانب الحماية الأمنية، وفي ليبيا ظهرت أول ملامح حماية التراث الأثري القانونية منذُ فترات مبكرة من تاريخ قيام الدولة الليبية، إلا أن الدساتير الليبية المتعاقبة لم تتطرق لهذا الجانب على الإطلاق، هذا البحث سيحاول إظهار أهمية دسترة حماية التراث الأثري في ليبيا، ويستعرض المساعي الرامية لدسترة حماية الآثار والتراث في ليبيا.

أسئلة الدراسة:

يمكن تلخيص أسئلة الدراسة في ثلاثة أسئلة هي:

1. ما مدى أهمية دسترة حماية التراث الأثري في ليبيا؟
2. ما هي الجهود التي بذلت من أجل دسترة حماية التراث الأثري في ليبيا.
3. هل المواد الدستورية (بمسودة الدستور الصادر عن الهيأة التأسيسية لمشروع الدستور الليبي) المتعلقة بحماية الآثار والتراث الليبي – سواء أكان بشكل مباشر أم غير مباشر – كافية كنص حماية دستوري؟
4.

أقسام البحث:

وفي هذا البحث سوف نتناول الحماية الدستورية للتراث الأثري، عبر المحاور الآتية:

1. لمحة عن أهمية دسترة حماية التراث الأثري.
2. رحلة المطالبة بدسترة حماية التراث الأثري في ليبيا.
3. قراءة في مخرجات الهيأة التأسيسية لصياغة مشروع الدستور وتقييمها.
4. مقارنة بين مواد حماية التراث الأثري في الدستور الليبي المنجز وبين المواد ذات العلاقة في دستور كل من مصر وتونس (اللتين مرتا بالظروف السياسية ذاتها).

منهج الدراسة:

تعتمد هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، والمنهج التاريخي في بعض جزئيات البحث، حسب متطلبات الدراسة.

مصطلحات البحث:

التراث الأثري Archaeological heritage:

إن مفهوم التراث الأثري موجود أساسا في القانون الدولي كمجموعة فرعية لمفهوم الممتلكات الثقافية أو التراث الثقافي، الذي يتشكل من المباني والمواقع الأثرية واللقى والتحف والمصنوعات اليدوية، وكل ما يحميه القانون بشكل عام، ولكن المعنى العلمي أوسع بكثير؛ حيث يشمل كل البقايا حتى البيئية منها. ويتعدى هذا ليشمل التراث الثقافي المغمور بالمياه. والإقرار بشأن تصنيف ما هو مهم ومحمي قانونا، وما هو محمي أخلاقيا يكون وفق قيم كل مجتمع في حد ذاته، وبالتالي لا يوجد تعريف واحد مثالي للتراث الأثري، ومصطلح التراث الأثري هو تخصيص للتراث الثقافي المادي؛ للخروج من إقحام التراث غير المادي (المعنوي). انظر الشكل رقم (1)؛ للتعرف على تصنيف التراث.

التراث الثقافي		التراث الطبيعي
التراث المادي	التراث غير المادي	مادي وغير منقول
غير المنقول / المنقول		
الأعمال المعمارية المعالم المواقع الاثرية المراكز التاريخية مجموعات المباني التراثية المشاهد الثقافية المحميات والحدائق التاريخية حدائق النبات الآثار الصناعية	مقتنيات المتاحف المكتبات الأرشفة (السجلات)	الموسيقى الرقص والفلكلور الادب المسرح التقاليد المحلية العلوم والتكنولوجيا الحرف الشعائر الدينية	المحميات الطبيعية والمائية ذات الأهمية الإيكولوجية. التكوينات الجيولوجية والطبيعية. مواقع الطبيعة الخلابة.

الشكل رقم (1)

شكل رقم (1) جدول توضيحي لأنواع التراث وتصنيفاته (فرج، 2017)

الدستور Constitution:

تقول عنه المعاجم اللغوية العربية بأنّ الدستور هو: "القاعدة يُعمل بمقتضاها، والدفتر تُكتب فيه أسماء الجند ومرتباتهم" (المعجم الوسيط، 2004، ص283). وهي كلمة من أصل فارسي تعني الدفتر الذي يجمع فيه قوانين الملك. وهو شامل لكل جوانب الحياة العامة، وتنظيم السلطة وكيفية ممارستها، وهو بذلك مصدر كل القوانين المنظمة للحياة العامة (الكبتي، 2014). وما يعنينا هنا القواعد الحاكمة التي يتضمنها الدستور، وتكون مصدراً لقوانين حماية الآثار، والفصل بين تعارضها، وقوانين الملكية باعتبار الآثار ليست مجرد أدوات لمصدر التاريخ، وإنما هي ثروة قومية.

مصلحة الآثار Department of Antiquities:

هي المؤسسة الليبية التي تشرف على إدارة الآثار في ليبيا، وهي مؤسسة ذات تاريخ عريق يعود تأسيسها إلى عام 1914م.

ISSN: 2523 – 1871

المراقبات Superintendencies (المراقبة Superintendency):

هي فروع مصلحة الآثار في البلاد، وعددها الآن مختلف؛ نتيجة لما آلت إليه أوضاع مصلحة الآثار في ليبيا من انقسام إلى مصلحتين، إحداهما في شرق البلاد، والآخر في غربها، ولكل منها تقسيمها الإداري الخاص بها.

لمحة عن أهمية دسترة حماية التراث الأثري:

لاشك في أن اغلب دول العالم تسعى لحماية تراثها الثقافي بكل الوسائل التشريعية الممكنة، فالكثيرة من هذه الدول وضعت مواداً ضمن دساتيرها؛ لحماية التراث الأثري، وليصبح التراث الأثري محي دستوريا، فعلي سبيل المثال لا الحصر، المادة 117 في الفقرة (S) الدستور **الإيطالي**، التي تقول: "حماية البيئة والنظام البيئي والتراث الثقافي" (Italy's Constitution of 1947) ، فقد جعل الدستور **الإيطالي** للتراث الثقافي أهمية البيئة وإلزام الحكومة بحمايته.

وفي المادة 37 في دستور **كازاخستان**: "يجب علي مواطني جمهورية كازاخستان تقديم الرعاية؛ لحماية التراث التاريخي والثقافي، والحفاظ على الآثار، والتاريخ والثقافة" (Kazakhstan's Constitution of 1995) ، نلاحظ هنا محاولة مهمة في دستور **كازاخستان** عبر حث المواطنيين علي حماية التراث الثقافي، فالمواطن هو أساس الحماية.

المادة 9 في دستور **كوسوفو**: "جمهورية كوسوفو: تضمن صون و حماية التراث الثقافي والديني" (Kosovo's Constitution of 2008).

المادة 48 الفقرة (2) في دستور جمهورية **قيرغيزستان**: "يجب على الدولة ضمان الحفاظ على المعالم التاريخية، وكذلك المواد الأخرى من التراث الثقافي" (Constitution of Kyrgyz Republic's 2010).

المادة 23 في دستور **لاوس**: "الدولة تشجع الأنشطة الثقافية والفنون الجميلة والاختراع، وتدير وتحمي التراث الثقافي والتاريخي و الطبيعي، وتحافظ على التحف والأماكن التاريخية" (Laos's Constitution of 1991).

وهذا يبيّن أنّ دساتير كل من كوسوفو، و قيرغيزستان، ولاوس تتفق في أنّ الدولة ملزمة بحماية التراث الثقافي.

المادة 149 في دستور **النيجر**: "تمارس الدولة سيادتها على الموارد الطبيعية، ويجب أن يتم استغلال وإدارة الموارد الطبيعية بشفافية، والأخذ بعين الاعتبار حماية البيئة، والتراث الثقافي، وكذلك الحفاظ على مصالح الأجيال الحاضرة والمستقبلية" (Niger's Constitution of 2010) ، وهذا يؤكد على جانب مهم جدا، وهو حق الأجيال القادمة في التراث.

المادة 13 في الدستور **العماني**: "ترعى الدولة الحفاظ على التراث الوطني، وتشجيع العلوم والفنون والآداب والبحث العلمي، والمساعدة في نشرها" (Oman's Constitution of 1996)، ربط التراث الوطني بالعلوم والفنون والآداب والبحث العلمي، هو تاكيد على القيمة الحقيقية للتراث.

في دستور **مصر** في المادة 49 تقول: "تلتزم الدولة بحماية الآثار، والحفاظ عليها، ورعاية مناطقها، وصيانتها وترميمها، واسترداد ما استولي عليه منها، وتنظيم التنقيب عنها، والإشراف عليها. ويحظر إهداء أو مبادلة أي شيء منها. والاعتداء عليها والاتجار فيها جريمة لا تسقط بالتقادم".

وفي المادة 50 –أيضا– تنص علي أهمية التراث **المصري**، والتزام الدولة بحمايته (دستور مصر 2013).

أما الدستور **التونسي** ففي الفصل 42 الذي عنوانه " الحق في الثقافة مضمون"، ورد فيه بخصوص التراث الثقافي النص الآتي: "تحمي الدولة الموروث الثقافي، وتضمن حق الأجيال القادمة فيه" (دستور تونس 2014).

رحلة المطالبة بدسترة حماية التراث الأثري في ليبيا:

تاريخ دسترة حماية الآثار والتراث في ليبيا:

تجدر الإشارة –هنا– إلى أن الاهتمام بحماية الآثار في ليبيا كان كبيراً، منذُ أن أدرك المستعمر الإيطالي أهمية التراث الأثري في ليبيا وغناه، حيث أُنشئَ أول إدارة للآثار بتاريخ: 24 \ 9 \ 1914 م، وقرار تنظيم عمل الحفريات والخدمات ذات الصلة بالمواقع الأثرية.

وبعد ذلك قرار حكومي في 28 أكتوبر 1915م، من قبل الجنرال أميليو Ameglio لدعم هذه المؤسسات المعنية بالتراث الأثري (Goodchild،1976، p. 308).

أما خلال فترة الإدارة البريطانية، فقد تلقت القيادة العسكرية التابعة لها في القاهرة في 19يناير 1943م ما يفيد بأن هناك إهمالا فيما يخص البوابات الرئيسية في قورينى (شحات) حيث تترك مفتوحة، حيث جاءت تعليمات للمسؤول السياسي بأن يفعل ما في وسعه؛ لمنع أي شخص من الإقامة في الأماكن المغلقة؛ لغرض الحفاظ على الآثار(Goodchild،1976، .331 p).

وبعد إعلان استقلال ليبيا عام 1951م، صدر مرسوم ملكي عام 1953م ينظم حماية الآثار، وقد تعززت حماية الآثار في ليبيا عبر قانون الآثار الصادر عبر مرسوم ملكي في الأول من يوليو 1968م (Royal Decree Law of Antiquities). وفي عام 1983 م صدر قانون رقم (2) الخاص بحماية الآثار عن المؤتمر الشعبي العام (السلطة التشريعية في ليبيا آنذاك). ثم أعقبه قانون رقم (3) لسنة 1995م وهذا القانون لا يزال ساري المفعول، ويعمل به حتى الآن في ليبيا (عبدالكريم، 2018، ص51).

أما بعد ثورة فبراير فلم يرد أيّ نص يتعلق بالتراث في الإعلان الدستوري الصادر يوم 3 أغسطس 2011 م، وهذا الإعلان – في الواقع– معني بترتيب العملية السياسية؛ للوصول إلى الدستور الدائم.

وبالمقابل –للأسف– ليس لدى الدولة الليبية تاريخ في جانب حماية التراث دستورياً، ففي دستور إمارة برقة الصادر في 1949 لم ترد فيه أي إشارة لحماية التراث والآثار، ولم يتغير الحال في دستور المملكة الليبية المتحدة؛ الصادر في 7 أكتوبر 1951م، ولم تتضمن التعديلات التي أجريت عليه في 1963م، أي تغيير في هذا الجانب. وعند تعطيل العمل بالدستور سنة 1969 من قبل الانقلابيين، لم يعد لليبيا دستور.

وعند انتخاب الهيأة التأسيسية لصياغة مشروع الدستور، وعَقْدِ أول اجتماع لها في يوم الإثنين الموافق 21 أبريل لعام 2014 م (http: //archive2. libya-al-mostakbal. org) ، تواصل بعض المتخصصين في التراث والآثار مع الهيأة؛ لضمان تحقيق مطلبهم بدسترة حماية التراث والآثار، وقد وضحت سجلات الهيأة أن ثمة مقترحات في هذا الشأن قد قُدمت منذُ 17\11\2014 م، فقد ورد تحت

رقم تسلسل 47 أول مقترح لتضمين مواد دستورية ترتبط بالآثار والتراث، ووجوب حمايته بعنوان "مقترح الآثار والتراث الليبي في الدستور"، قدمه الباحث، وتحت رقم 57 قدمت مراقبة آثار بنغازي مقترحها في الشأن ذاته، وتحت رقم 177 قدمت الجمعية الليبية للآثار والتراث مقترحها الداعم لذات المساعي (http: //www. cdalibya. org). في 24 مايو 2014 أعلنت الهيأة عن توصلها لإنجاز الخارطة الدستورية، التي تنص على المبادئ التوجيهية الآتية:

"ملكية الشعب الليبي للثروات الطبيعية"، و "حماية الموروث الحضاري والثقافي واللغوي المتنوع" (الموقع الرسمي للهيأة التأسيسية لصياغة الدستور).

وفي يوم الأربعاء 24 ديسمبر 2014م أصدرت الهيأة بياناً صحفياً، هنأت من خلاله الشعب الليبي بمناسبة الذكرى الثالثة والستين لاستقلال ليبيا، مؤكدة أنها تسعى جاهدة؛ لإنجاز مشروع توافقي لكل الليبيين دون تمييز، وضمن هذا البيان طرحت على الشعب الليبي المقترحات الأولية للجان النوعية، ووضحت أنها ترحب بالملاحظات والانتقادات فيما يتعلق بهذه المقترحات، التي سوف تساهم في توضيح أوجه القصور، وتكون مصدراً مهماً في أثناء أعمال إعادة النظر فيها، قبل إحالتها للهيأة، وعرضها للنقاش (عبد الكريم ، أحمد، ص8).

المقترحات الأولية للجان النوعية:

ما يهمنا هنا في هذه المقترحات: مقترح (لجنة الحقوق والحريات والتدابير الانتقالية) الموجود ضمن باب الحريات والحقوق، الذي اعتُمِدَ بالجلسة الثالثة والأربعين، المنعقدة بتاريخ 09 نوفمبر 2014م، بمقر الهيأة بمدينة البيضاء، وقد جاء فيه –ما يتعلق بالتراث والآثار– الآتي:

"التعدد الثقافي" ضمن مادة رقم (. . .) – لم تعط رقما آنذاك؛ لأنها مازالت مجرد مقترحات– التعدد الثقافي كان هو عنوان الجزء الذي خصص للحديث عن الآثار والتراث، ضمن ملف الثقافة والحقوق المتعلقة بها، ضمن هذا الجزء وردت 7 نقاط، هي:

- حماية اللغات والثقافات المحلية، وضمان تعليمها وازدهارها، واستعمالها في وسائل الإعلام.
- حماية المعارف التقليدية والآداب.
- حماية المناطق التاريخية وتنميتها.

- تعليم الفنون ونشر الخدمات الثقافية.
- حماية المخطوطات والآثار.
- حظر الأفعال الضارة بالموروث الثقافي واللغوي والتاريخي.
- دعوى حماية الموروث الثقافي دعوى عامة دون رسوم قضائية (فرج، 2014).

في الواقع لا يمكن أن ينكر أحد أن هذا يعد تطوراً هاماً وكبيراً وغير مسبوق، حيث يعد أول ذكر لحماية الآثار والتراث في نص دستوري عبر تاريخ الدولة الليبية.

مسودة الدستور الصادر في 29 يوليو 2017م:

قد كان التصويت على هذه المسودة في يوم السبت: 29 يوليو2017م بمدينة البيضاء، في الجلسة رقم (74)، بأغلبية (43) صوتاً من (44) صوتاً (موقع بوابة الوسط).

المادة رقم (29) تحت عنوان: حماية الآثار والمخطوطات:

"تلتزم الدولة بحماية الآثار والمدن والمناطق التاريخية، ورعايتها، وإعادة تأهيلها والتنقيب عنها، ويحظر الاعتداء عليها أو الاتجار بها أو إهداؤها، وتتخذ ما يلزم؛ لاسترداد ما استولي عليه منها، وتكفل الدولة حماية المخطوطات والوثائق، والمسكوكات التاريخية، وتعمل على صيانتها، والمحافظة عليها، ويحظر الاعتداء عليها والعبث بها. وفي جميع الأحوال لا تسقط الجرائم المتعلقة بها بالتقادم.

وفي حال اعتبار إحدى الممتلكات الخاصة ذات طبيعة أثرية، تخضع علاقة أصحاب الشأن مع الدولة لقانون خاص يضمن حقوقهم المشروعة".

وعند مقارنتنا لهذه المادة بمثيلاتها في دستور كل من مصر وتونس نجدها تشبه –حتى في جزء كبير من تركيب نصها اللغوي– المادة 49 من **الدستور المصري** التي تقول –نصاً–: " تلتزم الدولة بحماية الآثار والحفاظ عليها، ورعاية مناطقها، وصيانتها وترميمها، واسترداد ما استولي عليه منها، وتنظيم التنقيب عنها، والإشراف عليها. ويحظر إهداء أو مبادلة أي شيء منها. والاعتداء عليها والاتجار فيها جريمة لا تسقط بالتقادم" (دستور مصر، 2013)، إلا أن النص **الليبي** كان أكثر تفصيلاً في بيان أنواع الآثار، حيث تحدث عن " الآثار والمدن والمناطق التاريخية، والمخطوطات، والوثائق، والمسكوكات

التاريخية" (ليبيا، مسودة الدستور، 2017). كما أشار النص **الليبي** إلى إحدى أهم القضايا؛ وهي مسائلة الملكية الخاصة إذا ما اعتُبِرَت آثاراً، وهذا في اعتقادنا راجع إلى طبيعة التحديات والتهديدات الراهنة على التراث الأثري في ليبيا.

أما المادة 50 في **الدستور المصري** – التي تقول –نصاً–: " تراث مصر الحضاري والثقافي، المادي والمعنوي، بجميع تنوعاته ومراحله الكبرى، المصرية القديمة، والقبطية، والإسلامية، ثروة قومية وإنسانية، تلتزم الدولة بالحفاظ عليه وصيانته، وكذا الرصيد الثقافي المعاصر؛ المعماري والأدبي والفني بمختلف تنوعاته، والاعتداء على أيٍّ من ذلك جريمة يعاقب عليها القانون. وتولي الدولة اهتماما خاصا بالحفاظ على مكونات التعددية الثقافية في مصر." (دستور مصر، 2013) – فهي تؤكد علي أهمية التراث المصري، والتزام الدولة بحمايته، كما تعرضت للتنوع الثقافي والتراث غير المادي (الأدبي والفني)، في **الدستور الليبي** ذكرت قضية التراث غير المادي، وأهمية التنوع الثقافي، ووجوب حمايته في مواد أخرى؛ كالمادة 55 والمادة 160 (ليبيا، الدستور الليبي،2017).

وأما ما ورد في **الدستور التونسي** فكان مختصرا للغاية: "تحمي الدولة الموروث الثقافي، وتضمن حق الأجيال القادمة فيه"(2014).

في اعتقادنا أن المادة 29 بمقترح **الدستور الليبي** قوية وواضحة بما يكفي لنص دستوري، ونعتبر هذا تتويجاً للجهود التي بذلت منذُ انطلاق أعمال الهيأة، ويسجل تاريخيا باسمها، ولكن ثمة بعض الملاحظات التي لو شملها النص لكان أكثر شمولاً وقوةُ، يمكن أن نلخصها في الآتي:

أولاً: وصف التراث الأثري كله (منقول أو ثابت) بأنه منفعة عامة.

ثانياً: اعتبار ما هو أثري جزءاً من التراث الوطني والإنساني، وله حرمة المال العام.

ثالثاً: لم يتطرق الدستور للتنظيم المؤسساتي لإدارة التراث الأثري في ليبيا، وهذه إحدى أهم القضايا التي تؤثر على بقاء التراث واستدامته، كما بينت بعض الدراسات (Abdulkariem،2014،p115)، وفي اعتقادنا أن دسترة مجلس أعلى للتراث الأثري، أو هيأة وطنية للتراث سيكون خط دفاع مهم، وسيضمن عدم دخولها (أو دخوله) –على الأقل– في المساومات السياسية.

رابعاً: الصبغة الأثرية: إن إضفاء أو نزع الصبغة الأثرية عن موقع أو مبنى أو لقية ما عملية فنية، يجب أن ينظمها قانون خاص، وذلك أن منح الإدارة العليا للتراث الأثري في ليبيا للصبغة الأثرية يتطلب نزع الملكية السابقة، سواء أكانت خاصة أم عامة، مع ضرورة حفظ حق المالك السابق بالتعويضات المناسبة.

خامساً: استقلال الإدارة العليا للتراث الأثري عن الحكومة وكافة المؤسسات، فقد تتنازع السلطة التنفيذية (الحكومة) نفسها الإدارة العليا للتراث الأثري.

ومن جانب آخر، يجب أن نثمن مواد دستورية أخرى جاءت مكملة لهذه المادة، وتخدم الغاية ذاتها، منها المادة (55) التي تتعلق بالثقافات واللغات، ونصها:

اللغات والثقافات الليبية:

" للأشخاص –أفراداً وجماعات– الحق في استخدام لغاتهم وتعلمها، والمشاركة في الحياة الثقافية، وتضمن الدولة **حماية الثقافات المحلية والتراث** والمعارف التقليدية والآداب والفنون، والنهوض بها، ونشر الخدمات الثقافية.

والمادة (58) المتعلقة بالملكية وتنص على:

الملكية الخاصة

الملكية الخاصة حق مصون، لا يجوز فرض الحراسة عليها إلا بحكم قضائي، وفي الحالات التي يبينها القانون، ولا تنزع إلا للمنفعة العامة، ومقابل تعويض عادل، وفي حالات الطوارئ و الأحكام العرفية، يكون التعويض عنها مسبقا، ولا تصادر إلا بحكم قضائي، وتحظر المصادرة العامة (مقترح مسودة توافقية لمشروع الدستور، 2017).

كما خصصت المسودة ضمن الباب التاسع المختص بالهيئات الدستورية المستقلة، مجلسا يعنى بالتراث الثقافي واللغوي، أطلق عليه اسم: **المجلس الوطني لحماية الموروث الثقافي واللغوي**، وهي المادة (160) وتنص على الآتي:

"يتولى المجلس تنمية اللغات الليبية وحمايتها، والمحافظة على الموروث الثقافي واللغوي المتنوع للشعب الليبي، وتوثيقه والاهتمام به، بما يكفل المحافظة على أصالته في إطار الهوية الليبية الجامعة.

ويدير المجلس تسعة أعضاء، يراعى فيه تمثل المكونات الثقافية واللغوية للشعب الليبي، وتنتخب السلطة التشريعية رئيسا من بينهم لمدة ست سنوات لمرة واحدة"(مقترح مسودة توافقية لمشروع الدستور، 2017).

ووفق ما سبق من المواد التي خصصت لحماية التراث الثقافي، والمادة 160 التي أسست لمجلس دستوري يعنى بالتراث، تكون مسودة الدستور قد حققت نتائج إيجابية، فقد وضح بعضهم بأنهم لا يطلبون إلا مادة واحدة، كالتي وردت في دستور تونس 2013م•.

وكما وضحت بعض المواد الدستورية أن الكثير من التفاصيل يجب أن ينظمها قانون خاص، وعليه نحن نعتقد أن النجاح الكبير الذي تحقق بدسترة حماية التراث الأثري الليبي، سيكون محدود النتائج –في حال استُفْتِيَ على المسودة– ما لم يصاحبها تعديل وتقوية للقانون رقم 3 لسنة 1995م بشأن حماية الآثار، والمدن القديمة، والمباني التاريخية، (المعمول به حاليا في ليبيا) (الجريدة الرسمية الليبية، 1995)، ومن المهم أن نذكر أن ثمة بحوثاً تناولت هذا القانون، وقدمت أفكاراً مهمة لتقويته (السايح، 2008).

الخاتمة:

إن المواد المقترحة حول حماية التراث الثقافي في مسودة الدستور مثالية إلى حد كبير، ووجودها يُعد إنجازاً في حد ذاته، فهذه هي المرة الأولي في تاريخ الدولة الليبية، التي يُقَامُ فيها بدسترة حماية التراث الثقافي، وفي اعتقادي أن حجم التحديات والاعتداءات التي يتعرض لها التراث خلال السنوات الماضية، هو ما قاد لتحقيق هذه الخطوة الهامة، ناهيك عن مساهمة المقترحات التي قُدمت إلى هيأة صياغة مشروع الدستور، من قبل العديد من الجهات، فضلا عن الحراك الذي نفذه عدد كبير من المهتمين في تشكيل رأي عام، يدعم ضرورة حماية التراث الثقافي دستورياً.

• ضمن مقابلة تلفزيونية مع الباحث بتاريخ 20 أبريل 2014 م طلب الباحث بمادة دستورية مثل المادة (الفصل42) شاهد https: //www. youtube. com/watch?v=-Xo2lPJPh84

وهذه المواد التي أفردت لحماية التراث الثقافي دستورياً، مدعومة عبر مواد مساندة بشكل غير مباشر، كما أن المادة 160 التي أسست لمجلس دستوري يحمي التراث والتنوع الثقافي، هو إنجاز كبير وغير مسبوق، إلا أننا لا زلنا نبحث عن دسترة قضايا هامة في هذا الملف (اعتبار التراث الأثري منفعة عامة، ونص تأسيس إدارة مستقلة للتراث الأثري في ليبيا، فضلا عن قضية الصبغة الأثرية).

ولكن يظل القصور مصاحباً لقانون حماية الآثار الليبي، ويجب العمل على تقويته؛ لأن هذا سوف يساهم في حماية الآثار والتراث، فالخوف من وقوع العقوبة سوف يكون عاملاً مهمّاً للردع من ارتكاب الجريمة، لكننا نعتقد أن الحلول المستدامة لحماية التراث تتعدى هذا الجانب، إلى جوانب أبعد، أهمها ربط الناس بالتراث من حيث الهوية الوطنية، والانتفاع الاقتصادي، الأمر الذي سوف يقود للحماية المطلوبة، وبالتالي يجب أن تعمل الجهات الرسمية الراعية للآثار والتراث، والجهات المدنية الداعمة لها على ردم الهوة بين الناس وتراثهم، كما يجب الاهتمام بدعم السلطات التي تشرف على تطبيق هذه القوانين.

قائمة المصادر:

1. الجريدة الرسمية الليبية (1995/10/2م)، العدد 19.
2. المعجم الوسيط(2004م)، مجمع اللغة العربية، القاهرة، دار الشروق الدولية.
3. الموقع الرسمي للهيأة التأسيسية لصياغة الدستور، الخارطة الدستورية: http: //www. cdalibya. org
4. الهيأة التأسيسية لصياغة مشروع الدستور الليبي (2014م) http: //www._cdalibya. org
5. السايح، علي سالم علي. (2008)."النظام القانوني للآثار في ليبيا"، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة قاريونس، كلية القانون، بنغازي.
6. العوكلي، أميمة عقوب خطاب. (2008). "الحماية الجنائية للآثار بالقانون الليبي" ، أكاديمية الدراسات العليا فرع بنغازي، قسم القانون، رسالة ماجستير غير منشورة.
7. عبد الكريم، أحمد عيسى (2017) أزمة إدارة الآثار والتراث الليبي، المؤتمر العلمي الأول: إدارة الأزمات الواقع والمأمول، جامعة عمر المختار.

8. عبد الكريم، أحمد عيسى فرج، "الحماية التشريعية للآثار والتراث في ليبيا"، بحث تحت النشر، **المجلة الليبية العالمية.**

9. عبد الكريم، أحمد عيسى فرج (25\12\2014م)، "ماذا عن الآثار والتراث في المقترحات الأولية للجان الهيأة التأسيسية، ليبيا المستقبل" http: //archive2. libya-al-mostakbal. org/news/clicked/60616

10. عبد الكريم، فوزي عبد الونيس(2018م)، "الحماية القانونية والأمنية للموروث الثقافي الليبي"، رسالة ماجستيرغير منشورة، الأكاديمية الليبية، بنغازي.

11. الكبتي، سالم(2013م)، "الدستور في ليبيا تاريخ وتطورات"، ط2، بنغازي، دار الساقية للنشر.

12. دستور تونس (2014م).

13. دستور إمارة برقة (1949م).

14. دستور مصر (2013م).

15. دستور ليبيا (1951 أكتوبر 7) في " الليبية الوطنية ".

16. الإعلان الدستوري الصادر عن المجلس الوطني الانتقالي المؤقت (3 أغسطس 2011) http: //www. constitutionnet. org/sites/default/files/interim_constitution

17. مقترح مسودة توافقية لمشروع الدستور مقدمة من عدد من أعضاء لجنة التوافقات الدستورية (16 أبريل 2017)، البيضاء.

18. Abdulkariem ،Ahmad (2014) ،Factors of Deterioration of the Archaeological Sites and Protection Methods in the Archaeological Site of Cyrene (Shahat) ،Unpublished PhD thesis University of Exeter.

19. Ahmad Abdulkariem ،and Paul Bennett (2014) Libyan Heritage under threat: the case of Cyrene ،[Journal] Libyan Studies. - London: The Society for Libyan Studies ،November. - Vol.

20. Italy's Constitution of 1947 with Amendments through 2012

21. Kazakhstan's Constitution of 1995 with Amendments through 1998

22. Kosovo's Constitution of 2008

23. Kyrgyz Republic's Constitution of 2010

24. Laos's Constitution of 1991 with Amendments through 2003

25. Niger's Constitution of 2010

26. Oman's Constitution of 1996 with Amendments through 2011

27. http: //archive2. libya-al-mostakbal. org/news/clicked/60616
28. http: //www. cdalibya. org/assets/files/90_1_1419109956. pdf
29. http: //archive2. libya-al-mostakbal. org/news/clicked/45942
30. http: //alwasat. ly/news/libya/139537
31. https: //www. youtube. com/watch?v=-Xo2lPJPh84.

ISSN: 2523 – 1871

مفهوم القدرة الاستيعابية ودورها في قياس الآثار السياحية على الجوانب الاقتصادية والثقافية والبيئية

ترجمة د. سعيد صفي الدين الطيب

قسم الجغرافيا كلية الآداب جامعة بنغازي

المستخلص:

هذا المقال ترجمة للفصل العاشر من كتاب (السياحة: المبادئ والتطبيق).

Chris Cooper, John Fletcher, David and Stephen Wanhill, (1993): Tourism principles and practice, Longman, Essex..

تقديم:

غالباً ما يصاحب عمليات التنمية الصناعية –بصفة عامة بأنواعها المختلفة، وفي أي مكان– تأثيرات اجتماعية وطبيعية متعددة، إذا وضعنا في الحسبان استهداف النشاط السياحي لأماكن محددة لاستهلاك المنتج السياحي هناك، لذلك يرى البعض أنها مسؤولة عن بعض التأثيرات الاجتماعية والطبيعية، وقد تبين من استعراض العديد من الدراسات المهتمة بتأثيرات التنمية السياحية طابع التحيز، ومن ثم إظهار صورة قاتمة للآثار السلبية للسياحية.

لذلك يأتي هذا الفصل (من كتاب السياحة المبادئ والتطبيق)؛ ليركز على دراسة مفهوم الطاقة الاستيعابية، وما يحيط بها من قضايا ومفاهيم ذات علاقة بالموضوع؛ لغرض الوصول إلى طرق تحليل الآثار الناجمة عن التنمية السياحية على البيئة المضيفة بشكل أكثر موضوعية.

تحليل التأثيرات المصاحبة Impact Analysis:

حاول عدد من الباحثين تحديد الاتجاهات البحثية المختلفة، المهتمة بالآثار المصاحبة للتنمية السياحية في إطار منهجية موحدة لتحليل هذه الظاهرة، وقد تبين أن أغلب الدراسات التي أجريت على موضوع تحليل التأثيرات المصاحبة، يغلب عليها الطابع الوصفي غير المفيد في طرح إطار تحليلي، ولذلك فإن تحليل التأثيرات المصاحبة للتنمية السياحية بشكل موضوعي يتطلب الابتعاد عن بعض

المفاهيم المتداولة؛ مثل: التلوث المائي، والازدحام المروري، واكتظاظ الشواطئ، التي تحمل في مضمونها إصدار أحكام مسبقة، لذلك فإن التأثيرات على الوجهة السياحية تحدد بواسطة طيف واسع من المؤثرات المتمثلة فيما يأتي:

- حجم حركة السياحة.
- هيكلية اقتصاد الدولة المضيفة.
- نمط النشاطات السياحية.
- اختلاف الخصائص الاجتماعية والاقتصادية بين السائحين ومواطني الدولة المضيفة.
- هشاشة البيئة المحلية.

يعتقد مؤلفو هذا النص أنه من الأفضل دراسة مدى تأثير السياحة على كل عامل من العوامل السابقة، سواء أكانت اجتماعية أم اقتصادية، أم طبيعية، أم ثقافية، ومن ثمَّ يمكن الانتقال إلى تقييم مدى تأثير كل مؤشر بشكل مقبول في المنطقة المضيفة.

هناك طائفة واسعة من القضايا والمواضيع التي يمكن مناقشتها تحت موضوع تحليل التأثيرات المصاحبة للتنمية السياحية، ومهما تباينت هذه المواضيع فهي متداخلة ومتبادلة التأثير.

ونظراً لأن هذا الفصل يهدف إلى دراسة مفهوم الطاقة الاستيعابية، فقد بُحِثَ فيه أنواع التأثيرات كلّها، فكلما طور قطاع السياحة في المقصد السياحي، كانت هناك تأثيرات؛ بعضها إيجابي، وبعضها الآخر سلبي، وبالتالي لا مناص من عمليات التغير. ومن ثم تحتاج إلى تطبيق معايير الطاقة الاستيعابية التي تحدد إمكانية الاستمرار في عمليات التنمية السياحية، أو الوقوف عند حد معين. فإذا تجاوزت درجة استغلال الموارد للقدرة التحملية الطبيعية أو البشرية، فإن تأثيراتها السلبية سوف تتفاقم وتتلاشى التأثيرات الإيجابية.

ISSN: 2523 – 1871

القدرة الاستيعابية Carrying Capacity:

أصبحت التأثيرات السياحية على الجوانب الاجتماعية والثقافية والبيئية والاقتصادية لدول المقصد السياحي حقيقة مسلم بها، كما اتضح أن هذه التأثيرات تتجاوز المعدلات كلما كبر حجم أعداد السائحين. هذه الحقائق تشير إلى وجود حد أقصى لقدرة التحمل، إذا زِيدَ عليه فإن التأثيرات تصبح غير مقبولة ولا يمكن تحملها، هذا الحد الأقصى للتحمل يمكن أن يُطلق عليه درجة التشبع Saturation limit، وهذا المصطلح أكثر دقة من نظيره القدرة الاستيعابية؛ لما تحمله من مؤشرات استدامة.

وقد عرف مفهوم القدرة الاستيعابية لأغراض هذا الفصل بأنه: "ذلك الحد لأعداد السائحين، الذي يولد تأثيرات على البيئة البشرية والطبيعية للمجتمع المضيف وللسائحين، حاضراً ومستقبلاً". وجدير بالذكر أنه يفضل استخدام مصطلح الحضور السياحي بدل أعداد السائحين؛ وذلك لأنه من السهل تعديل أعداد السائحين إذا وضعنا في الحسبان العوامل الآتية:

1- مدة الإقامة.

2- خصائص السائحين ومنطقة الاستقبال.

3- التركز الجغرافي للسائحين.

4- درجة الموسمية.

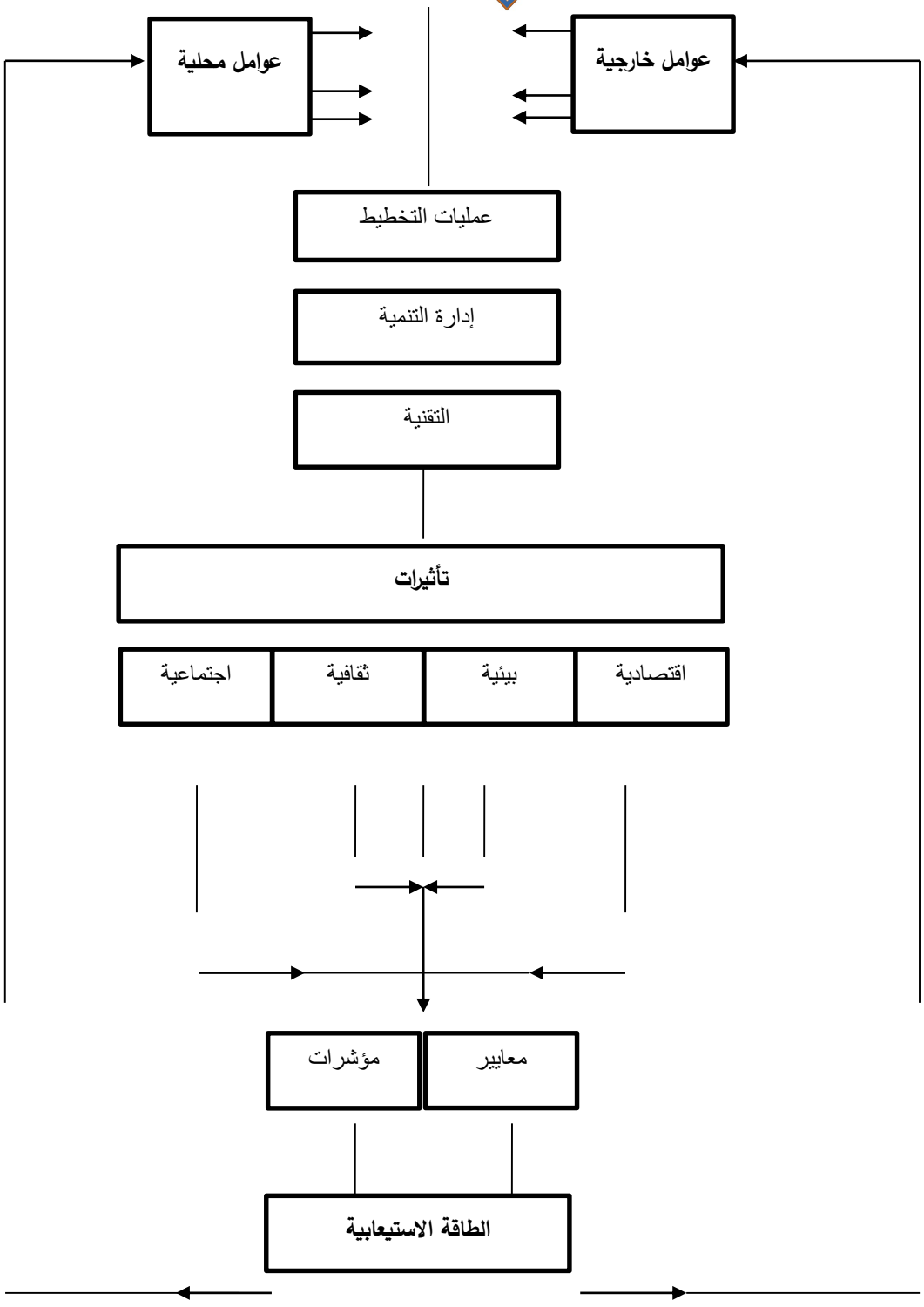
يجب قياس حجم الأفواج السياحية بشكل واضح لا يحتمل الشك، وذلك عن طريق استخدام الوحدات السياحية المكونة من وحدات معيارية، تقيس حجم التوزيعات السياحية بالاعتماد على العوامل السابقة. ولكن هناك صعوبة في دمج زوار أقل من يوم مع أولئك الذين يقضون ليلة سياحية، ففي الحالة الأولى يُقاس تأثيرها حسب ساعات الإقامة عكس الحالة الثانية؛ وذلك راجع إلى الحس الزمني، وقيمة الإنفاق المادي لكليهما.

بذلك تُعرف القدرة الاستيعابية بشكل ملائم لتخطيط برامج التنمية السياحية، وغالباً ما تتصف هذه الخطط بفرض قيود صارمة للتنمية السياحية؛ لغرض التقليل من الآثار السلبية على البيئة الاجتماعية والطبيعية.

إلا أن التفسير السابق لمفهوم القدرة الاستيعابية، مليء بالمصاعب، المترتبة على أن هذا المفهوم قائم على حدود ثابتة، لكن الانفتاح على الآخرين يترتب عليه قبول أكثر للسائحين عبر الزمن، الأمر الذي يؤثر على حدود القدرة الاستيعابية.

يختلف أثر السياحة على الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والبيئية، فلكل منها قدرة استيعابية تختلف عن غيرها، ففي بعض الوجهات السياحية قد يؤثر نشاطٌ سياحيٌّ ما على النظام البيئي قبل أن يؤثر على الجوانب الأخرى، وهذا يعني أن القدرة الاستيعابية لبعض الوجهات السياحية يحدد باعتبارات بيئية مهما كانت التأثيرات على الاعتبارات الأخرى منخفضة، فعند القيام بقياس القدرة الاستيعابية بمكان ما، يفضل تحديد المنطقة المستهدفة بالدراسة أولاً. [شكل (1) يشير إلى إطار تخطيطي لتحديد القدرة الاستيعابية].

يشير الشكل (1) إلى أن محددات القدرة الاستيعابية هي نتاج مجموعة من العوامل التي تؤثر على الوجهة السياحية، تقدم العوامل الخارجية تغذية استرجاعية للزائرين والمضيفين، وعبر الزمن تنعكس هذه التأثيرات على الطاقة الاستيعابية، وهذا راجع إلى حركية (ديناميكية) مفهوم الطاقة الاستيعابية.



شكل (1) الطاقة الاستيعابية

المصدر: Adapted Atherton (1991) and Shelby (1984)

العوامل المحلية Local Factors

التركيبة الاجتماعية Social Structure:

للتركيبة الاجتماعية دورٌ مهمٌ في استيعاب أفواج السائحين، ومن هذا المنطلق نرى أن التركيبة الاجتماعية لمدينة نيويورك ولندن لديها القدرة على امتصاص أعداد السائحين وتحملها أكثر من المجتمعات الصغيرة ذات الأسر الممتدة الموجودة، على سبيل المثال: جزر ساموا الغربية Western Samoa، وتجمعات جزر جنوب المحيط الهادي South Pacific.

الثقافة Culture:

للخصائص الثقافية للوجهة السياحية دورٌ مهمٌ في تحديد أنماط التأثيرات، حيث يلاحظ أنه كلما كانت الخلفية الثقافية نادرة وغير معتادة، كانت أكثر جاذبية للسائحين، إلا أن ذلك يجعلها أكثر عرضة للتأثر بالثقافات الوافدة، وبالتالي تكون النتائج سلبية، إما بواسطة تدمير الثقافة المحلية، أو تصبح الخصائص الثقافية التقليدية مثل: الزي، والرقص، والصناعات التقليدية، سلعًا معروضةً للبيع.

البيئة Environment:

لا مناص من تغير البيئة في أي مكان عندما يصبح وجهة لتدفقات الأعداد السياحية، ويشمل مفهوم البيئة: البيئة الطبيعية والبشرية، إلا أنهما يختلفان في درجة التأثر، حيث تتميز البيئة البشرية بالمرونة وسهولة التعافي بشكل أسرع من البيئة الطبيعية، فعلى سبيل المثال: قد تركت زيارة الإنسان للقمر خلفها آثار أقدام حقيقية لأقدام رواد الفضاء، فكلما كانت البيئة أكثر حساسية كانت الآثار المصاحبة أكبر، وعمليات إرجاعها إلى أصلها أكثر صعوبة.

التركيبة الاقتصادية Economic Structure:

تحدد التركيبة الاقتصادية مقدار التكلفة المرئية للنشاطات السياحية، فكلما كان الاقتصاد أكثر تطوراً وتصنيعاً، كان أقوى من التأثيرات، ويحقق أعلى قدر من المنفعة، ويقلل التأثيرات السلبية إلى أقل حد ممكن.

التركيبة السياسية Political Structure:

غالباً ما يعكس النظام السياسي قيم دول المقصد السياحي وفوائدها، وهو المسؤول عن تشجيعها وتنميتها، أو الوقوف حجر عثرة أمام نموها.

الموارد Resources:

تعد الموارد المحلية (العمالة، رأس المال، الأرض... إلخ) ذات أثر مباشر على تحديد الرغبة في التنمية السياحية وتحديد نمطها، بينما تتعذر المنافسة في الأنظمة الاقتصادية التي تقل فيها الموارد؛ بسبب تدني إمكانية الربحية وارتفاع نسبة المغامرة عند استخدام الموارد المحدودة. وتعد البنية التحتية ضمن المواد المحلية أيضاً، لكن إذا كانت إمكانياتها لا تتحمل الاستخدامات المحلية والسياحية فإن ذلك يخلق نوعاً من التوتر بين السائحين والسكان المحليين، أما من الناحية الإيجابية فقد تسهم التنمية السياحية في تطوير البنية التحتية، مما ينعكس على ارتفاع مستوى المعيشة للسكان المحليين.

العوامل الخارجية Alien Factors

خصائص السائحين Tourist Characteristics:

لخصائص السائحين دورٌ مهمٌ في تحديد الآثار السياحية الاجتماعية والثقافية في البيئة المضيفة، فيلاحظ أن السائحين المنتمين إلى نمط السياحة المكثفة يؤثرون بشكل كبير على القيم الاجتماعية والثقافية للدولة المضيفة، بينما تقل تأثيرات سائحي المغامرة والاستكشاف.

يتوقع سائحو نمط السياحة المكثفة خدمات ذات طابع غربي، ولا يرغبون في التكيف مع قيم وعادات المجتمع المضيف، بينما يتحلى سائحو النمط الآخر بالرغبة في الاندماج في المجتمعات المضيفة. إجمالاً يمكن القول: إنه كلما كانت الفوارق كبيرة بين المجتمع المضيف ومجتمع الزوار، كانت التأثيرات أكبر.

نمط النشاطات السياحية Type of Tourist Activity:

هناك علاقة وثيقة بين نمط النشاطات السياحية وخصائص السائحين، فعلى سبيل المثال: تجلب ممارسة لعبة الميسر معها كثيرا من المشكلات الاجتماعية؛ وذلك لارتباط هذا النشاط بنشاطات رذيلة أخرى، كالدعارة والمخدرات والجريمة، كما يجب أن لا ننسى أثر الحضور السياحي والتأثيرات المصاحبة له على المقومات المحلية، على مدى الرضى السياحي، ومن ثم فإن قدرة التحمل لا تعتمد على الأفواج السياحية فقط، ولكن –أيضاً– على مدى تحمل الوجهة السياحية لمستوى درجة الاستدامة المقبولة لدى السائحين.

التخطيط، والإدارة والتقنية Planning, Management and Technology:

يهتم التخطيط بتنظيم الموارد لغرض التحكم في أحداث المستقبل، أما الإدارة السياحية فتتمثل في العمليات التي تحول المخططات إلى واقع ملموس، بينما تؤثر التغيرات التكنولوجية بشكلٍ مباشر على المشاكل المتعلقة بمشاريع التخطيط والإدارة، ونظراً إلى أن عملية التفاعل بين العوامل المحلية والخارجية تحدث في البيئة المضيفة، فإن عمليات التخطيط والإدارة ينبغي أن تهدف إلى تأمين درجة عالية من المنفعة (المحددة في الخطوات المرحلية للخطة)، وتقليل الجوانب السلبية إلى أقصى حد ممكن.

التأثيرات Impacts:

تؤثر عمليات معالجة العوامل الداخلية والخارجية خلال التخطيط والإدارة للتنمية السياحية، على البيئة الاجتماعية والثقافية والطبيعية والتركيبة الاقتصادية.

المؤشرات Parameters:

يقصد بها التغيرات المختلفة التي تحدث في البيئة المحلية؛ نتيجة لعدة مستويات من التواجد السياحي في المكان، وهي تعبر عن حقائق خالية من الأحكام الشخصية، ولكنها تقرن التواجد السياحي بالتغيرات في الجوانب الاجتماعية، والثقافية، والبيئية، والاقتصادية.

المعايير Standards:

تشير المعايير إلى قيم تُفرض على مراكز الجذب السياحي وعلى السائحين؛ لتحديد المتغيرات المقبولة، التي لا تسهم في تدمير أسس استدامة السياحة.

القدرة الاستيعابية Carrying Capacity:

القدرة الاستيعابية عبارة عن متغير تابع ذي قيم متغيرة لدرجة حضور السائحين، ومدى التعرض للوجود السياحي عبر الزمن، وتغير العوامل المحلية التي لها الأثر الكبير على مدى تقبل المجتمع المضيف والسائحين للتغيرات المقبولة.

تحدد مدى التواصل والتفاعل عبر الزمن بين القدرة الاستيعابية والعوامل المحلية والخارجية للمكان – ارتفاع مستوى القدرة الاستيعابية أو انخفاضها، ومن ثمَّ فإن ذلك يؤثر على الأفواج السياحية، إذا تجاوز المستوى المقبول لقدرة التحمل فإن التنمية السياحية توقف؛ لظهور بعض التأثيرات غير القابلة للعلاج، وقد تطال الانتهاكات الجوانب الاجتماعية أو البيئية أو الاقتصادية الهامة. في هذه الأثناء يشعر السائحون بانخفاض مستوى الرضى الناجم عن تنامي توتر وضيق السكان المحليين تجاه السائحين، مما ينذر بتراجع الأفواج السياحية.

الآثار السياحية على المقومات الاجتماعية والثقافية
The Sociocultural Impact of Tourism:

ينظر إلى التنمية السياحية من وجهات نظر مختلفة، فهي قطاع مركب من علاقات معقدة ومتداخلة مع بقية القطاعات الأخرى، شأنها في ذلك شأن القطاعات الأخرى.

تحدد تنمية المنتج السياحي بنمط النشاط السياحي، الذي يحدد جزء منه المكونات الاجتماعية والاقتصادية، وقد أيدت بعض الدراسات مدى الآثار الناجمة عن التفاعل بين السائحين ومواطني المنطقة المضيفة، ومن بين هذه الدراسات ما توصلت إليه سمث Smith (1989) في كتابها عن السياحة والأنثروبُولوجيا، الأمر الذي أعطى الظاهرة بعداً أكاديمياً. إجمالا هناك اتفاق عام على أن أي تنمية اقتصادية تحمل معها تأثيرات اجتماعية وثقافية، وتشمل هذه التأثيرات –أيضاً– تنمية السياحة الداخلية،

عند تفاعل السكان المحليين مع السائحين.

عمليات التنمية السياحية The Tourism Development Process

يتكون المثال النموذجي الذي يحاكي تنمية منتج سياحي من عدة مراحل، يبدأ من المراحل الأولية حتى مرحلة النضج، ويمكن اختصارها فيما يأتي:

- عدد قليل من السائحين يتوجهون إلى منطقة سياحية حديثة، وغالباً ما تُعرف تلك المرحلة بالاستكشاف.
- يستجيب رجال الأعمال المحليّون بهذه المنطقة المكتشفة للقيام ببعض التجهيزات والتسهيلات؛ لاستيعاب متطلبات السائحين، وجذب أعداد أخرى.
- تقوم السلطات المحلية بتطوير البنية التحتية؛ لخدمة الأفواج السياحية المتزايدة.
- أخيراً تتطور المنطقة؛ لتستوعب أعدادًا هائلةً من السائحين (السياحة المكثفة) ويغلب عليها الرحلات الجماعية، وتتسم هذه المرحلة بالرغبة الشديدة في الحصول على أكبر قدر من الفوائد الاقتصادية من خلال مرافق الإيواء والنقل البري والجوي.

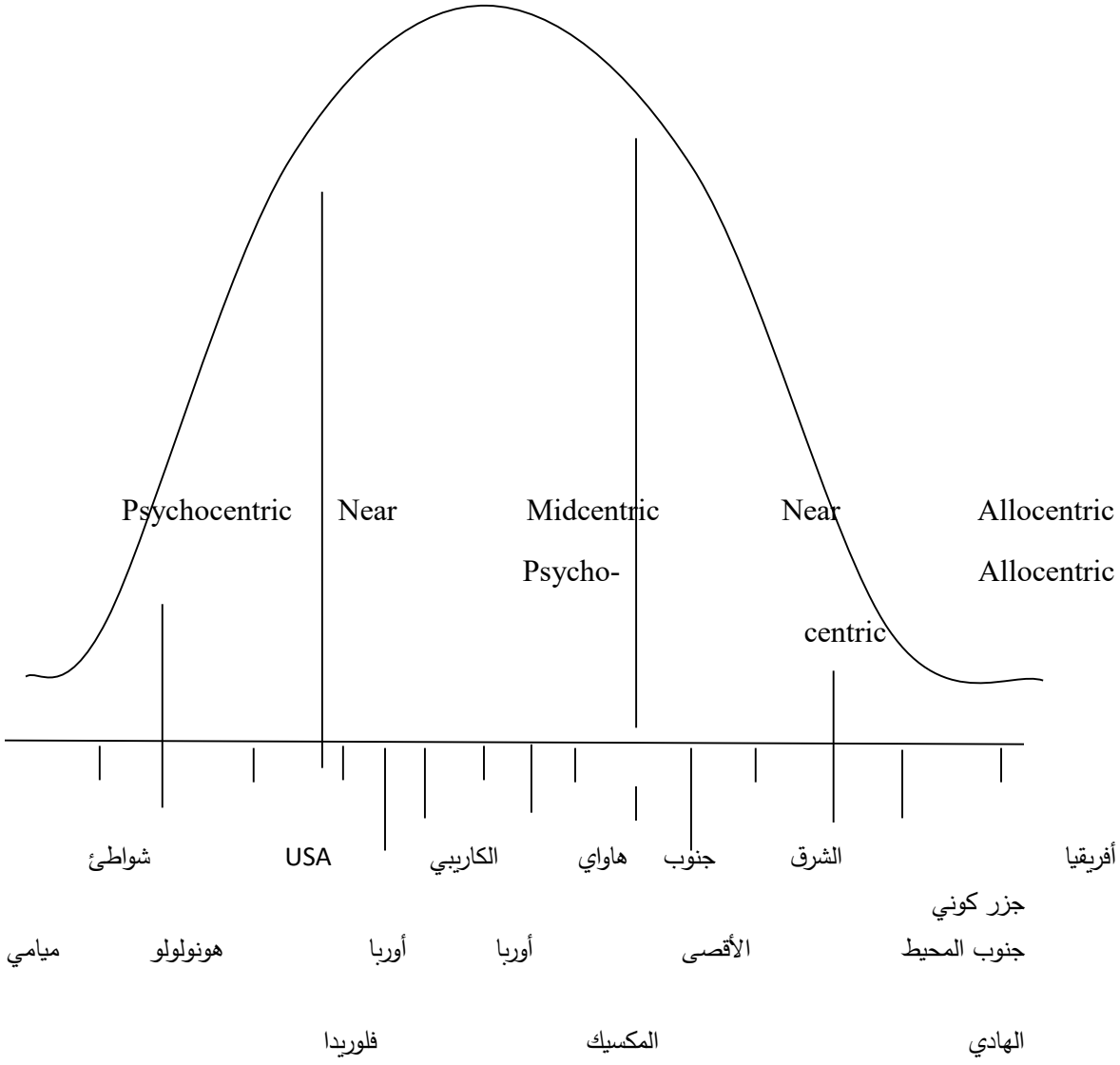
قد حاولت بعض مخططات التنمية الإقليمية اختصار دورة حياة المنطقة السياحية؛ لغرض الوصول إلى المرحلة الأخيرة بشكل أسرع، لكن –في الواقع– لم تستطيع الغالبية القيام بتلك القفزة فيما عدى القلة؛ لأن ذلك يحتاج إلى تأمين رأس المال الخارجي والخبرة.

من المؤسف في هذا المجال، عدم وجود محصلة علمية أو نظرية تفسر عمليات تنمية السياحة بشكل شامل، وتتمثل المعرفة في دراسات لحالات متداخلة من قبل اهتمامات علمية مختلفة، تجعل من الصعب ربط نتائجها مع بعضها في جسم معرفي واحد.

تندرج هذه الأفرع المعرفية تحت التقسيمات الآتية:

- نفسية.
- اجتماعية.
- اقتصادية واجتماعية.

حاول بلوج (1977) Plog أن يطور توجهًا فكريًّا مستوحىً من علم النماذج الشخصية للسائحين، وقد استعين بتصميم هذا التصنيف في تحليل اللوحة البيانية، التي من خلالها يمكن تحليل تطور منطقة جذب سياحي، متبعة نمطًا معينًا، يقود إلى ازدهار السياحة، ثم تتراجع عمليات التنمية. فقد اعتقد بلوج أن هناك حركةً متصلةً لمكونات السوق السياحية على جانبين متناظرين من السلوكيات كما هو مبين في شكل (2).



شكل (2) اللوحة البيانية للوجهة السياحية.

المصدر: Plog (1977).

قسم بلوج الأسواق السياحية إلى عدة أجزاء، تتحكم فيها رغبة الأفراد وقدرتهم المادية والمعنوية في السفر والترويح السياحي، وجد –بناءً على ذلك– أن الأسواق موزعة توزيعاً طبيعياً على المنحنى المعتدل، بعض السائحين يميلون إلى السفر لمسافات بعيدة، راغبين في معايشة ومشاهدة بيئات وثقافات تختلف عن تلك التي ألفوها، وتتصف هذه الشريحة بدخلها المرتفع، ويغلب عليها روح المغامرة وتحمل الصعاب، وأطلق على هذه الجزئية من السوق مصطلح Allocentric. على العكس من ذلك، فئة أخرى من السائحين لا يرغبون في السفر البعيد عن مكان إقامتهم العادية، ويرغبون في بيئة مألوفة، ولا يرغبون في المغامرة، وأغلب هذه الفئة من ذوي الدخل المحدود، وأطلق على هذه الجزئية من السوق مفهوم Psychocentric. أما غالبية السوق فهي تتمحور حول الفئة الوسطى، وأطلق عليها مصطلح Midecentric.

بناءً على هذه النظرية، فإن تطور أي مركز سياحي يقوم على استقطاب أكبر سوق سياحية، وهي المتمحورة في المنطقة الوسطى، وذلك عن طريق إبعاد فئة سوق المسافات البعيدة، التي ستكتشف لنفسها أماكن أخرى تجد فيها ضالتها.

أما المراكز ذات المقومات السياحية المميزة؛ مثل: المناخ، أو الموقع، أو الخدمات الراقية، مثل: ديزني لاند Disney Land، فإنها تحافظ على استقطابها للفئة الوسطى من السوق السياحي، لكن بعض المراكز السياحية قد تفقد بريقها، وتقل قيمتها السياحية، وتصبح سوقاً لفئة Midecentric وتصبح وجهة لسياحة المجموعات المبرمجة.

تشوب نظرية بلوج بعض الهفوات، فعلى سبيل المثال، فإن بعض المراكز السياحية التي كانت سوقاً سياحية للفئة التي لا ترغب في السفر البعيد، قد تتغير؛ بسبب المغريات السياحية، وتنتقل إلى شريحة سوقية أخرى.

الأسس الاجتماعية للتنمية The Sociological Basis of Development:

نماذج السائحين والتنمية The Typology of Tourists and Development:

يشير مصطلح Typology إلى منهج التحليل الاجتماعي، الذي يبحث في تصنيف السائحين حسب ظاهرة معينة، غالباً ما تكون محفزات أو سلوكيات. وهناك مثالان لهذا المصطلح لهما تأثير على

تنمية المنتوج السياحي وهي متمثلة فيما يأتي:

- **سائحو الصفقات الجماعية:** يرغب هذا النوع من السائحين في نمط الخدمات المتعارف عليها في الدول الغربية، كذلك هذا النمط ذو علاقة بمعدلات النمو السريع، الأمر الذي يقود إلى إعادة تركيب هيكلية الاقتصاد المحلي.
- **سياحة الأفراد:** هذا النمط من السائحين غالباً ما يتأقلمون مع نسيج المخططات المحلية، ويغلب عليه طابع النمو البطيء، كما يتسم هذا النمط بتشجيع الملكية المحلية للمشروعات.

السياحة ظاهرة اجتماعية Tourism as a social phenomenon :

هناك عدة عوامل منحدرة من طرق الحياة المعاصرة وظروفها، كان لها الأثر المباشر في زرع البؤرة الأساسية في نمو السياحة كظاهرة اجتماعية، متمثلة في العوامل الآتية:

- النمو السكاني.
- ارتفاع نسبة التحضر، التي أسهمت في ارتفاع الضغوط الناجمة عن الحياة الحضرية، والتي يتمخض عنها ارتفاع في حركة الطلب السياحي.
- تطور وسائل الاتصالات والمعلومات، التي أدت –بدورها– إلى ارتفاع الرغبة في الخروج للترويح.
- التطور في وسائل النقل وسهولة الوصول، وبصفة خاصة النقل الجوي، وارتفاع ملكية السيارات الخاصة.
- زيادة أوقات الفراغ والإجازات المدفوعة، بالإضافة إلى تحسن مستوى الدخل الناجم عن النمو الاقتصادي.
- زيادة التجارة الدولية ذات العلاقة بالخدمات السياحية.

تكرار أنواع السائحين ومدى تأقلمهم مع الأعراف المحلية

نوع السائح	أعداد السائحين	التأقلم مع الأعراف المحلية
مستكشف	محدودة جداً	متقبلة بالكامل
النخبة	تندر مشاهدتهم	تستوعب بالكامل
غريب	نادرة، ولكنها واضحة	تستوعب بشكل جيد
غير اعتيادي	أحياناً	تستوعب
المراحل الأولى للسياحة المكثفة	تدفق منظم	يرغبون في خدمات المجتمع الصناعي
سياحة مكثفة	تدفق هائل	لا يتقبلون إلا الخدمات الغربية
تأجير وسائل نقل	أعداد هائلة	تطلب الخدمات الغربية فقط

شكل (3) المركب السياحي

أساسيات التنمية الاقتصادية والاجتماعية: The Socioeconomic Basis of Development

هناك عدة عوامل تؤثر على حركة السياحة الدولية والداخلية معاً، وهي:

- **العمر**، لكل فئة عمرية رغباتها الترويحية، حيث لا يرغب المسنون في أنماط السياحة التي تتطلب عنفواناً؛ مثل تسلق الجبال، كما لا يرغبون في المواقع السياحية التي يكثر بها الصخب.
- **التعليم**، تشير الدراسات إلى وجود علاقة بين نمط السياحة ومستوى التعليم.
- **مستوى الدخل**، يؤثر مستوى الدخل بشكل واضح على اختيار الوجهة السياحية، ووسيلة النقل.
- **الخلفية الاقتصادية والاجتماعية**، للتجارب الأولى للأفراد دورٌ أساسيٌّ في تحديد الوجهة السياحية في المستقبل، على سبيل المثال: يلاحظ على الأطفال المنحدرين من شرائح اقتصادية واجتماعية مرتفعة، الذين تعودوا على رحلات دولية أن ينحوا نفس المنحى عندما يبلغون سن الرشد.

بجانب الخصائص الاقتصادية والاجتماعية للسائحين، يجب دراسة مراحل تطور التنمية السياحية وتحليلها، وبيان تأثيراتها. هذا المنهج التحليلي يشمل التأثيرات النفسية لهذه التنمية، بالإضافة إلى القواعد الاقتصادية والاجتماعية للتنمية السياحية. إجمالاً يمكن القول: إنّ هناك آثارًا اجتماعيةً وثقافيةً مباشرةً لعمليات الاتصال بين السائحين والسكان المحليين، وفي هذا الصدد ذكر دوكادت Dekadt (1979) أنّ

هناك ثلاثةَ مستوياتٍ من عمليات الاتصال، وهي:

- عندما يشتري السائح سلعًا وخدماتٍ من المضيف.
- عندما يتشارك السائحون والمضيفون في استخدام المرافق نفسها، كما هو الحال في (الشواطئ، المواصلات، المطاعم... إلخ).
- عندما يلتقي السائحون والمضيفون في أثناء التبادل الثقافي للمجتمعين.

يرتبط النوعان الأوليان من عمليات الاتصال بالآثار السلبية للسياحة على المجتمع، أمّا النوع الأخير فيرتبط بالآثار الإيجابية لعمليات الاتصال بين المجتمعات. عند مقارنة الأنواع الثلاثة من الاتصالات، مع نموذج المركب السياحي عند سمث Smith (1989) نلاحظ أن سياحة الاكتشاف والمغامرة ذات علاقة بالبندين السلبيين الأول والثاني، وهذا يدل على أن التأثيرات السلبية لحركة السياحة أوسع انتشاراً من التأثيرات الإيجابية.

المحاكاة مظهر آخر من المظاهر السلبية السياحية على سلوكيات المضيف، فالتنمية السياحية بطبيعتها تختلف عن القطاعات الأخرى، حيث إنّ السياحة لا تصدر ولا تعلب، وإنما يأتي المستهلك إلى الدولة المضيفة، ومن ثم فهي عامل أساسي للتغير الاجتماعي.

من غير الضروري وجود اتصال مباشر بين السائح والمضيف حتى تحدث تأثيرات على المجتمع، لكن فرص العمل الجديدة يحدث عنها تغيرات اجتماعية، بالإضافة إلى تأثيرات وسائل التقنية الحديثة من مواصلات وبنية تحتية، كل هذه العوامل يحدث عنها تأثيرات اجتماعية.

هذه العمليات يمكن أن نطلق عليها مؤثرات اجتماعية وثقافية غير مباشرة، تشمل عمليات التنمية السياحية كلّها، بجانب تنمية القطاعات الأخرى. وبما أن طبيعة السياحة هي قطاع مركب من بقية القطاعات الأخرى، فإن التأثيرات الاقتصادية والاجتماعية تبدو أكثر وضوحاً.

أخيراً، ارتفاع مستوى الدخل وانتشار مؤسسات القطاع المالي سوف يكون لها الأثر على نمط الاستهلاك، هذا التغير في الاستهلاك إذا ركز على السلع المعمرة (الثلاجات، التلفزيونات...) سوف

ينعكس على سكان المقصد السياحي، ويرفع الحاجات وما يترتب عليه من تغيرات اجتماعية، ويمكن النظر إلى هذه التأثيرات على أنها محفزات للمؤثرات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

إن التأثيرات الاجتماعية والثقافية المباشرة تحدد بمدى التباين الثقافي والاجتماعي بين الزائر والمضيف، وفي هذا الصدد يشير انسكيب (1991) Inskeep إلى أنواع هذه الاختلافات التي يمكن اختصارها فيما يأتي:

- القيم الأساسية والنظام المنطقي.
- الاعتقاد الديني.
- الموروث.
- العادات.
- مستوى المعيشة.
- السلوك.
- اللباس المقبول.
- الحس الزمني.
- مدى تقبل الغرباء.

تجدر الإشارة إلى أن سلوك السائح بعيداً عن موطنه يختلف عنه في مقر إقامته الدائمة، بمعنى آخر: يتبنى السائحون أخلاقياتٍ وقيمًا مختلفة أثناء الرحلة عن تلك التي عهدوها في بلدانهم.

هذه الآثار الاجتماعية والثقافية بعضها إيجابي وبعضها الآخر سلبي، كما أشير سابقاً، إلّا أنه من بين الإيجابيات النادرة التبادل الثقافي، كذلك يمكن أن تسهم السياحة في الحفاظ على الموروث الثقافي المتمثل في الآثار القديمة، والمباني التاريخية، والفن التقليدي، والعادات والتقاليد السائدة التي يعتز السكان المحليين بها.

أما السلبيات الاجتماعية والثقافية فتحدث –أحياناً– بالاختلاط المباشر وما يحدث عنه من محاكاة للثقافات القادمة، تحدث الجوانب السلبية –أيضاً– بسبب سوء إدارة برامج التنمية السياحية، على

سبيل المثال: يولّد وجود العمالة السياحية الوافدة التي تعمل في المشاريع السياحية ومشاريع الاستثمارات، فتوراً من قبل السكان المحليين، كذلك فإن حرمان السكان المحليين من استخدام بعض المرافق السياحية مثل: (الشواطئ الخاصة، وخدمات النقل)، تعمق الشعور بعدم المساواة، مما يثير النقمة تجاه السائحين.

تعتبر الدخول الناجمة عن مشاريع التنمية السياحية مجحفةً وغيرَ عادلةٍ في حق البعض، كما أن الدخول المرتفعة نسبياً التي يتحصل عليها البعض، قد تخلق بعض التوترات الاجتماعية شعور الآخرين بالضغينة. هناك إشكالية أخرى ناجمة عن التفاوت المادي بين السائحين والسكان المحليين؛ لأن غالبية السائحين الدوليين من ذوي الدخول المرتفعة إذا قورنوا بالسكان المحليين، كما أنهم يسرفون في مصروفاتهم في أثناء رحلتهم، هذه الأمور تدفع السكان المحليين إلى الشعور بالغبن والضغينة.

حاول دوكسي (1976) Doxcy قياس التوتر الذي يحصل بين السائحين والسكان المحليين، وصاغها في عدة مراحل هي:

1- **مرحلة الشعور بالنشوة**، متمثلة في الحماس المصاحب لنمو المشاريع السياحية، والترحاب بالسائحين.
2- **مرحلة الفتور**، تتسم هذه المرحلة بتوسع التنمية السياحية، وينظر للسائح كمصدر رزق، أما عملية التواصل بين الطرفين فهي رسمية.
3- **مرحلة التوتر**، عندما تصل صناعة السياحة إلى مرحلة التشبع، يبدأ السكان المحليون بالشعور بالتوتر والضيق من الأعداد الهائلة للسياح، وعدم مواكبة البنية التحتية لهذه الأعداد.
4- **مرحلة النفور**، ينظر للسياحة بأنها جالبة للأمراض والعلل، كما أن السكان المحليون لا يخفون نفورهم من السائحين، أما السائحون فيشعرون بأنهم عرضة للاستغلال والابتذال.
5- **المرحلة النهائية**، خلال مراحل النمو السابقة الذكر ينسى السكان المحليون بأنهم كانوا يمثلون عنصر جذب سياحي مهمّ؛ لأن عمليات التنمية السياحية المحمومة قد غيرت المعطيات.

مما سبق يتبين لنا أن مستوى التأثيرات الاجتماعية وحجمها سوف يحدد بمجموعة من العوامل، إلا أن تجاوز حدود السعة لمنطقة المقصد السياحي عامل حاسم.

الآثار البيئية لحركة السياحة The Environmental Impact of Tourism:

تعد البيئة الطبيعية والبيئة البشرية أهم مكونات المنتج السياحي، إلا أنها تتغير بمجرد بدء النشاط السياحي، سواء أكان ذلك متمثلاً في تنمية المرافق السياحية، أم من خلال النشاطات السياحية، وتسعى أغلب دول العالم إلى حماية بيئاتها وصيانتها، وخاصة منذ النصف الثاني من القرن العشرين.

في استعراض لعدد من الدراسات التي تناولت الآثار السياحية على البيئة، انحصرت أغلب هذه الدراسات على أثر حركة السياحة على الحياة البرية في أفريقيا، وكذلك على تلوث البحر المتوسط، وبالخصوص على بعض الأماكن المحدودة من الشواطئ والجبال، إلا أن هذه الدراسات قد أنجزت في أماكن مختلفة، ولأنماط سياحية متعددة، مما يعيق الخروج بإطار منهجي يستخدم في التحليل.

عند دراسة الآثار الطبيعية لحركة السياحة يجب اتباع الخطوات الآتية:

- التأثيرات السياحية على البيئة الطبيعية الناتجة عن النشاطات السياحية.
- حالة الأوضاع قبل البدء في النشاط السياحي؛ لكي تسهل عملية المقارنة.
- جرد مكونات الحياة النباتية والحيوانية، وتحديد درجات التحمل لأنواع من الآثار نتجت عن النشاطات السياحية.
- ما هي مستويات الآثار البيئية غير المباشرة الناجمة عن النشاطات السياحية.

تدرس الآثار البيئية للسياحة الناجمة عن برامج التنمية، من الجوانب المباشرة وغير المباشرة، هذه التأثيرات قد تكون إيجابية أو سلبية، حيث إنّه من المستحيل القيام بتنمية سياحية من دون إحداث تأثيرات جانبية، لكن يمكن حماية البيئة عن طريق التخطيط السليم، وتقليل التأثيرات السلبية، وزيادة التأثيرات الإيجابية.

تشمل التأثيرات الإيجابية المباشرة لحركة السياحة ما يأتي:

- حماية المباني التاريخية والمواقع المهمة وصيانتها.
- إنشاء الحدائق الوطنية والمحميات الطبيعية.

- حماية الشعاب المرجانية والشواطئ البحرية.
- صيانة الغابات.

تجدر الإشارة إلى أن عمليات الحماية والصيانة قد تصنف بأنها ذات قيمة عالية، من وجهة نظر الباحثين، بينما قد لا تعتبر ذات قيمة عالية من قبل السكان المحليين، ومشكوك في تأثيراتها الإيجابية. على سبيل المثال: قد تؤثر المحميات الأفريقية على استخدامات الأرض الرعوية والزراعية للمجتمعات البدوية.

أما من ناحية الجانب السلبي لحركة السياحة على البيئة المائية والهوائية والضوضاء فيأتي التلوث المائي من ضخ مياه الصرف الصحي من الفنادق والمرافق السياحية إلى البحار، وكذلك من القوارب التي تستخدم المحركات الآلية. أما تلوث الهواء فتسببه استخدامات الطاقة النفطية في تدفئة أو تبريد مرافق الإيواء السياحية بأنواعها. وتسهم كذلك وسائل النقل بأنواعها في ارتفاع درجة الضوضاء في مراكز الجذب السياحي.

تعاني البيئة الطبيعية والمعالم البشرية من بعض التجاوزات المتمثلة في الصيد الجائر، وفي الاستخدام المفرط للكثبان الرملية، أما تأثير السياحة على الغطاء النباتي فيتمثّل في إيقاد النيران التي قد تسبب حرائق واسعة النطاق، هذا بالإضافة إلى قطع الأغصان، ورمي القمامة في غير الأماكن المخصصة لها، ما قد يؤثر على النمط الغذائي للحيوانات البرية.

ويحدث التلوث البصري؛ بسبب النشاط المحموم لإنشاء الفنادق الشاهقة والمتراصة، خاصة بالقرب من الشواطئ، متجاوزة معايير الارتفاعات المنصوص عليها. وتجدر الإشارة –هنا– إلى أن هذا النمط من المباني كان سائداً في فترة الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي، لكنها قلّت في السنوات التي أعقبتها.

في بعض الدول –وخاصة تلك الواقعة على الجزر– يلاحظ ارتفاع الحس البيئي عند المخططين الذين أقروا عدة قوانين، يحذر تجاوز خط الواجهة البحرية للمباني الشاطئية، الذي يمنع تجاوز ارتفاع أشجار نخيل جوز الهند، كما هو الحال في جزر الموريشيوس Mauritius. أما في الهند فقد حذر البناء

على مسافة محددة من الشواطئ.

يصاحب عملية التنمية السياحية –أيضاً– بعض الآثار السلبية على الاقتصاد بشكل مباشر وغير مباشر، كما هو الحال في التأثيرات البيئية. فإذا تطلبت حاجة نشاط سياحي أن تنتج مخرجات من عدة قطاعات تشمل تلك الصناعات التي لا تقدم سلعًا وخدمات بشكل مباشر، ومن ثم فإن الآثار البيئية الناجمة عن هذه المخرجات يجب أن توضع في الحسبان، لذلك كلما توسعت النشاطات السياحية أدّى ذلك إلى التوسع في شراء الأراضي، وتشييد المباني، وما يترتب عليها من توسعٍ في قطاع المحاجر، وقطاع النقل ذات العلاقة بهذا النشاط.

تقييم الآثار البيئية Environmental Impact Assessment (EIA):

لا يوجد نموذج معين لتقييم الآثار البيئية للتنمية السياحية، لكن هناك بعض القوانين لحماية البيئات الحساسة والهشة، كذلك هناك بعض المؤسسات المفوضة قانونياً لحماية البيئة التي لها علاقة بالنشاطات السياحية.

وتجدر الإشارة إلى أن غياب القوانين التي تحمي البيئة، يجب أن لا تقف حجر عثرة أمام المخططين لتطبيق قوانين حماية البيئة على مشروعات سياحية؛ لأن حماية البيئة أسهل وأقل كلفة بكثير من عمليات الإصلاح غير المضمونة.

لقد جرت بعض المحاولات في بعض الأماكن لتصميم موازنة سياحية بيئية؛ لتقييم شبكة مؤثرات التنمية السياحية في علاقتها مع البيئة، وأحد هذه المحاولات قامت بها مقاطعة سكوتلندا Scotland التي ترى أن السياحة قطاع مهمّ لاقتصاد الإقليم على الرغم من الانتهاكات التي تعرضت لها البيئة ذات العلاقة بالتنمية السياحية، وهي قليلة وفي أماكن محددة يمكن معالجتها باتباع أساليب الإدارة المحكمة (انظر دراسة حالة (1)).

دراسة حالة (1)

هيأة التنسيق السياحي الأسكتلندية
الموازنة البيئية لعام 1992

قد صمم مكتب العمل في إنجلترا حملة لاختبار مدى العلاقة بين السياحة والبيئة في عام 1991، واتضح أن التقرير يؤيد النقاط التي قامت بها هيأة التنسيق السياحي الأسكتلندية.

ISSN: 2523 – 1871

عمليات تقييم الآثار البيئية EIA the Process:

من المهم تحديد بعض التأثيرات الناجمة عن التنمية السياحية في مراحلها الأولى؛ وذلك لما يأتي:

- سهولة تلافي الدمار البيئي في هذه المرحلة، وذلك عن طريق تحوير برامج التنمية السياحية أو رفضها بالكامل، وذلك أكثر فائدة من محاولات الإصلاح.
- الاستغناء عن المشاريع السياحية المعتمدة على مشاهد جمالية ذات قيمة عالية؛ لما قد تسببه من دمار بيئي.

هناك عدة طرق يمكن استخدامها في تقييم الآثار البيئية للسياحة، من بينها: قوائم الاختيارات، وشبكة النظم المترابطة. لكن يمكن القول –بشكل عام–: إن عمليات تقييم الآثار البيئية للمشاريع عبارة عن خطوات تساعد الباحثين في توقع ما سوف تؤول إليه البيئة في حالة تنفيذ مشروع ما، ومن ثم فإن تصميم قائمة خيارات للتأثيرات البيئية تساعد في تحديد الآثار الممكنة في حالة تنفيذ مشروع سياحي معين (انظر دراسة حالة (2)).

عند تحديد الآثار الممكنة للمشروع يصبح من الممكن تحديد الأسس البيئية المهددة، لذلك فإن هذه القوائم تشكل أساسًا لمصفوفة تستخدم؛ لتحديد الآثار البيئية لأي مشروع سياحي من حيث عدم وجود تأثير للمشروع أو وجود تأثير بسيط، أو تأثير متوسط، أو له تأثير واسع النطاق.

تركز مناقشة منهجية تقييم الآثار البيئية على النواحي الآتية:

- عمليات التدقيق والمراجعة البيئية.
- حدود الموارد الطبيعية.
- المشكلات والعوائق البئية التي تهدد المشروع.
- الضرر الممكن للناس، والغطاء النباتي والحيواني، والتربة، والماء، والهواء، والهدوء، والمشهد العام، والمواقع الثقافية... إلخ، وهذا يشمل منطقة المشروع أو المنطقة المجاورة له.

يمثل شكل (4) نموذجًا لعمليات تقييم التأثيرات البيئية الذي يمكن الاحتذاء به، وفيما يأتي خطوات مقترحة لمشروع سياحي، يضع في الحسبان السياسات البيئية للمكان السياحي.

بعد مراجعة مقترح مشروع التنمية السياحية، ينتقل المقترح إلى اختيار الموقع الذي يخضع لتقييم بيئي أولي؛ لمعرفة ما إذا كان هناك تعارض مع السياسات البيئية للموقع. عندما تنتهي عمليات التقييم البيئي تنتقل العملية إلى القيام بدراسة جدوى مبدئية للمشروع، تتبع هذه العملية بتقييم دقيق للتأثيرات البيئية، ينتقل المقترح بعد ذلك إلى عملية مقارنة بين التقييم البيئي للمشروع وبين السياسات البيئية للمنطقة المستهدفة، فإذا لم يكن هناك تعارض جوهري بينهما ينتقل المشروع إلى دراسة جدوى تفصيلية، ويمكن إجراء بعض التعديلات لتقليل التأثيرات البيئية؛ لموائمة المشروع للسياسات البيئية المعمول بها.

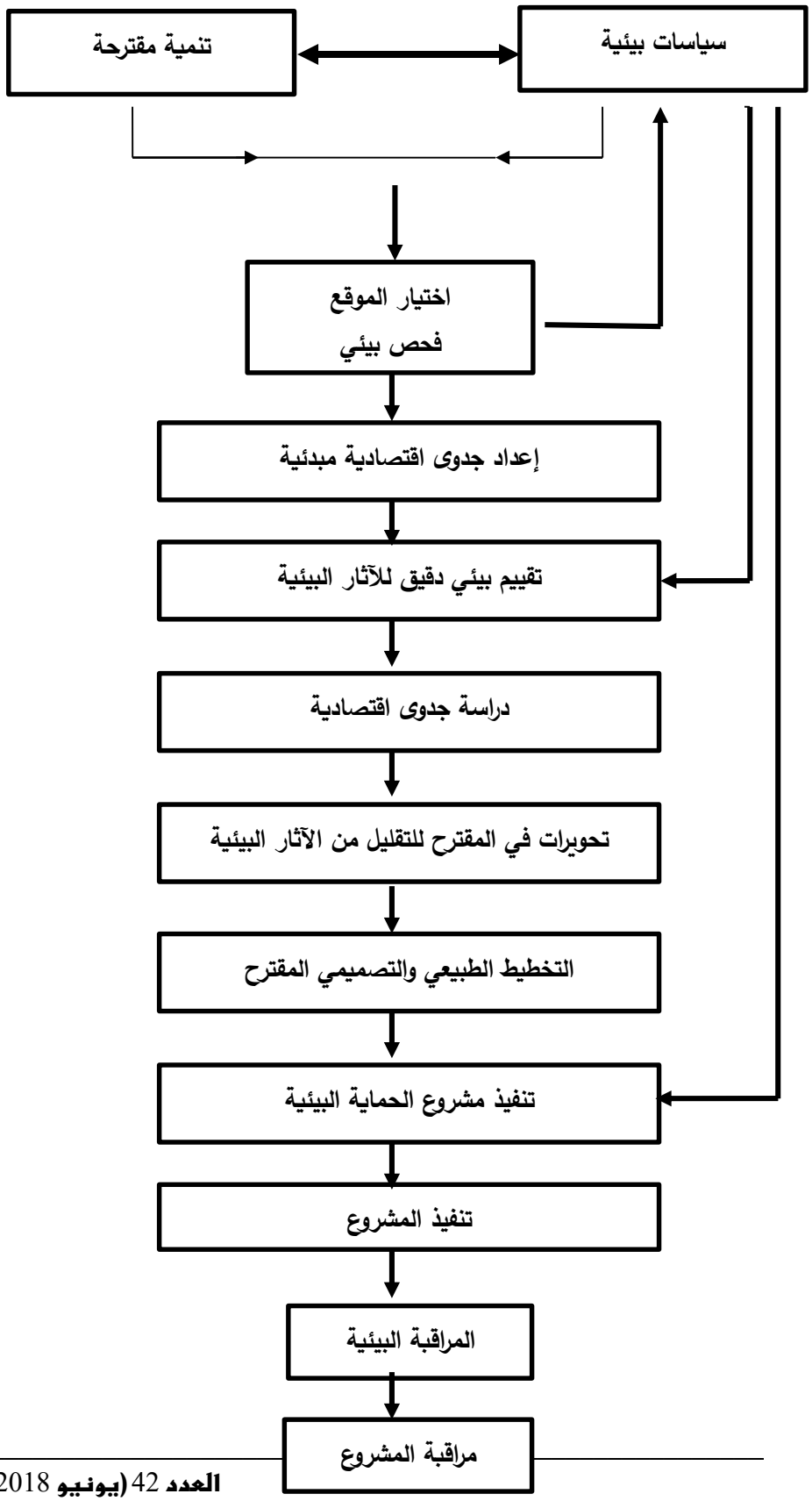
يهدف التخطيط الطبيعي، وتصميم المشروع وحدوده، إلى حماية البيئة لما يتماشى مع السياسات البيئية، وعند الوصول إلى هذه المرحلة يمكن الشروع في تنفيذ المشروع، ومراقبته بشكل يحمي البيئة من المشكلات المستقبلية.

ISSN: 2523 – 1871

دراسة حالة رقم (2) المصدر: Green et al (1990)

القائمة الخضراء لحماية البيئة من الآثار السياحية	
البيئة الطبيعية	**البيئة المبنية**
أ- التغير في المكونات النباتية والحيوانية	**أ- البيئة الحضرية**
1- إرباك عمليات التزاوج.	1- الزحف على الأراضي الزراعية.
2- قتل الحيوانات عن طريق الصيد.	2- تغير في حركة جريان المياه.
3- قتل الحيوانات وتحويلها إلى تذكار سياحيّ.	**ب- التلوث البصري**
4- حركة الهجرة الداخلة والخارجة.	1- ارتفاعات المباني.
5- إرباك الحياة النباتية عن طريق القطع.	2- ظهور تصاميم عمرانية حديثة.
6- تغير في انتشار وطبيعة الغطاء النباتي؛ لبناء التسهيلات السياحية.	3- الأغراض البشرية.
ب- التلوث	**ج-البنية التحتية**
1- تلوث المياه عن طريق ضخ مياه الصرف الصحي، ونفايات السفن.	1- زيادة تحميل البنية التحتية (طرق، سكك، ساحات ركن السيارات، شبكة الكهرباء، وسائل الاتصالات، النفايات، ومصادر المياه).
2- تلوث الهواء من عوادم السيارات.	2- توفير بنية تحتية جديدة.
3- التلوث الصوتي الناجم عن وسائل النقل والنشاطات السياحية.	3- تحوير بعض الأماكن للاستخدامات السياحية (كاسرات الأمواج، ضم الأراضي).
ج- الانجراف	**د- الشكل الحضري:**
1- دك التربة وتسريع عمليات الانجراف.	1- إجراء تغييرات واستخدامات المساكن والمحلات التجارية والصناعية(التحوير من منازل إلى فنادق)
2- التسريع في عمليات الانزلاقات والانهيارات الأرضية.	2- تغير في النسيج الحضري.
3- ارتفاع احتمالات الانهيارات الثلجية.	3- تباين في المباني الخاصة بالسائحين والمباني السكنية للمواطنين.
4- تدمير المعالم الجيولوجية (الكهوف، أشكال سطح الأرض).	**هـ- الحفاظ**
5- تدمير الشواطئ.	1- إعادة استخدام مبانٍ مهجورة.
د- الموارد الطبيعية:	2- حفظ وحماية المباني والمواقع التاريخية.
1- استهلاك الموارد المائية السطحية والجوفية.	3- إعادة استخدام المباني المهملة للسياحة.
2- استهلاك المحروقات؛ لتوفير طاقة للسائحين.	**و- المنافسة:**
3- ارتفاع إمكانية حدوث حرائق.	1- احتمالية تدني عوامل الجذب السياحي وظهور منافسين جدد، هذا بالإضافة إلى إمكانية تغير سلوك السائحين.
هـ- التلوث البصري	
1- مرافق (مبانٍ، مآرب، السيارات).	
2- القمامة.	

شكل (4) عمليات تقييم التأثيرات البيئي



References and further reading

1. Atherton, T.C. (1991) 'Regulation of tourism destination planning, development and management, including a critique of the systems and practice in Australia', (unpublished)MSc dissertation, University of Surrey.
2. Burnett, G.W., and Conover, R. (1989) 'The Efficacy of Africa's national parks: an evaluation of Julius Nyrere's Arusha Manifesto of 1961', Society and Natural Resources', vol. 2, pp. 251-60.
3. Cohen, E. (1978) 'The impact of tourism on the physical environment', Annals of Tourism Research, vol. 5, no. 2, pp 215-37.
4. de Kadt, E. (ed.) (1979) Tourism: Passport to Development?, New York: Oxford University Press.
5. Doxey, G.V. (1976) 'When enough's enough: the natives are rest-less in Old Niagara', Heritage Canada, vol. 2, no. 2, pp. 26-7.
6. Getz, D. (1986) 'Models in tourism planning', Tourism Management, vol. 7, no. 1, pp. 21-32.
7. Green, D.H., Hunter, C.J. and Moore, B.(1990) 'Applications of the Delphi Technique in Tourism', Annals of Tourism Research, vol. 17, pp 270-9.
8. Inskeep, E. (1991) Tourism Planning: An Integrated and Sustainable Development Approach, New York: Van Nostrand Reinhold.
9. Jafari, J. (1987) 'Tourism models: the sociocultural aspects', Tourism Management, vol. 8, no. 2, pp. 151-9.
10. Mathieson, A., and Wall, G. (1982) Tourism: Economic, Physical and Social Impacts, Harlow: Longman.
11. Murphy, P.E. (1985) Tourism: A Community Approach, New York: Methuen.
12. Plog, S.C. (1977) 'Why destination areas rise and fall in popularity,' in Kelly, E. M. (ed.), Domestic and International Tourism, Institute of Certified Travel Agents, Wellesley: Mass.
13. Shelby et al (1984) 'A conceptual framework for carrying capacity determination', Leisure Sciences, vol. 6, no. 4, pp. 433-51.
14. Smith, Vt. (1989) Hosts and Guests: The Anthropology of Tourism, 2nd edn, Philadelphia, Pa.: University of Pennsylvania Press.

ISSN: 2523 – 1871

الفقارات: النظام التقليدي المستدام لحصاد المياه الجوفية السطحية في المناطق الجافة و شبه الجافة مع الإشارة إلى ليبيا مراجعة للدراسات السابقة

د. هويدي عبد السلام الريشي

قسم الجغرافيا بكلية الآداب – جامعة بنغازي

المستخلص:

الفقارة –أو القناة– ذلك العمل الفذ الذي تركه لنا شركاؤنا في الإنسانية منذ ما يقرب من 3000 سنة مضت، لحصاد المياه السطحية؛ وذلك للتغلب علي مشكلة ندرة المياه في المناطق الجافة وشبه الجافة، هذا الإنجاز جدير بالدراسة والتأمل، واستخلاص الدروس الجيدة في استكشاف المياه التقليدية وإدارتها، وكيفية العيش في بيئات قاسية. من خلال دراسة أدبيات الفقارات (القنوات) وتحليلها نسلط الضوء –في هذا البحث– على أحد أهم التقنيات الهيدروليكية لحصاد المياه الجوفية السطحية، هذه الأنظمة القديمة المستدامة المتدفقة (المنسابة) فيها المياه بالجاذبية، وفرت إمدادات مياه متجددة، أمكن الاعتماد عليها في مناطق تتميز بندرة المياه، وبالمناخ الصحراوي الجاف وشبه الجاف، وتهدف هذه الورقة إلى دراسة أصل الفقارات ونشأتها الأولى، وآليات بنائها، وانتشارها، وتوزيعها الجغرافي في العالم، مع التركيز علي الفقارات الموجودة في الصحراء الليبية. كما تعرج على الأسباب التي أدّت إلى تراجع هذه التقنية وإرهاصات اندثارها، وتوصي هذه الدراسة بالاهتمام بالفقارات بوصفها طريقة عبقرية بديعة لحصاد المياه الجوفية من ناحية، وإرثا حضاريّاً إنسانيّاً عالميّاً، ساهم في ازدهار حضارات في مناطق هامشية عديدة في العالم من ناحية أخرى.

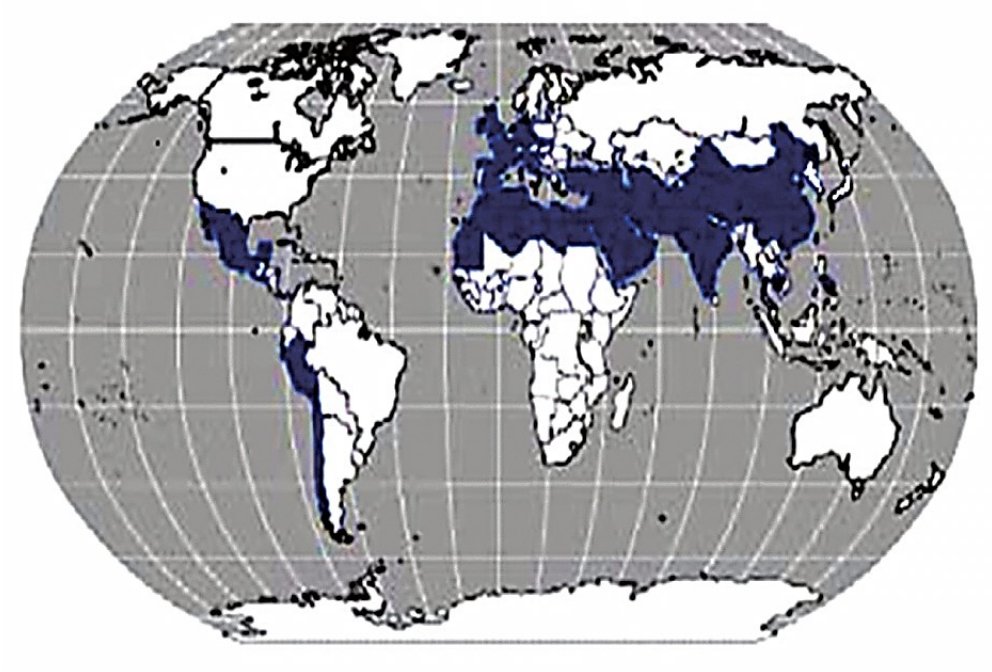
الكلمات المفتاحية:

الفقارات – المياه الجوفية السطحية

المقدمة:

أظهر السكان في الحضارات القديمة –على وجه الخصوص في المناطق القاحلة– شكلا رئيسيا من أشكال التكيف مع الجفاف وندرة المياه والبيئة القاسية، من خلال تطوير الخبرة الفنية والخبرة الاستدلالية على النظم التقليدية لحصاد الموارد المائية الأصلية والمركبة، التي من بينها: التقنية التقليدية التي تسمى الفقارات، كيتارا، أفلاج، كهريز... إلخ.

تعتبر الفقارات نظاماً تقليديّاً لجمع المياه الجوفية السطحية ونقلها؛ لأغراض الشرب والري، وتنتشر هذه الفقارات انتشارا جغرافيا واسعا في العالم، حيث تغطي أجزاءً من الصين إلى وسط أميركا وجنوبها، وتعتبر الفقارات تقنية عالمية، فقد وجدت واستخدمت في أكثر من 35 دولة في العالم. (Hof man 2007)، ويرجع أصل هذه الإنشاءات إلى بلاد فارس منذ حوالي 3000 سنة مضت (Tood 1980)، وقد استخدمت الفقارات خلال الألفية الأولى، ومن ثم انتشرت في اتجاه الغرب والجنوب الإيراني (Foltz، 2002). ويطلق على الفقارات العديد من الأسماء المختلفة، وذلك حسب اختلاف الأماكن والمناطق الجغرافية التي تقع في نطاقها، فتسمي في الصين كانجيرنق (Kanejring)، وفي إيران وأفغانستان وسوريا والأردن بالقناة الرومانية، بينما تسمي في اليمن والسعودية عيون (auyounes)، وفي ليبيا والجزائر تسمي الفقارة، وتسمي الكتارا في المغرب، وفي تونس تسمي كريجا (Kriga) أو أنجولا (Cressey N'goula 1958) ، وتسمي في عمان والإمارات بالأفلاج؛ مفردها فلج (Falaj) ، وقد نقلت تقنيات حصاد المياه هذه إلى إسبانيا ومراكش عن طريق الأمويين خلال القرن الأول الهجري، ومن ثم نقل الإسبان هذه التقنية إلى العالم الجديد بعد اكتشافه –على وجه الخصوص– إلى غرب المكسيك، وقد عرفت هناك باسم القالري Gallery، ووصلت إلى صحراء أتكاما في البيرو، وإلى نازكا (Nazca)وبيكا (Pica) في شيلي (Foltz 2002)، شكل (1).



شكل (1) يبيّن التوزيع الجغرافي للفقارات في العالم (اللون الأزرق)

المصدر (Salih ،2006) .

المنهجية (الطرق والوسائل):

اعتمد في هذا البحث على المنهج التاريخي والمنهج الوصفي، كما استخدم المنهج النوعي في هذه الدراسة، وقد جمعت المعلومات والبيانات من مصادر مختلفة، منها: الكتب، والمجلات العلمية، والدوريات، وروجعت عدة وثائق وتقارير وأوراق علمية ودوريات متخصصة بتقنيات حصاد المياه التقليدية بالإضافة إلى المواقع الإلكترونية ذات العلاقة المتوفرة في الشبكة العالمية للمعلومات.

دراسة فقارات واحة الفقهاء المنهجية:

عُمِلَ في الدراسة الحقلية مسح منطقة الوادي بالفقهاء مشيًا على الأقدام، وتعرفنا على عدد 29 فقارة، منها 18 فقارة نشطة يستخرج منها الماء حتى يومنا هذا، في كل فقارة قيس طولها الكلي بواسطة شريط القياس بالمتر، وكان القياس من البئر الأم حتى مصب الفقارة؛ أي النقطة التي يخرج منها الماء إلى حيث يوزع على الحقول و البساتين، وفقا لنظام اجتماعي متفق عليه، وكذلك قيست المسافة بين آبار التنظيف التي تعرف بالشافت، كما قيست أعماق آبار التنظيف، وكان ذلك باستخدام المتر –أيضاً–

وأخير أُجْرِيَ إحصاء آبار التنظيف والتهوية (الشافت) في كل فقارة، كما جمعت عينات مياه من هذه الفقارات، وأجري تحليلها في المعمل، وحساب معدل انسياب المياه وتدفقه في كل فقارة، وفق الطرق العلمية الاعتيادية، وأخيرا التقطت صور فوتوغرافية لكل هذه الفقارات (الريشي وساسي 2005)، كما قام الباحث بزيارة حقلية إلى فقارات وادي الآجال في فزان، وشاهد هذه الإنشاءات عن كثب، ودوّن الملاحظات المهمة عنها، إلا أن مدة هذه الدراسة كانت قصيرة جدا.

تعريف الفقارة – القناة:

يمكن أن تعرف الفقارة بأنها سلسلة (مجموعة) من الآبار متصلة ببعضها، و السطح القاعدي لكل بئر ينخفض نسبيا عن البئر الذي سبقه، وهذا يكون في مجموعه سطحا مائلا نسبيا باتجاه الميل الأرضي، بحيث يسمح للمياه بالتجمع والانسياب طبيعيا تحت تأثير الجاذبية الأرضية، ويكون الميل الأرضي للسطح أكبر من الميل الأرضي المكون من قواعد الآبار، فيكونان مستقيمين غير متوازيين، وهو ما يسمح بالتقائهما في نقطة ما، هي مكان خروج مياه الفقارة إلى سطح الأرض (بالامة والعبودي 2007).

مكونات الفقارة:

تتكون الفقارات من الإنشاءات الآتية – وفقا لقوبلت و بهنيا" (Goblot، 1979; Behnia، 1988)، كما هو موضح بالشكل (2) –:

البئر الأم Mother Well:

وهو البئر العميق الذي يقع في آخر القناة، ويمتد عمودياً؛ ليلامس الخزان الجوفي.

بئر أو آبار التهوية والتنظيف الشافت Shaft:

هذه مجموعة (سلسلة) من الآبار تحفر على مسافات متباعدة، هذه المسافات تكون متساوية بين كل شافت وآخر (المسافة في الغالب 5–10 متر) ووظائف هذه الآبار هي استخراج الرمال والتربة

والصخور المفتتة في أثناء عملية الحفر، بالإضافة إلى التنظيف والتهوية، وكذلك دخول عمال الحفر خروجهم، ومدخل للقناة الأفقية للتجريف.

(القناة الأفقية) Gallery:

قناة تحت سطحية، تربط مخرج الفقارة بالبئر الأم، وغالبا ما تكون على شكل بيضاوي في قطاعها العرضي، وتنحدر هذه القناة انحدارًا خفيفاً؛ كي يسمح للمياه بالتدفق والانسياب، مع الأخذ في الاعتبار السرعة المناسبة لتدفق المياه في القناة؛ وذلك للحماية من تعرض القناة لعمليات التعرية والانجراف.

نقطة المخرج:

وهو مكان الذي تنبثق منه المياه لتخرج إلى سطح الأرض.

القناة السطحية:

هذه القناة تنقل مياه الفقارة إلى حوض التجميع (الجابية) ومنه إلى الأرض أو البساتين المراد ريّها.

المنطقة الرطبة:

جزء من القالري أو الدهليز الأفقي (القناة التحت سطحية) الذي يلامس ويمر بالخزان الجوفي، والذي يزود القناة بالماء، وعادة ما يعادل طول هذه المنطقة ثلث طول القناة الأفقية (القالري).

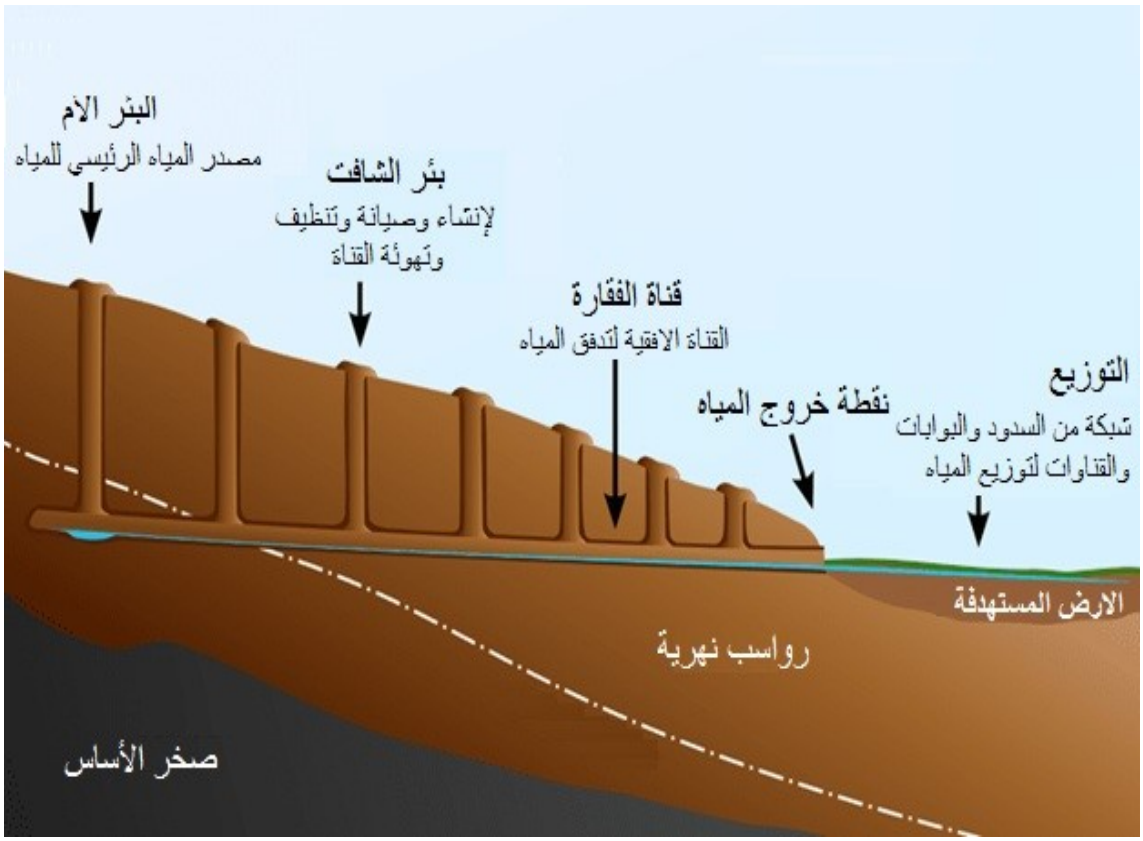
المنطقة الجافة:

تقع هذه المنطقة ضمن القناة تحت سطحية ما بين المنطقة الرطبة والمخرج، ووظيفة هذا الجزء من القناة هو نقل المياه إلى نقطة المخرج، وعادة ما يكون طول هذه المنطقة ثلثي طول القناة الأفقية (القالري).

ISSN: 2523 – 1871

الأدوات المستخدمة في عمليات الحفر:

- دلو مصنوع عادة من الجلد؛ لتحميل التربة والصخور وكل نتاج الحفر، ويرمى على السطح.
- حبل– جرار؛ لرفع الدلو المحمل بالأتربة والصخور؛ للتخلص منها على السطح.
- الفؤوس والمعاول؛ لعمليات الحفر.
- مشاعل وإضاءة؛ للإنارة داخل القناة.
- سلسلة أو شاقول (ميزان).



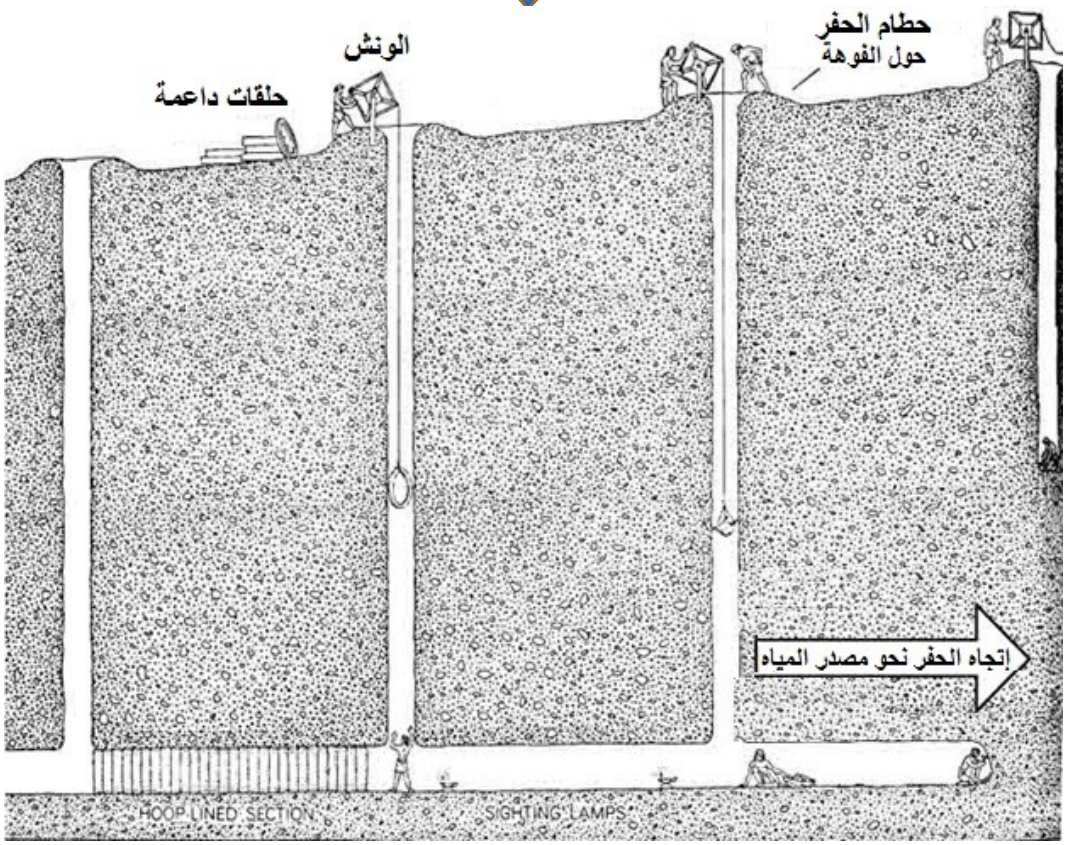
شكل (2) قطاع عرضي للفقارة يوضح البئر الأم و آبار الشافت والقناة الأفقية التي تتدفق فيها المياه تحت تأثير الجاذبية. المصدر. (Qanat Wikipedia)

ISSN: 2523 – 1871

كيفية إنشاء الفقارات:

النقطة الأولى المهمة في عملية إنشاء الفقارات هي التعرف على مصدر مناسب للمياه الجوفية السطحية، حيث يبدأ البحث على النقطة التي تلتقي فيها المروحة الفيضية بأقدام الجبل أو سفوح التلال وسفوح البيدمنت؛ وذلك لأن المياه تكون أكثر وفرة في الجبال؛ بسبب حركة الرفع الأوريوغرافي (المياه أكثر وفرة في الجبال بسبب الرفع الأوريوغرافي [Orographic lifting] والحفر في المروحة الفيضية سهل ومتيسر نسبيا). ويتتبع عمال مهرة بناء الفقارات وشقها – علامات قد تشي على ممر الماء النازل من الجبل أو عند أقدام الهضبة، وذلك بالتعرف على دلائل وجود الماء السطحي من خلال وجود النباتات ذات الجذور العميقة، أو من خلال التسرب الفصلي. (Seasonal Seepage) وعندها يحفر البئر الأول أو بئر المحاولة؛ لتحديد مستوى الماء السطحي وعمقه؛ وذلك لمعرفة ما إذا كان الماء متوفراً بقدر جيد، إذا كانت هذه الشروط متوفرة عند ذلك يُخَطَّط ممر القناة ويُرسم فوق سطح الأرض Wikipedia: the free encyclopedia.

يحفر البئر الأول (البئر الأم Mother well): في الغالب بحفر بئر عمودي باتجاه الخزان الجوفي السطحي، ويستمر في الحفر حتى تخرج المياه، بعد ذلك يترك هذا البئر، ثم يحفر على بعد مسافة بسيطة منه بئر آخر يقع على مستوى أسفل من البئر الأم، بعد ذلك تحفر قناة أفقية لتربط بين البئر الأم وأول بئر (الشافت Access Shaft) ثم يتوالى حفر سلسلة من آبار التنظيف و التهوية (الشافت) حتى تصل إلى مستوى الأرض المنخفضة، حيث تجمع المياه في الجوابي أو الماجن، ومن ثم توزع كحصص متفق عليها على البساتين والحقول (شكل3).



شكل (3) كيفية إنشاء الفقارة وحفرها، ويلاحظ استخدام الحلقات لتغليف القناة الأفقية؛ لحماية المياه من التسرب والضياع، وكذلك لحماية القناة من الانهيارات (www. waterhistory. org)

تعتمد عملية إنشاء الفقارات وحفرها على الظروف الجيولوجية والهيدروجيولوجية؛ لهذا السبب لا نجدها في بعض الواحات، وذلك يرجع إلى عدم ملاءمة التكوينات الجيولوجية والظروف الهيدروجيولوجية لبناء الفقارات، وفي هذه الحالة تُطَوَّر تقنيات أخرى؛ لاستخراج المياه الجوفية كحفر الآبار الاعتيادية.

تاريخ تطور الفقارات:

ذكر "إنجلش English" أن الفقارات نشأت في محيط أرمينيا منذ ما يزيد عن 2500 سنة مضت (English، 1968)، ثم انتشرت بسرعة في جنوب غرب آسيا وشمال أفريقيا خلال الفترة الأخمينية (331–550 قبل الميلاد)، ويذكر بوليبيس (Polybius) كيف حاول أرساكس (Arsaces) تدمير القنوات (الفقارات)، وقطع إمدادات المياه؛ وذلك بهدف وقف تقدم أنتكوس نحو العاصمة البارثية المفقودة عاصمة

هيكاتومبيلوس. Hecatompylos، ويعود إنشاء الفقارات إلى الفرس منذ أكثر من 2000 سنة مضت، ويعتقد أن مدينة القصر (البلاس) Persepolis –الذي يقع على بُعد حوالي 60 كيلومتر شمال شرق مدينة شيراز الإيرانية– كانت تعتمد على القنوات في توفير المياه حوالي 500 قبل الميلاد (1958. Cressey)، ويعتقد بعض الباحثين أن فكرة إنشاء الفقارات ولدت لأول مرة في بلاد فارس، وقد جاء ذكر الفقارات في أدبيات العصور القديمة و المتوسطة، كما جاء ذكرها بأسماء مختلفة، وقد وصف المؤرخ اليوناني بوليبوس في القرن الثاني قبل الميلاد الفقارة التي شيدت في الصحراء الإيرانية خلال العصور الفارسية، وقد بُنِيَتْ تحت الأرض. (Saffari .2005)، وقد انتشرت القنوات في مناطق جغرافية شاسعة (شكل1) مثل: الصين، أفغانستان، باكستان، الجزيرة العربية، شمال أفريقيا، المغرب، الأردن، سوريا، إسبانيا، وبعض الدول في قارة أميركا الجنوبية. وتعرف الفقارة بأسماء مختلفة حسب اختلاف الدول، فتعرف في باكستان وأفغانستان بالكارز، وفي شمال أفريقيا الفقارة، والجزيرة العربية الفلج. خلال الفترة ما بين 550–331 قبل الميلاد عندما امتد الحكم الفارسي من السند إلى النيل انتشرت الفقارات في جميع أنحاء الإمبراطورية، وقد شجع الحكام الأخمنيون على بناء الفقارات، ورصدوا حوافز تشجيعية للناس؛ كي يبنوا ويشقوا القنوات والفقارات، وسمحوا لحفاري الفقارات وبُنتها وورثتهم بالاحتفاظ بالأرباح التي جنوها من بناء القنوات التي شيدت للأجيال القادمة، ونتيجة لذلك أُنشِئت آلاف المستوطنات الجديدة، وتوسعت مستوطنات أخري. أما إلى الغرب من بلاد فارس فقد أقيمت الفقارات في بلاد ما بين النهرين إلى شواطئ المتوسط وفي صحراء مصر، وكذلك إلى جنوب بلاد فارس وشرقها، فأقيمت وشقت الفقارات في أفغانستان وواحات طريق الحرير من آسيا الوسطى، وفي الصين وتركستان.(Saffarai . 2005).

وتمثل الفقارات إحدى أقدم الأنظمة التقليدية؛ للحصول على المياه، هذه التقنية التي اخترعها الفرس قد تعتبر واحدة من أكثر نظم الري التقليدي تعقيدا، التي عرفها الإنسان في العالم.(2010 . Mostafaeipour)، ويوجد الآن أكبر عدد من الفقارات في إيران، وتغطي المياه المنتجة من هذه الفقارت 15٪ من احتياجات إيران المائية، وقد كانت الفقارات نظاماً تقليديّاً مستداماً لحصاد المياه الجوفية السطحية، ربما لتكاليفها المنخفضة، واليوم نحتاج لمثل هذه الأنظمة التقليدية؛ للحصول على المياه في مناطق ندرتها. وإيران عملت وتعمل على التشجيع والاهتمام بهذه التقنية الفريدة، وتدعم المهتمين بها

بالمال والاستشارات الفنية، وهنا يجدر بنا أن نذكر أن هذه القنوات (الفقارات) والأنظمة ذات العلاقة طورت –أولاً– في إيران، ومن ثم أدخلت واستقدمت لمناطق عديدة في العالم. (2010 ، Mostafaeipour).

تاريخ الفقارات وانتشارها:

اكتشفت بداية استخدام الفقارات لأول مرة من قبل هنري قوبلت (Goblot ،1979)، حيث ورد في كتابه "القناة: تقنية للحصول على الماء" أنه خلال أوائل الألفية الأولى قبل الميلاد بدأت بعض الجماعات القبلية الصغيرة الهجرة إلى الهضبة الإيرانية، حيث معدلات سقوط الأمطار كانت أقل من معدلات الأمطار على الأراضي التي انحدرت منها هذه المجموعات، وهذه المجموعات جاءت من أراضٍ كان بها العديد من المياه السطحية والأنهار ، لذلك فإن تقنياتهم الزراعية تتطلب كمية من المياه لا تتناسب مع كميات المياه المتاحه في الهضبة الإيرانية، ولذلك كان أملهم الوحيد هو الاعتماد على الأنهار والعيون التي نشأت في الجبال. وقد واجه الفلاحون مشاكل كان من أهمها أنّ الأنهار تفتقر إلى المياه في فصول الجفاف، والمشكلة الأخرى هي أنّ هذه الينابيع استنزفت المياه الجوفية الضحلة خلال المواسم الحارة الجافة، ومع ذلك لاحظوا بعض مظاهر الجريان الدائمة، التي تتدفق من خلال الأنفاق التي حفرها عمال المناجم، الذين كانوا ينقبون عن الفحم والنحاس. فقد أقام هؤلاء العمال علاقة مع عمال المناجم، وطلبوا منهم حفر المزيد من الأنفاق؛ من أجل توفير المزيد من المياه، ووافق عمال المناجم على القيام بذلك؛ لأنه لم تكن هناك صعوبة فنية لدى عمال المناجم في بناء المزيد من القنوات، وبهذه الطريقة استخدم الإيرانيون القدامى المياه التي لا يحتاجها عمال المناجم، وأسّسوا نظامًا أساسيًّا يعرف بالقناة؛ لتوفير المياه اللازمة لأراضيهم الزراعية.

وفقا لهنري قوبلت (Henry Goblot) تطور هذا النظام في الشمال الغربي لإيران الحالية، ثم أدخل في وقت لاحق إلى المنطقة المجاورة المعروفة باسم زاجروس (ميزوبوتاميا Mesopotamia). . (Goblot 1979).

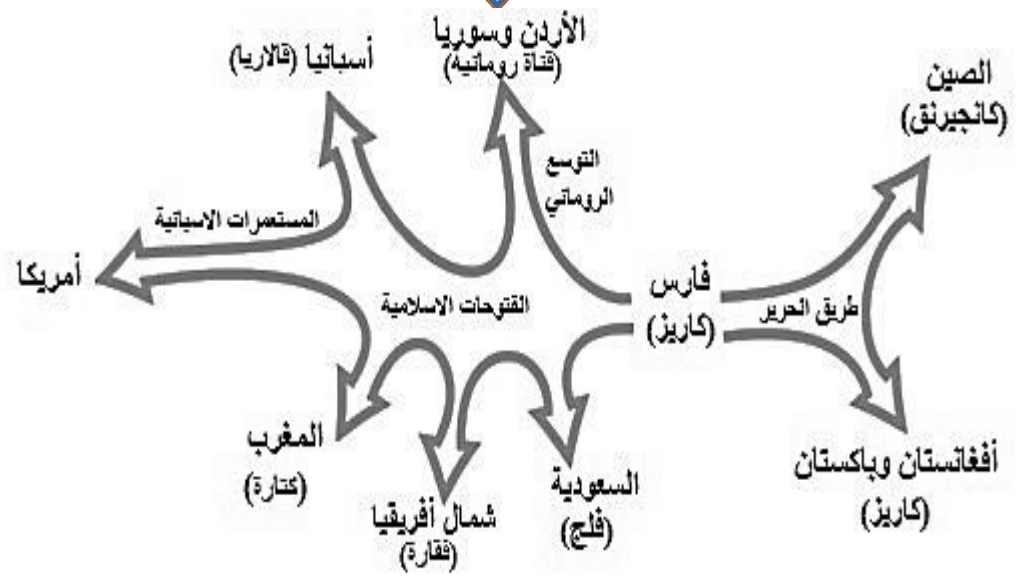
ووفقا لنقش كتبه سارجون (The Assyrian king: Sargon II) ملك آشور في 714 قبل الميلاد خلال حملته في بلاد فارس، الذي يفيد بوجود نظام تحت الأرض لحصاد المياه الجوفية. الملك سنحاريب– سنشاريب (Sennacherib 705-681) ابن الملك سارجون عمل على تطبيق ذلك السر، المتمثل في استخدام قنوات تحت الأرض؛ للحصول على المياه، وبالفعل شيد قصره في نينوى، واستخدم نظام القنوات؛ لإمداد قصره بالمياه حول نينوى، خلال الفترة ما بين (559 to 330 BC) قبل الميلاد. عندما امتد الحكم الفارسي (EraofAchaemenid) من الأنديز (Andus) إلى النيل، انتشرت تقنية القنوات في كل أرجاء الإمبراطورية، وقدم الحكام الأخمينيون حافزًا كبيرًا لبناة القنوات وورثتهم من خلال السماح لهم بالاحتفاظ بأرباح من القنوات التي أُنْشِئَت حديثًا لمدة خمسة أجيال. ونتيجة لذلك أُنْشِئَت الآلاف من مستوطنات جديدة، وأخرى امتدت و توسعت إلى الغرب، حيث شيدت القنوات من ميزوبوتاميا Mesopotamiaحتى شواطئ المتوسط، وكذلك إلى الجنوب داخل أجزاء في مصر، وشيدت القنوات إلى الشرق من بلاد فارس في أفغانستان، وفي واحات طريق الحرير، وفي آسيا، والصين، وتركستان. خلال الحقبة الرومانية –البيزنطية أنشئت القنوات في سوريا والأردن، ومن هنا انتشرت تقنية القنوات (الفقارات) وظهرت في الشمال الغربي إلى أوروبا، وبالتأكيد في 209 قبل الميلاد كانت القنوات سمة من سمات اللاندسكيب الفارسي، ووصفها بوليبيوس (Polybius) (المورخ اليوناني 203–120 B. C.) خلال حملة أنطيوخس (III– الأكبر: الحاكم السادس من الإمبراطورية السلوقية 241–187 قبل الميلاد) ضد أرساكس (Arsaces I ملك بارثيا (Parthian King 250–211 قبل الميلاد). وفي وصفه يسجل بوليبيوس (Fayard ، 1996) كيف حاول أرساكس تدمير القنوات؛ وذلك لقطع إمدادات المياه من أجل وقف زحف أنطيوخس Antiochus نحو العاصمة البارثية المفقودة هيكتومبولس Hecatompylos. وعلى الرغم من نقل تقنية إنشاء القنوات وبنائها غربا إلى المتوسط، وبالتالي إلى أميركا اللاتينية، إلا أن حضور هذه القنوات وتطورها ازدهر في إيران.

ومع بداية التوسع الإسلامي بدأت موجة أخرى من انتشار القنوات، فخلال غزوات العرب الأوائل وفتوحاتهم انتشرت القنوات غربا عبر شمال أفريقيا و إلى قبرص وصقلية وإسبانيا وجزر الكناري، وشيّد العرب نظام الفقارات في كريفيلنيت Crevillente في إسبانيا، وكان على الأرجح للاستخدام الزراعي

وفقارات أخرى في مدريد وقرطبة للاستخدام الحضري، وهناك أدلة على وجود الفقارات في العالم الجديد، أمكن العثور عليها في غرب المكسيك وفي أتاكاما في البيرو وفي تشيلي في نازكا وبيكا، وكانت أنظمة الفقارات في المكسيك قد ظهرت ودخلت حيز التنفيذ بعد الغزو الإسباني، وبالنظر إلى نموذج انتشار الفقارات (شكل4)، فإنه يبدو منظماً ومنطقياً، ولكن الأنشطة البشرية نادراً ما تكون بهذه السلاسة والتنظيم، وجاءت فكرة (الشكل4) للتبسيط، ولم تكن فكرة انتشار الفقارات بتلك السلاسة والانسياب، إنّ تقنية الفقارات ربما تكون قد استقدمت إلى وسط الصحراء، ثم في وقت لاحق إلى الصحراء الغربية عن طريق اليهود البربر Judaized Berbers الفارين من برقة من اضطهاد تراجانفي سنة 118 (2013، Taghavi-Jeloudar et al)، إن نظام الفقارات في أميركا الجنوبية ربما قد سبق دخول الإسبان إلى العالم الجديد، وتطور هذه الفقارات ظهر بشكل مستقل عن أي تأثير فارسي، و في الصين –ومع الاعتراف بوجود اتصال فارسي محتمل– وجدت هناك قناة توربان Turpan "Longshouqu" التي شيدت حوالي عام 100 قبل الميلاد، واستخدم الرومان الفقارات بالتزامن مع القنوات Qanats التي كانت تمد المناطق الحضرية بالمياه، فقد شيد نظام الفقارات في ليون الرومانية وكذلك في مورسيا (مايوكا Murcia) في جنوب شرق إسبانيا. إن نظام القناة الكاتالونية (Catalan Qanat) لا تبدو متعلقة بالنشاط الإسلامي، وقد أُنْشِئَتْ في وقت لاحق على أساس المعرفة بالأنظمة الرومانية في جنوب فرنسا (2006، SemsarYazdi).

أهمية تأريخ الفقارات بالوسائل والطرق الحديثة:

تكمن أهمية تأريخ الفقارات بالطرق الحديثة في الدراسات الدقيقة التي تحاول الوصول إلى المكان الأصلي لميلاد هذه التقنية من ناحية، وإيجاد علاقات بين المستوطنات البشرية القديمة، وهذه التقنية وعلاقتها بتطور اللاندسكيب، والتغيرات المناخية من ناحية أخرى. ومع أن تأريخ إنشاء الفقارات على وجه الدقة كان من الأمور الصعبة إلا أنه كانت هناك محاولة ناجحة وطريقة مناسبة لتحديد تأريخ وتوقيت بناء وصيانة بعض الفقارات، وذلك باستخدام طريقة التألق للتأريخ لحبيبات الرواسب الملقاة عند فوهة بئر التنظيف إبّان عملية حفر الفقارة (Luminescene dating of sediment grains within the circular spoil heaps) (Fathi 2015).



شكل (4) إحدى الطرق المقترحة لانتشار الفقارات. (English ،1968)

المصدر: (English ،1968).

تقنية الفقارات تقود إلى المحافظة على المياه الجوفية واستدامتها:

يعتبر الماء الجاري في الفقارات مصدرا متجددا، حيث يعتمد معدل تدفق المياه في الفقارة (القناة) مباشرة على التدفق الطبيعي للمياه الجوفية، الذي يحول دون استنزاف خزان المياه الجوفية. وبالتالي، فإن الحفاظ على طبقة المياه الجوفية (الخزان الجوفي) هو ميزة أخرى للفقارات. وبالإضافة إلى ذلك، فإن خسائر التبخر صغيرة؛ لأن قناة نقل المياه (القناة الأفقية: القالري) مغلقة وواقعة تحت سطح الأرض، كما يقلل ذلك –أيضاً– من فقدان المياه عن طريق التسرب، وفي مناطق الأحواض المائية ذات الاحتياطي المنخفض من المياه، حيث لا يكون حفر الآبار العميقة خيارًا عمليّاً، يمكن أن تستخدم القناة (الفقارة) بشكل جيد لتغطي احتياجات الري (Helweg ،1973). ومن ثم فإن القناة (الفقارة) هي نظام مستدام لإمدادات المياه، يمكن أن يوفر المياه إلى أجل غير مسمى من خلال الحفاظ على خزانات المياه الجوفية. (Motiee et al ،2006).

الفقارات في البلاد العربية:

تقع المنطقة العربية في نطاق الأراضي الجافة و شبه الجافة في العالم، وهذا الموقع اقترن بانخفاض معدلات الأمطار وارتفاع درجات الحرارة، وللتغلب على مشكلة ندرة الأمطار وشح المياه

وندرتها استخدم السكان في هذه البقاع تقنية الفقارات؛ لحصاد واستخراج المياه الجوفية القريبة من سطح الأرض. وقد تبيّن من هذه الدراسة أن الفقارات تطورت في البلاد العربية، وقد ساهمت بشكل كبير في تطوير الواحات في بيئات صحراوية قاسية. وعرفت هذه التقنية بعدة أسماء محلية في البلاد العربية كما في الجدول(1)

الجدول (1) الأسماء المحلية لتقنية استغلال واستخراج المياه الجوفية القريبة من سطح الأرض

البلد	الاسم المحلي
الجزائر	فقارة
ليبيا	فقارة
المغرب	كتارا
سلطنة عمان	فلج تجمع على أفلاج
تونس	عين– كريجورا– جوننارياً– مكولا
السعودية	عين– كاريز
الأردن– سوريا	قناة رومانية
العراق	قناة
اليمن	فيلج– غيل– ميان
الإمارات	عين
مصر	فقارة

وقد أدخل (استقدم) الفرس الفقارات إلى منطقة الخليج العربي والحجاز في القرن الخامس قبل الميلاد، وقد حُفِرَ أول الفقارات في البلاد العربية (الجزيرة العربية) من حوالي 1500 إلى 2000 سنة، وذلك في سلطنة عمان (Remini and Rabah ،2012)، ويقدر العدد الكلي للفقارات بـ(11500) فقارة في الوقت الحالي، وقد انخفض هذا العدد إلى 4200 فقارة. وعلى الرغم من انخفاض تدفق المياه في الأفلاج (الفقارات) إلا أنها لا تزال تشكل وسيلة فعالة للري في سلطنة عمان.

ويوجد في الإمارات العربية 7 أفلاج (فقارات) وتتدفق المياه فيها بسرعة 630 لتر في الثانية، حيث تُغَذَى واحات منطقة العين من هذه الفقارات(Remini andRabah 2012).

وفي السعودية وجد مابين 4000–5000 عين (فقارة) كانت تعمل لمدة 1250 سنة مضت، ولا نعرف الآن عدد الفقارات التي لا زالت تتدفق فيها المياه. وتعتبر عين (قناة) زبيدة التي تقع إلى الشرق من مكة المكرمة من أفضل العيون في المملكة، إذ يبلغ طولها 27 كيلومتر، ويوجد بها 130 بئر تهوية وتنظيف (شافت) وكانت تعمل حتى عام 1974 بإنتاجية 450 لتر في الثانية (Hussain et al. ، 2008).

وجدت الفقارات –أيضاً– في واحة الكراج جنوب شرق الرياض، وفي واحة القطيف شمال الظهران، وتمرّ فقارات القطيف خلال الكثبان الرملية، ويلاحظ أنها تحتوي على عدد قليل من آبار الشافت، بالإضافة إلى فقارات وادي فاطمة غرب مكة. كما توجد بعض الفقارات في مرتفعات نجد (English ،1968).

في منطقة تافيليلات (Tafilalt) المغربية يوجد 250 كتارة Khettara (فقارة) كانت تعمل حتى عام 1997 ليبقي منها في الخدمة وصالح للاستعمال 150 فقارة فقط في سنة 2000. (Remini ،2012) andRabah

في الصحراء الجزائرية يوجد عدد 1400 فقارة في واحات توات Touat وقورارة Gourara وتيديكيليت Tidikelt (تتموضع هذه الفقارات على حدود هضبة تيدميت Tademait في مناطق توات وتيديكليت جنوب العرق العربي العظيم (South of the great Western Erg)، وقد أفاد المسح الذي أجرته الوكالة الوطنية للإحصاء ما بين 1998–2001 بأن عدد الفقارات التي لازالت تعمل حتى الآن 903 فقارة فقط.

وفي تونس يوجد عدد 9 فقارات فقط شمال غوط الجريد، وفقا لفريق بحثي من معهد المناطق الجافة في تونس، وتعمل من هذه الفقارات فقارة واحدة فقط، وهي فقارة أم جدور في منطقة القصرين. (Remini andRabah 2012).

في سوريا يوجد عدد 239 قناة رومانية (فقارة) يعمل (قيد التشغيل الآن) من هذه الفقارات 29 فقارة فقط.

وفي الأردن يوجد عدد 32 فلج (فقارة) يعمل منها الآن 8 أفلاج فقط.

وفي اليمن يوجد حوالي 94 فقارة يعمل منها حتى عام 1960 عدد 60 فقارة فقط. كما يوجد فقاراتان لازالتا تعمل في سهل صنعاء (Lightfoot ،2000)، كما وجدت –أيضاً– في جبال اليمن على طول حضرموت، بالإضافة إلى وجودها في جبال غرب صنعاء (English ،1968).

يوجد في ليبيا حوالي 550 فقارة في منطقة وادي الآجال فقط، حيث بلغ مجموع أطوال هذه الفقارات مجتمعه 4000 كيلومتر (Mattingly et al. ، 2015). ويوجد العديد من الفقارات في منخفض الجفرة في ودان وهون وزلة والفقهاء وفي درج وغدامس. والفقهاء التي تحوي عدد 29 فقارة، منها ثمانية عشر فقارة لازالت في الخدمة حتى يومنا هذا (الريشي وساسي 2005). كما يوجد العديد من الفقارات في منخفض الشرقية في واحة زويلة وواحة مرزق (Wilson ،2009). ويوجد –أيضاً– فقارة في شمال شرق ليبيا في منطقة شحات، وهذه الفقارة تتجه إلى الجنوب الشرقي من مدينة شحات، وهناك جدل حول ما إذا كانت هذه الفقارة هي التي تغذي خزان الصفصاف أم لا (Fisher et al. ، 1953).

ووجدت الفقارات التي تعرف محليا بالكتارا أو الكتارة على المنحدرات الشمالية لجبال أطلس، حول مدينة مراكش خاصةً، وفي جنوب الأطلس في تافيليلات، وقد وجدت هذه الفقارات منذ أواخر القرن الرابع عشر، وبلغ طول شبكة الفقارات 3000 كيلومتر. وجدير بالذكر أنّ الفقارات (الكتارا Khettara) كانت تزود مدينة سيجيل ماسا التاريخية (Sijilmassa: A. D. 757-1393) بالمياه الجارية حتى بداية السبعينيات من القرن الماضي (Lightfoot ،1996). وبلغت الفقارات أقصى تطور لها خارج البلد الأم (إيران) في تافيليلات المغربية.

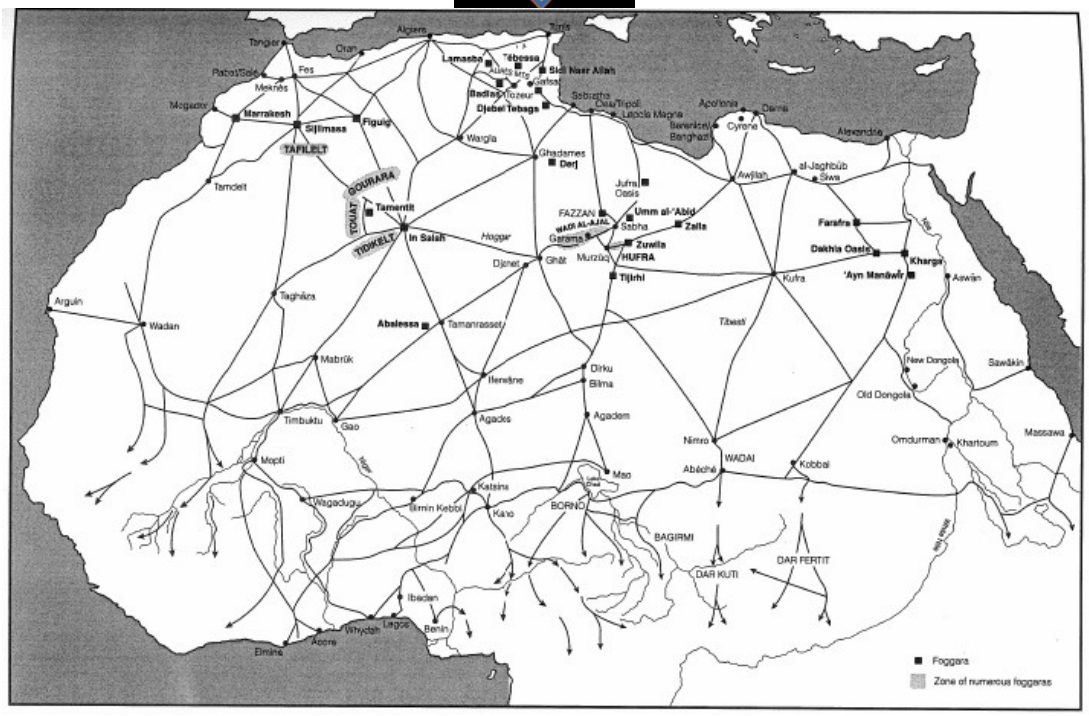
شيدت الفقارات في مصر خلال الاحتلال الفارسي (525–332) في واحة الخارجة Kharga، وكذلك وجدت في مطروح. كما توجد الفقارات في فلسطين وسوريا في نهر الأردن وفي منطقة القالمون

في شرق سوريا بالقرب من تدمر(بالميرا)، وكذلك وجدت الفقارات التي يطلق عليها قناة رومانية في شمال شرق حلب (English .1968).

الفقارات في ليبيا:

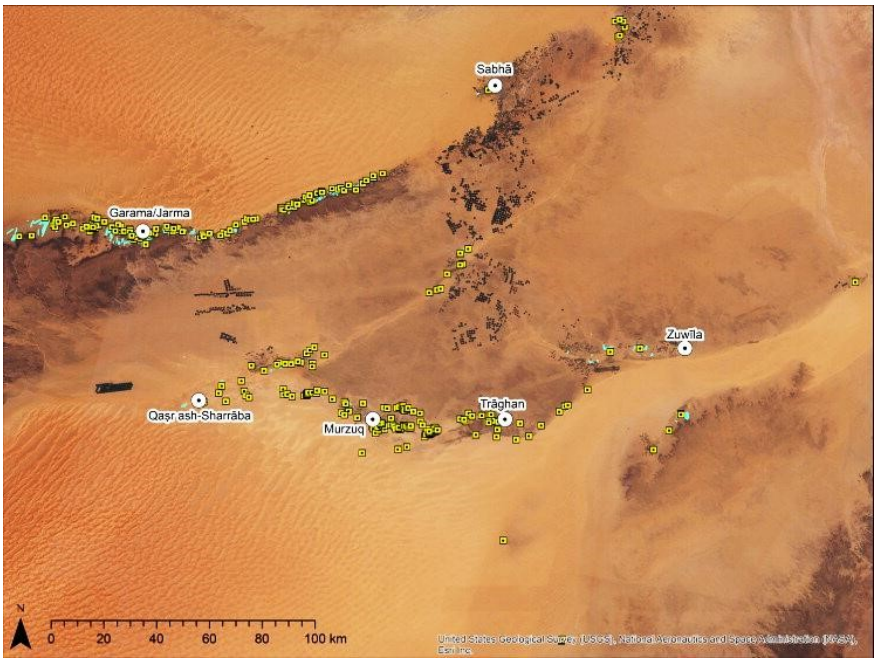
وجدت الفقارات في ليبيا في مواقع كثيرة، لعل أكثرها كثافة في وادي الآجال، ويعود تاريخ هذه الفقارت إلى زمن الجرمنت، كما وجدت –بالإضافة إلى وادي الآجال– في وادي برجوج، وفي واحات مرزق، والجفرة. (Mattingly ،2003).

وجدت الفقارات في الصحراء الغربية لمصر في منطقة عين منور في منتصف القرن الخامس (Wuttmann،2001)، وأغلب الظن أن الفقارات وصلت إلى فزان من مصر في منتصف القرن الأول، ومن بعد ذلك انتشرت على طول مسارات طرق التجارة والقوافل (شكل 5) خاصة الطريق الذي ينحدر من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي من النيل مرورا بفزان ثم النيجر (Wilson ،2009). إن الفقارات عملت على ازدهار فزان القديمة، وأصبحت الزراعة كثيفة بواسطة الفقارات في كل واحاتها، فاتسعت الرقعة الزراعية، وأدّى ذلك إلى كبر حجم الاستيطان البشري في فزان، كل هذا أدّى إلى التحضر الذي بدوره أدّى لاحقا لتكوين الدولة الجرمنتية (شكل 6) (Mattingly et al ،2015) ، وهذه أمثلة واضحة جدا من تأثير تحولي عميق للاتصال من مسافات طويلة فيما بين الشمال والجنوب. انتشرت الفقارات في فزان بشكل كبير باستثناء وادي الشاطئ، الذي كان يزخر بالعديد من العيون، فلم تكن هناك حاجة إلى شق للفقارات وبنائها. وقد وجدت الفقارات في فزان الجرمنتية، وتركزت في وادي الآجال، وكذلك وجدت حول مرزق، وهي ذات عدد كبير يصل إلى 550 فقارة في وادي الآجال فقط، و من خلال فحص صورة جوية أخذت عام 1960 وصل طول هذه الفقارات من 100 متر إلى 4. 5 كيلومتر (2003، Wilson and Mattingly)، ومن الواضح أن الجرمنت كانوا يحتاجون إلى أيدٍ عاملة كثيرة؛ لحفر وتنظيف وصيانة هذا الكم الهائل من الفقارات، الأمر الذي دفعهم إلى تبني فكرة المتاجرة وتهريب العبيد من أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى. وعرفت الفقارات في العديد من المواقع في واحات ليبيا خارج نطاق فزان، وخاصة في زلة، وزويلة، وغدامس، و درج، والفقهاء، وهون، وودان (Wilson ،2012).



شكل (5) خريطة تبين طرق التجارة والقوافل خلال الصحراء والواحات التي تعتمد على الفقارات في الصحراء (Wilson، 2009)

المصدر: (Wilson ،2009)

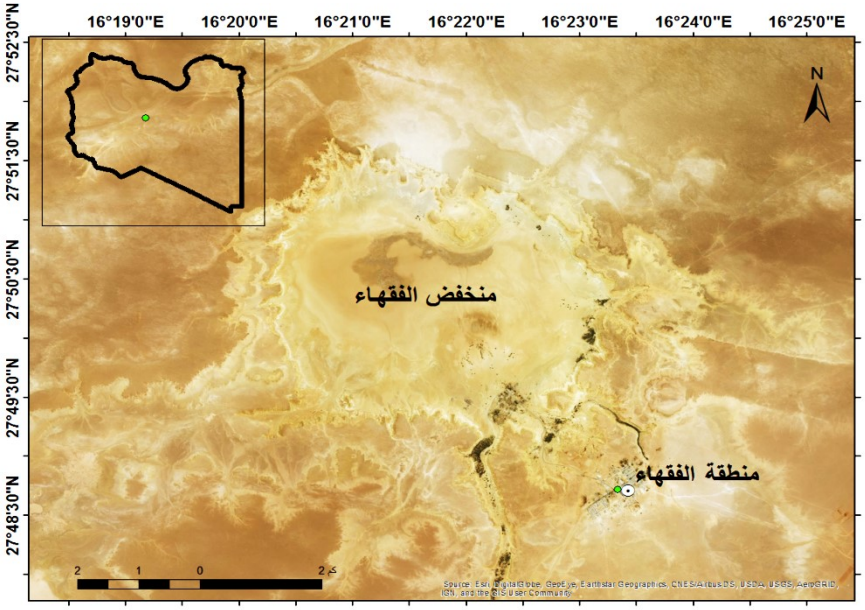


شكل (6) صورة فضائية توضح الاستيطان الجرمنتي (الذي لعبت الفقارات دورا محوريا في وجوده وازدهاره) في الصحراء الليبية Mattingly et al. ، (2015).

المصدر: Mattingly et al. ، (2015).

فقارات واحة الفقهاء:

تقع فقارات واحة الفقهاء في منخفض الجفرة، بين خطي طول 45 27 28 شمالا و 30 15 16 شرقا، بالقرب من جبال الهروج، التي لا تبعد عنها بأكثر من 12 كيلومتر(شكل 7). وقد أقيمت دراسةٌ ومسحٌ لفقارات الواحة الواقعة في منطقة الوادي مشياً على الأقدام، وباستخدام المنهجية الاعتيادية المتعارف عليها في إجراء مثل هذه الدراسات تعرفنا على عدد 29 فقارة، منها 18 فقارة نشطة لازالت تستخدم حتى يومنا هذا، وقيست الأطوال الكلية لهذه الفقارات، وذلك من البئر الأم وحتى مصب الفقارة في الحوض(الجابية)، باستخدام شريط القياس (المتر)، كما قيس في كل فقارة البعد بين كل بئر تنظيف وآخر، وقيس عمق الماء في كل فقارة بالإضافة إلى قياس بُعد البئر الأم عن الواجهة الجبلية، وكذلك حُصِرَتْ آبار التنظيف في كل فقارة. ووضعت هذه الفقارات على خريطة؛ لتبيان مواقعها وتوزيعها الجغرافي (الشكل 7). وتناولت الدراسة –أيضاً– جمع عينات من مياه هذه الفقارات وتحليلها، وحُسِبَتْ سرعة تدفق المياه في جميع الفقارات النشطة، بالإضافة إلى تناول الطريقة التي بموجبها تُوَزَّعُ حصص الماء على ملاك الحقول في الوادي حسب نظام اجتماعي معروف ومتفق عليه من الجميع (الريشي وساسي 2005).



الشكل (7) صورة فضائية تبين منخفض الفقهاء، غالبية الحقول والبساتين الواقعة إلى الشرق والشمال الشرقي من منطقة الفقهاء (التي في منتصف الصورة) تروى بالفقارات.

فقارات واحة زويلة:

يوجد في واحة زويلة فقارتان (تتكون من 30 قناة) تتدفق فيها المياه من الشمال إلى الجنوب، وتستخدم مياه هاتين الفقارتين في ري الحقول والبساتين الواقعة في الأراضي المنخفضة، وتبعد الفقارتان حوالي 2 كيلومتر إلى الجنوب من الاستيطان البشري في الواحة (Wilson and Mattingly، 2003). كما يوجد في الواحة عدد من الآبار العربية القديمة للحصول على المياه، ففي المناطق الشمالية كانت تستخدم الآبار، بينما تستخدم الفقارات في المناطق الجنوبية، ويعتبر وجود الآبار العربية القديمة والفقارات دليلاً على أنّ الجرمنت كانوا يجلبون المياه بهاتين الطريقتين لري حقولهم، ويوجد –أيضاً– فقارات في منخفض المنطقة الشرقية للواحة (Sterry and Mattingly ،2011).

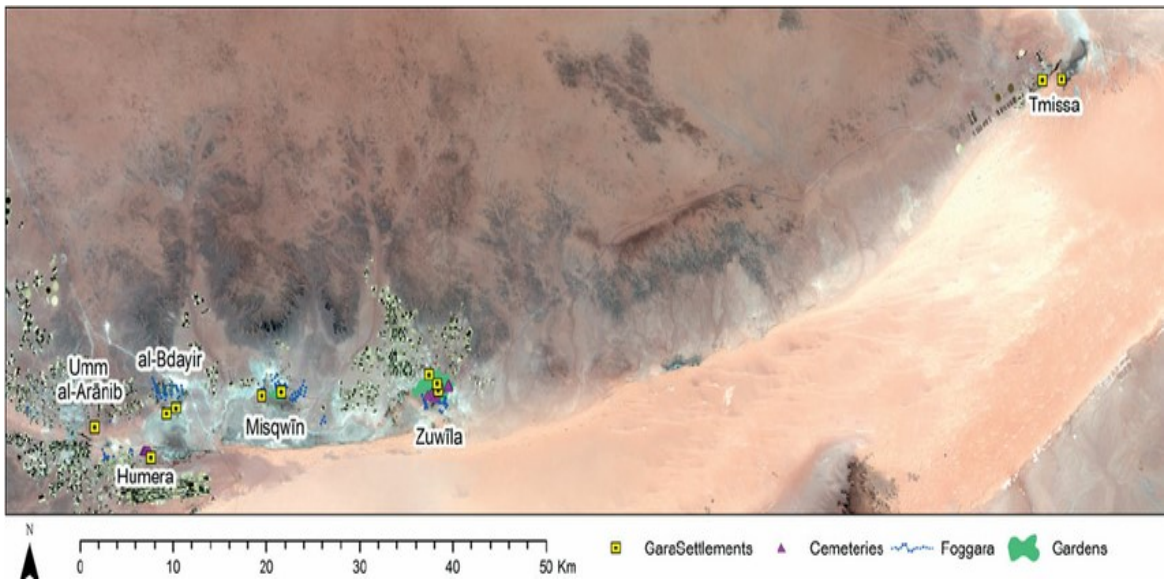
مواقع فقارات واحة زويلة:

– تقع فقارات واحة زويلة بين 26 09 25°شمالا و15 06 40° شرقا (شكل 8). وتتكون هذه المجموعة من 10–15 فقارة، وتمتد حوالي 1. 3 كيلومتر، وتنساب المياه من الشمال إلى الجنوب، وتغذي منخفض يبعد 2 كيلومتر إلى الجنوب الغربي للمنطقة (القرية) بمحاذاة البلايا، والقنوات في الغالب ضيقة مع وجود قليل من التراب والرمل عند فوهة بئر الشافت (بئر التنظيف و التهوية) وهذا دليل على أنها كانت ليست عميقة، وترجع هذه الفقارات إلى الفترة الجرمنتية.

– الفقارة الأخري تقع بين 14″ 09′ 26º شمالا و06″ 08′ 15º شرقا. وتعدّ هذه المجموعة الثانية من فقارات واحة زويلة (شكل 8) ويتراوح عددها من 10–15 فقارة، وتمتد لحوالي 1. 7 كيلومتر، وتنساب مياهها من الشمال إلى الجنوب الشرقي من القرية، والقنوات لهذه الفقارة ضيقة، ولا يوجد الكثير من بقايا التراب والرمل، وهذا يعني أنها ليست عميقة.

– المجموعة الثالثة من فقارات الواحة تقع 48″ 08′ 26° شمالا و48″ 06′ 15° شرقا، وتنساب الفقارات ذات المجموعتين في ناحية البلايا باتجاه حافة الجنوب الشرقي لواحة زويلة، وهذه الفقارة تروي

حوالي 100 هكتار أو أكثر. للأسف الآن لم تعد هذه الحقول –أو حتى حدودها وآثارها– معروفة (Mattingly et al. ، 2015).

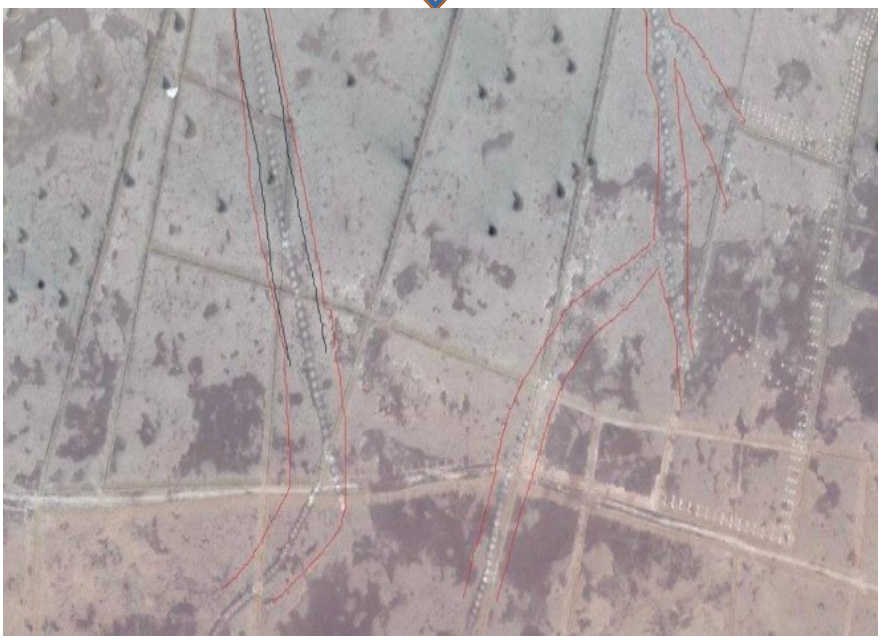


شكل (8) صورة فضائية تبين مواقع الواحات في منخفض الشرقية (Mattingly et al ،2015).

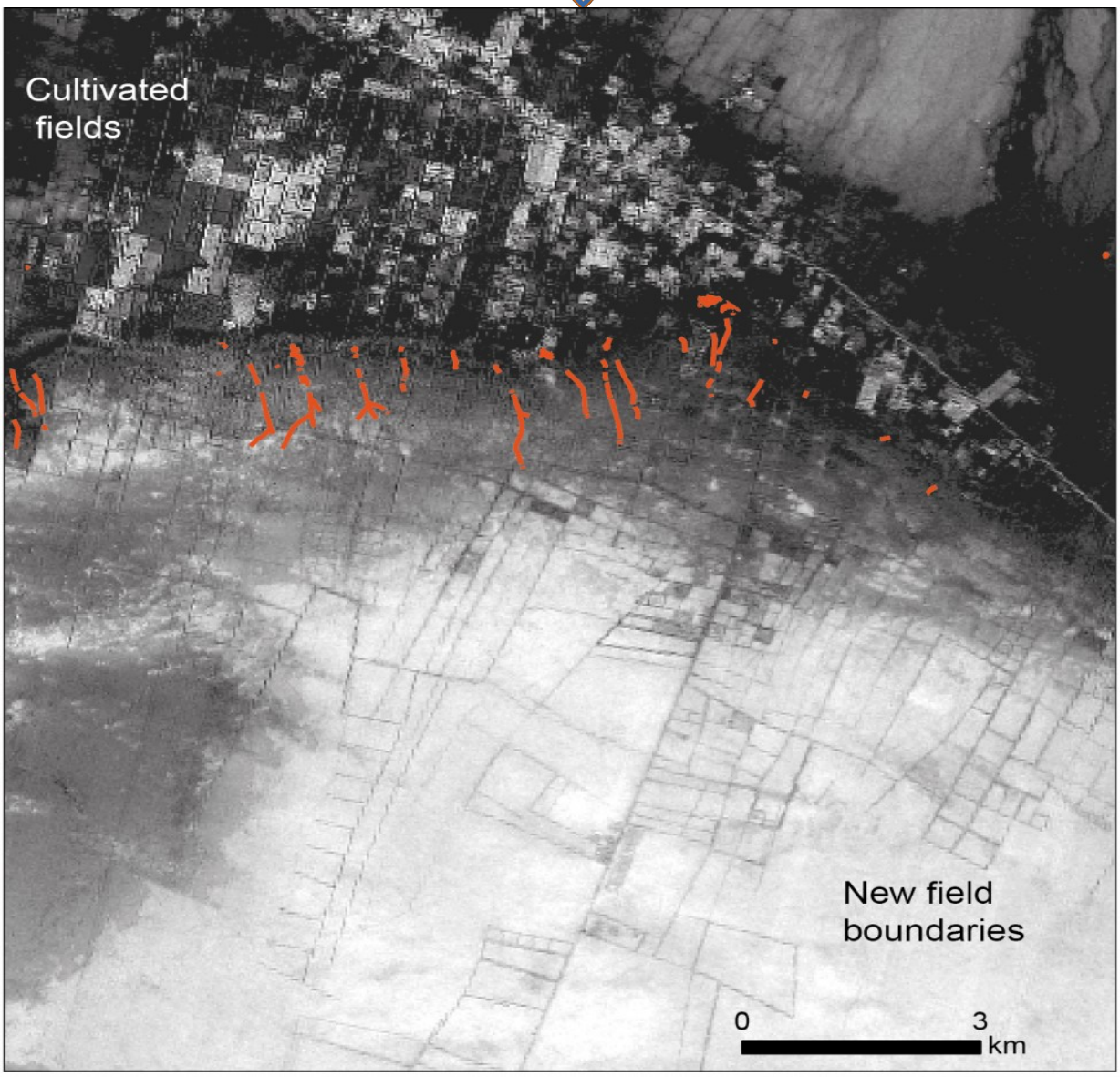
المصدر: (Mattingly et al. ،2015)

فقارات واحة ودان:

وجد في جنوب ودان مواقع لأنظمة الفقارات بلغ عددها 19 فقارة، جميعها مهجورة (شكل 9–10) هذه الفقارات كانت تمد أقدم المستوطنات الزراعية في منطقة الصحراء الوسطى بالمياه، والأمر المؤسف أنّ هذه الفقارات التي تمثل الإرث الحضاري العظيم للصحراء سمة من سمات اللاندسكيب الثقافي باتت مهددة بزحف المزارع الحديثة واقترابها من حدود مواقع نظام هذه الفقارات، ويجب على المسؤولين تحمل مسؤولياتهم كاملة في المحافظة على كل أنظمة الفقارات في الصحراء الليبية باعتبار أن الفقارات إحدى أهم شواهد حضارة جرمة، وأكثر الأدلة على تقدم الزراعة وأنظمتها المائية وسط الصحراء الكبرى Mattingly et al. ، (2015).



شكل (9) نظام فقارات ودان مهددة بزحف الرمال، واقتراب المزارع الحديثة من حدود مواقعها (Google Earth).
لاحظ فتحات آبار التنظيف كيف تبدو من الجو متقاربة، وهي المحصورة بين الخطوط الحمراء.



شكل (10) صور جوية تبين زحف المزارع الحديثة والعمران على الفقارات في جنوب ودان (تشير الخطوط الحمراء إلى الفقارات في واحة ودان). (Landsat Image، NASA Landsat Program، 2014)

المصدر: 2014، NASA Landsat Program، Landsat Image

فقارات واحة زلة:

وصف فيليب وورد (Philip Ward) كما ورد في مقال [Klitzsch and Baird] فقارات واحة زلة، وقد أفاد أن فقارات هذه الواحة نشطة وتتدفق فيها المياه (Klitzsch and Baird، 1969).

مواصفات الفقارات في ليبيا:

في مناطق الجرمنت التاريخية بالقرب من جرمة في ليبيا تمتد الفقارات مئات الكيلومترات في جرمة، وتتصف هذه القنوات بأنها ضيقة جداً، حيث بلغ العرض أقل من 1متر والارتفاع 1. 70مترتقريبا، ولكن قد يمتد بعضها إلى عدة كيلومترات في الطول، ويصل عددها الإجمالي إلى 600 فقارة تمتد لمئات الكيلومترات تحت سطح الأرض، هذه القنوات الأفقية حفرت من قبل عمالٍ مهرةٍ متخصصين، ويقومون على صيانتها بشكل دوري من خلال سلسلة من آبار التنظيف (الشافت Shaft) ذات المسافات البينية المتساوية، وهي وجود بئر شافت (للتنظيف والتهوية) كل 10 أمتار في المتوسط، ويصل مجموع أطوالها الكلي إلى 30، 300 كيلومتر بمتوسط عمق 10 أمتار، ولكن في بعض الأحيان يصل إلى 40 متراً. (Wilson and Mattingly،2003) .

الفقارات والدولة الجرمنتية في فزان:

يرجع أصل الفقارات ونشأتها في فزان –وخاصة في وادي الآجال– إلى الجرمنت، وقد استخدم الجرمنت هذه التقنية مبكرا وحتى العصور الوسطى (القرن السابع– القرن الحادي عشر). وقد بلغ مجموع أطوال الفقارات في منطقة جرمة وحدها 2000 كيلومتر. (Klitzsch and Baird ،1969)، وهناك رأي علمي يقول: إنّ الفقارات قد استقدمت وأدخلت إلى فزان من مصر في منتصف الألفية الأولى، وتعد الفقارات هي المحرك الأساسي الاقتصادي لمجتمع الجرمنت الزراعي في فزان، هذا المجتمع الغني الذي تحكم في طرق التجارة عبر الصحراء، وانتشرت الفقارات من فزان إلى الشمال، حتى وصلت هوامش إمبراطورية الجرمنت في الجنوب التونسي وجنوب جبال الأوراس في الفترة الرومانية (القرن الرابع – الخامس الميلادي).

إنّ انهيار طرق التجارة عبر الصحراء من الشمال إلى الجنوب في الفترة الرومانية يرتبط بسقوط المدن الساحلية في إقليم طرابلس (تريبوليتانيا Tripolitania)، وهذا الانهيار أثر على اقتصاد الدولة الجرمنتية، الأمر الذي أضعف الدولة، وأصبحت غير قادرة على جلب العبيد؛ لحفر الفقارات وشقها وإنشائها وصيانتها، هذا بالإضافة إلى التغيرات المناخية التي أدّت إلى هبوط مستوي المياه الجوفية من ناحية أخرى، كل ذلك أدّى إلى هجر أغلب الفقارات وتركها في بواكير العصور الوسطي، وبالتالي تقلصت المساحات الزراعية، وأصبحت الزراعة بسيطة تعتمد فقط على ما يمكن الحصول عليه من مياه الآبار، وفي نفس هذه الفترة تمكنت واحات غرب الصحراء (خاصة واحة توات وواحة قورارة في الجزائر) من تطوير طريق تجاري جديد من الشمال إلى الجنوب، الأمر الذي أدّى إلى ازدهارها، وتعتبر أنظمة الريّ التقليدية (الفقارات) في هذه الواحات من أفضل الأنظمة التقليدية خارج دولة المنشأ إيران. وتؤرّخ فقارات واحة توات وواحة قورارة بأنّها بدأت الخدمة منذ القرن السابع حتى القرن الحادي عشر، ويوجد هناك تشابه كبير في الإنشاء والتسمية بين فقارات فزان وفقارات غرب وسط الصحراء، وأغلب الظن أنّ فقارات واحة توات وواحة قورارة استقدمن من فزان، وقد انتشرت الفقارات من واحة توات وواحة قورارة في الجزائر إلى مناطق تيدكيلت وتافيليلت والفجيج في المغرب، ولعبت فزان دورا محوريا في انتشار الفقارات عبر الصحراء، ليس فقط في نشر تقنية الفقارات التقليدية خلال طرق التجارة عبر الصحراء، ولكنها طورت هذه الواحات كمراكز تجارية. (Wilson 2009) .

كيفية تغذية الفقارات:

تتغذى الفقارات من مياه الأمطار والسيول التي تتسرب إلى الخزان الجوفي عبر الفتحات والممرات البينية الموجودة بين حبيبات (الفتحات البينية والنفاذية) رواسب المراوح الفيضية غير المتجانسة الحجم، بالإضافة إلى ذلك تتغذى الفقارات من خلال تكثيف الرطوبة في الغلاف الجوي؛ يستند هذا إلى ظاهرة (الهطول الخفي) التي تمثل أهمية أساسية في النظام الإيكولوجي الصحراوي (بسبب هذه الظاهرة فإن الحيوانات مثل الغزلان والسحالي والأفاعي وغيرها تضمن مياه الشرب لبقائها على قيد الحياة في الصحراء) وبسبب المدى الحراري الكبير الذي قد يصل إلى 60 درجة مئوية، فإن الكثير من التكاثف يحدث ليلا، ويمكن أن يشكل احتياطيات كبيرة للمياه، بفضل انخفاض الحرارة ليلا، حيث تتحرر الرطوبة الكامنة في

الرمال، وتعمل الفقارات على تعزيز هذه العملية، إذ إنها تعمل كمضخات لجذب البخار، وبعد شروق الشمس وارتفاع درجة الحرارة تُعْكَس العملية حيث يرتفع الهواء الجاف من خلال آبار التهوية (الشافت Shaft) وتترك وراءها قطرات الماء التي تحتفظ بها التربة في جدران النفق فتُسحب هذه القطرات عن طريق الجاذبية، وتتدفق هذه القطرات إلى النفق (القالري) الرئيس، وقد حُسِبَتْ كمية الماء التي يمكن الحصول عليها من هذه العملية في الصحراء بحوالي 4 سم^3 من مساحة متر مربع في الليلة الواحدة (www. hydroproject. net).

من خلال الانسياب الدقيق (Micro flow) عندما تمطر الأمطار في المناطق الجبلية، التي قد تكون بعيدة عن منطقة الفقارات بآلاف الكيلومترات فإنّ مياه هذه الأمطار سوف تصل إلى مناطق الفقارات وتغذيها، وفي الغالب هذه المياه تأخذ وقتاً طويلاً جدًا؛ لتصل إلى الفقارات لتغطي هذه المساحة (Laureano ،2009) .

اضمحلال الفقارات واندثارها:

أثبتت تقنية الفقارات فعاليتها في المناطق الجافة وشبه الجافة خلال 3000 سنة مضت، وقد ساهمت المشاكل التقنية والتغيرات البيئية والاجتماعية والاقتصادية في الاختفاء التدريجي للفقارات في مناطق جغرافية واسعة؛ مثل: شمال أفريقيا، والشرق الأوسط، فقد ساهمت التقنيات الحديثة (الحفر الآلي والمضخات) في تراجع هذه التقنيات التقليدية، فأهملت هذه التقنية على حساب التقنية الحديثة (الحفر الآلي والمضخات) (El Faiz andRuf ،2010). وقد أوضحت الدراسات أن تقنية الفقارات قد تركت واندثرت في أكثر من 40 دولة، ولازالت تستخدم في 10 دول فقط؛ مثل: إيران، الجزائر، سوريا، المغرب، الصين، أفغانستان، الأردن، اليمن، تونس، وجزئيا وبشكل بسيط جدا في واحة الفقهاء في ليبيا (الريشي و ساسي Remini et al2005. ، 2014). وشهد نصف القرن الأخير موجة كبيرة من التخلي عن الفقارات في منا طق عديدة من العالم؛ وذلك يرجع إلى عدة أسباب، نذكر منها ما يأتي:

– التوسع الكبير في حفر الآبار الحديثة، والاستخدام المفرط للمضخات، الأمر الذي أدّى إلى استنزاف بعض الخزانات الجوفية، وهبوط مستوياتها.

– عدم القدرة على إجراء عمليات التنظيف والصيانة الدورية للفقارات، الأمر الذي عرضها إلى الانهيارات، وبالتالي انخفاض معدلات التدفق (El Faiz and Ruf، 2010).

– ضياع كميات كبيرة من مياه الفقارة؛ وذلك بتسربها إلى جدران الفقارة.

– ارتفاع وتيرة التصحر والجفاف الذي يجتاح العالم.

– إن بعض الفقارات واقعة تحت التهديد والاجتياح؛ نتيجة لازدياد معدلات التحضر والتشييد، والتوسع الزراعي الذي طال مواقع الفقارات.

– مشاكل اجتماعية مثل الميراث (الإرث) وخاصة عند موت مالك الفقارة، بالإضافة إلى الحداثة وهجرة الشباب إلى المدن، وعدم رغبتهم في البقاء في الواحات والمناطق الصحراوية.

الاستنتاج والتوصيات:

تعتبر الفقارات أحد أهم التقنيات التقليدية الأكثر استدامة في تاريخ الهيدروليكية وإنتاج المياه، فهي تعمل منذ ما يزيد عن 3000 سنة، ولازالت الاختراع التقليدي الأمثل لحصاد المياه تحت السطحية في المناطق الجافة وشبه الجافة، وقد كان لها دور حيوي في تكوين الحضارات والواحات والقرى، بالإضافة إلى إرساء دعائم التعاون بين المجتمعات التي تعيش في المناطق الجافة، التي تستخدم مياه الفقارات، وذلك من خلال الإدارة المشتركة الرشيدة للمياه، هذا بالإضافة إلى أنّ الفقارات تعتبر من أكثر النظم التقليدية توافقا وانسجاما مع البيئة الطبيعية، ولكن خلال الخمسين سنة الماضية شهدت الفقارات تراجعا كبيرا، فقد ساهمت المشاكل التقنية الفنية والتغيرات البيئية والاجتماعية والاقتصادية في الاختفاء التدريجي للفقارات في مناطق جغرافية واسعة؛ مثل: شمال أفريقيا، والشرق الأوسط، وساهمت التقنيات الحديثة (الحفر الآلي واستخدام المضخات) في تراجع هذه التقنيات التقليدية، فأهملت هذه التقنية، وبدأ التخلي عنها تدريجيا، ومن ثم اضمحلت واندثرت، وإذا كان من المستحيل حفر فقارات جديدة فإنه من الممكن الحفاظ على ما تبقي من هذا التراث الثقافي العالمي.

يوصي الباحث على المستوي المحلي (ليبيا) بصيانة الفقارات في الصحراء الليبية والمحافظة عليها، بل والعمل على إعداد ملف خاص بها، وتقديمه لليونسكو؛ بهدف إدراج المناطق الواقعة فيها الفقارات ضمن نطاق التراث الإنساني العالمي، كما تلفت انتباه القائمين على التعليم العالي بالاهتمام بهذه التقنية الهيدروليكية بوصفها مورداً وأداةً تعليمية هامة.

وبما أن التخريط بجميع أنواعه يعتبر أداة قيمة للمحافظة على مثل هذه الإنشاءات التقليدية، عليه فإنّ أقل ما يمكن فعله بخصوص المحافظة على هذه التقنية هو تخريط هذه المنشآت وتصويرها جواً، وأخذ مرئيات فضائية مختلفة لها، والعمل على دراستها من جميع جوانبها، ووضع التقارير والخرائط والصور الجوية والمرئيات الفضائية في أرشيف خاص يرجع إليه عند الحاجة.

وأخيرا ينوه الباحث إلى تعزيز هوية الإرث العالمي وتقويتها بصيانة الفقارات.

قائمة المصادر

أولا: المراجع العربية:

1. الريشي، هويدي وساسي، احميد (2005) أنظمة الري القديمة بالفقارات في واحة الفقهاء. الندوة العلمية: " المناطق الصحراوية– التحول وآفاق المستقبل "المنعقدة في جامعة سبها، وتحت رعاية الجمعية الجغرافية الليبية في الفترة من 6–7–2005.

2. عائشة، مرزاية بلامة وعبد القادر، لعبودي (2007) الفقارة: إمكانية المحافظة عليها وتطويرها. مجلة البحث الزراعي. العدد 20

ثانيا: المصادر الأجنبية

1. Hofman ،A. (2007)The traditional management of water qanat in Iran is compatible with the concept of IWRM. Technical Summary ،February ،Engref (Montpellier ، France) ،17 pages.
2. Tood ،D. k. (1980) Groundwater Hydrology ،2nd ed. Wiley. New York
3. Foltz ،R. C. (2002) Iran's water crisis: cultural ،political ،and ethical dimensions. *J. Agric. Environ. Ethics*. 15 ،p. 357-380.

4. Cressey ،G. B. (1958) Qanats ،Karez and Foggaras. *Geographical Review* 48: 27-44
5. Salih ،A. (2006) Qanats a unique groundwater management tool in Arid regions: The case of Bam region in Iran. In: Ragone SE ،Bergkamp GJ ،McKay JM ،editors. The global importance of groundwater in the 21st century: proceedings of the International Symposium on Groundwater Sustainability; 2006 Jan 24–27; Alicante ،Spain. p. 79–87.
6. Goblot ،H. 1979. Les Qanats. Une technique d'acquisition de L'Eau. Paris: Mouton ، 231.
7. Behnia ،A. (1988) Qanat: Construction and Maintenance. Tehran Publication Centre ، Tehran ،Iran.
8. Qanat–Wikipedia.
9. Wikipedia: the free encyclopedia
10. Hussain ،I. ،SirajAburizaiza ،Mohamed ،H. ،Ashfaq ،M. (2008). Révitalizing a traditional dryland water supply system ،The karezes in Afghanistan ،Iran ،Pakistan an the Knigdom of Saudi Arabia ،Water International ،Vol. 33 ،n°3 ،333-349.
11. Water History Website ،http: //www. waterhistory. org
12. English ،P. W. (1968) The origin and spread of qanats in the Old World. Proceedings of the American Philosophical Society ،vol. 112. USA ،pp 170-181.
13. Cressey ،G. B. (1958) Qanats ،Karez and Foggaras. *Geographical Review* 48: 27-44.
14. Saffari ،M. (2005) Iran: land of Qanats International Conference on Qanat ،Kerman ، Iran.
15. Mostafaeipour (2010) Historical background ،productivity and technical issues of qanats. *Water Hist* 2 ،61-80.
16. Fathi ،M. (2015) OSL dating of the MiamQanat (Kariz) system in NE Iran. *Journal of Archaeological Science*. 59: 54-63.
17. Fayard (1996) Polybius ،Histoire de l'empireperse. Paris ،pp. 826-829 ،1065-1068.
18. Taghavi-Jeloudar1 ،M. ،Han ،M. ،Davoudi ،M. ،Kim ،M. (2013)Review of Ancient Wisdom of Qanat ،and Suggestions for Future Water Management. *JournalofEnvironmentalEngineering andScience* (18) 2: 1-7.
19. Goblot ،H. 1979. Les Qanats. Une technique d'acquisition de L'Eau. Paris: Mouton ، 231.
20. SemsarYazdi (2006) Survey of the historical evolution of Qanats in Iran. In Water and Development information for Aridland on A Global Network (G-WADI) meeting in water harvesting. Nov. 20-22 ،Aleppo ،Syria ،43-47.
21. Helweg O. J. (1973) Increasing well yield with hybrid wells. *Ground Water* 11: 12–17.
22. Motiee ،H. ،Mcbean ،E. ،Semsar. A. ،Gharabaghi ،B. andGhomashchi ،V. (2006) Assessment of the Contributions of Traditional Qanats in Sustainable Water ResourcesManagement. *International Journal of Water Resources Development* 22 (4): 575-588.

23. Remini ،B. and Rabah ،K. (2012) The Foggara in the Arab World. *GeographiaTechnica* ،No. 1 ،2012 ،pp. 1 -7
24. **Lightfoot ،D. R.** (2000) The Origin and Diffusion of Qanats in Arabia: Ne Evidence from the Northern and Southern Peninsula. " *The Geographical Journal* ،Volume 166(3) ،2000.
25. Klitzsch ،E. and Baird ،D. (1969) Stratigraphy and Palaeohydrology of the Germa (JARMA) Area Southeast Libya. In William H. Kanes(ed.): Geology ،Archaeology and Prehistory of the southwest Fezzan ،Libya. Petroleum Exploration Society of Libya.
26. Wilson ،A. I. 2012. "Saharan trade: short- ،medium- and long-distance trade networks in the Roman period. " Azania: Archaeological Research in Africa 47: 409–449.
27. Fisher ،W. B. ،Fraser ،I. R. ،and Ross ،D. W. (1953) The Aberdeen university expedition to Cyrenaica ،1951. Part III ،*Scottish Geographical Magazine* ،69: 22-32
28. Lightfoot ،D. R. (1996) Moroccan khettara: traditional irrigation and progressive desiccation. *Geoforum*. Vol. 27. No. 2 p. 261–273.
29. Mattingly ،D. J. (2003) The Archaeology of Fazzan ،vol. I. Synthesis ،London ،Society for Libyan Studies.
30. Wuttmann ،M. (2001) "The Qanats of 'Ayn-Manâwîr ،Kharga Oasis ،Egypt" ،in Jasr 2001 ،p. 1
31. Wilson ،A. J. (2009) Foggara in ancient North Africa or how to marry a Berber Princess. In Controle et distribution de l' eau dans le Maghreb antique et medieval ،19-39 Rome: EcoleFrancaise de Rome.
32. Wilson ،A. I. and Mattingly ،D. J. 2003. "Irrigation technologies: foggaras ،wells and field systems. " In The Archaeology of Fazzān. Volume 1 ،Synthesis ،edited by D. J. Mattingly ،234–278. London: Society for Libyan Studies.
33. Mattingly ،D. J. ،Sterry ،M. J. and Edwards ،D. N. (2015) The origins and development ofZuwīla ،Libyan Sahara: an archaeological and historical overview of an ancient Oasis town and caravan centre. Azania: *Archaeological Research in Africa*. Vol. 50-1 ،27-75.
34. Sterry ،M. and Mattingly ،D. J. (2011) DMPXIII: Reconnaissance Survey of Archaeological Sites in the Murzuq Area. *Libyan Studies* 42: 103-116.
35. Landsat image ،NASA Landsat Program ،2014. 07. 27 Landsat OLI scene LC51730351984211AAA04 ،Orthorectified ،USGS ،Sioux Falls ،2014. 07. 27.
36. Klitzsch ،E. and Baird ،D. (1969) Stratigraphy and Palaeohydrology of the Germa (JARMA) area southeast Libya. In William H. Kanes(ed.): Geology ،Archaeology and Prehistory of the southwest Fezzan ،Libya.
37. Laureano ،P. (2005) Water Atlas ،LaiasLibros ،Barcelona.
38. Source: http: //www. hydriaproject. net/en/cases/morocco/water_works. html

39. Mohamed ،B. and Remini ،B. (2017) Water wells' exploitation and its impact on the drying up of foggaras: The case of the foggara of M'ghaer ،Timimoune ،District of Adrar ،Algeria. *Applied Water Sciences*. Vo. l. issue 1. 349-359.
40. Remini ،B. ،Achour ،B. ،Kechad ،R. (2014) The collecting of groundwater by the qanats: A millennium technique decaying. Larhyss Journal. No. 20 p. 259–277.
41. El Faiz ،M. and Ruf ،T. (2010) An Introduction to the Khettara in Morocco: Two Contrasting Cases. In 151 G. Schneier-Madanes ،M. -F. Courel (eds.): Water and Sustainability in Arid Regions ،DOI 10. 1007/978-90-481-2776-4_10 ،Springer Science Business Media B. V. 2010.

ISSN: 2523 – 1871

الدبلومة العسكرية في العصر الروماني

د. رجاء مصطفى موسى جبريل

عضو هيأة التدريس بقسم الآثار كلية الآداب / جامعة بنغازي

المستخلص:

تهدف هذه الدراسة إلى تعريف الدبلومة؛ التي كانت تمنح للجندي المسرّح من القوات المساعدة في الجيش الروماني، الذي جاء من أدنى طبقات المجتمع، ولم ينل أي دعم قانوني لامتيازاته الشعبية في المجتمع الروماني، لذلك كان من الضروري على الأباطرة الرومان وضع عدد من الامتيازات، في إطار قانوني وشرعي، بشكل يؤمن مستقبلهم؛ حتى يضمن ولاءهم لهم، وفي الوقت نفسه بما لا يتعارض وامتيازات الطبقات العليا، واحتياجات الإمبراطورية. فقد نال جنود الولايات امتيازات عديدة جعلت منهم شخصيات بارزة في أقاليمهم.

الكلمات المفتاحية:

الدبلومة العسكرية – العصر الروماني – الجيش الروماني

المقدمة:

ابتدع الرومان منذ عهد الإمبراطور **كلاوديوس** Claudius (41–54م) نظاما جديدا في تحديد الأوضاع القانونية، وهو نظام منح (الدبلومة العسكرية) للجنود المسرّحين تسريحا مشرفا بعد خدمة خمسة وعشرين عاماً أو أكثر (CIL.III.dip,XX. P863 ,12-13; Keppie. L. (1991), p84; Mark, Hassall., (2008), P337.)، ومن الأسطول البحري بعد خدمة ستة وعشرين عاماً (علي، 1970، ص 117).

تعد هذه الوثيقة المهمة شهادة تثبت أن صاحبها كان قد تخرّج بشرف من القوات المسلحة الرومانية، ومُنِحَ الجنسية الرومانية من الإمبراطور، كمكافأة للخدمة، كما حصل –أيضاً– على قطعة

أرض زراعية أُطلق عليها aerarium militare، ومُنح المال الذي يبدأ به حياته المدنية، ويشتري الأراضي والعقارات، وبهذين السلاحين يسرّح الجندي من الخدمة العسكرية• (الأبياري، 1993، ص68.).

تخبرنا الوثائق البردية عن عدد من الجنود الذين يمتلكون إقطاعات زراعية، وجنود ذوي ثروات هائلة كانوا يدفعون المال من أجل شراء قطع أراضٍ، ففي أحد البرديات• (B. G. U. II، .455) نجد *نسخة من عقد بيع موجه إلى كومونيس. لوسيوس لونجبينوس فابولس* من:

Μάρκου Λουκρητίου Πούδεντος ***ماركوس لوكريتيوس بودنس*** *...."*

جندي الفرقة الثانية والعشرين، قام بدفع مبلغ من المال المتفق عليه، وقدره ألف ومائتان دراخمة على أرض لزراعة الكروم"

وبردية أخرى• (B. G. U,I.156.) توضح أن الجنود كانوا يمتلكون المال لشراء الأراضي ودفع الضرائب:

• كانت هناك ثلاثة أنواع من التسريح في الجيش: أولها وأهمها التسريح المشرف Missio honesta والنوع الثاني التسريح الطبي Missio causaria، والنوع الأخير هو التسريح المخزي Missio ignominiosa ويعطى هذا الأخير نتيجة الفصل من الجيش بسبب خيانة أو عصيان أو لأي سبب يخل بشرف المهنة. أنظر: حسن أحمد الأبياري، المرجع نفسه، ص 68 هامش (6).

• " Κόμωνι νεοκόρῳ τοῦ μεγάλου Σαραπίδος ἱερεῖ ἀρχιδικ(αστῇ)καὶ πρὸς τῇ ἐπιμελείᾳ τῶν χρηματιστῶν καὶ τῶν ἄλλων —κριτηρίων π[α]ρὰ Μάρκου Λ[ο]υκρητίου Πούδεντος στρατιώτου λε- γιῶνος δευτέρας καὶ ἰκοστῆς(*) κεντυρίας Κοκκηίου Πούδεντος. τοῦ προειμένου μοι(*) χειρογράφου ἀντί- γραφον ὑπόκειται. Λούκιος Λογγῖνος Φαβοῦλλος στρατιώτης κλάσσης Ἀλεξανδρείνης λιβερνοῦ Σώλου Μάρκῳ Λουκρη- τίῳ Πούδεντι στρατιώτῃ λεγιῶνος δευτέρας καὶ ἰ[κο]στῆς(*) κεντου[ρ]ίας Πομπηίου Πούδεντος χαί- ρ[ει]ν. ὁμολογῶ πεπρακένα[ι] σοι τὴν ὑπάρχουσάν μοι μητρικὴν χορτοθήκην οὖσαν περὶ κώμη(ν) Ν[έ]στου ἐποικίου τῆς Ἡρακλείδου μερίδος [το]ῦ Ἀρσινοείτου νομοῦ ،ἧς γείτονες [ν]ότου ἄβρο- χος ،βορρᾶ Ἀρσινόης Φε[ι]βῶτος κ[αὶ] ἐπί τι — δημοσία ὁδός ،λιβὶ κῆπος .[. . . . .]ιος ،[ἀπηλιώτῃ] δημοσία ὁδὸς καὶ ἐπ[ί τ]ι. [.. . τιμῆς ἀργυρ]…. ".

• Γάϊ(*)ος Ἰ(*)ούλιος Διογένης στρατιώτης λεγιῶνος β Τραιανῆς Ἰ(*)σχυ[ρᾶ]ς ἑκατον"
ταρχείας(*) Κορνηλίου Πρείσκου Αὐρηλίοις Διονυσίῳ καὶ Μαξιμείνῳ τραπεζ[ί]ταις
χαίρειν. χρηματίσατε Σατουρνείνῳ Καισάρων οἰκονόμῳ ἐπακολουθ[ο]ῦν[το]ς Αὐρη−
λίου Φήλικος το[ῦ] κρατίστου ἐπιτρόπου τειμὴν(*) ὧν ἐκυρώθην ἐν νομῷ Ἀρσιν[οείτῃ[
περὶ κώμην Ἡφαιστιάδα τῆς Ἡρακλίδου μερίδος ἀρού[ρης μ]ιᾶς [ἥ]μισυ ἀμπελίτ(ιδος) γῆς
πρότερον [Τιβ]ερίου Γεμέλλου ،[νῦν] δὲ τοῦ ἰ(*)ερωτά[του ταμιείου]. . . . .]. . . [. . προ−[
κηρύξεως [τ]ο[ῦ] αὐτοῦ [ἐ]πιτρόπ[ο]υ τῷ ἐνεστῶτ[ι θ ἔτει] ἀργυρίου δραχ[μῶν[
χειλίων(*) διακοσίων κ[α]ὶ ὑ[π]ὲρ ἑκατοστῶ[ν] τ[εσ]σάρω[ν ὀκτὼ καὶ τ]εσσαράκ[οντα [
καὶ ὑπ[ὲρ] βεβαιωτικ[οῦ] δραχμὰς διακοσίας πεντήκοντα ،γ(ίνονται) (δραχμαὶ) Αυρη.

" إن جايوس يوليوس ديوجينيس Γάϊος Ἰούλιος Διογένης ***جندي من فرقة تراجانوس الثانية، اشترى قطعة من الأرض. . . . وسدد هذا الجندي عن طريق البنك الثمن مضافا إليه الضرائب، وكان المبلغ*** 1496 ***دراخمة*** δραχμαὶ ".

ومن خلال استقراء الوثائق السابقة، نرى أنَّ هؤلاء الجنود صار وضعهم مميزاً؛ بسبب ثرواتهم، وشرائهم للأراضي الزراعية. ولهذا السبب ربما كان اشتراك الجندي في الجيش من أجل تحسين وضعه المعيشي، وهذا ما يؤكده ديون كاسيوس• (Dio cass., LII,27,4) في وصيته ***". . كل من هو في عمر الخدمة العسكرية، وليس لديه أي شيء للعمل اليدوي ولا في المعسكرات. . . . . والذين في أشد الحاجة إلى لقمة العيش، يجب أن يكونوا مدرجين في التدريبات العسكرية ".***

الدبلومة العسكرية:

هي وثيقة قانونية INSTRUMENTA، ونسخة مصدقة من المرسوم الأصلي CONSTITUTIONES، الصادر عن الإمبراطور في روما(Hassall., 2008 , P 336) ، مسجل عليها تاريخ إصدار الشهادة، وامتيازات منح الجنود المسرحين – غير الرومان – حق الجنسية الرومانية Civitas Romana لهم ولأبنائهم وذرياتهم، دون أن يعني ذلك المولودين قبل نهاية الخدمة العسكرية، أو الذين جاءوا وقت المنح(Compbell, 1984k pp 439-440)، فقد منح هذا الحق لأبنائهم اللاحقين فقط منذ حوالي عام 144م(Hassall., 2008 , 337P)، وأما إذا كانت الزوجة غير حاصلة على المواطنة فإنها ستمنح حق الزواج الشرعي (ius conubii) (Hassall.، 2008، P331) وفي الوقت ذاته أطفالها

ἔτους) θ Αὐτοκρατόρων Καισάρων Λουκίου Σεπτιμίου Σευήρου Εὐ[σεβ]οῦς Περτίνακος [Ἀραβικοῦ(*)[Ἀδιαβηνικοῦ Παρθικοῦ Μεγίστου καὶ Μάκρου(*) Αὐρηλίου Ἀντω[νεί]νου Εὐσεβοῦς [Σεβαστῶν(*)[Ἐπ(εί)φ"

•" ἀπ᾽ αὐτῶν ἐμφύλιοι ἀεὶ γενήσονται. καὶ μέντοι κἂν κωλύσαντές σφασταῦτα ποιεῖν ἔπειτα συμμαχίας τινὸς παρ᾽ αὐτῶν δεηθῶμεν ، κινδυνεύσομεν 1ἀπείροις τε καὶ ἀγυμνάστοις στρατιώταις ἀεὶ χρώμενοι. διὰ μὲν δὴ ταῦταγνώμην ποιοῦμαι τοὺς μὲν ἄλλους πάντας ἄνευ τε ὅπλων καὶ ἄνευ τειχῶν ζῆν ، τοὺς δὲ ἐρρωμενεστάτους καὶ βίου μάλιστα δεομένους καταλέγεσθαί τε καὶἀσκεῖν. "

سيصبحون شرعيين، وتمنح المواطنة حتى وإن كان متزوجا بامرأة غير رومانية. أما إن كانوا غير متزوجين، وقد يتزوجون فيما بعد، فعندئذ تمنح المواطنة لامرأة واحدة.

كانت هيأة الدبلومة الخارجية تتألف من لوحين مستطيلين من معدن البرونز Tabulae aeneae (Hassall., 2008 , P 336) قياسها (10× 12 إلى 21× 16 سم) مع نص على كلا الجانبين، متحدين معا بواسطة سلك برونزي مضفور، يمر بين ثقبين أو أكثر بحافتي اللوحين، وثقبين آخرين في الوسط، ومختومة من قبل الشهود. وكانت الأختام مغطاة بثلاث شرائط برونزية لحمايتها من التآكل، كما كانت الشهادة تحرر من صورتين إحداهما على الوجه الداخليScriptura interior، والأخرى على الوجه الخارجيScriptura exterior ثم يطوى اللوحان((ILS., I, 1986, . . Keppie., 1991, p84) الجانبان الداخليان من Tabulae تعكس النص الخارجي، والنسخة الفعلية للدستور في روما هي (النص الداخلي) –المحمي والمختوم – في حين أن النص الخارجي للاستخدام اليومي(أنظر الشكل 1).



(الشكل 1 القرص الداخلي للدبلومة)

وعلى أحد الوجهين الخارجيين نرى االجانب الخارجي منها يسمى Tabula 1 يحمل نسخة من النص الكامل. الجانب الخارجي من Tabula 2 (يميناً) يسرد الشهود السبعة، ويحمل الأختام، ويوقع كل منهم أمام ختمه (أنظر الشكل 2).



(الشكل 2 القرص الخارجي – أسماء الشهود)

لماذا ينسخ النقش مرتين من الداخل والخارج؟؟

كان القصد من ذلك حفظ النص الداخلي سليما، وأيضاً للرجوع إليه في حال الطعن، واشتباه في الغش والتزوير•، فيمكن لمسؤولي المقاطعة أو الولاية كسر الأقفال، ومقارنة النص الخارجي بالداخلي، ومقارنة أي تلاعب تناولته يد التحريف من دون الحاجة إلى الانتظار للتأكد من روما البعيدة (Keppie., 1991, p84).

• وقد وصف لنا المؤرخ Suetonius مثل هذه في كتابه DE VITIS CAESARUM، الفقرة 12،

"Inter pyrricharum argumenta taurus Pasiphaam ligneo iuvencae simulacro abditam iniit ،ut multi spectantium crediderunt; Icarus primo statim conatu iuxta cubiculum eius decidit ipsumque cruore respersit. Nam perraro praesidere ،ceterum accubans ،parvis primum foraminibus ،deinde toto podio adaperto spectare consueverat. . "

ISSN: 2523 – 1871

وقد اختلف سمك الدبلومات ووزنها وحجمها اختلافا كبيرا من فترة لأخرى، فالقطع المبكرة عادة ما تكون أكثر سمكا، وأثقل وزنا، كما أنها كُتبت بعناية أكثر، ولكن في الفترات المتأخرة يبدو أن نوعية الدبلومة تدهورت، حيث بدأت تؤخذ من لوحات برونزية مستعملة مسبقا، يتم الكتابة عليها، وإن كان النص الأول لا يزال أثره قائماً(Roman Military Diploma On-Line).

هناك العديد من الخطوات القانونية التي تسبق منح أي دبلومة، وهي كالآتي:

- يكتب قائد الوحدة المساعدة جميع الجنود المسرحين، الذين يستحقون الجنسية، وترسل القائمة إلى حاكم المقاطعة.
- تقوم إدارة الحاكم الشرعي بتجميع كل هذه الطلبات لتلك المقاطعة، وترسل الأسماء سنويا إلى روما (الابياري، 1993، ص 68).
- تقوم الإدارة في روما بإصدار مرسوم إمبراطوري يتضمن أسماء هؤلاء المسرحين، مقرونة بمعلومات وبيانات عن الوحدة التي خدم فيها كل جندي، وكل من أكمل مدة خدمته وسرح تسريحاً مشرفاً.
- يوافق الإمبراطور شخصيا على منح الحقوق؛ كحق المواطنة، والزواج الشرعي للجندي.
- يُكتَبُ المرسوم على لوحة كبيرة من البرونز، وتعلق في البداية داخل معبد الكابيتول بروما (ILS, I, 1988-1993, 1996,1997)، ومنذ عهد دوميتيانوس Domitianus (81–96م) صارت تعلق خلف معبد أغسطس، بالقرب من تمثال مينيرفا (CIL.III. dip XXII, p865).
- تقوم الحكومة الرومانية بإرسال نسخة من المرسوم إلى حكام الولايات، وكان الحاكم العام يقوم بإشهار نسخة المرسوم الإمبراطوري في مكان عام، وعندها يصدر الأمر بإعداد الدبلومات العسكرية الفردية التي تسلم إلى كل جندي مسرّح.
- بمجرد أن يقوم الحاكم بإشهار نسخة المرسوم الإمبراطوري المسجلة على اللوح، كان المسرحون يتوافدون؛ للحصول على مستخرج من المرسوم، يتضمن ما يخصه شخصيا من ذلك المرسوم، ويعهد إلى أحد الكتبة إعداد هذا المستخرج، وتُفحص النسخ؛ للتأكد من توقيع الشهود السبعة عليه، وعلى صحة ما ورد فيه.

- ثم تُرسَلُ إلى المحافظ، ومنه إلى قائد الوحدة، الذي بدوره يسلمها إلى المسرّحين من الجيش.
- كان مستخرج الجندي يتضمن ما يخصه، من تحديد هويته، وتاريخ المستخرج(CIL.III. dip ,IX, p 852., 4-16 ,XXI,p864).

محتوى نسخ المراسيم الإمبراطورية

إن محتوى نسخ المراسيم الإمبراطورية متشابهة إلى حد كبير في كل أنحاء الإمبراطورية، وهي تشمل:

- **المقدمة:**

كانت المقدمة التي بدأت بها كتابة الدبلومة العسكرية تذكر اسم الإمبراطور الذي منح هذه الشهادة وألقابه. وقد ورد هذا الجزء في الوثيقة (CIL.III .dip XX, .P863) المؤرخة بتاريخ الرابع عشر من شهر أغسطس على النحو الآتي:

"IMP CAESAR. DIVI NERVAE F NERVA TRAIANVS AV

CVSTVS GERMANICVS PONTIFEX MAXIMVS TRIBV

NIC POTESTAT III COS II P. P "

ترجمتها:

"الإمبراطور قيصر نيرفا تريانوس أغسطس، فاتح جيرمانيا، حفيد نيرفا المؤله، الكاهن الأعظم، سلطة التريبيون للمرة الثالثة، القنصل للمرة الثانية، أبو الوطن".

وورد في وثيقة ثانية (CIL. III. dip XLIV. P886) (فُقد جزء من كلماتها، والحروف غير متجانسة، وبمقارنة الدبلومات المتوفرة تمكنت من قراءة سطورها.). وهي على النحو الآتي:

". . . AN F DIVI TRAIAN

...RVAE PRON T AELIVS

. . . ONINVS AVG PIVS POT

. . . IMP II COS IIII P P"

ISSN: 2523 – 1871

ترجمتها:

" الإمبراطور قيصر تيتوس أيليوس هادريانوس أنتونينوس أغسطس بيوس، ابن هادريانوس و المؤله، حفيد ترايانوس المؤله، فاتح بارثيا، الحفيد الأكبر لنيرفا المؤله، الكاهن الأعظم، سلطة التريبون للمرة... الأمبريوم للمرة الثانية، القنصل للمرة الرابعة، أبو الوطن".

منحة المرسوم الإمبراطوري:

إن منحة الدبلومة للجنود، يمكن أن تفسر على أنها نوع من التبجيل والتقدير للجنود المسرحين، وكذلك لأطفالهم، وذريتهم، وزوجاتهم، حيث تبدأ هذه الفقرة بذكر الفرق، والكتائب التي عمل بها الجندي المسرح(Compbell, 1984. P287).

تذكر إحدى الوثائق (CIL.III. dip XXII, p865) المنح التي منحها الإمبراطور:

" نيرفا تريانوس " للجنود الذين خدموا في فيالق الخيالة الثلاثة (alae) والكتائب السبعة (cohorts) بعد أن تموا خمسة وعشرين عاما في الخدمة، وسرحوا تسريحا مشرفا..."

وهم على النحو الآتي:

- **الفيلق الأول** " كلاوديا الغاليين " الأول. CLAVDIA GALLORVM
- **الفيلق الثاني** " فسباسيانا الداردانيين" الأول. VESPASIANA DARDANORVM
- **الفيلق الثالث** " فلافيا الغاليين ". GALLORVM FLAVIANA

أما الكتائب فهي على التوالي:

- **الكتيبة الأولى** " فلافيا الكوماجينيين" الأولى. FLAVIA COMMAGENORVM
- **الكتيبة الثانية** "قوريني اللوزيتانيين " الأولى. LVSITANORVM CYRENAICA
- **الكتيبة الثالثة** "اللوكينزيين " الثانية. II LVCENSIVM
- **الكتيبة الرابعة** " فيلافيا البيسين " الثانية " II FLAVIA BISSORVM

والذين في مويسيا الصغرى" تحت قيادة " أولوس كايكيليوس فاوستينيوس " Aulus Caecilius Faustinus

"EQVITIBVS. ET. PEDITI BVS. QVI. MILITANT. IN ALIS TRIBVS ET COHORTIBVS SEPTEM. QVAE. APPELLANTVR. I. CLAVDIA GALLORVM. ET. I. VESPA SIANA DARDANORVM ET GALLORVM

. FLAVIA NA ET I FLAVIA COMMAGENORVM XX I LVSI TANORVM CYRENAICA ET II LVCENSIVM ET II FLAVIA BISSORV M ET SVNTIN

MOESIA IN FERIORE SVB A CAECILIO FAVSTINO QVI QVINA ET VICENA PLVRAVE STIPENDIA MERVERVNT ITEM DIMISSIS HONESTA MISSIONE QVO RVM NOMINA SVBSCRIPTA. SVNT IPSIS LIBERIS POSTERISQVE EORVM CIVITA. "

ترجمته:

"الذين خدموا مدة خمسة وعشرين عاما أو أكثر، والذين أدوا بشرف حين أُرسلوا بعيدا، والبحارة الذين كتبت أسماؤهم أدناه. منحوا حق المواطنة لأنفسهم، ولأطفالهم، والأجيال القادمة (أحفادهم)، الذين قد يتزوجون (زواجا رومانيا شرعيا) في ذلك الوقت، تمنح المواطنة لزوجاتهم، أما إذا كانوا غير متزوجين، قد يتزوجون فيما بعد، عندئذ تمنح لامرأة واحدة للرجل الواحد...

أثناء قنصلية " جايوس يولوس باسوس Caius Iulius Bassus ***وجنايوس أفرانيوس ديكستروس*** Cnaeus Abranius Dextrus ***يمنح راوريكوس*** Rauricus ***الشاب ابن امبيرنوس*** Ambirenus ***من المشاة بكتيبة الغاليين الثالثة بقيادة " بوبليوس فاليريوس سابينوس*** Publius Valerius Sabinus***."***

(XXII. P865 ،CIL. dip)

وورد في وثيقة أخرى (CIL. Dip XXI, p864) –أيضا– المنح التي منحها الإمبراطور" قيصر نيرفا تريانوس أغسطس. . " من أجل رجال الخيالة والمشاة، الذين خدموا في فيالق الخيالة (alae) الأربعة، والكتائب الإحدى عشرة وهم على النحو الآتي:

الفيلق الأول "ثيراكوم الأول" I THRACVM

- **الفيلق الثاني** "تامبيانا بانوني الأول" I PANNONIORVM
- **الفيلق الثالث** "سيبوزيانا غالي "GALLORVM ET SEB
- **الفيلق الرابع** "فيتونوم إسباني HISPANORVM VETTONVM

أمَّا الكتائب فقد كانت على النحو الآتي:

- **الكتيبة الأولى** "إسبانيين الأولى "I HISPANORVM
- **الكتيبة الثانية** " فانجيون الأولى " VAI CIONVM MILLIARIA
- **الكتيبة الثالثة** "ألبانيين الأولى "I ALPINORVM
- **الكتيبة الرابعة** " مورينيين " الأولى I MORINORVM
- **الكتيبة الخامسة** "كوجيرنيين الأولى I CVGERNORVM
- **الكتيبة السادسة** " بايتاسيين الأولى "I BAETASIORVM
- **الكتيبة السابعة:** تونجريين الأولى I TVNGRORVM
- **الكتيبة الثامنة** ثيراكوم الثانية II THRACVM
- **الكتيبة التاسعة** " براكاراجوستنيين الثالثة III BRACARAV AVGSTANORVM
- **الكتيبة العاشرة** " لينجونيين الثالثة " III LINGONVM
- **الكتيبة الحادية عشرة**" دالماتيين الرابعة " IIII DELMATARVM

تحت قيادة **لوكيوس نيراتيوس ماركيللوس** Lucius Neratius Marcellus.

تتطرق هذه الوثيقة –أيضا– لمنحة المواطنة الرومانية للجندي، ولأبنائه وزوجته وأهلية هذا الزواج. ومنح حقوق المواطنة للزوجة، التي كانت في عصمة كل منهم، ووقت منح المواطنة لهم، الذين قد يتزوجون فيما بعد، بشرط الزواج بامرأة واحدة.

كما هو مذكور في هذه الوثيقة(CIL. dip، XXI، P864):

...QVI QVINA CENA PLVRVESTIP ENDIA MERVERVNT. QVORVM "
OMINA SVSCRIPTA SVNT IPSIS LBERIS POSTERISQVE EORVM CIVITA TEM
DEDIT ET CONVBIVM CVM VXORIVS QVAS TVNC HABVISSENT CVM EST
CIVITAS IIS DATA AVT SI QVI CAELIBES ESST CVM IIS QVAS POSTEA
VXISSENT DVMTAXAT SINGVLI SINGVLAS..."

ترجمته:

"الذين خدموا لمدة خمسة وعشرين عاماً أو أكثر، والذين أدوا بشرف حين أرسلوا بعيدا، وكتبت أسماؤهم أدناه. منح المواطنة لأنفسهم ولأطفالهم، وأحفادهم.

الذين قد يتزوجون (زواجا رومانيا شرعيا) في ذلك الوقت، تمنح المواطنة لزوجاتهم، أما إذا كانوا غير متزوجين، قد يتزوجون فيما بعد، عندئذ تمنح لامرأة واحدة للرجل الواحد".

أثناء قنصلية " **مانيوس لابيريوس ماكسيموس** " Manius Laberius Maximus" للمرة الثانية، **وكوينتوس جليتيوس أتيليو أجريكولا** " Quitus glitius Atilius Agricola" للمرة الثانية: يمنح **ريبوروس** Reburrus من إسبانيا Hispania ابن **سيفيروس** Severus ضابط الفيلق **تامبيانا بانوني** " الأول بقيادة " **جايوس فاليريوس كيلسوس** " Gaius Valerius Celsus".

والجدير بالذكر أن الجندي المسرح كان عليه الخضوع مباشرة للقانون العسكري الروماني، الذي كان يحرم عليه الزواج أثناء فترة خدمته في الجيش، مما ترتب عليه عدم شرعية ما ينتج عنه من أطفال قبل نهاية الخدمة، وبالتالي فإن أطفاله يفقدون حقهم الشرعي في الميراث. كذلك إذا كانت زوجة الجندي مواطنة بالفعل، فإن أطفالهم سيكونون مواطنين، أما إذا كانت غير حاصلة على المواطنة، فإنها ستمنح حق شرعية الزواج، وبعدها يصبح أطفالها شرعيين(Compbell, 1984., P439-440 ,., Hassall, 2008 .(, P331,337.

ولما كان هؤلاء الجنود يمنحون المواطنة الرومانية بعد تسريحهم فإنهم كانوا يشكلون مع باقي الكتائب طبقة المواطنين الرومان، وهي الطبقة الأرقى اجتماعيا، واقتصاديا، خاصة وأن هؤلاء الجند كانوا يحصلون في نهاية خدمتهم على إقطاعات أراضٍ بالإضافة إلى مكافآت مالية، جعلت منهم طبقة رفيعة المستوى، وشخصيات بارزة في أقاليمهم (كما أسلفنا أعلاه).

ثالثا: الخاتمة:

تخص هذه الفقرة من المرسوم الإمبراطوري، اسم المكان الذي حفظ فيه المرسوم الأصلي وعُلِّق، ففي عهد الإمبراطور **دوميتيانوس** كان يعلق في معبد **جوبيتر** (فوق تل الكابيتول)، ثم صار بعد ذلك يعلق خلف معبد **أغسطس** فوق تل البلاتين (.ILS,I,P389).

تذكر إحدى الوثائق (CIL. III. dip XLIV. P886) "المؤرخة بالسابع والعشرين من شهر سبتمبر " أن اللوح البرونزي قد ثبت خلف معبد **أغسطس** (.CIL.dip, XXII .P865., XX, .P863., XXI , P864).

"DESCRIPT ET RECOGNIT. EX. TABVL AER QVAE FIXA EST ROMAE IN MVR POST. TEMPL DIVI AVG AD MINERVAM"

ترجمتها:

" نقلت على اللوح البرونزي، وثبتت بروما على حائط خلف معبد أغسطس المؤله بالقرب من تمثال منيرفا"

الوثيقة الثانية (CIL.III. dip ,IX, p 852) وترجع إلى "واحد وعشرين من شهر مايو أربعة وسبعون "، إن اللوح البرونزي المعلق في روما، داخل مبنى الكابتول.

"DESCRIPTUM ET RECOGNITVM. EX. TABVLA AENEA QVAE FIXA EST ROMAE IN CAPITOLIO. INTRO. EVNTIBVS AD SINISTRAM IN MVRO. INTER. DVOS ARCVS. "

ترجمتها:

" نقلت، وقوبلت على اللوح البرونزي المعلق في روما، داخل مبنى الكابتول على الجانب الأيسر في الحائط بين القوسين "

وللتأكيد على صحة ما ورد في البيانات، كان لزاماً أن يثبت التصديق على الدبلومة، من قبل سبعة شهود، على الجانب الخارجي من Tabula 2 فقد وردت أسماء الشهود في إحدى الوثائق (CIL.III. dip ,IX, p 852)، وكانت على النحو الآتي:

1- لوكيوس كايكيليوس لوكيوس من قبيلة جوفيانوس القورينائية

L. CAECILI. L. F QVIR. IOVINI

2- لوكيوس كانّوتوس لوكوليوس من قبيلة تودر الكلوستومية

L. CANNVTI LVCVLLI. CLV. TVDER

3 -لوكيوس يوليوس جايوس سيلفينوس من قرطاجنـة

L. IVLI. C. F. SILVINI CARTHAG

4- سيكستوس يوليوس جايوس من قبيلة ايثاليكوس الرومانية

SEX. IVLI. C. F FAB. ITALIC. ROM

5-بوبليوس اتينيوس روفوس من قبيلة البلاتينيـة

P. ATINI RVFI. PAL

6-جايوس سيمبرونيوس الثانـي

C. SEMPRONI SECVNDI

7-ماركوس سالفيوس نوربانوس من قبيلة فابيـا

M. SALYI NORBANI. FAB

وفي وثيقة أخرى (CIL.. dip ,XXI, p 864) وردت أسماء الشهود دون ذكر أسماء القبائل التي ينتمون إليها كالآتي:

- كوينتوس بومبيوس هوميروس C. POMPEI HOMERI
- جايوس بابيوس أيوسيبيس C. EVSEBBTIS
- تيتوس فلافيوس الثاني T. FLAVI SECVNDI
- بوبليوس كاوليوس فيتاليس P. CAVLI VITALS
- جايوس فيتينوس موديستوس C. VETTIENI MODESTI
- بوبليوس اتينيوس هيدونيكو P. ATNI. HEDONICI

- تيبيريوس كلاوديوس ميناندر TI. CLAVDI MENANDRI

ومما سبق نستخلص الآتي:

- أهم ما يميز الدبلومات أنها كانت مصنوعة من معدن البرونز، وهو سبب بقائها أفضل من كونها من مواد قابلة للتحلل؛ مثل: البردي أو الخشب.
- بما أن الدبلومة مؤرخة، تعطي اليوم، والشهر، وأسماء الأباطرة، و القناصل الحاليين. فهي تعد مصدرا مهماً لأسماء القناصل، والأباطرة، وألقابهم.
- نستطيع من خلال الدبلومة معرفة الوحدات المساعدة التي خدمت في مقاطعة ما، أو في بلد ما.
- من خلال دراستنا تبين أن أول ما كان يهتم به الجندي المسرح هو توثيق أوراقه قانونياً.
- عند تسريح الجندى يحصل على ميزتين، هما: الوثائق التى تعطيه امتيازات عديدة، والمال الذي يبدأ به حياته.
- يحصل الجندي المسرح من القوات المساعدة على (المواطنة الرومانية) بعد نهاية خدمته، أما الجندي الروماني أصلاً، فلا يحصل على هذا الحق، لأنه ولد في أراضٍ رومانية أو من أبوين رومانيين.
- إن حق المواطنة هذا يعطيه مميزات كثيرة، منها عدم دفع الضرائب كلها أو بعضها، كما يعطيه الحق في أن يحاكم أمام محكمة رومانية، وليس أمام محاكم في البلاد التي يسكنون فيها.
- ونلاحظ –أيضا– على الدبلومة أنها كتبت بالتاريخ الروماني القنصلي، وكذلك كتب اسم الجندي المسرح مكون من العناصر الثلاثة للاسم الروماني: (PRAENOMEN NOMEN COGNOMEN)
- فتح الإمبراطور **سبتيموس سيفيروس** (193–211م) باب التطوع للتجنيد أمام جميع سكان الولايات، وكذلك عمل على زيادة رواتبهم، ومكافآتهم، والأهم من هذا كله أنَّه رفع الحظر المفروض على زواج الجنود خلال خدمتم العسكرية عام 197م، وعمل على الاعتراف بشرعية الأبناء الذين يولدون من هذا الزواج.

- أصدر الإمبراطور **كاراكالا** Caracalla (211–218م) في عام 212م الدستور الإنطونيني Constitutio Antoniniana الذي منح الجنسية الرومانية civitas romana لجميع سكان الإمبراطورية.

قائمة المصادر

أولا: المصادر الكلاسيكية والنقوش والبردي

1. Dio cassius ،Roman History ،L. C. L.
2. Suetonius. DE VITIS CAESARUM ،L. C. L.
3. Corpus Inscriptionum Latinarum CI L
4. Inscriptiones Latinae Selectae. ILS
5. Aegyptische Urkunden aus de Koniglichen (later Staatlichen)Museen zu Berlin ، Griechische Urkunden Berlin ،vol. III ،(1904). B. G. U.

ثانيا: المصادر العربية والأجنبية:

1. حسن أحمد حسن الابياري، (1993): المواطنون الرومان المقيمون في مصر منذ الفتح الروماني حتى صدور مرسوم انطونينوس في عام 212م، رسالة دكتوراه، غير منشورة، جامعة عين شمس، القاهرة.
2. عبداللطيف احمد علي، (1970)، مصادر التاريخ الروماني، بيروت، دار النهضة العربية.
3. Compbell ،J. B. ،(1984): The Emperor and the Roman Army31BC-235AD ،Oxford.
4. Keppie L. ،(1991): Roman Inscriptions ،The Johns Hopkins University Press Baltimore ،United States of America.
5. Mark ،Hassall. ،(2008)The Army ،C H A ،vol. XI ،Cambridge University Press.
6. Roman Military Diploma On-Line. ،Roman Legions. www. Romanlegions. info.

ISSN: 2523 – 1871

التواصل الحضاري وأثر الفكر الفلسفي في إيجاد مصادر التصوف غير الإسلامية

الدكتورة/ مقبولة مسعود علي العوامي

أستاذ مساعد بقسم الفلسفة كلية الآداب جامعة بنغازي

المستخلص

هذا البحث يبرز أهمية التواصل الحضاري، باعتباره عنصرا مهما في إرساء التواصل بين الحضارات، الذي يمثّل واقعاً تاريخياً ثابتاً. وعلى الرغم من أنني أقر بوجود تواصل بين الحضارات منذ القدم؛ أي منذ نشأة الحضارات القديمة، إلا أنني أرى أن لكل حضارة ثقافتها الخاصة، تلك الثقافة مركب مستقل نسبياً لتقاليد متراكمة مترابطة، والحضارة هي كل مجموعة ثقافية منتشرة إلى الحد الأقصى الذي نتقاسم، ونتشارك فيه بوعي العادات والتعاليم الموروثة، لذا تحدد كل حضارة حدودها الخاصة بها، كما تحدد مدى اتساعها. إنها تتميز بنوع من الكفاية والذاتية الثقافية، إلا أن هذه الاستقلالية تظل نسبية وجزئية، فهناك علاقات تبادلية دائمة، حتى مع الشعوب البعيدة، وبما أن الحضارات تتكامل وتتواصل، والحضارة الإسلامية بعمقها التاريخي حضارة متجددة، ولها امتدادها الروحي فهي حضارة **منفتحة وواعية، ومنتقية**، فقد تواصلت مع الحضارات وأثرت وتأثرت بها، هذا التأثير واضح في مصادر التصوف غير الإسلامي، وعند الصوفية الذين أدخلوا على التصوف الإسلامي نظريات وأفكار اقتبسوها من البلدان التي دخلها الإسلام.

الكلمات المفتاحية

التصوف – التصوف الإسلامي

المقدمة:

التواصل الحضاري هو الأساس في بناء التفاهم الإنساني بين الشعوب فهو–التواصل الحضاري– إقامة الجسور بين الثقافات والحضارات، فالتواصل أيا كان هو سلوك حضاري بالمفهوم العميق للحضارة، يستند إلى الرصيد المشترك بين الثقافات، والحضارات، والقيم، والمبادئ المشتركة، والتصوف في الحضارة الإسلامية يُعدّ من العلوم ذات الطابع الإسلامي الخالص في بداية الدعوة الإسلامية؛ أي منذ القرن الأول، والثاني الهجري، والمتأمل في التصوف في هذه الفترة يلاحظ أن اللفظ استحدث أول الأمر للتعبير عن معنى الكمال بالتمسك بالشرع، والزهد في الدنيا، حينما أخذ الناس في مخالطة الزخارف الدنيوية،

وكاد يطغى حب المال على ما غرسه الدين في النفوس من ورع، فكان الصوفي مخالفاً للجماهير بفقره وورعه، في حين يلتمس غيره المال ويطمع في الغنى، فالتصوف نشأ معبراً عن المثل الديني الأعلى، وظل في أدواره كلها يعبر عن ذلك المثل، مخالفاً ما عليه العامة، مخالفاً القراء، وأهل السنة، والمتكلمين، ونتيجة للتواصل الحضاري والثقافي الذي حدث للعالم الإسلامي أثناء الفتح الإسلامي، حدث نوع من امتزاج ثقافة الإسلام بالثقافات الأخرى، وكان للتصوف نصيب لا بأس به من التأثير والتأثر، فهو خط مشترك بين ديانات وفلسفات وحضارات متباينة في عصور مختلفة، ومن الطبيعي أن يعبر كل صوفي عن تجربته في إطار ما يسود مجتمعه من عقائد وأفكار، ويخضع تعبيره عنها –أيضاً– لما يسود حضارة عصره من اضمحلال وازدهار.

وهذا البحث ما هو إلا تبيان لهذا التأثير والتأثر، ومن خلاله –أيضا– سنوضح أن التجربة الصوفية واحدة في جوهرها، ولكن الاختلاف بين صوفي وآخر راجع إلى تفسير التجربة ذاتها، المتأثر بالحضارة التي ينتمي إليها كل واحد منها.

وبما أن التصوف نوعان: أحداهما ديني، والآخر فلسفي، فالتصوف الديني ظاهرة مشتركة بين الأديان الشرقية القديمة، والتصوف الفلسفي قديم كذلك، وقد عُرف في الشرق، وفي التراث الفلسفي اليوناني، وفي أوربا في عصريها الوسيط والحديث، ولم يخل العصر الحاضر من فلاسفة أوربيين ذوي نزعة صوفية.

مصادر التصوف غير الإسلامية:

يرجح بعض الباحثين، سواء في الشرق أو الغرب، أن التصوف دخيل على الدين الإسلامي، وأن اسمه نفسه مقتبس من كلمة يونانية هي كلمة **(التيوسوفي•) (Theosophy)**، إلا أن الباحثين اختلفوا في أصل التسمية، فاستبعد بعضهم اقتباسها من اليونانية، وردوها تارة إلى أهل **الصفة•**، وتارة إلى لبس الصوف، وتارة إلى الصفاء، وعلى الرغم من أننا نقول بالمنشأ الإسلامي للتصوف، إلا أن

• أي الحكمة الإلهية.

• نسبة إلى الصُفه التي ينسب إليها كثير من الصحابة، انظر: ابن تيمية، مجموعة الرسائل الكبرى، ج1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ب ط، ب ت. ص26

بعض التصوف دخيل على الإسلام، وهو التصوف الذي يقول بالحلول ووحدة الوجود، ويغلب على النساك والمتفلسفة الذين جاوروا الهند، وأطراف البلاد الفارسية؛ وذلك لأن تخوم الهند وأطراف البلاد الفارسية كانت أصلح لانتشار بعض الطرق (السرية) التي لا ترضى عنها الدولة، ولا سيما في عهد بني أمية، فإن الطرق السرية كانت تعلم الناس الإيمان بالإمام المستور، وإنكار السلطان الظاهر، وكان الغضب من السلطان على أشده بين **(الشعوبيين•)** أو بين غير العرب من المسلمين؛ ذلك أن العرب استأثروا بدولة بني أمية، وصبغوها بالصبغة القومية، فكان هناك أكثر من عامل واحد لرواج التصوف بين الفرس وأبناء الأمم الإسلامية غير العربية، ومن ثم شاع القول بأن التصوف دخيل على الإسلام من أساسه، وأنه بقية من بقايا الفلسفة الهندية أو اليونانية ولا سيما (الأفلاطونية)، وهي مزيج من عبادات مصر وعقائد الهند وفلسفة اليونان.

ومع ذلك فإننا نجد أن التصوف هو في الحقيقة غير دخيل على العقيدة الإسلامية، فنحن نعلم أن التصوف تطور عن الزهد، الذي ظهر من خلال العُبَّاد المسلمين في عصر النبي ﷺ، ومن ناحية أخرى فإن من يبحث في كتب التصوف ويدقق النظر في الكثير من آيات القرآن الكريم، يجد التصوف مبثوثا في آيات القرآن الكريم، متمسكا بأصوله في عقائده الصريحة، فالمسلم يقرأ في كتابه: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ (سورة الشورى آية11) فيقرأ خلاصة العلم الذي يعلمه دارس الحكمة الإلهية. ويقرأ في كتابه: **فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ**﴾ (سورة الذاريات آية 50) فيعلم ما يعلمه تلاميذ الصوفية البوذيون حين يؤمنون بأن ملابسة العالم تكدر سعادة الروح، وأن الفرار منه أو الفرار إلى الله هو باب النجاة.

ويقرأ في كتابه أن الله ﴿**هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾ (سورة الحديد آية 3) و﴿ **كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ** ﴾ (سورة القصص آية 88) فلا يراه المتصوفة شيئاً حين يقولون له إن الله أزلي أبدي قديم بغير زمان ولا مكان، عليم بالكليات والجزئيات. ويقرأ في كتابه: ﴿ **اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ**

• الشعوبية هي حركة ظهرت بوادرها في العصر الأموي، إلا أنها ظهرت للعيان في بدايات العصر العباسي. وهي حركة من يرون أن لا فضل للعرب على غيرهم من العجم. وقد تصل إلى حد تفضيل العجم على العرب والانتقاص منهم. انظر: عبدا لله سلوم السامرائي، الشعوبية حركة مضادة للإسلام والأمة العربية، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد، 1980م، ص137.

ISSN: 2523 – 1871

وَالْأَرْضِ ﴾ (سورة النور آية 35)، ﴿ **وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ** ﴾(سورة البقرة آية115)، ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ (سورة ق آية16)، فلا يزيد المتصوفة إلا التفسير، حين يقولون إن الوجود الحقيقي هو وجود الله، وأنه أقرب إلى الإنسان من نفسه؛ لأنه في كل مكان، يصلي له كل كائن ﴿**و إِن مِن شَيءٍ إِلّا يُسَبِّحُ بِحَمدِهِ وَلَـكِن لا تَفقَهونَ تَسبيحَهُم**﴾(سورة الإسراء آية44). فالمسلم الذي يقرأ هذه الآيات، وهو مطبوع على التصوف والبحث عن خفايا الآثار ودقائق الجماعة، يجد فيها غناء من الأصول الصوفية، ولا يفوته إذ يكتفي بها أن ينشئ منها مدرسة صوفية إسلامية، تلتقي بالمدارس الأخرى في كثير، وتنفصل عنها في كثير، ولكنها لا تنعزل عن لبّ التصوف (بالطبع والفطرة) كما يرى بعض المعقبين على الصوفية الإسلامية التي يستمدها المسلم من الدين.

ولكن القرآن حين يفتح للمسلم أبواب الحياة الروحية، يحرم عليه أن يوصد بيديه أبواب الحياة الجسدية، وينهاه أن يترك العمل لينقطع عن الدنيا، وينسى نصيبه منها ﴿ **وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا** ﴾ (سورة القصص آية 77).

ومع ذلك فإننا نجد أن التصوف في الإسلام نشأ بنوعين مختلفين، التقيا فكان المنزع الروحي الذي أثار الأفكار، وهذان المنبعان هما:

1. انصراف بعض العباد المسلمين إلى الزهد في الدنيا والانقطاع للعبادة. وقد بدأ ذلك في عهد النبي ﷺ فكان من الصحابة من اعتزم أن يقوم الليل مصلياً متهجداً ولا ينام، ومنهم من يصوم ولا يفطر، ومنهم من انقطع عن النساء، فكان الواحد منهم يأبى على نفسه أي نعيم، ويتمسك بقوله تعالى: ﴿ **قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى** ﴾ (سورة النساء آية77). فلما بلغ أمر هؤلاء إلى الرسول ﷺ قال: "**ما بال أقوام يقولون كذا وكذا.... والله إني أصوم وأفطر، وأصلي وأنام، وآتي النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني**"(العسقلاني، 1986م، ص4410). ونهى الرسول ﷺ عن الرهبنة وقال: "**رهبانية الإسلام الجهاد**". ولكن بعد وفاة الرسول ﷺ دخل في الإسلام أناس كثيرون من أهل الديانات السابقة، فكثر الزهاد الذين غالوا في الزهد في الدنيا

ISSN: 2523 – 1871

ونعيمها، وظنوا أن نعيم الدنيا والجنة ضدان لا يجتمعان، وأن سبيل الجنة في ترك متاع الدنيا.

2. سريان **فكرة الإشراقيين*** من الفلاسفة، الذين يرون أن المعرفة تقذف في النفس بالرياضة الروحية والتهذيب النفسي، **وفكرة الحلول الإلهي**** في النفوس الإنسانية **وحلول الناسوت***** في اللاهوت. وقد بدأت الفكرة تدخل بين الطوائف التي انتمت إلى الإسلام (كذباً) في الصدر الأول منه، وظهرت واضحة في فرق (**السبئية******)،

* نسبة إلى الإشراق الذي هو ظهور الأنوار العقلية ولمعانها وفيضانها بالإشراقات على النفوس عند تجردها. يقول الشيرازي: (إن الإشراقين لا ينتظم أمرهم دون سوانح نورية؛ آي لوامع نورية عقلية تكون مبنى الأصول الصحيحة التي هي القواعد الإشراقية). انظر: مراد وهبه، المعجم الفلسفي، ط3، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، 1979م، ص32.

** اختلف الباحثون في تعريفهم للحلول، ومن أمثل ما قيل في تعريفه: إن الحلول هو أن يكون الشيء حاصلاً في الشيء، ومختصًّاً به، بحيث تكون الإشارة إلى أحدهما إشارة إلى الآخر تحقيقاً أو تقديراً، والحلول على قسمين: 1 – حلول خاص: وهو دعوى حلول الرب وحصوله في بعض خلقه. فمنهم من يجعل هذا الحلول في عين مختصة، كدعوى النسطورية من النصارى بحلول اللاهوت في الناسوت، ويخصون ذلك بعيسى عليه السلام، وكدعوى غلاة الرافضة الذين يقولون: إن الله تعالى حلَّ بعلي بن أبي طالب، وأئمة أهل بيته. ومنهم من يربط الحلول بمن حقق وصفاً مختصاً، كبعض غلاة الصوفية ممن يقول بحلوله –تعالى وتقدس– في من حقق الولاية، وهذب نفسه في الطاعة، وصبر عن لذات النفس وشهواتها، فارتقى في درجات المصافاة، فيصفو عن النفس البشرية، فتحل فيه روح الإله، تعالى الله عن قولهم علواً كبيرا. 2 – حلول عام: وهو دعوى حلول الرب وحصوله بذاته في كل مكان. وهذا القول هو الذي ذكره أئمة السنة والحديث عن طائفة من الجهمية المتقدمين، ممن يقول: إن الله بذاته في كل مكان. ويلاحظ على بعض من عرَّف الحلول أنه لم يفرق بين الحلول العام والحلول الخاص، ولا شك في أن التفريق بينهما له أثر في بيان حقيقة الحلول. انظر: عبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق، تحقيق: محمّد عثمان الخست، المجلد الأول، الناشر مكتبة أبن سينا، مصر، ب ت، ص82.

*** الناسوت: تعني كل ما يخص الإنسان، والإيمان بلاهوت السيد المسيح وناسوته: يعني الإيمان بأن المسيح هو إله كامل وإنسان كامل وأن لاهوته لم يفارق ناسوته لحظة واحدة ولا طرفة عين، انظر: على سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ج1، ط1، دار المعارف، القاهرة، 1981، ص94.

**** السبئية: فرقة يُعتقد أنها أُسست على يد اليهودي عبد الله بن سبأ، وتقول الروايات: إن السبئية يعتقدون أن علياً لم يمت، وأنه يرجع إلى الدنيا قبل يوم القيامة فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، وذكروا عن عبد الله بن سبأ أنه قال لعلي : «أنت أنت، والسبئية يقولون بالرجعة وأن الأموات يرجعون إلى الدنيا، وكان السيد الحميري يقول برجعة الأموات وفي ذلك يقول: "إلى يوم يؤب الناس فيه إلى دنياهم قبل الحساب. " انظر: أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين، واختلاف المصلين، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، م1، المكتبة العصرية، مصر، 1990، ص154.

ISSN: 2523 – 1871

وبعض **(الكيسانية*)** ثم في **(القرامطة**)** وبعض الباطنية، ثم ظهرت في لونها الأخير في المتصوفة.

إلى جانب هؤلاء كان هناك منزع آخر هو ما يسمى **(وحدة الوجود***)**، وهي فكرة هندية قوامها أن كل شيء في الوجود متصل بوحدة جامعة ثابتة، وأنه مهما تتباين الأشكال والأوصاف والمظاهر فالكل واحد.

من كل هؤلاء **ظهر التصوف بمصادره غير الإسلامية**، واشتد في القرنين الرابع والخامس الهجريين، ثم بلغ أقصى مداه في القرنين السابع والثامن، ومن هؤلاء جميعاً ظهر المتصوفون الذين فلسفوا الزهد، وجعلوه مقامات وأقساماً، وكان من زهدهم لبس الصوف.

والمتصوفة منهم من غلبت عليه فكرة الإشراق، ولم يزد عليها، ومنهم من كان الحلول أظهر مظاهره، ومنهم من نادى بوحدة الوجود، ومنهم من اقتصر على الإذعان للأولياء الذين نحلهم من صفات المعرفة والكشف ما لم يصل إليه النبيون.

* الكسائية وتسمى أيضا الحنيفية وهي جماعة دينية نصرانية متأثرة بتعاليم اليهودية، ظهرت بين القرنين الثالث والعاشر للميلاد، أيام الإمبراطورية الساسانية، وانتشرت بكثرة في جزيرة العرب وبلاد الفرس والعراق، وتختلف عن باقي الطوائف المسيحية في إيمانها بالطبيعة البشرية للمسيح، وأنه بشر كسائر البشر، وأشهر أتباعها ورقة بن نوفل، وتعاليمها مزيج من المعتقدات المسيحية واليهودية. انظر: النوبختي، فرق الشيعة، تحقيق: السيد هبة الدين الشهرستاني، طبعة ريتر، أستنبول، 1931م، ص23.

** نسبة للدولة القرمطية التي انشقت عن الدولة الفاطمية، وقامت إثر ثورة اجتماعية، وأخذت طابعا دينيا، وحين كانت الدولة العباسية قد بدأت بالتفكك والضعف، ظهرت أعداد كبيرة من الدعاة ينشرون المذهب الإسماعيلي، مما أثار غضب الدولة العباسية، وحشد الشيعة الاثنا عشرية لهذا الانتشار المفاجئ، وكانت الدعوة الإسماعيلة في العراق تقاد من قبل حمدان قرمط، الذي تمكن من تحقيق نجاح كبير واجتذاب الكثير للدعوة الإسماعيلية في العراق. فعرفوا فيما بعد *بالقرامطة*، انظر: فرهاد دفتري، خرافات الحشاشين وأساطير الإسماعيليين، ب ط، دار المدى للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا دمشق، 1997، ص36–39.

*** وحدة الوجود مذهب فلسفي لا ديني، يقول بأن الله والطبيعة حقيقة واحدة، وأن الله هو الوجود الحق، ويعتبرونه – تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً – صورة هذا العالم المخلوق، أما مجموع المظاهر المادية فهي تعلن عن وجود الله دون أن يكون لها وجود قائم بذاته. إن فكرة وحدة الوجود قديمة جداً، فقد كانت قائمة بشكل جزئي عند اليونانيين القدماء، وهي كذلك في الهندوسية الهندية. وانتقلت الفكرة إلى بعض الغلاة من متصوفة المسلمين من أبرزهم: محي الدين ابن عربي، وابن الفارض، وابن سبعين، والتلمساني. ثم انتشرت في الغرب الأوروبي على يد برونو النصراني وسبينوزا اليهودي. انظر: مراد وهبه، المعجم الفلسفي، مرجع سبق ذكره، ص469.

من هؤلاء جميعاً ظهر التصوف، الذي ظهر وكثر وقوى في الإسلام، وكان على مذاهب مختلفة، وقد اتضح لنا مما سبق أنه من خلال الفتوحات الإسلامية واختلاط الثقافات المختلفة، إلى جانب تموج **الفلسفة اليونانية***، وخاصة **الأفلاطونية الحديثة****، **والنصرانية*****، **والبوذية******، **والزرادشتية******* في الممالك الإسلامية، بدأ هذا الزهد وهذا الحب الإلهي يتفلسفان، وتتسرب إلى التصوف بعض تعليمات من الديانة المسيحية والفلسفة الأفلاطونية المحدثة والفلسفة الإشراقية لأهل العرفان، والمعتقدات البوذية

* نشأت و تأسست الفلسفة اليونانية في القرن السادس قبل الميلاد واستمرت خلال الفترة الهلنستية، وتناولت مجموعة واسعة من المواضيع، بما في ذلك الفلسفة السياسية، والأخلاق، والميتافيزيقيا، علم الوجود، والمنطق، وعلم الأحياء والبلاغة، وعلم الجمال. انظر: يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، ب ط، دار المعارف، مصر، 1957م، ص5.

** والأفلاطونية الجديدة أثّرت كثيراً – في طور أحدث – بأفكار بعض الفلاسفة المسلمين أمثال ابن سينا وغيره، وما تزال تؤثر في كثير من الطرق الصوفية في العالم الإسلامي. . ومن هنا كان اهتمامنا بتوضيحها للقارئ المسلم. أسست الأفلاطونية الجديدة في مدينة الإسكندرية على يد أفلوطين 205 – 270م الذي درس الفلسفة اليونانية، واطلع على الديانات القديمة والأساطير والسحر والشعوذة. . وكتب كتابات كثيرة في مذهبه الأفكار والمعتقدات: الأفلاطونية الجديدة خليط من الأفكار والفلسفات والمعتقدات الوثنية واليهودية والنصرانية، والأساطير، وغيرها. تدعو الأفلاطونية إلى إله تفيض عنه الأشياء جميعاً بحيث لا تنفصل عنه، فيضاً لا يتحدد بزمن أو تاريخ، ولا يتقيد بإرادة ولا ينقطع، وهذا الفيض لا ينقص مصدره، بل يظل كاملاً غير منقوص. وهذا الإله المبدأ الأسمى للوجود يطلق عليه واحد غير محدد بسيط لا كيف له، وهو الخير المطلق عندهم. انظر: على سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، مرجع سبق ذكره، ص197.

*** النصرانية هي الرسالة التي أُنزلت على عيسى عليه الصلاة والسلام، مكمِّلة لرسالة موسى عليه الصلاة والسلام، ومتممة لما جاء في التوراة من تعاليم، موجهة إلى بني إسرائيل، داعية إلى التوحيد والفضيلة والتسامح، ولكنها جابهت مقاومة واضطهاداً شديداً، فسرعان ما فقدت أصولها، مما ساعد على امتداد يد التحريف إليها، فابتعدت كثيراً عن أصولها الأولى؛ لامتزاجها بمعتقدات وفلسفات وثنية، مرت النصرانية بعدة مراحل وأطوار تاريخية مختلفة، انتقلت فيها من رسالة منزلة من عند الله تعالى إلى ديانة مُحرَّفة ومبدلة، تضافر على صنعها بعض الكهان ورجال السياسة، انظر: شار جينيبير، المسيحية نشأتها وتطورها، ترجمة عبد الحليم محمود، دار المعارف بمصر 1981م. ص105.

**** البوذية: هي فلسفة وضعية انتحلت الصبغة الدينية، وقد ظهرت في الهند بعد الديانة البرهمية الهندوسية في القرن الخامس قبل الميلاد. وكانت في البداية تناهض الهندوسية وتتجه إلى العناية بالإنسان، كما أن فيها دعوة إلى التصوف والخشونة ونبذ الترف والمناداة بالمحبة والتسامح وفعل الخير. وبعد موت مؤسسها تحولت إلى معتقدات باطلة، ذات طابع وثني، وهي تعتبر نظاماً أخلاقياً ومذهباً فكرياً مبنياً على نظريات فلسفية، وتعاليمها ليست وحياً، وإنما هي آراء وعقائد في إطار ديني. وتختلف البوذية القديمة عن البوذية الجديدة في أن الأولى صبغته أخلاقية، في حين أن البوذية الجديدة هي تعاليم بوذا مختلطة بآراء فلسفية وقياسات عقلية عن الكون والحياة. أسسها سدهارتا جوتاما الملقب ببوذا 560 – 480 ق. م وبوذا تعني العالم، ويلقب –أيضاً– بسكيا موني؛ ومعناه المعتكف. انظر: شار جينيبير، المسيحية نشأتها وتطورها، مرجع سبق ذكره، 246.

***** الديانة الزرادشتية وتعرف أحياناً ب"المجوسية" نسبة لمؤسسها زرادشت ديانة قديمة، تعتبر أقدم الديانات التوحيدية المعروفة في العالم، تأسست منذ أكثر من 3000 سنة فيما يعرف اليوم بدولة إيران على تعاليم زرادشت، يعتقد معتنقوها بوجود إله واحد أزلي هو أهورامزدا بمعنى "الإله الحكيم" وهو خالق الكون، ويمثل الخير ولا يأتي منه الشر أبدا، تُنسب الزرادشتية إلى زرادشت المولود قبل ميلاد عيسى بحوالي 660 سنة بأذربيجان بفارس، انظر: جيفري برندر، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1993، ص89–95

ISSN: 2523 – 1871

والهندية **والمانوية***، إلا أنني وجدت أنه من الأفضل، قبل أن أتحدث عن كل واحدة على حدة، أن أوضح وأؤكد على أن التصوف غير دخيل في العقيدة الإسلامية، فركنا التصوف هما: الزهد، وحب الله.

إلا أنه تسربت إلى التصوف بعد الفتح –أي بعد عصره الأول– تعاليم من الفلسفة اليونانية والهندية والفارسية مثلت المصادر غير الإسلامية للتصوف، وهي: الديانة المسيحية، الأفلاطونية المحدثة، الفلسفة الهندية والفارسية.

1– الديانة المسيحية:

نعلم أن بذور الزهد الأولى موجودة في كل دين سماوي وغير سماوي، بل في كل عقيدة وثنية وغير وثنية. فإذا قلنا إن بذور الزهد موجودة في القرآن، وجودها في الإنجيل، والتوراة، والبوذية، و**الفيدا****، والمانوية، والزرادشتية، وفي الديانات والعقائد الفرعونية، تأكدت لنا إسلامية الزهد الإسلامي، وخطأ الحكم القائل بنسبة الزهد الإسلامي إلى الرهبنة المسيحية أو غيرها.

إلا أن هذا التأكيد لا يجعلنا ننسى أن التصوف المتطور عن الزهد، بنظرياته الفلسفية الخارجة، حادث كل الحدوث في الملة الإسلامية، وخارج عن المنهج الإسلامي، فهذا التصوف الفلسفي قد تأثر ببعض المصادر المسيحية، إلا أن من الإنصاف العلمي القول بأن مذاهب الصوفية في العلم، ورياضتهم العلمية، ترد أساساً إلى مصدر إسلامي، ففي القرنين السادس والسابع الهجريين، مع ظهور التصوف السني ونفوذه، ظهر –أيضاً– في هذين القرنين مجموعة أخرى من شيوخ التصوف الذين مزجوا تصوفهم

* عقيدة دينية غنوصية، والغنوصية عرفان رباني بلا وساطة، يهدف إلى إدراك كنه الأسرار الإلهية، ظهرت في فارس في القرن الثالث الميلادي تنسب إلى الحكيم الفارسي ماني(216–276م)ابن فاتك المرتبط بمذهب غنوصي. ولد ماني في بابل وتربى في وسط يهودي مسيحي ذي ورع كبير، وأمضى مطلع شبابه في بلاد ما بين النهرين، وشرع في سنه العشرين في الدعوة إلى دينه الجديد، في محاولة إظهار دين عالمي مقبول من الجميع، وغير محدود بتعاليم باطني قائم على التلقين، وادّعى ماني أن إلهيين خصاه ودفعاه إلى إعلان مذهبه وتسمّى برسول النور، ويقوم هذا المذهب على الاعتراف ببعض الديانات السابقة ما عدا اليهودية التي يبغضها، وقال إنه جاء ليتمم عمل زرادشت وبوذا والمسيح، وهؤلاء شذرات ناقصة من الحقيقة أفسدها أتباعهم. انظر: جفري بارندر، المعتقدات الدينية لدى لشعوب، مرجع سبق ذكره، ص68.

** فيدا الكتاب المقدس للديانة الهندوسية، وهو كتاب يقع في 800 مجلد تقريباً، أُلِّفَ طيلة 1000 سنة وقيل 3 آلاف سنة، وهي النصوص المقدسة من الترانيم والتراتيل لدي الآريين الهنود لتكريم الآلهة، وهناك نوعان من النصوص الهندوسية: النصوص الهندوسية الدينية، والنصوص الهندوسية الكلاسيكية. عادةً ما تُقسم النصوص الهندوسية الأدبية إلى فرعين رئيسين: شروتي (المُبين)، وسمريتي (المحفوظ). تسن الفيدا تشريعات شروتي، التي تُعتبر موحاة من الآلهة، ولذلك فهي كُتب مُقدسة. انظر: جون كلور، الفكر الشرقي القديم، ترجمة: كامل يوسف حسين، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1995م، ص121–125.

بالفلسفة، مستخدمين في التعبير عن تصوفهم مصطلحاً فلسفياً استمدوه من مصادر متعددة، منها الديانة المسيحية، فنجد **الحلاج*** –مثلا– استخدم في تصوفه اصطلاحات مسيحية: كالكلمة، واللاهوت، والناسوت، والحلول، والاتحاد بالذات الإلهية، فقد نادى الحلاج بالحلول الصوفي، إلا أنه لم يكن في دعوى الحلول مسيحياً أول الأمر. كان يصدر عن سياق خاص، ثم وجد في المسيحية ما يؤيد دعواه، فنادى بعبارات مسيحية، فالمسيحية تنزل بالله إلى مستوى الإنسان، بمعنى حلول اللامتناهي في المتناهي، وهو ما أخذه الحلاج. كذلك نجد غلاة الشيعة بقيادة السبئية اليهودية قد أخذوا عن **الملكانية**** **(فكرة تأليه يسوع)** فعدوها، وقالوا بتناسخ الجزء الإلهي في علي، والأئمة المعصومين، حتى دخلت الدوائر الصوفية مع الأقطاب.

كذلك نظريات الاتحاد أو التجسد أو الحلول التي قالت بها فرقة اليعقوبية، وهي فرقة مسيحية تؤكد أن المسيح جوهر واحد فيه الإنسان والإله، وترى أن الطبيعتين اللاهوتية والناسوتية اتحدتا اتحاداً كاملاً في الهوية في شخص المسيح، وأن القتل وقع على الجوهر من حيث هو إنسان وإله.

وعلى الرغم من أن الدليل القرآني ونصه ينفيان الاتحاد أو التجسد أو الحلول ﴿ **وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ**﴾. (المائدة آية 116)، إلا أن تلك النظريات شدت خيوط النظريات الفلسفية لدى الصوفية في الإسلام، فأكدتها الدوائر الصوفية عبر المد الشيعي في الإسلام، بعد أن نفاها القرآن وأعلن تكفير أصحابها. كذلك فكرة

* هو: **الحسين بن منصور بن محمى الملقب بالحلاج**، ولد عام244هـ يعتبر من أكثر الرجال الذين اختلف في أمرهم، وهناك من وافقوه وفسروا مفاهيمه، وبسبب فلسفته التي عبّر عنها بالممارسة، والتي لم ترض الفقيه محمد بن داود قاضي بغداد، والتي قد رآها متعارضة مع تعاليم الإسلام بحسب رؤيته لها، فرفع أمر الحلاج إلى القضاء طالباً محاكمته أمام الناس والفقهاء فلقي مصرعه مصلوباً بباب خراسان على يدي الوزير حامد بن العباس، تنفيذاً لأمر الخليفة المقتدر في القرن الرابع الهجري عام309هـ. وقد نشأ (الحسين) بواسط ثم دخل بغداد وتردّد إلى مكة واعتكف بالحرم فترة طويلة، وأظهر للناس تجلدًا وتصبرًا على مكاره النفوس، من الجوع والتعرض للشمس والبرد على عادة متصوفة الزرادشتيين، وكان قد دخلها، وكان الحلاج في ابتداء أمره فيه تعبد وتأله وتصوف، وقد طاف البلدان ودخل المدن الكبيرة، وانتقل من مكان لآخر داعياً إلى الله الحق على طريقته، فكان له أتباع في الهند وفي خراسان، وفي سركسان وفي بغداد وفي البصرة، لقد طور الحلاج النظرة العامة إلى التصوف، فجعله جهاداً ضد الظلم والطغيان في النفس والمجتمع، انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج14، مؤسسة لرسالة، القاهرة، 2001م ص313/ 354.

** من المذاهب المسيحية، وكانت منتشرة في البلاد التي فتحها المسلمون، وتذهب هذه الفرقة (الملكانية) إلى أن الله (ثالث ثلاثة). انظر: أحمد شلبي، مقارنة الأديان، ط10، ج2، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1993م، ص161.

ISSN: 2523 – 1871

المحبة الإلهية والبشرية التي كانت نقطة خلاف بين راهبين كبيرين هما القديس **(برنارد*)** والراهب **(فرنسيس الأسيسي**)** أثرت مضمون المحبة في الدوائر الإسلامية، بنتائجها المنحرفة وغير المنحرفة، ونقطة الخلاف أن **فرنسيس الأسيسي** ارتفع بالمحبة حتى محا بها الوجود الظاهر والواقع البشري، وجاء بنظرية الحلول، وأكد أن الله موجود في كل شيء، في كل إنسان، في كل حيوان، في كل أرض، في كل طير في السماء، وفي كل أسماك الماء.

ومما خالف فيه **(برنارد)** أنه لم يحتقر الجسد؛ بسبب نظرته في وحدة الوجود أو الحلول، ولم يتشاءم، بل دعا إلى التفاؤل المطلق والفرح العنيف الذي كان مصدره عنده هو إيمانه بأن الإنسان امتداد لله، وأن إرادته البشرية امتداد لإرادة الله، هذا الامتداد هو الذي غذى الحقل الصوفي في الإسلام بأعنف اتجاهات نظريات الحلول والاتحاد ووحدة الوجود، وهو –أيضاً– الذي حول المحاكاة إلى عبادة الأبطال لأنفسهم وعبادة الناس لهم. وكانت محاكاة السيد المسيح –عليه السلام– مثلاً أعلى، ظهر في الإسلام مثلها في نظرة الدوائر الشيعية **للإمام الحسين** –رضي الله عنه– كسيد الشهداء، كما ظهر مثلها في الدوائر الصوفية لدى **الحلاج**؛ فالحلاج قد اتخذ من العبارات القديمة المأثورة عن اليهودية والمسيحية أساساً لنظريته في الإله الإنساني، في خلق العالم، في أمر الملائكة السجود لآدم، في فُتوّة إبليس الذي أطاع الله حق الطاعة في عصيانه أشد العصيان، في فُتوّة موسى، التي حققها عيسى. فإذا استقرأنا نص الحلاج في أساس نظريته نجده يقول: " تجلى الحق لنفسه في الأزل، قبل أن يخلق الخلق، وقبل أن يعلم الخلق. وجرت له في حضرة أحديته مع نفسه، حديث لا كلام فيه ولا حروف، وشاهد –سبحانه– ذاته في ذاته، في الأزل حيث كان الحق ولا شيء معه، نظر إلى ذاته فأحبها، وأثنى على نفسه، فكان

* هو راهب فرنسي ولد عام 1090 في كليرفو، وشعر بدعوة عميقة لخدمة الرّب فدخل بعمر 22 سنة دير به تقشّف شديد، تكلّم عن أربعة درجات من الحب 1) حبّ الذّات من أجل الذّات. 2) حبّ الله من أجل الذّات، 3) حبّ الله من أجل الله، 4) حبّ الذّات من أجل الله. انظر: الموسوعة المسيحية، دار الكتاب المقدس، الموسوعة الإلكترونية، ص20.

** القديس **فرنسيس الأسيسي** عام 1182 كان في أول شبابه يعيش حياةً دنيوية كلها بذخ وترف، نال قسطه من التعليم، في عام 1206، كرس حياته للعبادة اتَّخذَ لباس النسّاك ممضياً وقته في خدمة الفقراء والبرص، انظر: الموسوعة المسيحية، دار الكتاب المقدس، الموسوعة الإلكترونية، ص 44.

هذا تجلياً لذاته في ذاته، في صورة المحبة المنزهة عن كل وصف وكل حد، وكانت هذه المحبة علة الوجود والسبب في الكثرة الوجودية. ثم شاء الحق سبحانه أن يرى ذلك الحب الذاتي ماثلاً في صورة خارجية، يشاهدها ويخاطبها، فنظر في الأزل، وأخرج من العدم صورة من نفسه، لها كل صفاته وأسمائه، وهي آدم الذي جعله الله صورته أبد الدهر. ولما خلق آدم على هذا النحو عظمه ومجده واختاره لنفسه. وكان من حيث ظهور الحق بصورته فيه وبه هو هو" (الحلاج، 1956م ، ص129).

كذلك هناك نص شهير تداولته كتب المراجع الصوفية الإسلامية، اتخذ الأفق الصوفي في الإسلام كمنهج للمحبة الخالصة. يقول النص: "إن السيد المسيح –عليه السلام– مر على طائفة من العبّاد، قد احترقوا من العبادة، كأنهم الشنان البالية، فقال: ما أنتم؟ فقالوا: نحن عبّاد. قال: لأي شيء تعبدتم؟ قالوا: خوفنا الله من النار، فخفنا منها، فقال: حق على الله أن يؤمنكم ما خفتم. ثم جاوزهم، ومر بآخرين أشد عبادة منهم، فقال: لأي شيء تعبدتم؟ قالوا: شوقنا الله إلى الجنات وما أعد فيها لأوليائه، فنحن نرجو ذلك، فقال: حق على الله أن يعطيكم ما رجوتم. ثم جاوزهم ومر بآخرين يتعبدون، فقال: ما أنتم؟ قالوا نحن المحبون لله، لم نعبده خوفاً من ناره، ولا شوقاً إلى جنته، ولكن حباً له، وتعظيماً لجلاله، فقال: أنتم أولياء الله حقاً، فبكم أمرت أن أقيم، فأقام بين أظهرهم" (الأصفهاني، 1405هـ، ص7) هذا النص المروي عن المسيح – عليه السلام – كثيرا ما نجده يروى في كتب الصوفية مثل (**قوت القلوب) لابن طالب المكي*** و**(والرسالة القشيرية) للقشيري****.

* هو شيخ الصوفية **أبو طالب محمد بن علي بن عطية الحارثي**، المكي المنشأ، العجمي الأصل. صاحب كتاب قوت القلوب في معاملة المحبوب المشهور في التصوف، الذي أخذ منه الإمام الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين. انظر: البغدادي، تاريخ بغداد، تحقيق بشار عودا معروف، ط1، ج3، دار الغرب الإسلامي، 2001م، ص 89.

** هو الإمام الزاهد، القدوة، **أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة القشري، الخراساني، النيسابوري**، الشافعي، الصوفي، المفسر، صاحب " الرسالة " كان علامة في الفقه والتفسير والحديث والأصول والأدب والشعر والكتابة. صنف " التفسير الكبير " وهو من أجود التفاسير، وصنف " الرسالة " في رجال الطريقة، و نحو القلوب، وكتاب لطائف الإشارات وكتاب الجواهر، وكتاب أحكام السماع، وكتاب عيون الأجوبة في فنون الأسئلة، وكتاب " المناجاة "، ولد سنة 376هـ، وتوفي1074م. . انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج18، مؤسسة لرسالة، القاهرة، 2001م، ص227. ، انظر أيضا: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، المطبعة الميمنية، مصر، 1848م، ص229.

كما أن هذا النص، أو بالأحرى المصدر للسيد المسيح –عليه السلام– تتلمذ عليه أساتذة **رابعة العدوية***؛ فرابعة العدوية نسب إليها مضمون هذا النص شعراً ونثراً، وهو ما تتلمذ عليه في مدرسة **ابن عربي****، **وعمر بن الفارض*****' الذي عاش نظرية وحدة الوجود والشهود في حبه الإلهي وفلسفته. له شعر صوفي رائع، أثرى الأفق الفارس الشاعري مع **جلال الدين الرومي******'، الذي كان أشهر من ظهر بمدرسة **ابن عربي** حتى أعطى الأدب الرمزي الصوفي مضامين وصوراً جديدة.

* هي **رابعة بنت إسماعيل العدوي** شخصية عراقية، ولدت في مدينة البصرة حوالي عام100هـ717 م من أب عابد فقير، وهي ابنته الرابعة وهذا يفسر سبب تسميتها رابعة، توفي والدها وهي طفلة دون العاشرة، ولم تلبث الأم أن لحقت به، لتجد رابعة وأخواتها أنفسهن بلاعائل يُعينهن علي الفقر والجوع والهزال، فذاقت رابعة مرارة اليتم الكامل، دون أن يترك والداها من أسباب العيش لهن سوى قارب ينقل الناس بدراهم معدودة في أحد أنهار البصرة، كانت رابعة تخرج لتعمل مكان أبيها ثم تعود بعد عناء تهون عن نفسها بالغناء، حرمت من الحنان والعطف الأبوي، وبعد وفاة والديها غادرت رابعة مع أخواتها البيت بعد أن دب البصرة جفاف وقحط أو وباء وصل إلى حد المجاعة، ثم فرق الزمن بينها وبين أخواتها، فأصبحت وحيدة مشردة، وأدت المجاعة إلى انتشار اللصوص وقُطَّاع الطرق، فخطفت رابعة من قبل أحد اللصوص، وباعها بستة دراهم لأحد التجار القساة من آل عتيق البصرية، فأذاقها التاجر سوء العذاب. ولم تتفق آراء الباحثين على تحديد هوية رابعة، فالبعض يرى أن آل عتيق هم بنو عدوة ولذا تسمى العدوية. تمتعت رابعة بموهبة الشعر، وتأججت تلك الموهبة بعاطفة قوية ملكت حياتها، فخرجت الكلمات منسابة من شفتيها تعبر عما يختلج بها من وجد وعشق لله، وتقدم ذلك الشعر كرسالة لمن حولها؛ليحبوا ذلك المحبوب العظيم.ومن أشعارها التي تصف حب الخالق تقول:**(عرفت الهوى مذ عرفت هواك*وأغلقت قلبي عمن سواك)(وكنت أناجيك يامن ترى*خفايا القلوب ولسنا نراك)** انظر: عمر رضا كحاله، أعلام النساء ،مؤسسةالرسالة، ص142

** هو: **محي الدين محمد بن علي بن محمد بن عربي الحاتمي الطائي الأندلسي**، أحد أشهر المتصوفين، لقبه أتباعه وغيرهم من الصوفية بكثير من الألقاب منها: رئيس المكاشفين، البحر الزاخر، بحر الحقائق، إمام المحققين، الكبريت الأحمر، و بالشيخ الأكبر" ولذا ينسب إليه الطريقة الأكبرية الصوفية. ولد في مرسية في الأندلس سنة 558هـ، وتوفي في دمشق عام 638هـ، كان أبوه محمد من أئمة الفقه والحديث، ومن أعلام الزهد والتقوى والتصوف. وكان جده أحد قضاة الأندلس وعلمائها، فنشأ نشأة تقية ورعة نقية من جميع الشوائب الشائبة. وهكذا درج في جو عامر بنور التقوى.له العديد من المؤلفات منها: كتاب فصوص الحكم، الفتوحات المكية، تفسير ابن عربي، ترجمان الأشواق، شجرة الكون، الإعلام بإشارات أهل الإلهام، اليقين؛ من أقواله: من قال بالحلول فدينه معلول، وما قال بالاتحاد إلا أهل الإلحاد، انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ج23، مصدر سبق ذكره، ص 48، 49.

*** **أبو حفص شرف الدين عمر بن علي بن مرشد الحموي ابن الفارض**، أحد أشهر الشعراء المتصوفين، وكانت أشعاره أغلبها في العشق الإلهي، حتى إنه لقب بـ "سلطان العاشقين". والده من حماة في سوريا، وهاجر لاحقاً إلى مصر. ولد بمصر سنة 576هـ، ولما شب اشتغل بفقه الشافعية، وأخذ الحديث عن ابن عساكر. ثم سلك طريق الصوفية ومال إلى الزهد. رحل إلى مكة في غير أشهر الحج، واعتزل في واد بعيد عنها. وفي عزلته تلك نظم معظم أشعاره في الحب الإلهي، حتى عاد إلى مصر بعد خمسة عشر عامًا. توفي سنة 632هـ، ودفن فيها بجوار جبل المقطم في مسجده المشهور. انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1948م، ص383.

**** **محمد بن محمد بن حسين بهاء الدين البلخي البكري**، عرف –أيضا– باسم مولانا جَلَال الدِّين الرُّومي: شاعر، عالم بفقه الحنفية والخلاف وأنواع العلوم، ثم متصوف كما يقول مؤرخو العرب. صاحب المثنوي المشهور بالفارسية، وصاحب الطريقة المولوية. ولد في بلخ في أفغانستان، وانتقل مع أبيه إلى بغداد في الرابعة من عمره، فترعرع بها في المدرسة المستنصرية، عرف بالبراعة في الفقه وغيره من العلوم الإسلامية، فتولى التدريس بقونية في أربع مدارس، بعد وفاة أبيه سنة 628هـ، ثم ترك التدريس والتصنيف والدنيا وتصوّف سنة 642هـ، فشغل بالرياضة وسماع الموسيقى ونظم الأشعار وإنشادها إلى حين وفاته عام 1273م، دفن في مدينة قونية، وأصبح مدفنه مزاراً إلى يومنا، وبعد مماته قام أتباعه وابنه سلطان بتأسيس الطريقة المولوية الصوفية، التي اشتهرت بدراويشها ورقصتهم الروحية الدائرية التي عرفت بالسماح والرقصة المميزة. له العديد من

ISSN: 2523 – 1871

2 – الأفلاطونية المحدثة:

تعتبر من أقوى المصادر التي أثرت الأفق الصوفي في الإسلام. جاءت مباشرة عن الأفلاطونية. وإن أخطر النظريات أثرا لدى الصوفية في الإسلام هي نظرية وحدة الوجود، كما وجدناها في **الغنوص الشرقي***. وإننا لنجد الفلاسفة في هذه النظرية يؤكدون عدم التفرقة بين الله والطبيعة، فالطبيعة عندهم هي الله، والله هو الطبيعة، واللفظ اليوناني القديم [Pantheisme Tlaneas] ومعناه وحدة الوجود، مكون من مقطعين الأول Tlan ومعناها كل، و**leas** وهي الله. والمذهب يقول: إنه لا شيء إلا الله، وإن كل شيء غير الله ليس إلا مظاهر خارجية، وأحوالاً لله.

ومن خلال الأفلاطونية المحدثة تأثر الأفق الإسلامي بالنظرية، فوحدة الوجود عند **أفلوطين**** تقول "**إن الكثرة في الواحد**". أما وحدة الوجود بالمعنى العام فتقول بالكثرة في الواحد، والواحد في الكثرة، والفارق هو نقطة البدء: هل نبدأ من الواحد لكي نقول بوجوده في الكثرة، وبهذا المعنى تكون الكثرة في

التصانيف مثل: الرباعيات، ديوان الغزل، مجلدات المثنوي الستة، المجالس السبعة، ورسائل المنبر، ومن أشهر أقواله: مَنْ لا يركض إلى فتنة العشق يمشي طريقاً لا شيء فيه حي، انظر: عناية الله أبلاغ الأفغاني، جلال الدين الرومي بين الصوفية وعلماء الكلام ، الدار المصرية للكتاب، القاهرة، 1979م، ص63

* الغنوصية كلمة يونانية معناها المعرفة، ولكنها تطورت حتى أخذت معنى اصطلاحيا، هو التوصل بنوع من الكشف إلى المعارف العليا، أو تذوق المعارف تذوقا مباشرا، بأن تلقى فيه إلقاء، فلا تستند إلى الاستدلال أو البرهنة العقلية، أما الغنوص فيتضح لنا من خلال أقدم مصدر لعقيدة الحق الإلهي المقدس، وفكرة الاتحاد والامتزاج بالنور الأول في الأفلاطونية والإشراقية، وفكرة التثليث المسيحي، وفكرة الكلمة أو "اللوغوس"، التي تطورت إلى فكرة الإنسان الكامل. كل هذا له أصول مصرية قديمة، مثل حورس وعبادة أوزيريس إله الخير، وإيزيس مثال الطهر وصراعها مع (ست) إله الشر، حيث تعيد أوزيريس إلى الحياة، ويتولد منها "حورس" الابن الحارس للنور المقدس، فإعادة أيزيس الحياة إلى أوزيريس عن طريق السر المقدس التي هي الكلمة فيما بعد، هي مصدر لفلسفة اللوجوس المسيحية، كما أن هذه الفكرة كان لها تأثير مباشر في نظرية الكلمة مع النظرية الصوفية الفلسفية في الإسلام، التي جاءت أولا عن طريق التشيع والشيعة مع الإمام المعصوم، وانتقلت إلى ساحة الصوفية مع القطب المستند إلى نور الولاية المقدسة، إلى أن تحطمت الوسائل مع نظريات الحلاج. انظر: والاس بَدج، آلهة المصريين، ترجمة: محمد حسين يونس، ج1، مكتبة مدبولي القاهرة، 1418 هـ/ 1998 م، ص318–320. و انظر –أيضاً–: مراد وهبه، المعجم الفلسفي، ط3، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، 1979م، ص298–299

** أفْلُوطين هو فيلسوف يوناني، يُعتبر أبرز ممثلي الأفلاطونية المُحْدَثَة. يُعرف في المصادر العربية بـ «الشيخ اليوناني». جميع المعلومات المتوفرة عن الفيلسوف أفلوطين أتت من تلميذه فرفريوس ودونها في مقدمة كتاب التاسوعات لأفلوطين. ولد سنة 205، وتوفي سنة270م، في ليكوبوليس باللاتينية: لايكو) في **مصر**، وهناك تكهنات بأنه مصري الأصل، أو يوناني، جاء في شبابه إلى الإسكندرية، وكان أفلوطين شديد النفور وعدم الثقة في الأمور المادية، ورث هذه النزعة من الأفلاطونية، يتفق أفلوطين مع المسيحيين الأرثوذكس في فكرتهم عن الخليقة ((الكل من لا شيء)). رغم أن أفلوطين لا يذكر المسيحية في أي من كتاباته. يعارض أفلوطين الأفكار الغنوصية. ويعارض تشويههم لفلسفة أفلاطون وازدرائهم المبالغ فيه للعالم. ويصفهم عموماً بالهرطقة والصلف. انظر: جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، ط3، دار الطليعة. بيروت، 2006م، ص 76.

الواحد، أم تكون نقطة البدء هي الكثرة التي نرتفع منها إلى الواحد، وفي هذه الحالة يكون الواحد في الكثرة"(بدوي ، 1970م، ص133). أما الغنوصية فهي جماعات دينية فلسفية ظهرت في القرن الأول والثاني للميلاد، ولها نزعة صوفية تجمع بين مختلف المذاهب، وتحاول التوفيق بين جميع الأديان، وتمزج الدين بالفلسفة.

ففي النظرة الأفلاطونية يجب على النفس الإنسانية أن ترجع من حالة التبدد والكثرة إلى حال الوحدة المطلقة، التي تكون فيها النفس في حال الفناء والمحو، ويصبح كل شيء في حالة عماء؛ هذه الحالة –أي حالة العماء– هي نفسها ما نجدها عند الصوفية المسلمين تحت اسم الغراب الأسود، وهي تعبر عن ارتفاع الإنسان من مرتبة الفناء والمحو، بعد أن اجتاز جسر القلق والتردد والخوف، إلى مرتبة الطمأنينة، بعد مرتبة الصعق، فأصبح وكأنه هو الله، أو بأنه الله، كما قال **البسطامي*** **والحلاج:** "وحين يفصل أفلوطين في وصف هذه الحالة يؤكد أنها تأتي، لاباختيار، بل تتلقاها النفس وكأنها نور يهبط عليها"(محمود ، ص30). وهو هنا يؤكد لنا وحدة الشهود في الاتحاد، والبقاء عبر الفناء. والواقع أن مذهب وحدة الوجود ينقسم إلى: وحدة وجود باطنة Immanent ووحدة وجود صدورية Immanentiste، الأولى تقول بأن الله حال في الكون، أما الثانية فتقول بأن المبدأ (الله) تصدر عنه المخلوقات، والصدور لا يمس جوهر الله. والنوع الأخير في مذهب الصدور هو النوع الأفلاطوني الذي دخل الأفق الصوفي الإسلامي أولاً، وإن كان كلاهما ينفيان عملية الخلق من العدم كنتيجة محتومة، مهما حاولنا وتعسفنا في نفي ذلك.

* هو **أبو يزيد طيفور بن عيسى بن سروشان البسطامي** المعروف بـ(با يزيد). ينحدر من سلالة مزدكية، إذ إن جده لأبيه كان زرادشتيا، واعتنق الإسلام. قضى أبو يزيد القسم الأكبر من حياته في بلدته (بسطام) التي ولد بها سنة 188هـ، وهي بلدة في شمال شرقي إيران، ومات هناك حوالي سنة (234هـ أو 261هـ/874م) كان تعليمه تعبيراً مباشراً عن حياته الداخلية. أخذ نظريته في الفناء عن أصول هندية، وفصل بين المعرفة والعبادة. لم يترك أبو يزيد أي أثر مكتوب، أما الأساس في تجربته الروحية فقد وصلنا على شكل قصص أو حكم أو مفارقات، جمعها تلاميذه المباشرون أو بعض زائريه، وهي في مجملها ذات قيمة ميتافيزيقية وروحانية لا تقدر. وقد عرفت هذه الحكم في تاريخ الإسلام باسم"الشطحات"، التي ترجمها الجنيد أو بالأحرى ترجم بعضها من الفارسية إلى العربية. تلاميذ أبي يزيد: ابن أخيه أبو موسى عيسى بن آدم، وهو ابن أخيه البكر آدم، إذ بواسطته عرف شيخ بغداد الكبير (الجنيد) مقالات أبي يزيد، وترجمها وصحبها بشروح. أهم مرجع عن حياة أبي يزيد ومقالاته هو كتاب (النور في كلمات أبي يزيد طيفور) لمحمّد سهلجي، طبعه عبد الرحمن بدري في القاهرة سنة 1949م، بالإضافة إلى مجموعة الحكم التي جمعها روزبهان الباقلي الشيرازي"، وأرفقها بشرح شخصي جدا، ضمن ما خصصه لشطحات الصوفية عموماً. أما إحدى السمات المميزة لمذهب أبي يزيد فيرويها الطوسي في كتابه (اللمع)، وهي تقسيمه الوعي إلى أنا (الأنانية) وأنت (الأنتية) وهو(الهوية) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج13، مصدر سبق ذكره، ص36.

ISSN: 2523 – 1871

ولا شك مطلقاً في أن النوع الأول من مذهب وحدة الوجود، وهو المعنى الباطني الحال في الكون، قد دخل تحت مصطلح الحلول Incarnation في القرنين الثالث والرابع الهجريين، مع الحلاج، وهو ما يسمى الآن في العصر الحديث باسم الواحدية Monisme". فالأفلاطونية المحدثة من المصادر غير الإسلامية التي دخلت على التصوف الإسلامي، فعلى الرغم من إقبال المسلمين على حضارات غيرهم من الأمم، إلا أن إقبالهم على الثقافة الهلينية كان عن طريق الاتصال المباشر **بالأفلاطونية المحدثة**، التي تنسب إلى **أفلوطين***، الذي نشأ في مصر، ثم ذهب إلى روما في القرن الثالث الميلادي، وله **(كتاب التاسوعات)** الذي نقل بعضه إلى اللغة العربية بعنوان **(الأتولوجيا)** أي **(الربوبية)**؛ هذا الكتاب الذي اعتقد المسلمون خطأً أنه لأرسطو، وهو في الواقع **لأفلوطين**، الذي عرفوا من ورائه **أفلاطون*** والثقافة اليونانية القديمة، فظهرت الربوبية في الوسط الإسلامي، وكان لها أثرها المباشر في نظريات الاتصال **الفارابية**' ونظريات **البسطامي والحلاج**.

يقول **أفلوطين** في ذلك الكتاب: "إني ربما خلوت بنفسي، وخلعت بدني جانباً، وصرت كأني جوهر متجرد بلا بدن، فأكون داخلا في ذاتي راجعاً إليها، خارجاً من سائر الأشياء، فأكون العلم والعالم والمعلوم جميعاً، فأرى في ذاتي من الحسن والبهاء والضياء ما أبقى له متعجباً"(الجيلي ، 1981م، ص117). من هذا الكتاب تسربت إلى الصوفية أفكار: الفيض، النور، التجلي، وغير ذلك من الأفكار المعروفة لديهم الشائعة بينهم.

* أفلاطون Plato هو: إرستوكليس بن إرستون، فيلسوف يوناني كلاسيكي، رياضياتي، كاتب لعدد من الحوارات الفلسفية، ويعتبر مؤسس أكاديمية أثينا، وهي أول معهد للتعليم العالي في العالم الغربي، معلمه سقراط وتلميذه أرسطو.)عاش 427 ق. م – 347 ق. م، ظهر نبوغ أفلاطون وأسلوبه ككاتب واضح في محاوراته السقراطية في نحو ثلاثين محاورة، التي تتناول مواضيع فلسفية مختلفة: نظرية المعرفة، المنطق، اللغة، الرياضيات، الميتافيزيقا، الأخلاق والسياسة، يغلب على مؤلفات أفلاطون طابع المحاورة، وهو أسلوب كان شائعاً في العصر الذي ازداد فيه نشاط السفسطائيين وسقراط، يعد أفلاطون أول فيلسوف يوناني وصلتنا جميع مؤلفاته،. وقد أسس أفلاطون الفلسفة المثالية، وعرف الفلسفة بأنها السعي الدائم؛ لتحصيل المعرفة الكلية الشاملة، التي تستخدم العقل وسيلة لها، وتجعل الوصول إلى الحقيقة أسمى غاياته. انظر: محمد أحمد منصور، موسوعة أعلام الفلسفة، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، 2001م، ص61.

وفي النص الآتي أوضح دليل على ما كان لآراء الغنوصية والثانوية والمانوية والأفلاطونية الحديثة من أثر عميق في التصوف الإسلامي. قال درويش الرفاعي: "سبعون ألف حجاب تفصل بين الله (الحق الأحد) وبين عالم الحس والمادة. وكل روح تمر، قبل مولدها، خلال هذه السبعين ألفاً، نصفها الباطن نور، ونصفها الظاهر كلمة. فإذا مرت الروح خلال حجاب من حجب النور، نفت عنها حالة من الحالات الربانية، وإذا مرت خلال حجاب من حجب الظلمة تسربلت حالة من الحالات الدنيوية. ومن ذلك أن الطفل يستهل صارخاً؛ لأن الروح تدرك انفصالها عن الله الحق الأحد. وإذا بكى الطفل في منامه، فذلك لأن الروح تتذكر شيئاً مما فقدت، وقد جر اختراق الحجب عليها النسيان. ومن هنا سمي الإنسان إنساناً، وهو الآن سجين جسمه، مقطوع عن الله بهذه الحجب الكثيفة، وجماع غرض الصوفية –طريق الدراويش– أن تهيئ له مهرباً من هذا السجن، وأن ترفع عنه هذه الحجب السبعين، وأن تعيد إليه الوحدة الأصيلة بالواحد الأحد، وهو لا يزال في جسمه. فالجسد لا يخلع، ولكن يصفى، ويجعل روحانياً، فيكون عوناً للروح، لا عقبة في سبيلها، إنه كالمعدن الذي يصفى بالنار ويغير. والشيخ يخبر مريده بأن عنده سر تغيره، ويقول له: "سنلقيك في نار الإحساس الروحي وستطفو نقياً"(القشيري ، ص65).

لذا لا نجد غرابة في انتشار أقوال مثل الحلول وغيره في الدوائر الصوفية الإسلامية منذ أن شاعت مع **جهم بن صفوان***، ثم اندفعت في أفق الفكر الإسلامي، وشكلت مذاهب الفيض والإشراق والمعرفة والجذب والحلول والاتحاد ووحدة الشهود ووحدة الوجود، فإذا نظرنا في مذاهب الفيض الأفلاطوني، نجد أن الله والعقل الأول والنفس الكلية والمادة غير المصورة والنفوس الجزئية، كل أولئك عبارة عن مراتب الوجود في الأفلاطونية، وهذا ما نجده في مدرسة **ابن عربي**، في الحقيقة المحمّدية أول فيض من الذات الإلهية، ثم بقية الفيوضات في جميع الموجودات، وعند **ابن الفارض** في وحدته الشهودية، وفي مذهبه في القطبية والحقيقة المحمّدية، وعند الإشراقية السهر وردية والشيرازية، التي تجعل الله

* الجهم بن صفوان شخصية من أكبر شخصيات الإسلام، وقد نسبت إليه فرقة الجهمية، ثم المعتزلة: فلقبت المعتزلة منذ عهد المأمون بالجهمية، يكنى أبا محرز، نشأ في سمرقند بخراسان، ثم قضى فترة من حياته الأولى في ترمذ، أخذ عن الجعد بن درهم في الكوفة، وهناك عرف الجهم منهج الجهد، وهو منهج التأويل وعدم الاهتمام بعلم الحديث، كان ذا أدب ونظر وذكاء وفكر وجدال ومراء، قتل سنة128هـ، أهم آراء الجهم، مشكلة الألوهية، المشكلة الإنسانية. انظر: ابن حجر العسقلاني، الميزان، ط2، ج2، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1971م، ص144.

ISSN: 2523 – 1871

نورالأنوار فياضاً بالأنوار القاهرة، وهي النفوس والعقول، وبالجواهر الغاسقة الناشئة عن الأنوار، وهي الأجسام، حتى المصطلحات في المثل أو المعاني الأزلية والحقيقية، وحقيقة الحقائق، والعلة والمعلول، والوحدة والكثرة، وتحقق الذات في الموضوع وشيوع الموضوع في الذات.

إذن كل هذه الموضوعات تعود إلى مصادر الأفلاطونية وأصولها، فقد أخذت النظريات الصوفية لدى الصوفية الفلاسفة أو الفلاسفة الخلص لدى المشائية الإسلامية جوهرها من الأفلاطونية، وخاصة في المعرفة الإشراقية، التي تلقى إلقاء في النفس عند تطهرها وتحررها، ويكفينا دليلاً التاسوع الخامس **لأفلوطين** الذي يقول فيه: "النفس التي لا تضاء بضوئه تظل بغير رؤية، فإذا أضيئت فإنها تحتوي على كل ما تنشده، فترى الأسمى بالأسمى، ترى الأسمى الذي هو في الوقت نفسه وسيلة الرؤية، لأن مايضئ النفس هو نفسه الذي تريد رؤيته، كما أننا نرى الشمس بضوء الشمس" (كرم،1957م، ص56). **فأفلاطون** قد مارس هذه التجربة، ونجده قد أعطى هذا الاتجاه نفسه. **للفارابي*** **وابن سينا**** **والحلاج والسهروردي*****

---

* هو **أبو نصر محمد بن محمد بن أوزلغ بن طرخان الفارابي**. ولد عام 260هـ874/م في فاراب بإقليم تركستان (كازاخستان حالياً) وتوفي عام 339هـ950/م .فيلسوف مسلم اشتهر بإتقان العلوم الحكمية، وكانت له قوة في صناعة الطب. ولد في مدينة فاراب ولهذا اشتهر باسمه نسبة إلى المدينة ، يعود الفضل إليه في إدخال مفهوم الفراغ إلى علم الفيزياء. تأثر به كل من ابن سينا وابن رشد. تنقل في أنحاء البلاد وفي سوريا، قصد حلب وأقام في بلاط سيف الدولة الحمداني فترة، ثم ذهب إلى دمشق وأقام فيها حتى وفاته عن عمر يناهز 80 عاماً ودفن في دمشق، ووضع عدة مصنفات، كان أشهرَها كتابٌ حصر فيه أنواع العلوم وأصنافها، ويحمل هذا الكتاب اسم إحصاء العلوم. سمي الفارابي "المعلم الثاني" نسبة للمعلم الأول أرسطو، والإطلاق بسبب اهتمامه بالمنطق؛ لأن الفارابي هو شارح مؤلفات أرسطو المنطقية. انظر :بروكلمان:تاريخ الأدب العربي، تحقيق:عبد الحليم النجار، رمضان عبد التواب، ج1، ط5، دار المعارف، القاهرة، 1977م، ص210.

** هو **أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا**، عالم وطبيب مسلم من بخارى، اشتهر بالطب والفلسفة واشتغل بهما. ولد في قرية أفشنة بالقرب من بخارى في أوزبكستان حالياً، ولد سنة 370هـ980 م، وتوفي في همدان في إيران حاليا سنة 427هـ1037 م. عُرف باسم الشيخ الرئيس، وسماه الغربيون بأمير الأطباء وأبو الطب الحديث في العصور الوسطى. وقد ألّف 200 كتاب في مواضيع مختلفة، العديد منها يركّز على الفلسفة والطب. ويعد ابن سينا من أول من كتب عن الطبّ في العالم، وقد اتبع نهج أبقراط وجالينوس. وأشهر أعماله كتاب القانون في الطب، الذي ظل لسبعة قرون متوالية المرجع الرئيسي في علم الطب، وبقي كتابه، ويُعد ابن سينا أوَّل من وصف التهاب السَّحايا الأوَّليّ وصفًا صحيحًا، ووصف أسباب اليرقان، ووصف أعراض حصى المثانة، وانتبه إلى أثر المعالجة النفسانية في الشفاء، انظر: محمد أحمد منصور، موسوعة أعلام الفلسفة، مرجع سبق ذكره، ص15.

*** هو **أبوالفتوح يحيى بن حبش بن أميرك السهروردي** ويلقب بشهاب الدين، واشتُهر باسم السهروردي المقتول؛ تمييزاً له عن صوفيين آخرين في الشرق الإسلامي، نلاحظ غلبة لقب شيخ الإشراق على بقية الألقاب باعتباره يحمل اسم حكمته التي اشتهر بها حكمة الإشراق، التي أضحت مدرسة فلسفية صوفية متكاملة ماتزال حتى يومنا هذا، لاسيما في الهند وباكستان وإيران، وأبوالفتوح فيلسوف إشراقي شافعي المذهب، ولد في سهرورد الواقعة شمال غربي إيران، وقرأ كتب الدين والحكمة، ونشأ في مراغة، وسافر إلى حلب وبغداد، حيث كان مقتله بأمر صلاح الدين بعد أن نسب البعض إليه فساد المعتقد، ولتوهم صلاح الدين أن السهروردي يفتن ابنه بالكفر والخروج عن الدين، وكان مقتله بقلعة حلب سنة 586هـ مع أنه كان من كبار المتصوفة في زمانه، ومن أفقه علماء عصره بأمور الدين والفلسفة والمنطق والحكمة، ويسمي مذهبه الذي عرف به "حكمة الإشراق" وله كتاب بهذا الاسم. ومن كتبه –أيضا– رسائل في اعتقادات الحكماء وهياكل النور. انظر: محمد أحمد منصور، موسوعة أعلام الفلسفة، مرجع سبق ذكره، ص179.

ISSN: 2523 – 1871

وابن عربي وابن الفارض، وابن سبعين* وبقية الركب المشائي أو الصوفي، كذلك نجد الأفلاطونية ترتفع بالمتناهي إلى مقام اللا متناهي، وباتحاد الإنسان بالله عبر صعق الفناء. يقول أفلاطون في التاسوع الخامس: "وقد حدث مرات عدة أن ارتفعت خارج جسدي، بحيث دخلت نفسي، كنت حينئذٍ أحيا، وأظفر باتحاد مع الإلهي"(رسل ، 1954م، ص 449). ويقول في التاسوع الرابع: "يجب على أن أدخل في نفسي، ومن هنا أستيقظ، وبهذه اليقظة أتحد بالله". "يجب على أن أحجب عن نفسي النور الخارجي، لكي أحيا وحدي في النور الباطن"(رسل ، 1954م، ص 450).

وعلى الرغم مما تبين من العرض السابق إلا أنه يجب أن ننوه إلى أمر هام وضروري، وهو أن التصوف الإسلامي كان في أول عهده خلقاً دينياً، لم يحاول أن يجد له مذهباً فلسفياً يبنى عليه تقاليده، بل يتغذى بالتأمل وقهر النفس والصلاة، ولكنه **(أي التصوف الإسلامي)** قد وجد هذا المذهب، وهو مزيج من **الغنوصية والمانوية** تسيطر عليه **صبغة الأفلاطونية الحديثة**، فأكثر آراء فلاسفة التصوف، وعلى الخصوص آراء **ذي النون المصري**** تتفق مع الآراء التي وجدت في كتابات (ديونيسيوس) هي في الحقيقة تعبر عن مؤلفات وضعها **(أسطفانوس برصديلي)** الراهب الغنوصي السرياني، الذي كانت آثاره منقولة إلى العربية ومنتشرة انتشاراً واسعاً عند ظهور التصوف الإسلامي، حيث كان السريان يعنون، منذ

* هو: **عبد الحق بن سبعين**، ويكني بأبي محمد، ويلقب في المشرق بقطب الدين، فيلسوف متصوف أندلسي ومسقط رأسه رقوطة اليوم (Ricote) بمرسية في الأندلس، وينتمي إلى أسرة نبيلة وافرة الغنى، كان لها شأن بالأندلس، قضى مطلع شبابه بها، حيث تعلم العربية والأدب، ونظر في العلوم العقلية، وأخذ التصوف عن أبي إسحق إبراهيم بن يوسف بن محمد بن الدهاق. وقد لقب بشيخ السبعينيَّة؛ نسبة إلى الطريقة الصوفية التي يسمى أتباعها بالسبعينية، كما يسمون »الليسية« لأن ذكرهم كان: «ليس إلا الله، واشتهر بابن سبعين لأنه كان يطلق على نفسه ابن دارة، والدارة في الحساب =حرف العين= 70، اشتهر برسالته المسائل الصقلية، والتي كانت عبارة عن أجوبة لأسئلة أرسلها الإمبراطور فريدريك الثاني إلى الدولة الموحدية. انتشر صيته في أوروبا في عصره، فذكره البابا وتحدث عنه حيث قال: إنه ليس للمسلمين اليوم أعلم بالله منه، تعتبر فلسفته أحد المنعطفات الفكرية والإضافات التي عمَّقت طريق البحث الفلسفي ضمن إطار الدين. ولد عام614هـ، وتوفي عام 669هـ له العديد من المؤلفات منها: الحروف الوضعية في الصدور الفلكية، بدء العارف ... إلخ، انظر: ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، ج3 الطبعة: الثانية، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت – لبنان، 1971م، 392.

** هو: **ثوبان بن إبراهيم**، كنيته "أبو الفيض" ولقبه "ذو النون"، أحد أعلام التصوف في القرن الثالث الهجري ومن المحدثين الفقهاء. ولد في أخميم في مصر سنة 179 هـ الموافق 796 م وتوفي في مصر سنة 245 هـ الموافق 859 م، وأبوه كان نوبياً. كان أوحد وقته علماً، وورعاً، وحالاً، وأدباً، ومن المحدثين الفقهاء. من مؤلفاته كتاب »حل الرموز وبرء الأرقام في كشف أصول اللغات والأقلام «وهو من ضمن العلماء العرب الذين سبقوا شامبليون في فك رموز الأبجدية الهيروغليفية. روى الحديث عن مالك بن أنس والليث بن سعد وعبد الله بن لهيعة. درس على علماء عديدين وسافر إلى سورية والحجاز. يذكر القشيري في رسالته أنه أول من عرّف التوحيد بالمعنى الصوفي، وأنه أول من وضع تعريفات للوجد والسماع والمقامات والأحوال، من أقواله: "مدار الكلام على أربع: حبُّ الجليل، وبغض القليل، واتباع التنزيل، وخوف التحويل. " انظر: محمد أحمد منصور، موسوعة أعلام الفلسفة، مرجع سبق ذكره، ص154م.

عهد بعيد، بنقل الآثار إلى لغتهم وشرحها واختصارها والتعليق عليها، وكان من ضمن هذه الآثار كتاب **أفلوطين (الربوبية)**، إلا أن هذه الآثار لم تدخل صافية، بحيث يصبح من السهل تحديدها تحديداً دقيقاً، وإرجاعها إلى مصادرها بشكل صريح وواضح، فأكثرها يشترك في بعض الأمور، ويتفق حول بعض الحقائق، فحياة النسك مثلاً مشتركة بين البوذية والمسيحية، كما يشترك بينهما الفقر والتوكل. والمحبة الإلهية عامل مشترك بين المسيحية والأفلاطونية الحديثة، كما أن مذهب الحجب غنوصي بقدر ما هو **أفلاطوني**، فهذه المذاهب المختلفة لم تنشأ مستقلة متباعدة، بل تعارضت وتفاعلت، خصوصاً في **الإسكندرية**، كما تفاعلت وتعارضت مع الإسلام في **دمشق والبصرة والكوفة وبغداد**.

3 – الفلسفة الإشراقية لأهل العرفان:

قبل أن نتحدث عن هذه الفلسفة يجب أن نعرف معنى فلسفة مشرقية ومعنى إشراقية ومعنى العرفان.

- **فلسفة مشرقية** (Orientalism) "هي الحكمة المشرقية؛ أي التي تنتمي إلى المشرق. وهي الحكمة اللدنية التي تقوم على المشاهدة الباطنية"(الحنفي ، 1992م، ص197).
- معنى **إشراقية** هي "الفلسفة الإشراقية، وهي التي قال بها **السهروردي**، ويعني بالإشراق إشراق الشمس عند طلوعها أو الظهور الصباحي للأنوار المعقولة التي تتبدى للصوفية، ويصفه أتباعه بأنه شيخ الإشراقيين، في مقابل **الفارابي** شيخ المشائين، والأولون علمهم كشفي أو حضوري، ومعرفتهم مشرقية أو لدنية، تنتمي إلى المشرق، وتقوم على المشاهدة الباطنية، والآخرون علمهم صوري، ومعرفتهم مغربية، أي تنتمي إلى المغرب، وتقوم على التفكير الاستدلالي"(الحنفي ، 1992م، ص24). فالفلسفة المشرقية تنسب إلى **السهروردي**، الذي يكنى عادة باسم **(شيخ الإشراق)**، فهو صاحب كتاب **(حكمة الإشراق)** الذي يحمل فكرة حكمة لدنية مشرقية، يحيي فيه حكمة فارس القديمة. والوجوه الكبيرة التي تتحكم في سير المذهب هي "**هرس وأفلاطون وزرادشت**".
- **العرفان**: في اللغة العربية مصدر (عرف) فهو و(المعرفة) بمعنى واحد. يقول في لسان العرب: (العرفان: العلم، عرفه يعرفه عرفة وعرفانا ومعرفة)(ابن منظور ، 2003م، ص111). وقد ظهرت

ISSN: 2523 – 1871

كلمة (عرفان) عند المتصوفة الإسلاميين؛ لتدل عندهم على نوع أسمى من المعرفة، يلقى في القلب على صورة (كشف) أو (إلهام). ومع أن هذا المصطلح لم ينتشر استعماله في الأدبيات الصوفية إلا في مرحلة متأخرة، إلا أنه كان هناك منذ البداية لدى المتصوفة تمييز بين معرفة تكتسب بالحس أو بالعقل، أو بهما معاً، وبين معرفة تحصل بـ (الكشف) و(العيان).

إذن فالفلسفة الإشراقية لأهل العرفان "هي من العلوم الفلسفية بمنزلة التصوف من العلوم الإسلامية، كما أن الحكمة الطبيعية والإلهية منها بمنزلة الكلام منها. وبيان ذلك أن السعادة العظمى والمرتبة العليا للنفس الناطقة هي معرفة الصانع، بما له من صفات الكمال والتنزه عن النقصان، وبما صدر عنه من الآثار والأفعال في النشأة الأولى والآخرة، وبالجملة معرفة المبدأ والمعاد. والطريق إلى هذه المعرفة من وجهين: أحدهما طريقة أهل النظر والاستدلال، وثانيهما طريقة أهل الرياضة والمجاهدات.

والسالكون للطريقة الأولى: إن التزموا ملة من ملل الأنبياء –عليهم الصلاة والسلام– فهم المتكلمون، وإلا فهم الحكماء المشاءون. والسالكون للطريقة الثانية: إن وافقوا في رياضتهم أحكام الشرع فهم الصوفية، وإلا فهم الحكماء الإشراقيون"(القنوجي ، 1978م، ص247).

ويرى **السهروردي** وشارحوه المباشرون أن فكرة الإشراق "اسم يعني السناء والبهاء وإشراق الشمس عند طلوعها"(السهروردي ، 1898م، ص120.). وتبدو على نحو ثلاثي:

(1) فنستطيع أن نفهم منها الحكمة أو الحكمة اللدنية، التي يشكل الإشراق أصلها، باعتبار أنه يمثل ظهور الكائن وإشراقه معاً، وفعل الوجدان الذي يكشف هذا الكائن، وعندما يكشفه يقوده إلى الظهور، ويجعل منه ظاهرة. وكما أن هذا المصطلح يعني في العالم الحسي سناء الصباح وبهاءه وأول بريق للنجم، كذلك فإنه يعني في سماء الروح (المثالية) لحظة تجلي المعرفة.

(2) ونتيجة لذلك فإننا نفهم الفلسفة المشرقية أو الحكمة اللدنية المشرقية، على أنها عقيدة تستند إلى محاضرة الفيلسوف للظهور الصباحي للأنوار المعقولة، وانسكاب مطالعها على الأرواح لدى مفارقة هذه الأرواح للأجساد. فموضوع الكلام هنا، إذاً، هو فلسفة تفترض رؤيا داخلية وتجربة صوفية، ومعرفة هي معرفة مشرقية بالنظر؛ لانتسابها إلى مشرق المعقولات الخالصة.

ISSN: 2523 – 1871

(3) نستطيع أن نفهم أن فلسفة الإشراق هي فلسفة تشير إلى حكمة الإشراقيين أو المشرقيين، أي حكمة حكماء فارس القديمة، وهذا ليس بسبب موقعهم على الأرض وحسب، وإنما لأن معرفتهم نفسها كانت مشرقية، بمعنى أنها كانت مبنية على الكشف والمشاهدة الصوفية.

أما **قطب الدين الشيرازي*** فيقول: "حكمة الإشراق: أي الحكمة المؤسسة على الإشراق الذي هو الكشف، أو حكمة المشارقة الذين هم أهل فارس، هو –أيضاً– يرجع إلى الأول (أي الإشراق)؛ لأن حكمتهم كشفية ذوقية، نسبت إلى الإشراق الذي هو ظهور الأنوار العقلية ولمعانها وفيضانها بالإشراقات على النفس عند تجردها. وكان اعتماد الفارسيين في الحكمة على الذوق والكشف، وكذا قدماء اليونان خلا أرسطو وشيعته، فإن اعتمادهم كان على البحث والبرهان لا غير"(السهروردي ، ص94).

الفلسفة الإشراقية إذن: هي علم حضوري اتصالي شهودي، وإشراق حضوري، تشرق به النفس على الموضوع، وذلك بصفتها كائناً نورانيا؛ أي أنها تستحضره أمامها، وذلك بأن تستحضر نفسها، فظهورها هي نفسها لنفسها هو حضور هذا الحضور، وهذا هو الحضور الظهوري أي الإشراقي، فحقيقة كل علم موضوعي ترجع إلى شعور الإنسان العارف بذاته، وكذلك الأمر بالنسبة لكائنات جميع العوالم والأجرام النورانية كلها، فبفعل شعورهم بذواتهم نفسه، يصبحون حاضرين بعضهم أمام بعضهم الآخر. وهكذا تقوم الفلسفة الإشراقية بوصل الفلسفة والتصوف وصلاً لن يفترقا بعده.

إذن مما سبق نرى أن مبدأ الإشراق، أو بالأحرى مبدأ الفلسفة الإشراقية وأساسها الأول "هو أن الله نور الأنوار، ومصدر جميع الكائنات، فمن نوره خرجت أنوار أخرى، هي عماد العالم المادي والروحي،

* العالم المسلم الطبيب الفارسي **قطب الدين محمود بن مسعود بن مصلح الشيرازي**، ولد في كازرون بإيران، وتعلم الطب على يد والده وعمه، ثم تتلمذ على نصير الدين الطوسي. وقد زار عدداً من البلدان، فذهب إلى خراسان والعراق وفارس ومصر، ومارس الشيرازي إلى جانب نشاطه العلمي، القضاء والدبلوماسية، حيث عين قاضياً في إحدى مدن فارس، هو عالم من علماء الرياضيات والفلك والفيزياء والفلسفة البارزين. وقد تجلت إسهاماته في الفيزياء في شرحه لقوس قزح" شرحاً وافياً هو الأول من نوعه، كان الشيرازي يعتمد في بحوثه على المشاهدة والتجربة والاستنتاج، مع الأخذ بالبرهان الرياضي على المسائل الفيزيائية والفلكية. انظر: محمد أحمد منصور، موسوعة أعلام الفلسفة، مرجع سبق ذكره، ص244

والعقول المفارقة ليست إلا وحدات عن هذه الأنوار، تحرث الأفلاك، وتشرف على نظامها"(السهروردي ، 1960م، ص28–29.).

هذا النص يوضح مدى تأثر **السهروردي** بالنظرة الفارابية المشائية **وابن سينا**، وذلك يوضح لنا أيضاً أن فكرة الإشراق، وإن نُسِبت إلى **السهروردي**، إلا أننا نجد **ابن سينا** يقدم لنا مدخلاً مباشراً للمدرسة الإشراقية مع **السهروردي**، وذلك حين يفرق **ابن سينا** بين الزاهد والعابد والعارف. يقول ابن سينا: "المعرض عن متاع الدنيا وطيباتها يختص باسم الزاهد، والمواظب على نقل العبادات من القيام والصيام ونحوهما يخص باسم العابد، والمنصرف بفكره إلى قدس الجبروت، مستديماً لشروق نور الحق في سره، يخص باسم العارف"(ابن سينا ، 1992م، ص369)، أما السعادة فهي: "ليست مجرد لذة جسمية، بل هي غبطة روحية، وسمو معنوي، واتصال بالعالم العلوي؛ هي عشق وشوق مستمران (وما العشق الحقيقي إلا الابتهاج) والنفوس البشرية، إذا نالت الغبطة العليا في حياتها، كان أجل أحوالها أن تبقى عاشقة مشتاقة لا تخلص من علاقة الشروق، اللهم إلا في الحياة الأخرى.

وتتلو هذه النفوس نفوس بشرية مترددة بين جهتي الربوبية والسفالة على درجتها، ثم تتلوها النفوس المغموسة في عالم الطبيعة المنحوسة، التي لا مفاصل لرقابها المنكوسة. وليست الغاية من السعادة إلا مجرد الاتصال بين العبد وربه، يحظى فيه بضرب من الإشراق؛ هذا الإشراق وذلك النور لا يصدران عن الله مباشرة، بل عن طريق العقل الفعال"(ابن سينا ، 1992م ، ص 180)، ففلسفة العشق **لابن سينا**، أو فلسفته لشروق نور الحق في سره، يعطينا المدد الضخم لمدرسة الإشراق.

وهنا نذكر ذلك المعراج المشائي الذي عرجت عليه نظرية الاتصال، وأثرت مضمون نظرية **السهروردي** إثراء ضخماً، وهي كما حددها **ابن سينا** "تتدرج من مرحلة الإرادة إلى مرحلة الرياضة، إلى مرحلة الحد، إلى مرحلة السكينة، إلى مرحلة الملكة، التي نصل بها أخيراً إلى منازل الاتصال "(ابن سينا ، 1992م ، ص 21).

ولاشك في أن هذا إنتاج **الأفلاطونية المحدثة** لدى التاسوعات، كما أن هذا المعراج المشائي الصاعد على مدارج **الأفلاطونية المحدثة** هو الذي صاغه **السهروردي** في طريق العروج إلى الجناب الأعلى، حيث يقول في التلويحات: "أول ما يبتدئ عليهم أنوار خاطفة لتلك الطوالع واللوائح، ثم يمعنون

ISSN: 2523 – 1871

في الرياضة إلى أن يكثر عليهم ورودها لملكة متمكنة، بعد ذلك يثبت الخاطف، وعند ثباته يسمى السكينة، وعند التوغل تصير ملكة. ثم يحصل لهم قوة عروج إلى الجناب الأعلى" (السهروردي ، 2005م، ص107).

إذن فدراسة مذهب الإشراق تتمثل فيها المرحلة النهائية لتطور مذهب ابن سينا، وانطلاق الجانب الصوفي في المدرسة المشائية الإسلامية إلى غايتها الإشراقية.

كذلك هناك مدخل مباشر لفلسفة **السهروردي** في مدرسة الإشراق هو القرامطة، فأبو الحسن محمد ابن أحمد الملطي الشافعي يحدد لنا أصول الإشراقية في نور الأنوار والنور الغاسق اللذين أقام عليهما **السهروردي** صرح فلسفته، فيقول في (التنبيه) عن الفرقة الخامسة من الرافضة: "هم القرامطة، وهم يقولون: إن الله نور علوي لا تشبهه الأنوار، ولا يمازجه الظلام، وأنه تولد من النور العلوي، النور الشمشماني، فكان منه الأنبياء والأئمة، فهم بخلاف طبائع الناس، وهم يعلمون الغيب، ويقدرون على كل شيء، ولا يعجزهم شيء"(المالطي ، 1949م، ص20). كما أن هناك مصدرا آخر هو نفس المصدر الشيعي القرمطي، يمثله قبل **السهروردي** إخوان الصفاء في موسوعتهم الكبيرة الموفقة بين الفلسفات المختلفة، وثنية وغير وثنية، فالذي قاله إخوان الصفاء عن أسمى النفوس بأنه "من كان عربي الدين، مسيحي المنهج، يوناني العلم، هندي البصيرة. . . هو ما قصده **السهروردي** في قوله عن الفلاسفة (إنهم فروع شجرة مباركة) وأن (أمبودقل وفيثاغورس وأفلاطون وأرسطو وطاليس وبوذا وهرمس ومزدك وماني، وإن نسبوا إلى شعوب مختلفة، هم أبناء الإنسانية أولاً، وبالذات رسل السلام والإصلاح. . . وعلى الجملة فإن زهاد الهند وفلاسفة الإغريق وحكماء العراق يسعون وراء غاية واحدة، ويعملون على نشر نظرية ثابتة، وينطوون تحت لواء فلسفة واحدة هي الفلسفة الإشراقية"(كوربان ، 1983م، ص 212).

إذن فجذور الفلسفة الإشراقية، التي يمثلها **السهروردي** مستمدة من ابن سينا وإخوان الصفاء والقرامطة وفلاسفة الإغريق وحكماء الشرق في العراق والهند، وعناصر من الحكمة الإيرانية القديمة وغيرها من غنوصيات. يقول **السهروردي**: "وأودعنا علم الحقيقة كتابنا المسمى بحكمة الإشراق، أحيينا

فيه الحكمة العتيقة التي مازالت أئمة الهند وفارس وبابل ومصر وقدماء اليونان إلى أفلاطون يدورون عليها، ويستخرجون منها حكمتهم وهي الخميرة الأزلية"(كوربان ، 1983م، ص37).

أما المصدر الفارسي للفلسفة الإشراقية فنجده واضحا حين يخالف **السهروردي** اتجاه المدرسة المشائية في العناصر الأربعة: الماء والتراب والهواء والنار، ويرجعها إلى المصدر الفارسي القديم، فنجده يلغي النار، ويسمو بها بعيداً عن الماء والتراب والهواء؛ لأنه يسميها النار المعقولة، ويعتبرها غير محسوسة. والنار المعقولة في الهواء الذي هو قسم لطيف وقسم حار، والنار هي الهواء الحار، وهي لا تحرق، بل الهواء هو الذي يحرق. ولما كان للنار الفارسية قداستها، فإن حكمة الإشراق تصورها نارا مقدسة معقولة، بعيدة عن الحس والمحسوس، "فالنار ذات النور شريفة لنوريتها، وهي التي اتفقت الفرس على أنها طلسم (أردبيهشت)، وهو نور قاهر فياض لها، وهي أخت النور الأسفهيذ (الإنسي) (وكما تضيء النفس عالم الأرواح، كذلك تضيء النار عالم الأجرام، وكما أن الخلافة الكبرى للنفس، فللنار الخلافة الصغرى).

وعند السهروردي أن النار المعقولة، وهي مذكر لا مؤنث (أخو النور الأسفهيذ) (هي الممتدة في مذهب الجلالة المشرقة، وهي الحضرة الربانية التي تكن إليها النفوس، وهي التي قادت الملكين السعيدين [أفريدون ولياخسرو] وهي التي تجلت لموسى لما نودي من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة"(السهروردي ، 1898م، ص128). كذلك يتضح المصدر الصابئي، حين يرى **السهروردي** أن هذه النار المقدسة، بنوريتها ونارياتها، لها أدعيتها المقدسة أيضاً. وهذا واضح من خلال أدعيته وصلواته لملائكة الأفلاك في صرح إشراقيته المقدسة.

ومن أدعيته للشمس، وهي تختلف كل يوم حسب نوع أيام الأسبوع وطبيعتها: (أهلا بالحي الناطق الأنوار). كما أنه يرى أن الشمس روح حي يستحق العبادة والدعاء المباشر. ويؤكد ذلك قوله: "أنت (هورخس) الشديد، قاهر الغسق، فاعل النهار، بأمر الله تعالى، مالك رقاب الأنوار المتجسدة بحول الله"(كوربان ، 1983م، ص 313).

كذلك نجد تأثر السهروردي بالنظرة الثنائية الفارسية واضحاً في تقسيمه العالم إلى قسمين: عالم النور، وعالم الظلام. الأول هو الروحاني الأعلى، أي المنير، وعلى رأسه الإله الذي يدعى نور النور. يلي هذا الإله في المكانة عقول الكواكب، ويسميها الأنوار القاهرة أو المحاكمة أو السائدة، تليها العقول الأخرى ويسميها الأنوار فقط، دون أيّ صفة لهذه الأنوار. أما القسم الثاني فهو عالم الظلام، عالم المادة والوضاعة والرداءة، وأشخاص هذا العالم تدعى عنده بالأوثان أو البرازخ.

كما أن المصدر الأفلاطوني واضح، وذلك حين نقارن بين هياكل النور، وأنولوجيا أفلوطين، فالنور الأول عند **السهروردي** يفيض ينابيع للنور، وهذه الينابيع لا حد لها ولا نسب، وإن أم النسب عنده هي نسبة الجوهر القائم الموجود إلى الأول المطلق بذاته، وهذا هو لب الأفلاطونية، يصوغها السهروردي صياغة زرادشتية، من حيث إنّ لكل ماهيةً معشوقها، أو كما يقول **السهروردي**: "هو نور قاهر، هو (سببه) وممده، وواسطة بينه وبين الأول" (السهروردي، 1960م، ، ص56).

كما يبدو التأثر بالأفلاطونية في استعمال السهروردي للرمز، والإيغال في استعماله إلى درجة عنيفة، فإن جعله الصنم رمزا للمعنى الحسي والعقلي معاً أساسه أفلاطوني. فالإنسان الحسي في أنولوجيا أفلوطين هو صنم الإنسان العقلي الموجود في العقل الثاني؛ أي في عالم الميل. والعالم الحسي كله صنم للعالم العقلي، وعلاقة الصنم بالمثال تقوم على أساس المشاركة الأفلاطونية.

مما سبق يتضح لنا أن الفلسفة الإشراقية متعددة المصادر؛ وذلك لأن شيخها السهروردي المقتول عارف بالفلسفة الأفلاطونية، والمشائية، والأفلاطونية المحدثة، وبالحكمة الفارسية، وبمذاهب الصابئة، وبالفلسفة الهرمسية، حيث يذكر هرمس كثيراً في مؤلفاته، ويعتبره من رؤساء الإشراقيين ويصفه بأنه (والد الحكماء)، وهو يذكره مع أغاديمون وأسقليبوس وفيثاغورس، باعتبارهم من حجج العلوم المستورة، جنباً إلى جنب مع جاماسب وبزرجمهر من حكماء الفرس. وإلى جانب هرمس، نجد –أيضاً– زرادشت كذلك، فهو عارف بمذاهب الفلسفة الإسلامية، وعلى الأخص مذهب الفارابي وابن سينا، فهو على الرغم من انتقاده لفلاسفة الإسلام، الذين يصفهم بالمشائين، فإنه –ولا شك– متأثر بهم. كما عرف طائفة من

ISSN: 2523 – 1871

صوفية القرنين الثالث والرابع، وهو يمتدح أبا يزيد البسطامي، ويطلق عليه (سيار بسطام)، والحلاج الذي يصفه بأنه (فتى البيضاء)، فهؤلاء جميعاً عنده أهل الإشراق الفارسي الأصيل.

3– المعتقدات البوذية والهندية والمانوية:

تتمثل المصادر البوذية والهندية والمانوية في التصوف الإسلامي، أو لدى متفلسفي التصوف، في استخدامهم لعدة ألفاظ ونظريات، مثل: لفظ الفناء، ونظرية الفناء، التي أخذها البسطامي من الهند في عقيدة الواحدية (Monism) ونسخ منها نظريته وعقيدته في الفناء، على أساس فكرة المراقبة، التي يرادفها في الفلسفة الصوفية الهندية البوذية مصطلحا **(الذيانا والسماذي)**؛ الذيانا: وتعني التأمل والمراقبة، والسماذي: تعني الاستغراق. ومن خلال ارتباط المراقبة أو التأمل (Meditation) بالاستغراق أو الفناء (Absorbtion) بمعنى الصعود من المراقبة إلى الاستغراق، يصل الصوفي المريد إلى أن يصبح المراقِبُ والمراقَبُ عنده واحداً. وهذا هو جوهر نظرية البسطامي التي أخذها عن الصوفية الهندية في فلسفة **الذيانا والسماذي**. ففكرة الفناء الذاتي في الوجود الكلي، وهي حالة سماها الصوفيون **(الفناء والمحو)** و**(الاستهلال)** نجدها قوية العلاقة **(بالنرفانا)** الهندية، "فالفناء والنرفانا معناهما فناء الخصال السيئة والأفعال القبيحة الناتجة عنها باستدامة الاتصال بما ينافيها من خصال وأفعال. وهما –أيضاً– فناء الشخصية وتلاشيها، وانعدام الشعور بالوجود الذاتي، لكن الفناء الصوفي يؤدي إلى الحياة الخالدة في الله، والشعور بأن الذاتين ذات واحدة. أما النرفانا الهندية فهي الفناء المطلق في النفس الكلية، والسكون المطلق في حالة لا تختلف عن العدم" (كوربان ، 1983م، ص310).

كما أن نظرية الحلاج في الحلول، التي استمد أصولها من الثقافة **(الفلسفة الهندية والبوذية)** بها تأثر واضح بتلك الفلسفة. إلا أن ذلك لا يجعلنا ننسى في غفلة أن البسطامي قد قدم للحلاج أرضه الخصبة لتلك النظرية، فيغرس بها (الحلاج) أثمار الحلول، لقصة معراجه، كما أن الباب الذي دخل منه الحلاج إلى مذهبه هو الفناء. ونظرية الفناء كما ذكرنا مع البسطامي لها أصولها وصلتها بالنرفانا البوذية والحلولية الهندية الفارسية، فإذا كان للفناء عدة أطوار منها:

(1) تغير معنوي للروح بإفناء ميولها ورغباتها جميعاً، فهذا الطور يشبه النرفانا البوذية؛ إذ هي فناء صفات النفس وأحوالها الذميمة. وهذا الفناء يستلزم –في الوقت ذاته– بقاء الصفات الحميدة،

ISSN: 2523 – 1871

وتلك طريقة جذبية صاعدة، مع ملاحظة الفرق بين النرفانا البوذية والفناء في النظرية الصوفية في الإسلام. فالنرفانا زوال للشخصية لا غير، أما الفناء لدى صوفية الإسلام فهو تلاشي الصوفي عن وجوده، ويستلزم ذلك الفناء مقام البقاء في الحلول أو الاتحاد التام، عن طريق الحلول أو وحدة الشهود.

(2) تجريد عقلي أو فناء العقل في المدركات والأفكار والأفعال والأحاسيس، بانحصاره في التفكير في الله، والتفكير في الله معناه التأمل في الصفات الإلهية، وهذا الطور يعتبر غاية لحياة الإشراق حسب الصوفية المسيحية (نيكلسون ، 1951م، ص66).

كذلك فكرة التناسخ نجد **السهروردي** "قد قسم التناسخ إلى نسخ (من إنسان إلى إنسان) ومسخ (من إنسان إلى حيوان) وفسخ (من إنسان إلى نبات) ورسخ (من إنسان إلى جماد). فالينابيع للتناسخ الذي قال به **السهروردي** نجدها لدى الاتجاه الأبيقوري الذي يقول: "والحالات التي ترد على الأنفس في هذا العالم كلها من تلقائها، على قدر حركاتها وأفاعيلها، فإن فعلت خيراً أو حسناً يرد عليها سروراً وفرحاً، وإن فعلت شراً قبيحاً، يرد عليها حزناً وترحا" (الشهرستاني ، 1961م، ص103). أما الاتجاه البوذي فيرى التناسخ من خلال تنقل النفس ونكران الجزاء الأخروي.

أما نظرية وحدة الأديان: فهي –أيضاً– إحدى متولدات وحدة الوجود لدى (ابن عربي)، فهذه النظرية نجد أن مصدرها هندي. يقول لنا (شانكارا) أستاذ (ابن عربي) القديم: "اعبد الله في أي معبد شئت، أو اركع أمام أي إله بغير تفريق". فابن عربي يوضح ويفسر لنا فلسفته في ذلك على أساس متسق تمام الاتساق مع نظريته في وحدة الوجود، فيرى صحة الإيمان بكل المعتقدات؛ "لأن صاحب المعبود الخاص جاهل بلا شك؛ لاعتراضه على غيره فيما اعتقده، أما الإله المطلق فهو الذي لا يسعه شيء؛ لأنه عين الأشياء" (ابن عربي ، 1946م، ص226).

كذلك من الآثار الهندية في التصوف الإسلامي الخرقة التي يلبسها المريد عند دخوله في الجماعة الصوفية، وهذه الخرقة ترمز إلى الفقر والإعراض عن العالم، كذلك الرياضة المتعلقة بالذكر

ونظام التنفس، و قد أخذوا عن الهنود –أيضاً– الطرق الرياضية المتعلقة بالذكر، كما أخذوا عنهم نظام التنفس الذي يساعد على الوصول إلى الانجذاب الروحي والنشوة.

إذن مما سبق يتضح لنا أن الثقافة البوذية والهندية والمانوية تعتبر من مصادر التصوف غير الإسلامية، التي دخلت على التصوف الإسلامي، وذلك لم يكن بالشيء الغريب؛ لأن المسلمين قد عرفوا الرهبان الرحل من البوذيين، وقلدوا كثيراً من طرق معيشتهم ونظرتهم للحياة، فأكثر المسلمين الذين تأثروا بالرهبان الرحل من البوذيين هم مسلمو بلاد **الشام والعراق**، وذلك في عهد الدولة الأموية وعهد بني العباس. مع العلم أن هذه العناصر الهندية في التصوف الإسلامي لم تدخل إليه دفعة واحدة عند نشأته، بل تسربت إليه خلال تطور تاريخي دام عصوراً عدة، حتى أصبحت مع العناصر الدخيلة الأخرى **(المسيحية والأفلاطونية المحدثة الفارسية)**، وجزءاً من أجزائه المقومة له، فتفاعلت فيه ومعه، حتى فقدت الشيء الكثير من معناها الأول وصيغتها الأصلية.

الخاتمة

سعى هذا البحث إلى تحديد طبيعة الوشائج وأنظمة العلائق التي ربطت التصوّف الإسلامي بالأنساق الثقافية والفكرية والدينية الناشئة في حضارات الأمم الأخرى، تلك العلائق التي يمكن أن نختزل الكلام عن ماهيتها بقولنا: إنّها لم تكن رفضاً مطلقاً، كما لم تكن قبولاً أو محاكاةً باهتة، إنّما كانت تواصلاً جدلياً يقوم على التفاعل المثمر، وهي عادة اقتضاها منطق الفكر الصوفي في الإسلام ذاته؛ لكونه يلتقي مع سائر الثقافات في العالم، ومقصده خلاص النفس، والتحقق من حقيقة الذات الإلهية.

حاولنا في ذلك تأسيس أرضية معرفية ننظر من خلالها إلى علاقة هذا الموروث بثقافة الآخر، فلا نرفض مبدأ التأثير والتأثر، فالمسلمون في بداية حضارتهم كانوا من حيث النواحي المعنوية في القمة عقيدة وعبادة ومنهج حياة، وبعد مدة وجيزة هضموا جميع ما عند حضارات البلدان المفتوحة من خير، ثم طهَّروه، وأضافوا عليه الكثير الكثير فغدوا بناة للحضارة الإنسانية الرفيعة، والتصوف الفلسفي من مظاهر الحضارة الإسلامية التي ظهرت في القرنين السادس والسابع الهجريين، واستمر بعد

ذلك، ولما كان هذا اللون من التصوف ممتزجا بالفلسفة، فإنه قد تسربت إليه بذلك فلسفات وأفكار أجنبية متعددة: يونانية، وفارسية، وهندية، ومسيحية، كما يفسر لنا ذلك وجود تلك المصطلحات الفلسفية المتعلقة بالفلسفات الأجنبية المذكورة في مصنفاتهم، التي غيروا في كثير من معانيها بما يتلاءم ومذهبهم الصوفي، ولعل هذه المرحلة هي التي جعلت بعض الباحثين يقول: إنّ التصوف الإسلامي تأثر بالفلسفة الهندية والفارسية واليونانية كما تقدم.

كما اتضح لنا مما تقدم أن صوفية الإسلام لم يكونوا مجرد نقلة؛ لأن التصوف متعلق أساساً بالشعور والوجدان، والنفس الإنسانية واحدة على الرغم من اختلاف الشعوب، وما تصل إليه نفس بشريه بطريقة المجاهدات والرياضيات الروحية، قد تصل إليه أخرى دون اتصال واحدة منهما بالأخرى، و هذا يعني أن وحدة التجربة الصوفية، وإن اختلف تفسيرها من صوفي إلى آخر بحسب الحضارة التي ينتمي إليها، وعلى ذلك فالتشابه بين التصوف الإسلامي وغيره من أنواع التصوف الأجنبية لا يعني دائماً أخذه عنها، فالتصوف قاسم مشترك، وهذا القاسم المشترك هو الجسر الحضاري، والإنساني الذي يقود العالم إلى الاستقرار والاطمئنان.

نتائج البحث

- ❖ يجب الاهتمام بالبحث والتنقيب على المخطوطات الخاصة بالتصوف، فيومياً يكشف الستار عن مخطوطات جديدة في مكتبات الدول العربية، و الغربية التي تذخر بمؤلفات لا حصر لها.
- ❖ كثير من رجال العلم والفلسفة والفكر الآن يرفضون التصوف والخوض في مشاكله وأسبابه، وفي الحقيقة التصوف قيمة خاصة، وهو جدير بالدراسة، والدليل على ذلك قول فيلسوف تحليلي عقلاني وعالم رياضي معروف هو رسل(1872– 1970) الذي لا علاقة له بالتصوف ومع ذلك يعترف بأن"وحدة التصوف مع رجل العلم تشكل أعلى مكانة مرموقة يمكن إنجازها في عالم الفكر"، ويشير إلى نماذج لهذا الاتحاد بين التصوف والعلم عند عظماء الفلاسفة: هيرقليطس، وبرمنيدس، وأفلاطون، واسبينوزا... إلخ، ومن هنا كانت هناك صلة وثيقة بين التصوف والفلسفات الكبرى، التي أثرت في مجرى تاريخ الفكر البشري، وعليه يجب الاهتمام بهذا العلم.

- يجب ألا يدرس التصوف في ثقافة معينة، كالتصوف المسيحي مثلاً، وإنما يدرس التصوف في جميع الثقافات المتحضرة؛ كالتصوف المسيحي، والإسلامي، واليهودي، والهندوسي، والبوذي، هذا إلى جانب تجارب الصوفية غير التابعين لأي ديانة معينة "المتصوف اللا منتمي".
- يجب الاهتمام بأدبيات التصوف من قبل المفكرين المسلمين، أسوة بمفكري الغرب، الذين اهتموا بالأدب العربي الصوفي، فكانت أول شخصية من السيرة الصوفية عرفتها أوروبا هي رابعة العدوية، التي تكرر ذكرها في القصص الألمانية، والانجليزية، والدليل على ذلك ما كتبه (ماكس ميلMax Mall) في قصته القصيرة" الأيدي الجميلة".

قائمة المصادر

1. ابن تيمية (د.ت) "مجموعة الرسائل الكبرى"، ج1، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
2. ابن خلكان(1948م) ، "وفيات الأعيان: ج1"، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية.
3. ابن سينا(1992م)، " الإشارات والتنبيهات "، تحقيق: سليمان دنيا، القاهرة، مؤسسة النعمان.
4. ابن عربي(1946م)، " فصوص الحكم "، تحقيق: أبو العلا عفيفي، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر.
5. ابن منظور (2003م)، " لسان العرب "،ج10، لبنان، دار الصياد.
6. الأشعري، أبو الحسن (1990)، " مقالات الإسلامين واختلاف المصلين "، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مصر ، المكتبة العصرية.
7. الأصفهاني، أبو نعيم (1405هـ)، " حلية الأولياء "، ط4،ج 10، بيروت، دار الكتاب العربي.
8. الأفغاني، عناية الله(1979م)، "ابلاغ جلال الدين الرومي بين الصوفية وعلماء الكلام"، القاهرة، الدار المصرية للكتاب.
9. بدوي، عبد الرحمن(1970م)، " خريف الفكر اليوناني "، ط4، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية
10. برندر، جيفري(1993)، " المعتقدات الدينية لدى الشعوب "، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، الكويت، سلسلة عالم المعرفة.

11. بروكلمان(1977م)، " تاريخ الأدب العربي "، ، تحقيق: عبد الحليم النجار، رمضان عبد التواب، ج1، ط5، القاهرة، دار المعارف.
12. البغدادي، عبد القاهر(د.ت)، " الفرق بين الفرق "، تحقيق محمد عثمان الخست، المجلد الأول، مصر، مكتبة أبن سينا.
13. البغدادي(2001م)، " تاريخ بغداد "، تحقيق بشار عودا معروف، **ط1**، ج3، دار الغرب الإسلامي.
14. الجيلي، عبد الكريم(1981م)، " الإنسان الكامل "، تحقيق: فاتن محمد خليل، ط41، ج2، بيروت، مؤسسة التاريخ العربي.
15. جينيبير، شار(1981م)، " المسيحية نشأتها وتطورها "، ترجمة عبد الحليم محمود، دار المعارف بمصر.
16. الحلاج(1956م)، " الطواسين "، ترجمة: ماسينيون، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.
17. الحنفي، عبد المنعم(1992م)، " المعجم الفلسفي "، ، ط1، دار بيروت، ابن زيدون. النشار، على سامي(1981)، " نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام "، ج1، ط1، القاهرة، دار المعارف.
18. دفتري، فرهاد(1997)، " خرافات الحشاشين وأساطير الإسماعيليين "، دمشق، دار المدى للطباعة والنشر والتوزيع.
19. الذهبي(2001م)، " سير أعلام النبلاء "، ج 14، القاهرة، مؤسسة الرسالة.
20. رسل(1954م)، " تاريخ الفلسفة الغربية "،ترجمة: زكي نجيب محمود، ط1، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
21. السامرائي، عبدا لله سلوم(1980م)، " الشعوبية حركة مضادة للإسلام والأمة العربية "، بغداد، دار الحرية للطباعة .
22. السهروردي(د. ت)، " عوارف المعارف "، تحقيق: عبد الحليم محمود، ط2، القاهرة، مكتبة الايمان.

23. السهروردي(1898م)، " حكمة الإشراق "، طهران.
24. السهروردي(1960م)، " هياكل النور "،، ، تحقيق: محمد علي أبو ريان، القاهرة، مصطفى الحلبي.
25. السهروردي(2005م)، " التلويحات اللوحية والعرشية "، ط1، تعليق: علي محمد إسبر، محمد أمين أبو جوهر، دار التكوين.
26. شلبي، أحمد(1993م)، " مقارنة الأديان "، ، ط10، ج2، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية.
27. الشهرستاني(1961م)، " الملل والنحل "، ج 2، تحقيق: محمد فتح الله بدران، القاهرة، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.
28. طرابيشي، جورج (2006م)، "معجم الفلاسفة"،ط3، بيروت، دار الطليعة.
29. العسقلاني، ابن حجر،(1986م)، "فتح الباري شرح صحيح البخاري"، دار الريان للتراث.
30. العسقلاني،ابن حجر(1971م)، "الميزان: ج2"، ط2، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.
31. العسقلاني،ابن حجر (1971م)، "لسان الميزان: ج3"، ،الطبعة الثانية، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات .
32. القشيري(د. ت)، " الرسالة القشيرية "، بيروت ، دار الكتاب العربي.
33. القنوجي، صديق بن حسن(1978م)، " أبجد العلوم الواشي المرقوم في بيان أحوال العلوم "، تحقيق: عبد الجبار زكار، ج2، بيروت، دار الكتب العلمية.
34. كرم، يوسف (1957م)، " تاريخ الفلسفة الحديثة "، مصر، دار المعارف.
35. كلور، جون(1995م)، " الفكر الشرقي القديم "، ترجمة كامل يوسف حسين، الكويت .
36. كوربان، هنري (1983م)، " تاريخ الفلسفة الإسلامية "، ترجمة: نصير مروة وحسن قبيس، ط3، بيروت– باريس، منشورات عويدات .
37. المالطي(1949م)، " التنبيه والرد على أهل البدع والهواء "، تحقيق: زاهد الكوثري، ب ط، ج1، مصر، عزت العطار.
38. محمود، عبد القادر(د.ت)، " الفلسفة الصوفية في الإسلام "، ، ب ط، مصر، دار الفكر العربي

39. منصور، محمد أحمد(2001م)، " موسوعة أعلام الفلسفة "،ط1، عمان: الأردن، دار أسامة للنشر والتوزيع.
40. النوبختي(1931م)، " فرق الشيعة "،تحقيق: السيد هبة الدين الشهرستاني، أستنبول، طبعة ريتر
41. نيكلسون(1951م)، " في التصوف الإسلامي وتاريخه "، ترجمة نور الدين شريبة، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر.
42. وهبه، مراد(1979م)، " المعجم الفلسفي "، ط3، القاهرة، دار الثقافة الجديدة.

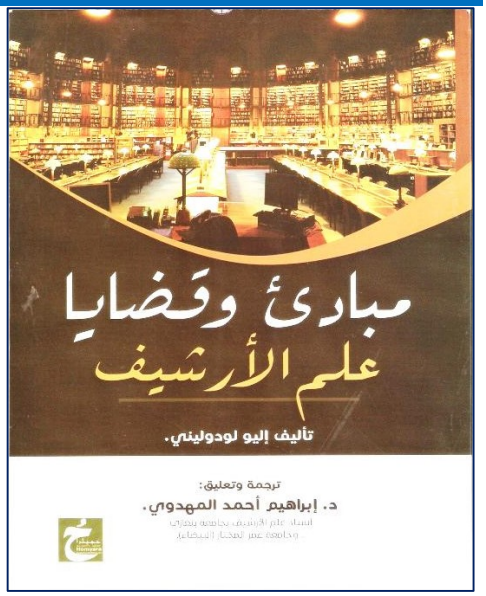
ISSN: 2523 – 1871

ثانيا: عرض كتاب



ISSN: 2523 – 1871

عرض كتاب بعنوان
مبادئ وقضايا علم الأرشيف



المؤلف: إليو لودوليني

ترجمة وتعليق: أ.د: ابراهيم أحمد المهدوي

أستاذ علم الأرشيف بجامعة بنغازي

عضو هيأة تدريس بقسم المكتبات وخبير الأرشيف

أعد العرض: أ.خديجة موسى الفضيل بوعمر

أستاذ مساعد بقسم المكتبات والمعلومات كلية الآداب

جامعة بنغازي

صدر هذا الكتاب في طبعة ذات اخراج جميل عن دار النشر **حُميثرا** التي تملك حقوق طباعة ونشر الكتاب في مصر والسودان وشمال أفريقيا ودول الخليج، ويحمل الكتاب رقم ايداع في دار الكتب الوطنية، وله ترقيم دولي؛ فيما وصل عدد صفحاته إلى 344 صفحة.

يبدأ الكتاب بمقدمة للمترجم شارحا فيها أسباب اختياره هذا الكتاب، حيث يذكر أنه كان طالبا لدى البروفسور **إليولودوليني**– مؤلف الكتاب – بجامعة روما في إيطاليا عندما كان المترجم يعد أطروحة الدكتوراه، وقد كان الكتاب من ضمن الكتب المعروفة في مجال دراسات الأرشيف، إضافة لخبرة المؤلف الواسعة في هذا المجال.

يضم الكتاب 17 موضوعا هي بمثابة فصول كاملة، تتدرج في موضوعاتها من المقدمة العامة لتعريف الأرشيف مرورا بالمصطلحات المختلفة المتناولة في هذا المجال، كما أن الكتاب يُركز في جانب كبير منه . من الفقرة الرابعة حتى الفقرة التاسعة . على موضوع ترتيب الوثائق وتنظيمها. باعتبارها قضية هامة جدا في مجال العمل الأرشيفي يكثر فيها الجدل وتختلف حولها الآراء.

يناقش الكتاب أيضا مسألة حرية الاطلاع على الوثائق والطرق المتبعة في إيداعها أو اختيارها أو حتى اتلافها، ثم يصل إلى طرح العلاقة بين الأرشيف والمكتبات والمتاحف في الفقرة (أو الفصل) الرابع عشر. فيما أُفردت الفصول من الخامس عشر إلى السابع عشر للقضايا المهنية في عالم الأرشيف، ودَور المؤسسات الأرشيفية الوطنية والعالمية في حفظ الأرشيف.

تتجلى أهمية هذا الكتاب في مناقشته وطرحه لموضوعات غاية في الأهمية خاصة في ظل الصعوبات الجمة التي يواجهها العمل الأرشيفي والوثائقي في بلادنا العربية عامة وفي الدولة الليبية خاصة.

واقتباسا من مقدمة المترجم يمكن القول أن النقص الملحوظ في الكتابات العربية عن الأرشيف قد دفعه إلى ترجمة هذا الكتاب لتقديمه إلى كافة المهتمين بقضايا علم الأرشيف في عالمنا العربي الذي مازالت كثير من دويلاته لم تنتبه إلى أهمية الوثائق في تنمية المجتمع من خلال استخدامها في اتخاذ القرارات.

وأخيرا.. إن هذا ليس الكتاب الأول للمترجم الذي يُعد من أكثر أعضاء هيأة التدريس بجامعة بنغازي في الانتاجية العلمية إن لم يكن في معظم الجامعات الليبية، حيث سبق له أن قام بترجمة عدة كتب ومقالات عن اللغة الانجليزية والايطالية، إضافة إلى تأليف كتب متعددة في مجال علم المكتبات والمعلومات والأرشيف والتاريخ الليبي، وقام بنشرها داخل الجامعة وخارجها.

ISSN: 2523 – 1871

ثالثا: الدراسات والمقالات

باللغات الأخرى



The Role of Benina Airport in the Development of Eastern Part of Libya

Prof. Salem F Salem **Geography Department**
Ms Fatima Bayou

Abstract

The rationale for the choice of the problem of this study is based on the following points: the airport has undergone four historical development periods and the second period (1952- 1969) was the most important one, in which Benina and the other Libyan airports witnessed an unprecedented prosperity, where the State started to implement a series of economic and social plans. Through the study of population growth around the area of Benina, it was found that the airport did not contribute to the growth of the city as is customary known in most airports in the world. It has been shown through the studying of the compositional structure of the airport facilities and components that most of the departments of the airport suffer from worn out and lack of maintenance. The findings of the study showed also that the airport is currently suffering from a host of problems that had a negative impact on the efficiency of its operation; the most important of that is the noise brought about by the warplanes which cause great nuisance to residents living near a residential area of the airport, leading to ear and hearing problems for 32% of the total respondents surveyed in the study. In addition to the environmental effects on housing near the airport, this had led 33.5% of the total sample studied individuals to complain of disruptions in phone calls and cracks in the walls of houses. Thus, , in order to achieve the desired objectives perfectly, the officials and those interested in the field of airports and air transport in general must put the following important recommendations into consideration:- (1) More attention must be paid to the application of environmental legislation, in order to preserve the environment around the airport from the dangers arising from the mismanagement of Benina International Airport. (2) The officials of the civil aviation administration must separate between civil and military airplanes , in order to avoid problems arising from the joint use, which claimed the lives of passengers of flight No. 1103 heading to Tripoli in 1992. (3) The rehabilitation of the airport with the latest cutting-edge technology and means of moving belts and surveillance equipment and vehicles transporting passengers with sophisticated luggage and other modern technologies that help to accelerate the development of passenger traffic at the airport. (4) The management authority must unify security agencies operating within the airport, and determine the whereabouts and the allocation of special uniforms for each of them.

Key words :-

Airport, noise (acoustic pollution), population, housing, environment

Introduction

Transport is the backbone of economic life nowadays, especially Air transport, which has become a necessity in this time, in which the movement has been active domestically and internationally, and time has become an important element in economic life. Airports are the most important key ports in the city and they are parts of the elements of the system, which includes air planes and thus has become the ultimate tool for linking the sprawling globe super-fast. Recently, The airports are not considered just as ground space facilities and apparatus with a view to their use for check-in/check-out and move planes, but they have evolved into a cultural interface and a public facility effective economically and politically within the wheel of the gross national product.

Given the importance of airports and their influence by their surrounding environment and the direct impact they have on environment, the geographers are interested in studying them for their significance and their economic and social role in developing the country. They play a vital role in connecting countries to one another and linking the parts of a country, especially large amplitude, as is the case of Libya, in addition, they contribute and support the section of tourism and create job opportunities for residents who live near of the airport. It has been estimated that Libya is a cradle of the oldest civilizations and has deep impact in man's emergence and its development since prehistory until the present time. This was not coincidental as Libya is characterized by a unique geographical location, which mediates the North of the African continent, and the Southern Mediterranean, making it a focal point between East , West, North and South. It is granted mild climate and diversity of natural landscape ranging from mountains , plains , deserts and beaches. Such features assisted making Libya tourist attraction. Thus, the tourism industry will not succeed without the creation of an integrated network of land , sea and air transportation.

Based on the above, the main focus of this study is on the geographical and natural factors and human influence in the choice of location of the airport, as well as the study of the historical development of Benina International Airport. besides, in this paper we study and analyze the evolution of air traffic and the allocated portion of geographical analysis in order to recognize the environmental impacts resulting from the management of the airport on the population and housings close to it, and the problems that currently present in the airport. In addition, in this study we attempt to figure out the level of services provided by the airport and the degree of satisfaction on it. Finally, the researchers of the study offered the most important research findings and recommendations that would improve the airport's efficiency and performance.

The Study Population and Sample Size

The researchers relied on more than one method in this study including questionnaires. The procedure of questionnaire requires a field study that was conducted later. It is one of the most important tools for data collection, and the data were collected in the field through the distribution of questionnaire to the members of the targeted samples of the study. The first was addressed to the residents of Benina area , especially the residential areas very close to the airport and located under the line of direct flight, such as the neighborhood of Campo Al-Ajajj, Qattara Valley project and the Benina residential area. This is done in order to identify the environmental impacts on the management of Benina International Airport and its effects on the population and housing near the airport. As the number of households in the area of Benina airport, is about 1900 families, according to the preliminary results of the general census of the population of the year 2006. Thus, the researchers have targeted more than 10% of heads of households, to determine the size of the sample, and relied on the method of systematic random sample of the population of the study.

The choice of the total number of respondents in the study area was 200 individuals. The questionnaire contained a series of questions divided into, questions regarding the general characteristics of the population of the study area, such as demographic and social aspects for members of the study population, while the other part is related to the extent of disturbing the population of aircraft noise, while the latter part has dealt with health effects resulting from the noise (acoustic pollution) and its impact on the population, then the effect of noise on housing near the airport. The questionnaire had been conducted on Tuesday, 03/08/2012 and lasted for a week since then.

The second questionnaire was addressed to passengers on flights at the airport and has varied questions - some related to the social and economic characteristics of passengers, and the purpose of the trip, the second part of the questionnaire was directed to the level of services provided by the airport for travelers and the degree of satisfaction among them. For this purpose, the distribution of the questionnaire was to all those in the hall of departing passengers (domestic and international) of Benina International Airport. The practical part of study was conducted in February, in line with the mid- term holiday of the school year, in order to identify the nature of the air traffic at the airport, and the type of movement, the purpose of the trip, as well as to get to know the level of services provided by the airport for travelers, and the degree of satisfaction reported, the study has lasted four weeks starting on Monday 1/2/2012 to Sunday 28/2/2012. The minimum size of the sample was determined according to the equation made by Jaouani et al., 1989 (Jaouni, 1998, P.90) As follows:-

The terms:-

$$n = \frac{z^2 \ \propto/2}{4e^2} = \frac{(1.96)^2}{4(0.05)^2} = \frac{(1.96)^2}{(0.01)}$$

n: refers to the size of the sample
z: to indicate the limits of the confidence coefficient, which is determined in the light of the level of confidence in force in the study (95%) , which is 1.96 (fixed).
α: the level of significance.
e: The margin of error allowed in the sample.
n = 384 (*)
In order to reduce the error rate, the researchers increased the sample size to 450 questionnaires; divided into 225 questionnaires for travelers to international travel, and 225 questionnaires to local trips.
*Fred jaouni, et al., principles of statistics, publications, Murad library, Sanaa, Yemen, 1998, p. 90.

Assessment of Previous Studies in General

In this study the researchers examined more than 24 previous studies varied in themes and different scientific disciplines, which are devoid of any geographic outlook. The focus was mainly on the engineering side of the airports, including a study by Halima Abu-Baker (2004), which focused on highlighting the architectural aspect of Benina International Airport (Abubaker, 2004, P 6), and another study by Ahmed Al sharif and others (2007), which dealt with the economic feasibility for the development and internal planning for Benina Airport (Al-Sharif,2007, p. 8).

With regard to the effects of airports in the regions where they are located, Radwan (1986.) studied the impact of Benina International Airport on the two cities of Benghazi and Benina, where she demonstrated the geographical characteristics of the site of the airport , the role played by it and the road network that reaches the airport with the city and the areas served, besides, the problems that faced by the airport (Radwan,1986, p. 3, and p6).

Concerning the environmental effects of Airports, Khalifa Bin Nasser Al Thani (2008) demonstrated the environmental effects resulting from the Doha International Airport and the damages caused either to the population or to the surrounding environment(Al-Thani,2008 ,p. 35, and , p. 38.). Moreover, two researchers from the University of Tripoli in cooperation with the Civil Aviation went over the noise caused by Tripoli International Airport and its impact on human health(Ghashir,1985).

Concerning the services provided by the airlines, there was a study conducted by Ali Zinada Al Ghamdi (1995) for evaluating the services provided by the Saudi Arabian Airways, for knowing the strengths and weaknesses of the services provided by the company for travelers(Al-Ghamdi,1995).

As regards the problems of air cargo within airports, an analytical study of this service at international airports in Saudi Arabia by Salem Al-Faydi (2000) was conducted. His study

focused on the administrative aspects of this service at airports, while neglecting the geographic side(Al-Faydi,2000,p. 5 and p. 7).

In terms of the assessment of the current conditions of Libyan airports and air traffic problems, the Civil Aviation Authority decided to study and examine the current situation of international and local airports in depth. Saleh Al-Nemer (2007) conducted a study on privatization of the air transport sector and demonstrated the obstacles facing the air transport movement in Libya(Al-Nemer,2007,p. 1and p. 8).

Some of the international studies dealt with assessing current situations of air traffic and the problems facing the Arab world air traffic. For instance, a study presented by Ayman M. Salem (2007) on the evolution of the air transport system in Egypt and organizational structures and compositional domestic airports in Egypt and its impact on the tourism movement(Salem,2007,p. 8 and p. 10).

for the geographical studies that discussed the subject of airports and air traffic is very few compared to other studies, whereas Farouk Ezzedine's study (1970) is considered the first nucleus of the Arabic geographical studies that dealt with the study of the Cairo international airport geographical detailed analysis, where the study concentrated on natural and anthropogenic factors, that contributed to the emergence of the airport and air traffic, and the status of Cairo airport between Egypt and the Arabs, besides, its contribution to the tourism movement in Egypt (Ezzedine,1970).

For the geographical studies that dealt with geographical air transport in Libya, a study conducted by Al-sholah Khalifa (2001), who discussed the historical development of the air traffic at airports, and aviation relationship with international organizations of aviation(Jawashi,2001,p. 4 and p.7). Another study presented by Weisbrod it al., (1993), provided a framework (model) for understanding economic impacts and planning for development around new or expanded airports. However, the intensive airport-related development is a new spatial phenomenon worldwide(Weisbrod,1993).

Thus, Stangel M. (2011) emphasized that the growth of air transportation and airports in Poland in the last few years is related to the economic development and progress towards contemporary standards. The passenger terminal becomes surrounded by a range of additional functions, such as commerce, dining, specialized services, conference centres, hotels as well as zones of commercial activity. Airports are increasingly being seen as catalysts for local economic development(Srangel,2011). The case study of planned airport development area in Benina Airport is quite different. The Benina Airport developments envision a less dense mix of services related to the passenger terminal. Current planning documents and policies envisage a less infrastructure development with building new commercial areas located along the transportation corridors linking the airport with Benghazi centre.

Geographic Factors Affecting the Emergence and Development of the Airport

1- Absolute location

Benina Airport is astronomically located in the intersection between latitude 20 -16-15 East and longitude 32-05-51 North as shown in (Figure 1).

2- Relative location

The airport is located in the area of Benina at about 20 km East of the city of Benghazi, where the Airport is limited by Al-rajma, which are separated from the airport, only a short distance of about 4 kilometres, and bounded from the West area with Benina residential area and Campo Al-jajj neighbourhood.

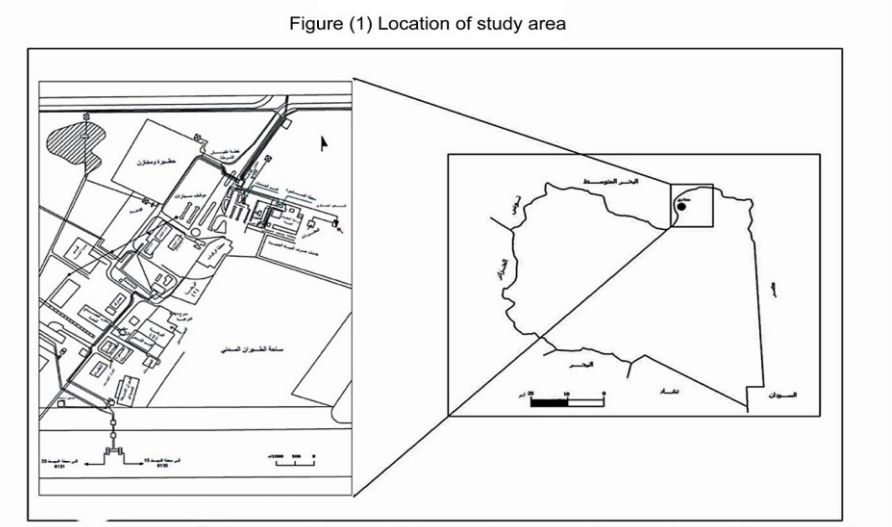
The airport is bordered from the North by air defence base, and to the South via El-Abiar Benghazi road. The process of selecting the airport site is of important processes that require knowledge and experience, for choosing the most suitable sites, which is at the same time capable of expansion, and the evolution of the airport traffic and the size of aircrafts.

The Geological and Geomorphologic Structure of the Study Precinct

The airport is located in Benina area within the region of Benghazi plain, which consists entirely of sedimentary rocks of marine origin, and carbonate rocks from the Miocene era(Jawda,1973,p. 102).As for the surface configurations of the study area, we find that most of them belong to the third and fourth eras (Abdullah,2003,p. 38).

This is a significant factor in securing the appropriate place for the selection of the airport site, and through the identification of geomorphologic region, so that the choice of airport site in the area of a flat surface suitable for the establishment of land passages, on which the aircraft can move easily during the ascent or descent, taking into account the dimension sufficient for the mountains or ridges or plateaus, as well as taking into account protecting the airport area form the invasion of sand and floods, and remoteness from urban buildings. Further, we should be cautious of the presence of terrestrial infrastructure caves, or the cavernous valleys and esoteric drilling, so that the corridors that the aircraft arises over can bear the pressure upon landing, and do not expose to the collapse or smash or crack (Ayman,2007,p. 57).

Figure (1) Location of study area



Source: National Atlas of the Jamahirya ,secretary of planning, Survey Department P.32

As for the second phenomenon spreading in the area of the airport in the form of the presence of some valleys in the area ofthe airport, including the Valley of Hazmaria, which is located East of the airstrip, and Campo Al-ajajj, which is located North of the runway, and the Valley of Qattarah, which is located South of the airport, and it must be noted that some of these valleys may hinder the possibility of expansion of the airport, including the Valley of Hazmaria-which limits the expansion of the airport on the East side(Al-Sharif,2007,p. 57).

Human Characteristics

The Development and Population Growth in Areas Served by Benina Airport

The study of population is important, where the population is used as an indicator in studies of the economics of air traffic, the more the population increased, the greater the demand for air traffic.

Table (1) shows the evolution of population growth in the areas served by Benina International Airport during the four censuses (1973- 1984- 1995 – 2006). The table shows that population growth rates have shown a clear divergence, where the population growth rate recorded the highest rate during the period between (1973 – 1984) amounted to about 5.1%, and this is due to political, social and economic transformations experienced by the country, and which in turn reflected the population growth during this period, then this rate fell during the period between (1984-1995), with about 3.7%.

While the period between the two censuses (1995 -2006) recorded the lowest rate of population growth in the areas served by the airport, which was only 1.6%; this can be explained in terms of a combination of factors and reasons the country suffered during the nineties such as stopping the development projects in the country at large.

Concerning the size of the population, it was about 583, 252 inhabitants in 1973 and then increased to 912, 846 inhabitants according to census of 1984, and then the population size continued to rise up to 1,289,943 inhabitants according to Census of 1995, Then, the census of 2006 has shown a significant increase in the size of the population of about 1,511,381 inhabitants.

Table (1) The evolution of population size and growth in the areas served by the airport during in the period (1973- 2006)

Population				Population growth rate		
1973	1984	1995	2006	1973-1984	1984-1995	1995-2006
583252	912,846	1,289,943	1,511,381	5.1	3.7	1.6

Source: General census of the population, (1973-1984-1995), and preliminary results of the census of 2006.

Urban Growth Around the Airport Area

Through the field study of Benina housing area, despite its proximity to the airport, it does not constitute an obstacle for the air safety of the airport, there is no urban encroachment around the airport area, but closeness of the residential areas to the airport has resulted in several problems that will be dealt with later. In brief, there is no vertical or horizontal urban growth around the airport area, Benina area does not suffer from urban encroachment around the airport and had no high buildings pose a threat to air safety. It must be noted that there are a variety of reasons prompted the civil aviation department in Libya to choose a new position for the implementation of a project to build a new Benina International Airport. Some of these reasons are as follows:

1. The separation of civil and military air traffic at the airport.
2. The current airport's inability to keep pace with traffic, and the current terminals that are worn out.
3. Position of the new airport away from the residential area of Benina in order to avoid the problem of repeated assaults on the airport and its organs.
4. Position of the new airport parallel to corridors ,and the advantage of proximity and ease of entrances to it.

Putting the new airport in a large area amounted to 500 hectares that could be easily expanded in the future (Civil Aviation ,2012).

It should be noted, however, that in a study by Civil Aviation (2012) of the spatial characteristics of the airport, the results have shown that the current airport's position, is appropriate in terms of distance, ease of access and contact, also contributed to the emergence and development of the airport to the city of Benghazi and roads connecting the airport to the cities it serves. The actual area exploited by the new Benina airport is about 500 hectares, and the ownership of the airport for civil aviation is still questionable (Civil Aviation ,2012),

therefore, it is necessary to clarify the legal position of the ownership of the land before embarking on the development process and the consequent costs or the introduction of a new airport building. It has become an axiom of contemporary development thought to provide good and sophisticated infrastructure and well-developed in quantitative and qualitative terms.

This is becoming a significant degree and urgent need imposed by the desire to achieve high rates of growth and development, and this fact has become understood by all developed and developing countries alike. The airport is one of the important components of the infrastructure, but is descry bed often as one of the main driving force for the wheel of economic development and increase efficiency and improve performance. This confirms that the physical and the human factors have already contributed to the emergence and development of the airport.

This confirms that the physical and human factors have already contributed to the emergence and development of the airport.

The Civil Aviation Authority began in Libya to establish a new International Benina Airport, at a cost of $ 600 million Libyan dinars, including a new passenger terminal to accommodate five million passengers per year, 18-gate airport to accommodate nine large aircrafts, and there is a parking square at the airport for planes and conductive paths and new ways, besides a new station for air freight, with a new passenger terminal area expands to 7 hectares including departure and arrival halls for travelers. A Canadian company called Lavalin was appointed to carry out the execution of the new airport project with a French company for design. The new air traffic control tower at the airport opened under the auspices of the United Libyan Company (Al-Bory).

Stages of the origins and evolution of Benina International Airport

The study of historical development of any airport is of important task, because it leads to a proper understanding of the emergence of the airport, and its evolution through historical stages that the airport experienced to reach its current state, where the airports since their inception in Libya were modest, and mere airstrips easy to design and easy to prepare for aircraft use, and then evolved over the years, until they became today edifices for civilization, economic, investment and huge services. Those airstrips turned from easy planning and design, to strips of different lengths and installations, depending on the degree of the airport and the quality of the aircraft used the airport.

First Period: Growing Stage (pre-oil)

The history of the establishment of Benina airport is attributed to the thirties of the twentieth century, where the Italian government demolished the old buildings in the area of Benina in 1934 and began to initiate the construction of a new airport in 1935, which is now known as Benina Airport, the subject-matter of this study.

This was a special aviation airport for Italian military at that time, and the Italian government has completed the process of building this airport in 1937. The Italians were the first to have created the airports in Libya for military purposes (Bolegemah,1998,p. 175).

The British entered the area of Benina in 1943 , and conquered the airport, and demolished the airport tower which was established by the Italians, whom they built a new existing tower for air traffic control. The British smashed water tanks in the study area and the British administration was the first to have made several attempts to improve the economic situation, and the reform of some administrative buildings and basic services such as electricity, water and some roads. During this period air contact has been reconnected, until embarked on a search for oil (The National Planning Council,1966,p. 93). The country's economy was suffering from a large deficit, and the local production was not enough even to cover the domestic demand.

The second period (1952- 1969) after oil

The fifth decade of the last century has witnessed the obtaining of the country's independence in1951, and perhaps the most important events that were seen in this stage, is the Government of the Kingdom of Libya which has received the airport management from the British administration, and also witnessed some of the construction work at the airport, including the construction of an airstrip in 1955.

In the period from 04/01/1965 till 31/03/1966, the Government of the Kingdom of Libya issued the third annual report on the activities of economic and social development in the country at large. The report included a plan of action proposed for execution of Benina Airport, because of its importance of trade, as it serves a large part of the eastern region of the country. Probably one of the most important works that have been executed during this period, was the re-paving of the runway, which was established in 1955, its maintenance, and making some improvements to it. Also, a new airstrip for aircraft of type (DC 8) and parking places for aircrafts were established in 1963 (Libyan Arab Republic,1975).

It must be noted that the iniquitous embargo imposed on Libya, according to UN Security Council Resolution 718 of 1992, which led to the suspension of international flights within the country, definitely resulted in heavy losses in all sectors of the State.

Third Period: Economic Planning Phase (1970 to 1999)

This phase is characterized by adopting the Libyan State style of economic planning, which have focused on the transport sector, due to the effective role-played by the sector in advancing the economic development of the country, so the Coup d'état of September 1969 started to prepare a set of transformation plans, aimed as they see at building a solid economic base independent of oil income.

The 1970s were amongst the most important periods of the significant achievements that the airport witnessed and other Libyan airports; this period has viewed an update for some major airports such as Tripoli International Airport, and development of Benina, and Sebha airports(Al-Sharif).

The Fourth Period from (2000-2009)

In the late 1990s and early 21st century some modifications have been made within its premises and conducted some maintenance of facilities, including expansion of the passenger hall of the 1990s and expanding parking of vehicles. Now, the State is implementing a new project of Benina airport inside the ground of the previous airport, in order to keep pace with the development of air traffic in the airport (Ezzedine,1970).

spatial process

Aircraft movement trans Benina International Airport during the period (2002- 2009).

Figure (2) shows the movement of aircraft transiting Benina International airport in the period from 2002 to 2009, we noted that the movement of aircraft in transit has witnessed a fluctuating development between increases and decreases, probably due to increasing of navigational services that pass through, and thus , contributing to increased rates of air safety, and an increase in the absorption of air routes for aircrafts. The number of aircrafts transiting reached the highest level in 2009, running to 23, 743 transient aircraft, while this number reached its lowest level in the year 2002, amounting to 15,937 transient aircraft.

Looking at (Figure3) one can note that the movement of the aircraft began to rise gradually between (1960- 1964) , where the number of aircrafts reachedto20,000, then started to fall down until reaching to less than 5000 in 1978.

During the year 2000, passenger traffic recorded a remarkable increase, whereas their number amounting to15,870 passengers in 2009, or an increase of 70%, due to the lifting of the air embargo on Libya, which contributed to an increase in passenger numbers.

This period has experienced a boom in the Libyan economy, and also because of the airport site, where most airlines prefer to deal with Benina Airport rather than to deal with Tripoli airport(Libyan Arab Jamahiriya,2009,P.91).

The Evolution of Passenger's traffic in Benina International Airport in the Period from 1960 - 2009

If we look at the evolution of the general movement of passengers arriving and departing domestic and International Benina Airport in the period1960 - 2009, which is illustrated in Figure(4), one notes that passenger traffic is sometimes witnessing an erratic growth upward and other downward in some years, as mentioned earlier, because of political and economic pitfalls experienced by the country during the past five decades.

The number of passengers run to the highest level in the year 2005, reaching 1,298,985 passengers, while the number of passenger departures and arrivals for both domestic and International flights lowest level in the year1960, where it reached10, 645 passengers.

The period (1975- 1992) has witnessed a remarkable growth in air traffic in the country at large, which resulted insignificant pressure on the Libyan airports all over the country. Thus, the State has to establish new domestic airports such as Hoon, Brak , Ghat and Misratah. The Libyan State also supported the Libyan Air Fleet to keep abreast of developments in air traffic.

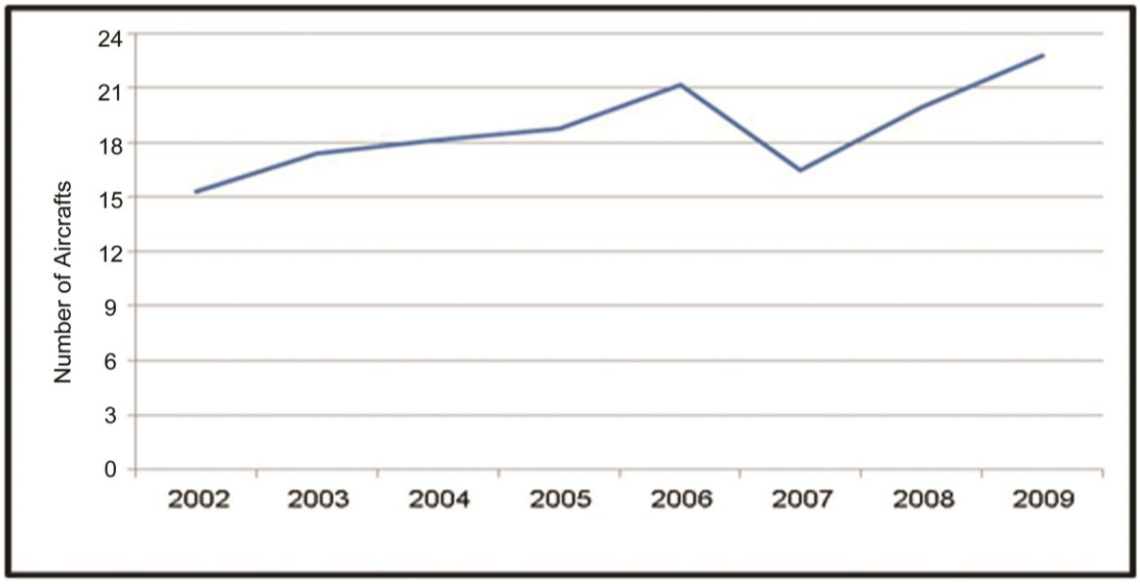
Air Freight

Air cargo is one of the most important sources of income in the airports; it is considered one of the fastest, most accurate shipment types and flexibility in implementation, owing to the multiplicity of options available and the varying rates of service for shipments between airlines. Thus, air freight contributes to the growth of air traffic within airports, from here one can define "air cargo as being transferring cargo and mail of various kinds from one station to other through air ports (Mohammed,2007,p. 56) .

The Importance of Air Cargo Services

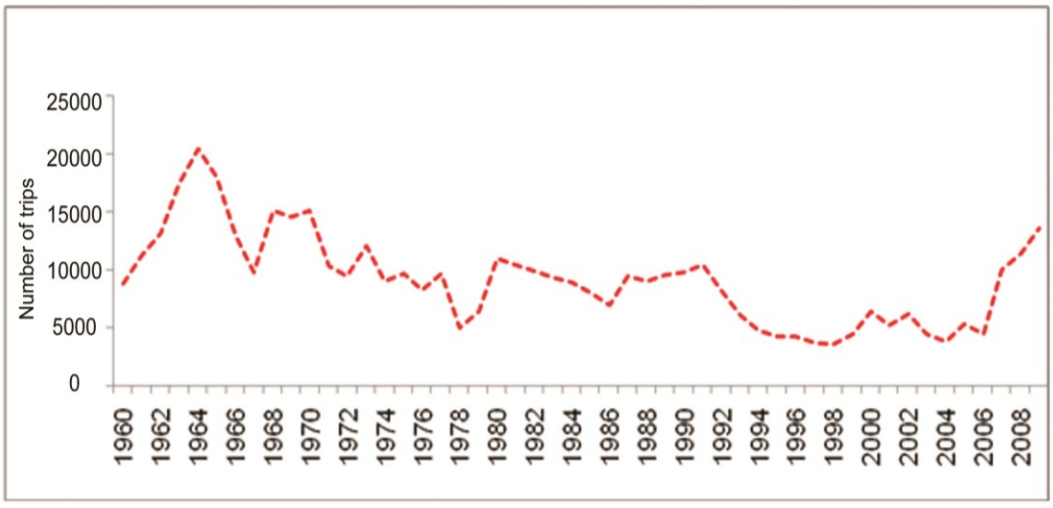
1. Air cargo traffic helps the arrival of goods in a timely manner and with the required speed, which would entail reducing the costs of storage, distribution and sale price for the consumer.
2. Air cargo movement leads traffic in the long run to increase passenger traffic at the airport, and the growth of air traffic at uncrowned airports.
3. As a result of the increase in cargo traffic at airports, an increase in the revenues of the airport will occur, through landing and parking fees, in addition to refuelling and other services.
4. The development of air cargo traffic at airports is an important factor in driving economic growth in the State ,and will result in the provision of new job opportunities(Mohammed,2007,p. 56).

Figure (2) Aircraft's transit Benina International Airport during 2002



Source: prepared by the researchers, depending on the overall management of the international airport data Benina, Documentation and Information Office, 2002-2009, unpublished

Figure (3)The evolution of the general movement of the aircraft of Benina International Airport during the period 1960 - 2009



Source:

1) - Farouk Ezzedine, Transport Geography in Libya, Cairo University, Faculty of Arts, Department of Geography, 1976, Unpublished PhD Thesis, (56,57,58,60,61 tables, supplements years (1960-1973).

2) - Libyan Arab Jamahiriya, the Civil Aviation Authority, and public administration to Benina International Airport, Documentation and Information Office, for the years (1999-2009).

The Evolution of the General Movement of Goods in Benina International Airport during the Period 1960- 2009

Figure (5) explains the historical development of the general movement of goods shipped and unloaded at the airport during the period from 1960 to 2009. It is noted that the movement of general cargo handled at the airport has witnessed a growth fluctuating between increases and decreases similar to a large extent with the movement of aircraft and passengers as a result of political and economic pitfalls experienced by the country. The movement of goods has reached its highest level in 2009, where it amounted to 6,803,081 tons, while this amount has reached its lowest level in 1962, where it recorded only 1.11 tons as can be seen from figure (5).

The movement of goods traded by Benina airport continued in increase during the years 2006-2007-2008-2009 and the movement of goods amounted to its peak during the year 2009 with an increase of more than 8% higher than 2008 as a result of the evolution of the global economy, where the rate of gross domestic production Africa helped oil-exporting countries, such as Libya from the continuing rise in oil prices, resulting in high terms of trade(Ezzedine,1976,P.96)

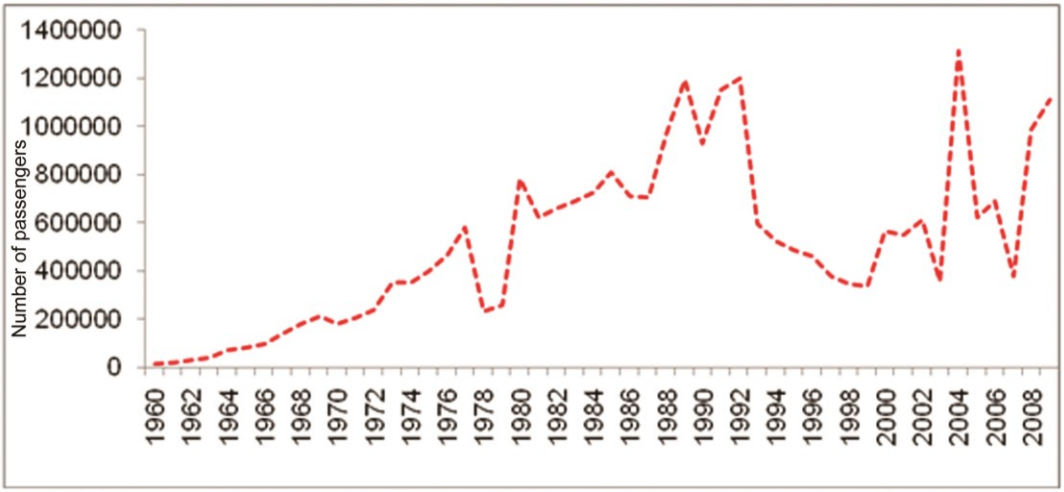
The Evolution of Mail Movement of Benina International Airport in the Period 1969-2009

If we trace the historical milestones of development of the annual movement of air-mail ,which charged and discharged from domestic and international Benina airport between 1969-2009 as illustrated by figure (6). This figure shows that the movement of air mail growth has fluctuated between increase and decrease as a result of their vulnerability to political and economic conditions of the country, the quantity of air mail has reached its highest level in 2003, amounting to 104, 851 tones, while this quantity reached to lowest level in 1985, with 696 tons.

The Spatial Interaction of Benina International Airport during 2009

The study of spatial interaction is one of the most geographic concepts used in the science of geography, through which one may identify the size of spatial interaction of Benina Airport and other airports. Thus, in this part of this research we will deal with airlines operating at the airport, either national or foreign during the year 2009, the national airlines, and the size of its fleet, the study of economic indicators to measure the intensity of the interaction of the airport during the year 2009, on the basis of the number of seats (a monthly mileage) and the number of passengers monthly mileage on both international and domestic, besides, a study of the geographic regions for passengers, air cargo and air mail on both international and domestic.

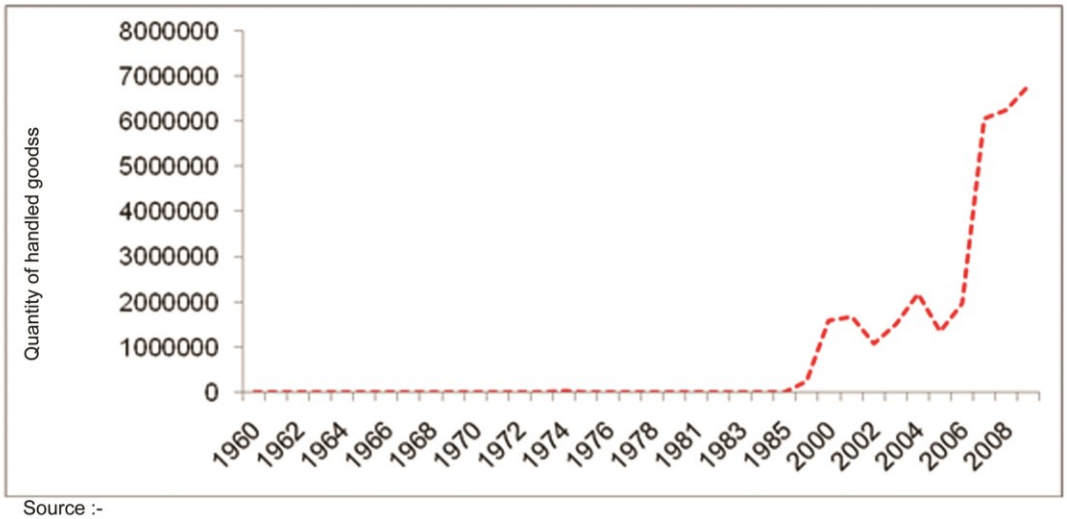
Figure (4) The evolution of passenger traffic of Benina International Airport during the period 1960 - 2009



Source :-

1) - Farouk Ezzedine, Transport Geography in Libya, Cairo University, Faculty of Arts, Department of Geography, 1976, Unpublished PhD Thesis, 56,57,58,60,61 tables, supplements years (1960-1973).
2) - Libyan Arab Jamahiriya, The Civil Aviation Authority and Public Administration to Benina International Airport, Documentation and Information Office, for the years (1999-2009).

Figure (5) The evolution of the general movement of goods of Benina International Airport during the period 1960 – 2009.



Source :-

1) - Faroukl Ezzedine, Transport Geography in Libya, Cairo University, Faculty of Arts, Department of Geography, 1976, Unpublished PhD Thesis, 56,57,58,60,61 tables, supplements years (1960-1973).
2) - Libyan Arab Jamahiriya, The Civil Aviation Authority and Public Administration to Benina International Airport, (Documentation and Information Office), for the years (1999-2009).

Airlines Operating at Benina International Airport in 2009

Benina airport employs about 10 national companies serve the movement of domestic and international air transportation for the year 2009- only the Libyan Airways, State-owned, the rest of the companies are private, and works at the airport around 7 foreign firms serving international flights out of the country and are as follows (Civil Aviation Administration):

First: national airlines operating at the airport are as follows:

1.The Libyan Airlines. 2-Al-Buraq Air transport. 3. African airlines.
4. The Libyan company for aviation. 5. Company one nine.
6- Naizak Company. 7- World Aviation group (dedicated to air cargo).
8- Harouj Company / Veba, Previously for Oil Operations (dedicated to the oil fields).
9- Mellita Company (dedicated to the oil fields).
10- Schenker air transport company (dedicated to the oil fields).

For internal transport, the civil aviation authority in Libya has done positive steps towards the liberalization of air transport, and when air transport department granted work practice permission to a number of private national companies, which helped some of them to run internal airlines as of 2001, the essential objectives were:-

1- To increase competitiveness among firms that received permits to run internal operations.
2- lack of putting a specific tariff for domestic air transport, so the company will determine its tariff in accordance with its examination of the feasibility of making the borders of greater competition between these companies.
3- To ensure provision of transport services in the home land of all internal companies and not to focus on two or three of the multiple various domestic airports.
4- The importance of the link between Libyan cities and open the door for other indirect economic activities, and improve the reality of domestic air transport, which is reflected positively in the improvement of the local eco-tourism.
5- The importance of activating the competition between companies operating in Libya, through the program of liberalization of air transport procedures, which entails the growth of this sector and to protect the traveler and the service workers in the sector, including obligatory service, good performance, and not to put obstacles to economic challenge of growth, such as determining the prices of domestic air transport.

Second: foreign airlines operating at the airport are as follows:

1. Royal Jordanian airlines. 2. Egypt aviation company.
3. The Cairo company for air transportation.4. The Tunisian airlines.
5. The Turkish airlines. 6. Egypt global company.
7. The Dutch Airlines *(casual) (Al Azzabi).

*Flight crossbar is irregular trip and not-restricted to a declared schedule in advance

Air Fleet of Libyan Arab Airlines

The fleet was formed in 1964 and started actually managing its trips in 1965. The fleet initially contains two aircrafts of Caravelle, and then it was provided with a number of aircrafts of Fokker type 27, and Boeing aircrafts727. Then after 1969, the State has applied new programs and projects to develop and improve air traffic at airports in the country, as the Libyan airlines have become the only national service entrusted in air traffic internal and external. The air traffic began in Libya after World War I, and was credited for the Italians who were the first to have taken up the topic of airports and air traffic, and whom have inaugurated the first commercial airline aircraft airships between Libya and Italy on 1/11/1928 by Italian company called Sana. In 1960 an airline called (Libya FIA) was founded to conduct flights to Tripoli, Benghazi, Athens, and, Sebha.

This company continued in the air transport service until issuing the resolution of the establishment of Libyan Arab Airlines corporation owned by the State (Law No.28 for the year 1964). This institution has started to actually conduct flies in 1965, where the institution has opened many branches of airlines all over the country, See Table (2).

Table (2) Some air carriers operating in Libya

Company	Inception date	Property type	N. of aircraft	Market type
Libyan Airlines	1965	General	15	Domestic and International
Tebesti	1996	General	0	Domestic
Buraq	2000	Private	18	Domestic and International
African Airways	2001	General	6	International
Sager Al-wahdah	-	General	0	International
Libyan company for aviation	1996	Private	15	Domestic and International

Source:-Ahmed Saeed Al-Sharif and others, the economic feasibility study for the development of Benina airport in Benghazi, Economic Sciences Research Center, Benghazi, 2007, p 34.

Economic Indicators for Measuring the Density of Regional Relations for Benina International Airport

The rate of exploitation of mileage for Benina international airport network is determined by the number of seats available on the aircraft mileage revenue operating at the airport, or passenger mileage revenue setting during the year. We mean by seats revenue of mileage, the number of seats available for sale multiplied by the distance (in mileage) for each trip to the airports dealing with Benina International Airport. The number of passengers

mileage revenue means the number of passengers multiplied by the distance (in mileage) fare-payers for each trip to the airports dealing with Benina Airport, this measure shows us the intensity of regional relations with Benina International Airport.

For economic indicators applied by the researchers on the movement of passengers to Benina International Airport for the year 2009, the researchers collect the number of seats in the aircraft of eight kinds, which fall under the models of Boeing , Air bus and (C.R.J 900), where the number of seats was about 1340 seats, and by performing a simple calculation we have obtained the arithmetic average of 167.5.

The researchers then divided the results by the number of mileage seats and mileage passengers on the number of months of the year, to reach at the end to the monthly average for each. In addition to indicators that measure the density of air traffic at the airport, there are other economic indicators by which the efficiency of the airport, air fleet and the efficiency of the fleet services, not only to know the density of air traffic, but also to identify the level of economic performance. Here we can compare these indicators with the effective revenue and then compare the revenue costs to get the size of the profits(Farag,2000, P. 126).

* Medium = number of seats for these aircrafts ÷ Number of aircrafts
Average = 1340 ÷ 8 =167.5

As for the distance in mileage, the researchers have measured the distance between Benina International Airport and domestic and international airports that deal with Benina International airport during the year 2009 from the maps. Then transferred the distance between Benina Airport and airports dealing with it from a centimetre on the map to a kilometre, and turned the distance between airports from kilometre to mile road.

Measuring the Density of Air Traffic at Benina International Airport in 2009

The researchers have relied on some economic indicators for measuring the density of the air traffic at the airport, in order to identify the volume of traffic at the airport domestic or international.

First: on the basis of the number of monthly mileage seats

(A) An International level

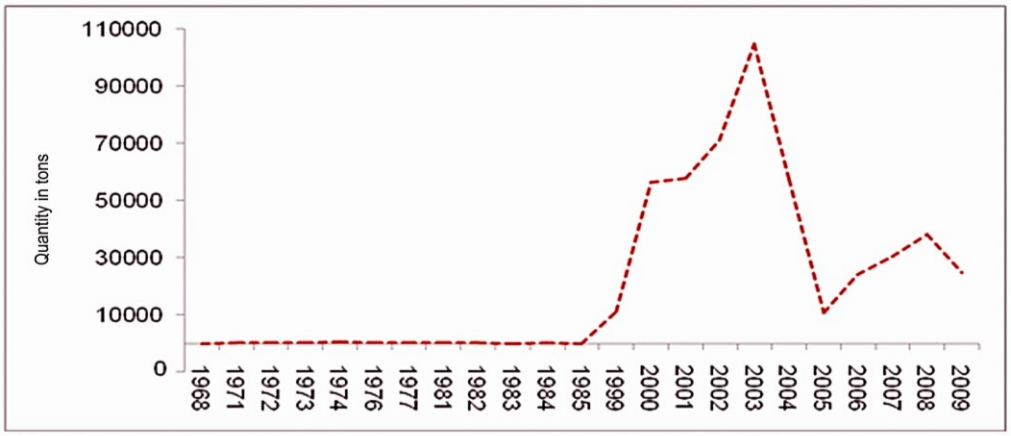
By tracing (Figure7), which shows the distribution of the ordinal ratio of international airports, that deal with Benina Airport, depending on the intensity of regional relations during the year 2009, based on the number of monthly mileage seats. one can categorize these airports into five categories as follows:

International airports (category one) that have more than 20,000 seats , Dubai airport was put on a greater proportion of the number of monthly mileage seats amounting for 14% of the total number of seats, followed by Casablanca airport with a rate of 11.7%, then Amsterdam Airport which came in third place with 10.2% of the total number of monthly

mileage seats, while Jeddah airport in Saudi Arabia, and Khartoum airport in the Sudan ranked fourth in percentage of 9.7% of the total number of seats (*). The fifth category of this classification is Cairo International Airport. which fall within Airports that have more than 2000 monthly mileage seats with a percentage of 4.7% of the total seats.

**The mile road: a unit measuring distance = 1, 609 meter*

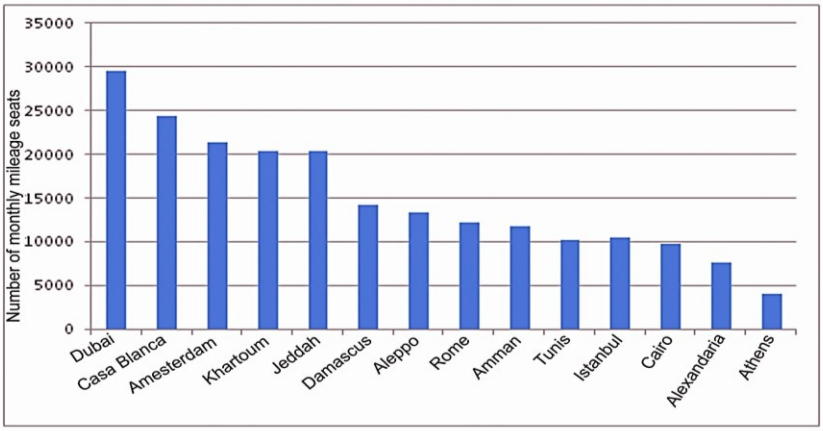
Figure (6) The development of airmail traffic in Benina International Airport during the period from 1969 to 2009



Source :-

1) - Nabila Saleh Radwan, the impact of the current Benina airport on the city and the region,(Garyounis University, Faculty of Engineering, Department of City Planning), 1986, for the years (1974-1979).
2) - Libyan Arab Jamahiriya, The Civil Aviation Authority and Public Administration to Benina International Airport, (Documentation and Information Office), for the years (1999-2009).

Figure (7) illustrates the international airports that handle with Benina International Airport based on the number of monthly mileage seats 2009



Source :-

prepared by the researcher, depending on air traffic data, Documentation and Information Office, the Civil Aviation Authority and Public Administration International Airport Benina 0.2009, unpublished data

Second, based on the number of passengers monthly mileage

By tracing (Figure 8), which shows the distribution of the ordinal ratio of international airports which deal with Benina International Airport , depending on the number of passengers monthly mileage during the year 2009. One can categorize these

airports into six categories. The first category includes international airports with significant traffic movement exceeding 5 million passengers, embodied in Cairo International Airport, with a percentage amounting to 20.7% of the total number of monthly passengers mileage. The sixth category comprising the rest of airports that the number of passengers ranges between 10,000 to 100,000 passengers, where all percentages recorded less than 1%, including the Amsterdam International Airport with 0.4%, and Khartoum International Airport by 0.3%, then the Athens International airport by 0,1%.

(B) The local level

The application of economic indicators on the domestic air traffic, between Benina International Airport and domestic airports, which deal with Benina airport, can classify those airports by the number of monthly mileage seats, and the number of monthly mileage passengers.

First, on the basis of the number of monthly mileage seats

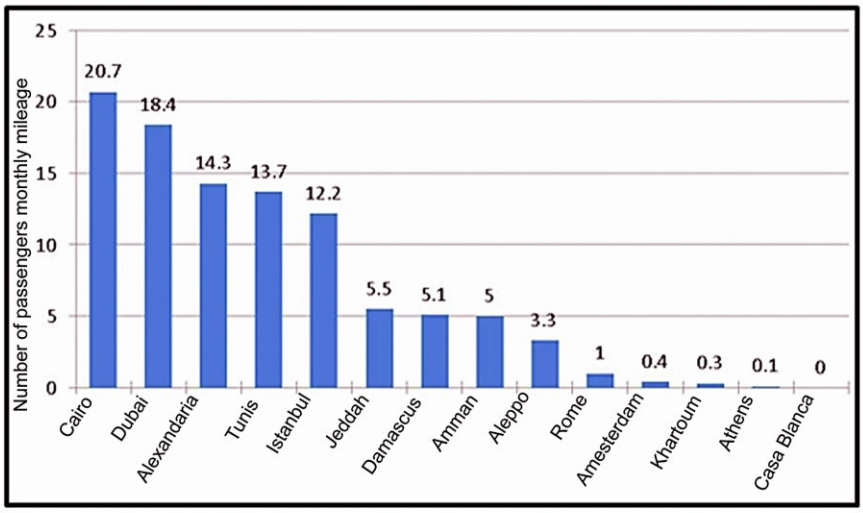
By considering the figure (9), which illustrates the distribution of the ratio of the number of monthly mileage seats, one can classify domestic airports that dealing with Benina airport into four categories, according to the air traffic density. The first category estimates the number of available seats by more than 7,000 seats, where airlines coming in and out of Benina Airport to Kufra airport stood at 29.2% of the total number of monthly mileage seats. The fourth category estimated the number of seats by more than 3,000 seats, representing the incoming and out coming aircraft to and from Benina International Airport. The Misrata Airport was the highest ratio of 14.3%, followed by Sirte airport of 11.1% of the total number of monthly mileage seats.

Secondly, on the basis of the number of monthly passenger's mileage

Shape (10) illustrates the distribution of the ordering ratio of the number of monthly passenger's mileage according to the density of passenger traffic. One can classify domestic airports that transacting with Benina airport into five categories. The category one has recorded the number of passengers that exceeding more than seven million passengers. Tripoli airport accounted for by this category acquiring the highest proportion (77.3%) of the total number of monthly mileage local seats. While category fifth ranges from the number of passengers by more than 20,000 passenger, represented by Sirte airport with a rate of 0.3%, the lowest percentage recorded between local airports during the year 2009. Through the application of previous economic indicators, we find that the economics of air traffic at the airport depends mainly on international airports, due to the financial return.

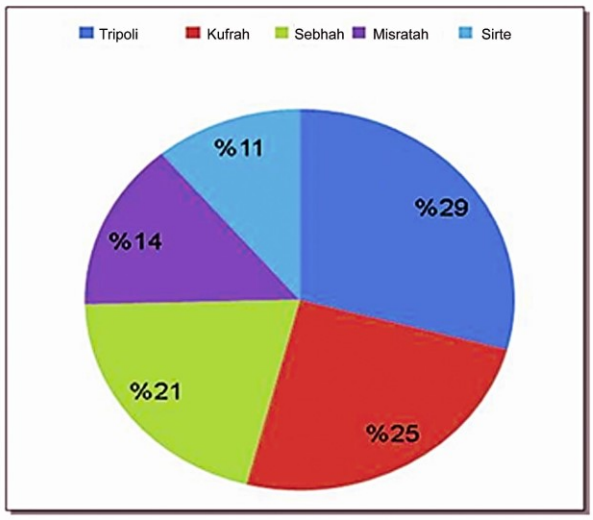
from trips, while Tripoli International Airport presided the scene and ranked first in terms of the number of monthly passengers mileage, that exceeding more than 7 million passengers, followed by the local airport of Kufra.

Figure (8) International airports that deal with Benina international airport based on the number of passengers monthly mileage for the year 2009



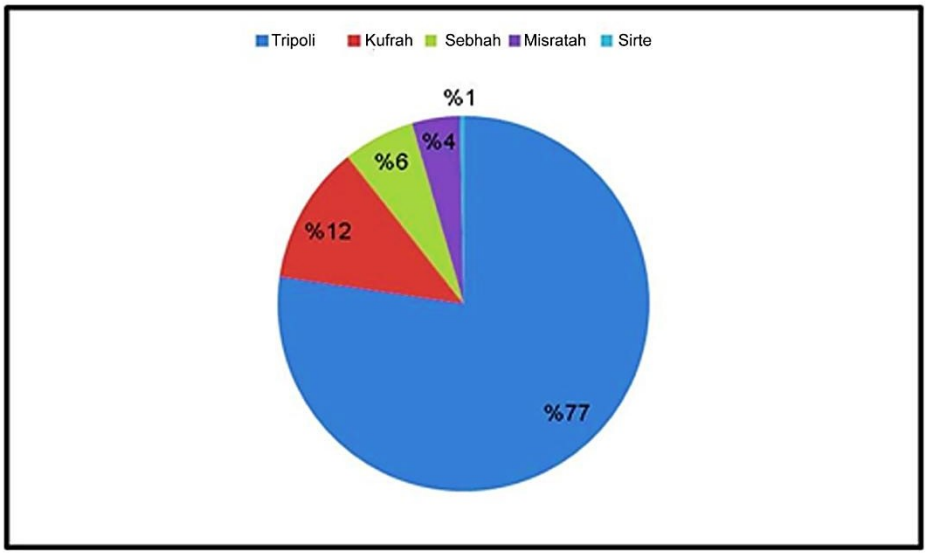
Source :-
prepared by the researcher, depending on air traffic data, Documentation and Information Office, the Civil . Aviation Authority and Public Administration International Airport Benina, 2009, Unpublished Data

Figure (9) displays the ratio of local airports dealing with Benina International Airport based on the number of monthly mileage seats for the year 2009



Source :-
Prepared by the researchers, depending on air traffic data, Documentation and Information Office, the Civil Aviation Authority and Public Administration International Airport Benina, 2009, Unpublished Data

Figure (10) demonstrates the ratio of local airports dealing with Benina international airport based on the number of monthly mileage passengers for the year 2009



Source :-
prepared by the researcher, depending on air traffic data, Documentation and Information Office, the Civil Aviation Authority and Public Administration International Airport

The Environmental Implications of the Use of Benina International Airport

Despite the importance of airports and the role it plays in economic and social development, but the effects on the surrounding environment have not yet received any attention in the past, and that because of the focus was mostly on the development of the aircraft industry, for this the problems that related to the impact of the airport on the nearby areas are rarely examined, and sometimes ignored (Deep, 2006, p. 3).

As the interest in the study on the environmental impacts of airports began in late 1960s, due to the development of air transport, many countries have begun to focus their attention on preserving their environments (Shehata, 2006, p. 100) .This alerted the International Organization for Civil Aviation (ICAO) to the extent of the seriousness of this problem, thus, the International Organization for Civil Aviation has issued supplement No. (16) for the year 1971, which was concerned with the noise of aircrafts, where the (ICAO) identified the noise levels of all aircrafts, according to its kind, weight and the number of engines (Tahoun, 2004, p. 137) ,Besides, the voice pollution or any noise from take-off and landing of aircrafts, there are other environmental problems which people are suffering from in areas very close to the airports, such as air gases pollution, aircraft exhaust, and the contamination of water and soil. The organization of environment protection estimated that nearly 40 million people in the United States of America, airports have affected their health. This is often held protests in some countries, when these countries try to establish airports in

some undesired places for the public, For example in Japan, an airport (Na) was opened under the protection of the army (Al-Bakri, P. 180) .

The gases pose a major threat to humans and the environment as well, it is the most dangerous emitted gaseous compounds of aircraft carbon and hydrogen compounds, nitrogen oxides, which react with each other and produce health damages to the digestive and respiratory systems, where sulphur dioxide gas causes irritation for the respiratory system. As for the problem of noise from aircraft, it is one of the most difficult of the environmental impacts on nearby residential areas. In applying the above on Benina International Airport, one found that the residential area located near the airport, and some scattered communities both fall under the direct flight line toward airstrips of taking off and landing at the airport.

It should be noted that the researchers were not able to get the measuring devices to determine the degree of noise caused by the movement of aircraft. The authors merely distributed a questionnaire on the population living near Benina International Airport, for identifying the extent of the population affected by aircraft noise, especially on their health and dismay over them, and also to get to know the impact of noise on the housing and the relevant caused damage. Table (3) demonstrates clearly the relationship between aircraft noise and some selected environmental and sanitary variables, measured by a x^2 test. To determine the impact of aircraft noise on the annoyance of age structure of members of the sample, a x^2 test was applied, revealing a significant relationship between noise and annoyance of the different categories of respondents. The general observed difference was statistically highly significant ($P < 0.001$). Likewise, the sudden discomfort upon hearing the noise was also statistically highly significant ($P< 0.001$). Moreover, The impact of aircraft noise on the price of land in Benina airport area revealed a highly significant relationship between the two variables ($P< 0.001$). Finally, educational status and vulnerability to noise did show further a strong relationship between the two variables.

Table (3): Results for selected variables related to the impact of aircraft noise on the neighboring area of Benina airport:-

Variables	X^2 Statistic values	Probability
Age structure and aircraft noise annoyance	15.364	0.001
Discomfort quickly upon hearing the noise	149.984	0.001
The impact of aircraft noise on the price of land in airport area	43.231	0.001
Educational status and vulnerability to noise	16.471	0.002

Source: Field study 2010

The relationship between the level of services provided within Benina International Airport and its relation to the degree of satisfaction expressed by the respondents

Table (4) distinctly shows the relationship between the level of some of the services covered by the study, and their relationship to a degree of satisfaction by the international and local hall clients, measured by a X^2 test.

Having applied this test on these variables, the findings of all variables included in the study area were highly statistically significant, both in international or local hall. The general observed difference was statistically highly significant ranging between $P < 0.001$ and $P < 0.03$, respectively, in each of the international and domestic terminal at the airport, which proves the existence of a strong relationship between the level of services provided to travelers and the degree of satisfaction with them.

The relationship between social and economic characteristics and their relationship to the purpose of the journey undertaken by travelers from Benina international airport:

Table (5) clearly shows the relationship between social and economic variables for travelers surveyed and their relationship to the purpose of the trip. In order to find out whether there is a relationship between these variables or not using a X^2 test has become indispensable for these variables and their relationship with the purpose of the trip.

The findings have shown , that there are some variables that were of a very high statistical significance of which, gender, nationality and monthly income in international hall, as there was a strong correlation between these variables and the purpose of the trip, ranging between $P < 0.001$ and $P < 0.01$, While the rest of the other variables in international trips did not prove to be so in terms of age, marital status and education. (P- values varied between $P = 0.14$ and $P = 0.4$), and this means that each variable is independent of the others and has no effect on the other variables. As regards domestic flights, it appears from table (4) there are some variables that recorded a strong high-statistically significant relationship based on a Chi- square test for social and economic variables and their relationship to the purpose of the trip.

The findings have demonstrated that the variables of gender and monthly income both scored high statistical significance ranging between $P < 0.001$ and $P < 0.01$ respectively, while other variables did not record the presence of a statistically significant relationship, where the probabilities were consecutively $P = 0.3$, $P = 0.3$, $P = 0.5$, $P = 0.5$ meaning more clearly that there is no relationship between these variables and the purpose of the trip, due to the fact that each of these variables is independent of each other.

Table (4) The relationship between the level of services provided within Benina International Airport and its relationship to the degree of satisfaction expressed :-

International Flights				Domestic Flights			
Variable	X^2 statistic values	DF	Prob.	Variable	X^2 statistic values	DF	Prob.

passengers feeling comfortable when entering the airport	22,837	3	0.001	passengers feeling comfortable when entering the airport	16.476	3	0.001
respect and good treatment by airline staff	18.261	3	0.001	respect and good treatment by airline staff	12.620	3	0.01
Transfer baggage workers at the airport	8.593	3	0.01	Transfer baggage workers at the airport	8.919	3	0.03
security men do their job well	8.808	3	0.03	security men do their job well	47.542	3	0.001
Passport services inside the airport	22.160	3	0.001	good customs services within the airport	11.534	3	0.01
good customs services within the airport	9.825	3	0.02	Comfortable seats indoors	16.244	3	0.001
Lost-and-found office	11.985	3	0.01	Services of the restaurant	9.145	3	0.03
Airline passenger confidence	41.172	3	0.001	The availability of postal services	12.359	3	0.01

Source: field study, 2012

Table (5) X^2 test for social and economic characteristics of travelers and their relationship to the purpose of the journey

International Flights				Domestic Flights			
Variable	X^2 statistic values	DF	Prob.	Variable	X^2 statistic values	DF	Prob.
Gender	31.486	8	0.001	Gender	48.818	6	0.001
Nationality	45.697	8	0.001	Monthly income	25.733	18	0.01
Monthly income	38.799	24	0.03	Nationality	7.213	6	0.3
Educational level	49.545	40	0.14	Educational level	33.657	30	0.3
Marital status	9.533	8	0.3	Marital status	5.330	6	0.5
Age	34.550	32	0.4	Age	30.334	30	0.5

Source: field study, 2012

Evaluation of the Degree of Overall Satisfaction with the Services Provided Within the Airport

To measure the complacent process for the services provided by Benina International Airport , which has been using the Chi-square (X^2) test to determine the overall importance of the variables of the differences in the process to take advantage of the services provided within Benina International Airport. Table (6) clearly indicates the close relationship between the evaluation of passengers of international travelers and local trips to those services provided by the airport, and a group of selected variables represented the social and economic characteristics of travelers of the international and domestic trips.

The overall assessment for each of the five variables shown in Table (6), based on previous experience to take advantage of the services provided by the airport, and by using X^2 test the findings show that the overall assessment of these variables was not statistically significant, where the probabilities ranges between P= 0.1 = and P= 0.9 = respectively in the international terminal, while the local lounge recorded between P= 0.2 = and P= 0.8 .

This means that travelers are not generally pleased with the services provided within the Benina International Airport. This situation also calls for the need for attention to the development and consolidation of services provided within the airport, in order to upgrade the level of quality and quantity, and provide them with specialized technical personnel and well-trained to deal with passengers and outfitted with the latest hardware to increase its effectiveness, and administrative support systems to eliminate the phenomenon of administrative chaos and overlapping jurisdictions within this vital facility. So a detailed and clear plan should be developed for action and an accurate program to improve services at the airport, both in terms of processing and in terms of efficiency, for the great importance of the airport, because as previously mentioned is a great attraction force for the economic, social, political and cultural as well as the military and security level.

Table (6) X^2 test results for respondents' responses to selected variables related to social and economic characteristics of passengers and their relationship with the general satisfaction for the services offered in the airport.

International Flights				Domestic Flights			
Variable	X^2 statistic values	DF	Prob.	Variable	X^2 statistic values	DF	Prob.
Marital status	4.140	2	0.1	Educational level	12.969	10	0.2
Gender	3.587	2	0.2	Monthly income	9.289	6	0.2
Monthly income	5.999	6	0.4	Gender	3.805	2	0.4
Age	6.593	8	0.6	Marital status	1.689	2	0.4
Educational level	4.784	10	0.9	Age	6.511	10	0.8

Source: field study, 2012

Discussion and Conclusion

The researchers have revealed that the most important characteristics of the users of the airport are as follows: -

- That males accounted for 78.7% of category (30-39 years) of the total passengers, as well as 66.9% of singles ratio, including those with university level amounted to 63.6%, the majority of course from Libyans with a percentage of 89.1%.
- It has shown that high earners of monthly incomes estimated at about 450 dinars per month or more recorded the highest proportion (62.4%) of the total passengers, followed by middle-income group of 21.1% of the total international travelers and local trips.
- With respect to the distance which lies between the airport and the place of actual residence turned out to be less than 100 km, where it recorded the largest percentage of international and domestic flights, reaching 68.4% of the total passengers.
- The results of the study also demonstrated that the highest bound sources of demand towards the airport come from the city of Benghazi from various neighborhoods and suburbs , where amounted to 65.3% of the total passengers (international and local flights).
- It has also been found that 76.9% among 225 passengers on international flights were from the city of Benghazi , followed by passengers arriving from Al-Baida and El-marj with only 4.9% for each, and then Tobruk and Kufra 3.1%. The percentages of the rest of the cities and other areas are close to each other.
- Through the study of the motives of flight, we found that 35.1% of the total international passenger trips are moving for treatment outside the country, and who are travelling for social visits accounted for 19.6%, followed by travel to work by 14.2%. As for domestic flights, it has been shown that 37.3% of the total domestic passengers commute for business purposes and who move for social purposes represented in visits to family and relatives estimated at 28%from the total domestic flights.
- The findings of the study also demonstrated that 51.1% of the total passengers of international trips were to Egypt for medical treatment, social, tourism, shopping and education. Tunisia came in second class by 19.6% of the total passengers for the purpose of therapy and shopping . However, it has been shown as well that domestic flights accounted for 74.7% of the total travelling to Tripoli, because it is the capital of the country, and Misrata by 11.1%, followed by the city of Sirte by 6.2%, Kufra and oil fields came by no more than 2.7% for each, and finally Sebha represented by 2.2%.

Passenger Assessment Depending on the Services Provided by Benina International Airport can be summarized as follows:

- The results of the study showed that 71.8% of the total travelers believe that parking lots do not accommodate all cars, compared with 28.2% of the total passengers who think

that parking spaces can accommodate cars. The study results also showed that there was a feeling of dissatisfaction about this service by 46.9% of the total study sample.

- With respect to the public taxi services at the airport, the results of the study indicated that 52.4% of the total travelers believe that this service is available in terms of quality, while 47.6% on the contrary, they believe they are not at the required level. Thus, it became clear that they fall in their entirety under low level by 42.2% of the total study sample.
- Further, it has been shown that 57.8% of the total travelers believe that the transfer of luggage carts are available inside the airport, while 42.2% believe that they are not available, and about the level of this service, it became clear that they fall under low level of 36.9% of the total study sample..
- The results of the study revealed that 38% of the total travelers believe that audio advertising works regularly, whilst 62% said they are not good. For the screens information display 76.4% of the total passengers think that they do not do their jobs well and regular in the lounges of the airport, while 23.6% believe they are good. Finally , for the level of degrees of satisfaction with these services shows that they fall under the low level.
- The results of the study showed that 80.7% of the total passengers at the airport see that the seats of international and domestic lounges inadequate , and that 82.2% of the total passengers perceive them as uncomfortable, in general , the level of satisfaction with the services turned out to fall entirely under the low level
- For heating, ventilation and air-conditioning services within the airport's lounges, the field study results showed that 74.7% of the total travelers believe that they are not good, and in contrast, 25.3% of the passengers evaluated these services as good inside the lounges at the airport. for the degree of overall satisfaction with the level of these services, the results demonstrated that they fall under low Level with a large margin amounted to 74.4% of the total study sample.
- The results of the study also reported the existence of relationships between the different variables included in this study, where the statistics of this study showed a strong significant relationship with variables of type , nationality and monthly income for international passengers.
- The results of the study also reported the existence of relationships between the different variables included in this study, where the statistics of this study showed a strong significant relationship with variables of type , nationality and monthly income for international passengers. Furthermore, the results showed that there is a clear and strong influence of monthly income on the purpose of the trip. Also the variables of type and monthly income of local trips recorded a significant statistical relationship with the purpose of the trip.
- The findings denied the existence of a relationship between social and economic variables with local excursions, and its relationship with the best airline or not all of these

variables have a significant impact on each other, and this indicates that they are independent variables, where the statistics of the study pointed to the level of services provided within the airport for passengers was not at the required level, due to dissatisfaction of passengers. Therefore, these services need further attention and development by officials because of lacking maintenance and renewal.

Findings and Recommendations

Findings

It may be useful at the end of this study to review the most important findings made by the researchers, and to answer questions posed in this study. In the light of that, some recommendations were made that would lead to improving the level of services provided in Benina airport and Libyan airports in general. The researchers reached a number of conclusions that can be summarized as follows:-

- Through the study of population growth for the area of Benina, it was found from the results of this study that the airport did not contribute to the growth of the region as is customary known in most airports in the world.
- As for the evolution of population growth in the areas served by the airport during the period 1973-2006, it has seen growth rates of clear contrast in terms of population growth recorded the highest rate during the period 1973-1984, where it reached 5.1%.This is due to the political, social and economic transformations the country witnessed, which was reflected in the population growth.
- The results of the study showed that the airport has a spatial characteristics of easy access and communication through a network of roads that have contributed to the emergence and development of the airport network, and through the spatial link, where the airport represents the nearest air connection point with many countries of the world, where most airlines favor, because of its convenient location.
- A review of the historical stages which the airport experienced until arriving to the current state , the airport has undergone four historical periods and the second period was the most important one, in which Benina and the other Libyan airports witnessed flourishing, where the State started to implement a series of economic and social plans.
- As it turns out also that there is a significant effect of political and economic conditions experienced by the country reflected on the process of spatial and spatial interaction of Benina Airport with other airports (domestic and International). The spatial process has seen a clear fluctuation between increases and decreases in the movement due to the circumstances experienced by the country as mentioned previously.
- It has been shown through the studying of the compositional structure of the airport facilities and components that most of the components of the airport suffer from worn out and lack of maintenance. With regard to the labor force at the airport, the results of

the study revealed that the year 2010 recorded more increase in the number of employees compared to the year 2009.

- The study showed the lack of departments within the organizational structure and the absence of a special guide to run the airport, besides, the lack of a contingency plan in the event of severe weather and natural disasters.
- Through the study of spatial interaction of the airport during the year 2009, and in order to know the most important airports that have dealt with Benina Airport, turned out to be based on the number of monthly mileage seats, where, Dubai Airport obtained the largest proportion in the number of seats which reached 14%, while Cairo International Airport came first place on the basis of the number of passengers, where formed the prime region of the airport.
- At the local level, and in terms of the number of mileage seats, Kufra airport came first place by 29.2%, and in terms of the number of passengers, Tripoli International airport has the form of prime territory of the airport, by receiving more than seven million passengers.
- As for the geographical region of air freight and cargo weights, owing to the weights of shipping, Dubai Airport has the form of a higher proportion of the shipping weights of more than 140 thousand monthly mileage tons with a rate of 74.3%, while each of Tripoli and Kufrah airports form the top notch region for the airport, with a rate of 94.14%, as well as for air mail.
- We found out from the findings of the study that the noise brought about by warplanes cause great nuisance to residents living near a residential area of the airport; which is far from the runway less than 2 km. The questionnaire analysis results also showed us that 32% of the total respondents surveyed suffer from ear and hearing problems. With regard to the environmental effects on housing near the airport, it has been shown that 33.5% of the total sample studied individuals complain of disruptions in phone calls.
- As for the relationship between aircraft noise and some of the variables included in the study, the results of the study showed that there is a strong relationship between age structure and vulnerability of aircraft noise that whenever human progress with age, the less to afford high sounds.
- The results of the study also demonstrated that the airport is currently suffering from a host of problems that had a negative impact on the efficiency of its operation, it has become clear through the questionnaire analysis that the level of services provided within the passenger terminals, is not at the required level, they need more attention and development by officials of the civil aviation authority of the country.

Recommendations

The researchers found a set of recommendations that are necessary to be taken into account by officials and those interested in the field of airports and air transport in order to achieve the desired objectives perfectly which are as follow:-

- More attention must be paid to the application of environmental legislation, in order to preserve the environment around the airport from the dangers arising from the management of Benina international airport.
- The officials of the civil aviation administration must separate between civil and military aircrafts, in order to avoid problems arising from the joint use, which claimed the lives of passengers of flight No. 1103 heading to Tripoli in 1992.
- Creating an integrated organizational structure illustrates the organizational relationships between all actors at the airport, in order to solve the problem of overlapping jurisdictions between each other.
- Management must unify security agencies operating within the airport, and determine the whereabouts and the allocation of special uniforms for each of them
- Creating an information center along the lines of air navigation center responsible for air traffic management. This center configures database related to air traffic at the airport, and the problems that face it, because of the lack of recorded data accuracy and sometimes conflicting. Also the center in coordination between the engineering department and information technology , to facilitate the work of a special team of incidents..
- More attention must be paid to airport ground handling services in order to achieve better service.
- Airport officials Should take into account the services provided and should be improved in order to provide a distinctive and satisfactory service for travelers, and by conducting surveys in order to know travelers impressions of these services, and this must be done on a regular basis, so as to enable decision makers and those interested in airports know the strengths and weaknesses, and then work to address the shortcomings
- In light of the rapid development of aviation, we have to keep pace with the development requirements of an airport, and work to provide the latest equipment in order to keep pace with modern technological development.
- Management the airport and the department of civil aviation must separate access flights with each other, in order to prevent congestion in the halls at the airport.
- Attention must be paid to health services within the airport and work on their development, because they are too weak or negligible.
- To ensure the safety and health of passengers and airport staff, measures must be taken to prevent smoking inside the halls of the airport in order to preserve the health of passengers.

- Providing commercial markets for the sale of local products, and commemorative cards, expressing the history of the country and its laboratories.
- Studying the current situation inside the airport, in order to identify the difficulties faced by its workflow, and then propose scientific and practical solutions to overcome those difficulties.
- Training and qualifying the workforce at the airport, in an effort to create a cadre of qualified specialist skills and competencies in conformity with global standards and specifications.
- In order to facilitate and simplify the procedures for passenger travel, the airport management must use sophisticated electronic systems, aimed at saving time and effort, represented by the self-acceptance systems, and e-booking, coded card system and advanced paging system.
- Working to pay attention to air cargo facilities at the airport and organizing postal cargo flights shipping and simplifying procedures for achieving the best performance.
- Airport management should focus on finding a solution to the problem of passengers accommodating, especially in the case of a delay or cancellation of the trip, there is no hotels in the study area to accommodate passengers arriving from remote regions, as well as the attention of waiting halls and its expansion as well as providing necessary recreational requirements such as TV and comfortable places to spend time interesting in the case of jet lag or not to attend.
- For the airlines operating at the airport, all airlines must examine the travelers impressions about the services they provide, in order to find out their shortcomings, and to update its fleet, so that meets all the needs of the traveler in terms of leisure and entertainment, and to focus more accurately on the dates of their flights, and rehabilitation care and training of air crews for achieving passenger satisfaction
- The officials of civil aviation and public administration of the airport, should prepare a contingency plan, especially during sudden and dangerous weather disasters.
- The rehabilitation of the airport with the latest cutting-edge technology and means of moving belts and surveillance equipment and vehicles transporting passengers with sophisticated luggage and other modern technologies that help to accelerate the development of passenger traffic at the airport.

Footnotes and References

1. Abdullah, Lama, Muhammad (2003), "Benghazi Plain: A study in Physical Geography", Benghazi, Garyounis University Publications.
2. Abubaker, Halima (2004) , "The design of Benghazi International Airport", a project to obtain a bachelor's degree, Department of City Planning, Faculty of Engineering, University of Garyounis, Benghazi.
3. Al Azzabi, Abolghasem M., "Transport and Communications in Libya", Jamahiriya: Study in Geography (edits)Hadi M. Bolegemah El-Hadi and Saad Al-Khazairi, Dar Al-Jamahiriya Publishing, and Advertising, Sirte.1995

4. Bolegemah, Hadi Mustafa (1998) , "Libyan Studies", 2nd edition, Benghazi, Publications of Garyounis University .
5. Al-Bory, Wehbe Ahmed,(undated) "Benghazi During the Italian Occupation Era", 2nd edition, Tripoli Libya, General Counsel of Culture.
6. Civil Aviation Administration and Public Administration for Benina International Airport, (2009), Documentation and Information Office.
7. Civil Aviation Administration and Public Administration of Benina International Airport (2012), Unpublished Documents, The Problems Facing Benina International Airport
8. Deep, Adel (2006) , "The Effect of Some Environmental and Technical Factors in Airport Planning, Tishreen University Journal for Studies and Scientific Research, Engineering Science Series, Volume 28, Issue 1.
9. Ezzedine, Farouk K. (1970) , "Cairo Airport: A Study in Transport Geography", Unpublished Master Thesis, Cairo University, Faculty of Arts, Department of Geography, Cairo .
10. Ezzedine, Farouk Kamel (1976), "Transportation Geography in Libya", Unpublished Ph.D, Cairo University, Faculty of Arts, Department of Geography, Thesis.
11. Farag, Marwan Asaad (2000), "Transport Management in Enterprises and Jobs, Problems and Treatments", Tripoli, Tripoli World Scientific Library
12. Al-Faydi, Salem R. (2000), "An Analytical Study of Air Freight Services in Institutions of Saudi Arabian Airlines "; Applied to International Airports in the Kingdom of Saudi Arabia, King Abdul Aziz University, Department of Administrative Sciences, Unpublished Master Thesis
13. Al-Ghamdi, Ali Zinada (1995) , "Assessment of Passenger Services in Saudi Arabia Airways" Unpublished MA Thesis, Saudi Arabia, King Abdul Aziz University, Faculty of Economics, Department of Administrative Sciences
14. Ghashir, Fuad Abdullah Ben & Saleh Ali Swidan (1985) , "Noise at Tripoli International Airport and Its Effects on The Environment and Humans", Al-Fateh University in Cooperation With the Civil Aviation Administration, Ministry of Maritime Transport, Tripoli.
15. Jaouni, Fareed et al., (1998) “Principles of Statistics”, publications of Murad Library, Sanaa, Yemen
16. Jawashi, Al-sholah Khalifa (2001) , "Geography of Air Transport in Libya", Unpublished Master Thesis, Cairo, the Arab League, Arab Research and Studies Institute, Department of Geography
17. Jawda, Jawda H (1973) , "Research in Libyan Geomorphologic Territories University Publications", Benghazi, Faculty of Arts
18. Libyan Arab Jamahiriya(2009),"the Civil Aviation Authority, and Public Administration of Benina International Airport",Documentation and Information Office
19. Libyan Arab Republic (1975) ,The Ministry of Communications, Annual Achievements of the Revolution in the Transportation Sector, Tripoli.
20. Mohammed, Salem Ayman (2007) , a previous source
21. The National Planning Council, (1966) , The Kingdom of Libya, Third Annual Report on the Activities of the Financial Year 1965 Until March 31.
22. Al-Nemer, Saleh Abdulla (2007) , "Warnings of Privatization of Air Transport Sector in Libya", The International Conference of Aeronautics and Air Transport (ICASAT) Tripoli

23. Radwan, Nabilah Saleh (1986), "The impact of current Benina airport on the city and the region", a project to obtain a bachelor's degree, Department of City Planning, Faculty of Engineering, University of Garyounis, Benghazi.
24. Salem, Ayman Mohammed (2007), "Assessing The Role of Domestic Airports and its Impact on The Tourism Movement in Egypt", Unpublished PhD Thesis, Helwan University, Faculty of Tourism and Hotel Management, Department of Tourism Studies
25. Al-Sharif, Ahmed, and others(2007), "The Economic feasibility Study for the Development of Benina airport" ,Benghazi, Benghazi Economic Sciences Research Center.
26. Shehata, Ahmed Hassan (2006), Noise Pollution and Impediment of Development, Arab House Book, Cairo, issue 1
27. Srangel, Michal, (2011) "Airport-related Spatial Development –Global Tendencies and Katowice Airport Area Perspective", Faculty of Architecture, Silesian University of Technology, Ul, Ackademicka 7, 44-100 Gilwice, Poland No.1-2011.
28. Tahoun, Zakaria (2004) , The Risk of Widespread Pollution, Dar Al-Sahab for Publication and Distribution, Cairo, issue 1.
29. Al-Thani, Khalifa Bin Nasser (2008), "The Effectiveness of Legislation to Protect The National Environment of Pollutants Coming Through The air Ports: A Case Study on The Doha International Airport", Unpublished MA Thesis, Ain Shams University, the Institute of Environmental Studies and Research, Department of Economic, Legal, Administrative and Environmental Sciences.
30. Weisbrod, Glen E. (1993), "Airport Economic Development Model". Economic Development Research Group. Boston MA John S. Reed and Roanne M. Neuwirth, Cambridge Systematic. Inc. Paper presented at the PTRC International Conference, Manchester, England.

ISSN: 2523 – 1871

مجلة كلية الآداب.

The Problems Facing the Second Semester Students in the English Department in Learning English Modal Verbs

Nora Saad Elarfi

Department of English - Faculty of Arts -University of Benghazi

Abstract

The present study is mainly concerned with a very important area of English grammar which is "The English Modal Verbs" in terms of the technique of introducing them to second semester students in the English department at the university of Benghazi. The researcher tries to clarify the problems that our students face in learning the English Modal Verbs because of introducing them individually, not as members of three basic types of modality which are Epistemic Modality, Deontic Modality, and Dynamic Modality. The population of the study consisted of ten teachers and thirty students.. The main purpose of this study is to discover the difficulties that our students face in learning these modal verbs which have so many different meanings that make it difficult to learn. Three tools of investigation were used, namely a questionnaire for the sample teachers and a test for the sample students. The analysis of the collected data has shown that both of the sample teachers and the sample students face difficulty. As for students, they face difficulty in dealing with the English Modal Verbs when they come in a context while they could master them in individual sentences. That is because of the way which is used in their textbook in dealing with each Modal Verb individually.

Ke eords:

Learning English - Modal Verbs

Introduction

English modal verbs are a class of auxiliary verbs. These modal verbs are CAN, COULD, SHALL, SHOULD, WILL, WOULD, MAY, MIGHT, MUSH, OUGHT To. The researcher in this research examined the problems that our students face when learning these modal verbs .These problems may result because of introducing the modal verbs in single sentences in their textbooks, not as members of three basic types of modality. These basic types are epistemic modality, deontic modality, and dynamic modality, according to Palmer's 1979 classification.

Epistemic modality merely states that something is possible or necessary. Epistemic modality is subjective in that it relates to an inference by the speaker and is paraphrased by "it is possible that". It is used to express the speaker's opinion about the truth of a proposition. When we say "*John CAN'T be the prime suspect*" (Papafragou, 2006:1694), we are saying that it's not possible that John is the prime suspect.

Deontic modality occurs when the speaker performatively creates possibility, necessity, etc. When someone tells his son "*You MUST be home by 1 0 o'clock*" (Collins, 2009:35), he is using deontic modality.

Dynamic modality distinguishes two subtypes: (1) neutral or circumstantial, and (2) subject oriented. Neutral dynamic modality expresses mere possibility. It shows that an event is possible or necessary without relating the possibility or necessity either to the subject or the speaker. Neutral dynamic modality suggests that there are circumstances in the real world that make possibility or necessity; as in "*You CAN actually use diagnostic skills*" (Palmer, 1979:72) (mere possibility). Subject oriented modality (ability) refers to the ability of the subject and can be paraphrased by "has the ability to". as in "Jane CAN speak English fluently*" (Leech and Svartvik, 1973:152)*. It refers to one of Jane's abilities, it doesn't give information about the speaker.

Palmer's three basic types of modality as either epistemic, deontic or dynamic, are not part of the grammar repertoire of the majority of the second semester teachers. Because of this lack, the complexity of modal verbs are not grasped by Libyan students. They find learning the modals difficult and frustrating.

Our students should learn each modal verb as epistemic, deontic and dynamic. In this way our students will find it easier to learn the English Modal Verbs according to this classification.

Aims of the study

The research is an attempt to identify

1. The problems that the second semester students in the English department at the university of Benghazi face when learning the English Modal Verbs.

Research Questions

1. What are the problems that the second semester students in the English department at the university of Benghazi face in learning the English Modal Verbs?

Literature Review

2.1 Modal Verbs

Modal auxiliary verbs are considered to be in the same class as the primary auxiliaries (Palmer, 1979:9).

2.2 The Three Basic Types of Modality

There are three basic types of modality: (1) epistemic modality; (2) deontic modality; and (3) dynamic modality.

The first type is epistemic modality which is prototypically concerned with the speaker's attitudes towards the factuality of the situation. Epistemic MAY, for example, can be paraphrased by "it's possible that"; thus, if someone says "John MAY go home" he is saying that "it's possible that John go home". Epistemic MUST can be paraphrased by "the only possible conclusion is that…."; thus, when someone says "John MUST be home. Look, there is his car", he is saying that "the only possible conclusion is that John is at home" (Palmer, 1979:36).

The second type of modality is deontic modality. Deontic modality occurs when the speaker performatively creates possibility, necessity, etc. When someone tells his son "You MUST be home by 10 o'clock", he is using deontic modality. Deontic modality is usually subjective in that the speaker is the one who obliges, permits, or forbids (Thompson, 2002:1). Deontic modality is oriented towards performing speech acts-doing things with words, for example, "John MAY go home now" (here the speaker gives John permission to leave), or when someone advises, as in "Elena SHOULD go home, she looks tired". Thus, in deontic modality speakers can intervene in the speech event by laying an obligation, giving permission, or making a promise or threat (Downey and Locke, 2006:382).

The third basic type of modality is dynamic modality and within dynamic modality we can distinguish between two subtypes which are: neutral (or circumstantial) and subject oriented modality (or ability). Neutral dynamic modality expresses mere possibility. It shows that an event is possible or necessary without relating the possibility or necessity either to the subject or the speaker. as in "the only way you CAN learn it is to think logically". This is circumstantial because the possibility is related to thinking logically. (Palmer, 1979:71-73) while subject oriented modality (or ability) refers to the ability of the subject and can be paraphrased by 'has the ability to', as in "Rosa CAN run a mile in under five minutes". It refers to one of Rosa's abilities.

2.3 Introducing Modals Showing their Epistemic, Deontic and Dynamic meanings.

In this section each modal verb is introduced as epistemic, deontic or dynamic; they will be introduced under three main groups which are: (1) necessity and obligation (MUST, SHOULD, OUGHT TO); (2) possibility, permission and ability (MAY, CAN, MIGHT and COULD); (3) prediction and volition (WILL, SHALL, WOULD).

2.3.1 Necessity and Obligation

This section deals with the modals of necessity and obligation which are MUST, SHOULD and OUGHT TO.

2.3.1.1 MUST

(a) deontic MUST

We have subjective deontic must and objective one. When must is subjective (the speaker is the deontic source, as in

(1) You must try harder. (Downey and Locke,2006:3910

and when must is objective" the sorce of obligation is external to the speaker", as in

(2) At the United Nations the world agreed that Iraq must withdraw or be driven out of Kuwait. (Collins,209:35)

We can use must to give strong advice, as in

(3) You must keep every thing to yourself, be discreet. (Palmer,1979:62)

(b) Epistemic MUST

It is paraphrased by "the only possible conclusion is that" It can be subjective depends on the speakers beliefs, as in

(4) My grandfather must be sick. (Papafragou, 2006:1693)

or objective depends on what has known, as in

(5) The police told reporters that the victim must have known the killer. (Papafragou, 2006:1697)

***(c) Dynamic* MUST**

In dynamic must there is no indication of the involvement of the speaker. It expresses either internal need in the subject, as in

(6) A plant must have water to live. (downey and Locke, 2006:6)

or a circumstantially derived need, as in

(7) .To get there we must negotiate some of the stormiest oceans in the world and several hundred kilometers of pack ice. (Collins, 2009:41)

2.3.1.2 SHOULD

(a) Deontic SHOULD

It expresses obligation which may not be fulfilled because the obligation of should is not binding, as in

(8) People should drive more carefully. (Downey and Locke, 2006:393)

(b) Epistemic SHOULD

It indicates likelihood or assumption, as in

(9) Our guests should be home by now. (they probably are but I am not certain) (Leech and Svartvik, 1973:155)

or assumption, as in

(10) Why should the strati graphic divisions that we have established in Britain be of use in Australia or China. (Collins, 2009:47)

2.3.1.3 OUGHT TO

(a) Deontic OUGHT TO

It expresses obligation, suggestion, prohibition or advice, as in

(11) You really ought to cut down on smoking. (obligation) (Collins, 2009:53)

(12) People ought to drive more carefully. (suggestion) (Downey and Locke, 2006:393)

(13) You oughtn't to waste all that money on smoking. (prohibition) (Downey and Locke,2006:393)

(14) There were things he didn't tell you and things he did tell you but I suggest to you the things he didn't tell you were stupid things and not really things which you ought to use In your deliberations when you're considering his evidence. (advice) (Collins, 2009:54)

(b) Epistemic OUGHT TO

It expresses likelihood (probability) or conclusion, as in

(15) I think it ought to take about three hours, if the traffic isn't too bad. (likelihood) (carter And mcCarthy, 2006;660)

(16) Bananas ought to grow well in this country. (conclusion)(Downey and Locke, 2006:2010

2.3.2 Possibility, Permission and Ability

2.3.2.1 MAY

May is dominantly epistemic, whereas, deontic and dynamic possibility are minor meanings for MAY.

(a) Epistemic MAY

It's paraphrased by "it's possible that" and it represents factual possibility, as in

(17) The railways MAY be improved. (=it is possible that the railways will
be improved) (Leech and Svartvik, 1973:151)

It means I think that will be realized oneday

(b) Deontic MAY

It is used to give permission, ask for permission ,prohibition or convey a command, as in

(18) You MAY use my car. (give permission) (Downey and Locke, 2006:394)

(19) May I use your car? (ask for permission) (Downey and Locke, 2006:394)

(20) You MAY not borrow my car. (prohibition) (Downey and Locke, 2006:394)

(21) You MAY take it from me. (command) (Palmer, 1979:60)

(c) Dynamic MAY

It is paraphrased by 'it's possible for'. We have two types of dynamic possibility which are neutral (or circumstantial) which is (theoretical possibility) the possibility of the idea, as in

(22) In spring, wild orchids MAY be found in the woods. (Downey ad Locke 2006:394)

It's different from epistemic possibility (factual), as in

(23) The railways MAY be improved. ((Downey and Locke, 2006:394)

Here there are definite plans for improvement not just an idea; The second type of dynamic possibility is dynamic implication, it suggests that by implication, an action will or should be taken, as in

(24) MAY I help you with the luggage? (Palmer, 1979:73)

2.3.2.2 CAN

(a) Dynamic CAN

There are "three subtypes of dynamic CAN which are

A. neutral(or circumstantial) which is paraphrased by "it's possible for", as in

(25) The railways CAN be improved. (= it is possible for the railways to be improved). (Palmer, 1979:7-72)

B. Subject oriented possibility or ability "has the ability to", as in

(26) She can speak English fluently. (she has the ability to do that) (Palmer, 1979)

C. Implication when the sentences have an illocutionary force of a request, an offer, a suggestion or an instruction, as in

(27) Can you spell that for me, please? (request) (Collins, 2009)

(28) Yes, we can send you a map, if you wish. (offer) (Carter and Mccarthy,200:646)

(29) You can read these two chapters before tomorrow. (suggestion) (Palmer, 1979:73)

(30) Well, I'll pour the ladies, and you can pour the men. (instruction) (Palmer, 1979;73)

(b) Epistemic CAN

It's paraphrased by "it's possible that". It's restricted to non-affirmative contexts, as in

(31) They CAN'T possibly be real pearls. (= it is not possible that they are real pearls) (Downey and Locke, 2006)

Epistemic CAN is also used in interrogatives, as in

(32) CAN they be real pearls? (Downey and Locke, 2006)

(c) Deontic CAN

We can use deontic CAN to seek permission, as well as give permission, prohibition, and command, as in

(33) CAN I use your car? (= Am I allowed to use your car?) (seek permission) (Downey and Locke, 2006)

(34) You CAN use my car. (= You are allowed to use my car.) (give permission) (Downey and Locke, 2006)

(35) No. You CAN'T have that. You might break it. (prohibition) (Leech and Svartvik, 1973)

(36) Oh, you CAN leave me out, thank you very much. (command) (Palmer, 1979)

2.3.2.3 MIGHT and COULD

(a) Epistemic MIGHT AND COULD

MIGHT and COULD can be paraphrased by 'it's possible that', as in

(37) They MIGHT be real pearls, you know. (Its possible that) (Downey and Locke, 2006)

There is another hypothetical (unreal) use for epistemic MIGHT and COULD, as in

(38) If you were a student, you COULD travel at half-price.(= would be allowed to) (Leech and Svartvik, 1979:171)

(b) Dynamic MIGHT and COULD

There are three sub-types of dynamic MIGHT and COULD which are theoretical possibility, ability and dynamic implication. Theoretical possibility means that it's just an idea, as in

(39) We MIGHT go to the concert. (just an idea not a factual one that means they don't have Plans to go to the concert. (Palmer, 1979))

The second sub-type is ability, as in

(40) Ann COULD write when she was three.(animate) (Collins, 2009)

(41) The bridge COULD support eight tons. (inanimate) (Collins, 2009)

The third sub-type is implication. Dynamic implication is found mainly with COULD to express both offers and requests, however, MIGHT can be used to express suggestions, as in

(42) I COULD give you that other book when I stay at Hilda's if you're near. (offer) (Collins, 2009)

(43) COULD you give me a ring if you can't make it, Bob. (request) (Carter and McCarthy, 2006:646)

(44) You MIGHT have a look at this book. (suggestion) (Leech and Svartvik, 1973:177)

(c) Deontic MIGHT and COULD

Both of these modals are used in asking for permission, not in giving permission, as in

(45) COULD I talk to you for a moment? (Carter and McCarthy, 2006:646)

2.3.3 Prediction and Volition

This section deals with modals of prediction and volition which are WILL, SHALL and WOULD.

2.3.3.1 WILL

(a) Epistemic WILL

It is paraphrased by 'a reasonable inference is that'. It's used to express predictability with present situation, as in

(46) That'll be Jim at the door. (deduction from the present situation based on the available evidence) (Carter and McCarthy, 2006:648)

WILL is used to make predictions about the future, as in

(47) The parcel WILL arrive tomorrow. (it is predictable that) (Downey and Locke, 2006:208)

(b) Dynamic WILL

Dynamic WILL has two sub-types

A. Willingness will. It expresses polite offers, directives and requests, as in

(48) WILL you have another slice of melon? (offer) (Downey and Locke, 2006:390)

(49) WILL you sit down and just be quiet! (directive) (Downey and Locke, 2006:390)

(50) WILL you make sure the water's hot? (request) (Leech and Svartvik, 1973:175)

B. Intentions. It expresses promises and threats, as in

(51) I'll bring you something back from Paris, I promise. (= I intend to bring...) (promise) (Downey and Locke, 2006:390)

(52) I'll report you if you do that again. (= I intend to report you) (threat)(Downey and Locke, 2006:390)

(c) Deontic WILL

If I predict your a genitive action where I have the authority to require them, I will be understood as tacitly involving the authority, as in

(53) You' ll clean the bikes. (Collins, 2009:134)

2.3.3.2 SHALL

(a) Deontic SHALL

SHALL is stronger than MUST because it does not only lay an obligation but also guarantees that the action will occur, as in

(54) I SHALL be there by six. (Palmer, 1979:62)

Deontic SHALL may express promises, as in

(55) No, I SHALL be back tomorrow. (Palmer, 1979:112)

(b)Dynamic SHALL

A. Dynamic SHALL expresses intentionally 'intend to', as in the following example where SHALL is used with a first person subject, as in

(56) We SHALL overcome. (= we intend to overcome) (Collins, 2009:137)

B. It also expresses willingness 'be willing to', as in

(57) Everything in Turkey is very cheap which reminds me Cath, I SHALL send you some Turkish money. (=I am willing to send) (Quirk and Greenbaum, 1973:54)

C. In interrogatives volitional SHALL is used with a first person subject to make an offer or a suggestion, as in

(58) SHALL I carry those bags for you? (= Do you want me or Are you willing to) (offer) (Downey and Locke, 2006)

(59) SHALL we listen to some music? (suggestion) (Leech and Svartvik, 1973:177)

(c) Epistemic SHALL

A. Epistemic SHALL expresses predictions, as in

(60) We SHALL know about the results within two days. (= it is predictable that...) (Downey and Locke, 2006)

B. Epistemic SHALL may express conditional consequence, as in

(61) And if she recommends my book after that I SHALL be very surprised. (Collins, 2009:136)

2.3.3.3 WOULD

(a) Epistemic WOULD

Epistemic WOULD can be paraphrased by 'it's probable that'

A. It's used to express probability, as in

(62) That WOULD be his mother. (= it's probable that….) (Quirk and Greenbaum, 1973:54)

B. Epistemic WOULD can also be used to express habitual behavior in the

past. In this sense WOULD is similar to 'used to', but it occurs in more formal contexts, as in

(63) She WOULD often go all day without eating. (Leech and Svartvik, 1973:155)

C. It expresses hypothetical use in unreal conditional constructions and also in the clausal complement of wish, as in

(64) The situation WOULD not be so bad if we all remained calm. (Kosur, 2010)

(65) I wish the stores WOULD open earlier. (Kosur, 2010)

(b) Dynamic WOULD

A. Dynamic WOULD expresses hypothetical willingness, as in

(66) My boss is so greedy, he WOULD do anything for money. (hypothetical) (Carter and McCarthy, 2006:652)

B. B. WOULDN'T expresses the negative of willingness, that is, refusal, as in

(67) The guards just WOULDN'T take any notice. They WOULDN'T listen to me. (=they refused take any notice and listen to me) (Leech and Svartvik, 1973:169)

C. Dynamic WOULD also expresses insistence, as in

(68) It's your own fault, you WOULD take the baby with you. (Quirk and Greenbaum, 1973:56)

D. . It also makes requests, as in

(69) WOULD you look after my seat for me, please? (=Are you willing to do that for me?) (Carter and McCarthy, 2006:652)

E. . It's also used in making offers, as i

(70) WOULD you like me to mail these letters. (Leech and Svartvik, 1973:184)

Previous Studies

Palmer (1979) made use of data from written and spoken texts which are taken from the Survey of English Usage in University College, London for heuristic and exemplificatory purposes. He focused on the semantic concept of modality. The result which Palmer obtained from this study is that he distinguished between three basic types of modality which are epistemic, deontic and dynamic.

Lei and Moreira (2000) taught English modal verbs in the attempt to develop the cognitive flexibility of students learning English as a foreign language. Their program undertakes to improve English grammar teaching and learning within the field of the English modal verbs to the year university students at the University of Aveiro, Portugal. The students were both males and females, employing Didaktos

which stands for "didactic instructional design for the acquisition of knowledge and transfer to other situations". Three groups were engaged. The control group studied the materials in a traditional way and the two experimental groups studied them in a thematic criss-crossing manner, with the third group being more independent than the second one. The tools which were used in this experiment are pre-and post-tests and an interview. The results obtained from this experiment were that the students received a better understanding of the knowledge of modals after using this program; didaktos was found to be an effective teaching and learning tool.

Thompson (2002) studied the English modal verbs in terms of learning and teaching. He clarified the difference between "modal"which refers to the formal properties of a certain class of words and "modality" which refers to the meanings of those words. He maintained that students need to learn to distinguish between the three categories of modality (epistemic, deontic, and dynamic). The sample which he chose was a group of lower level students in Italy. He collected data through pre-and post-tests. The result of this experiment showed that the students could distinguish to some extent between the three different meanings of each modal verb.

Trejos (2008) used journals for learners' reflection and self-assessment in a high-beginner adult class throughout a three-month cycle at an institution in Colombia .The students were males and females. The tools which were used were role play and observation. In this experiment the students had to prepare some recommendations for their classmates using the modal verb SHOULD to give advice. This task was done in groups. The results of this experiment were: (1) the students became aware of the ways in which they could express their reflections; (2) the learners' level of satisfaction with their own learning process increased because through the use of journals they developed a greater sense of commitment to the accomplishment of the goals set for the course; (3) learners' reflections were fundamental for them to identify strengths and weaknesses in their class performance; and (4) at the end of the three month process, students' progress in their communicative ability could be evaluated more easily.

Collins (2009) referred to a corpus-based study of the meanings of the modals and quasi modals which are HAVE TO, HAVE GOT TO, NEED TO, BE SUPPOSED TO, HAD BETTER, BE BOUND TO, BE ABLE TO, BE GOING TO and distinguished between epistemic, deontic, and dynamic modality. This study examined the frequencies of usage for the meaning and use of modals and quasi-modals in three parallel corpora of British English, American English, and Australian English. Each corpus comprised 500 texts, which included 300 spoken texts (600,000 words) and 200 written texts (400,000 words). Each corpus samples the English of male and female adults (aged 18 or above) who have been educated to the end of secondary schooling. The tools which were used were role play in conversations and written texts. There were three main results: First,

American English is in the forefront of change in the rise of the quasi-modals and the decline of the other modals while British English is the most conservative, with Australian English occupying a middle position. Second, the quasi-modals' preference for occurrence in speech over writing is overwhelmingly greater in the American corpus. Third, British English has the highest proportion of modals in writing.

Methods of Data Collection

Two data collection tools were used in this study a questionnaire for the teachers and a test for the students

3.1 The Questionnaire

A questionnaire was used in this study containing seven questions. The questions elicit information about the teachers, their background, their qualifications, the problems that they face in teaching the English Modal Verbs, etc.

3.2 The Test

A test was given to the students to help the researcher to evaluate their competence of using the English Modal verbs correctly. Statistical tools for analyzing the data collected were used. The sample was taken from the second semester students in the English department. The population of the study is 30 students, 10 male students and 20 female students. The test includes three parts as follows:

Part 1 is an elicitation technique. It is a multiple choice question. It consists of five questions where the students have to read the question, comprehend its meaning then decide which option is the right one according to what they studied in their curriculum. It was given 5 marks.

Part 2 is also an elicitation technique. It is an easy type of questions where the students have to match three groups of modal verbs with what they express. It was given 3 marks.

Part 3 is a production task. This question is completely different from the other two questions because students in this question have to deal with the English Modal Verbs in a context or discourse not in single sentences as part 1 and part 2. it has been given 7 marks.

Data Analysis

According to the analysis of the students' test.

(1) There's no significant difference can be observed between male and female students' performance for the total test as shown in the following table.

Students' score	N	X	SD	t-test	df	p.value
Male	10	9.1282	2.82078	-1.237	93	0.219
Female	20	9. 7857	2.34105			

Paired Samples Statistics

	Mean	N	Std. Deviation	Std.Error Mean
Pair 1 Q1	6.13	30	2.968	.542
Q3	3.10	30	1.561	.285
Pair 2 Q2	2.13	30	1.196	.218
Q3	3.10	30	1.561	.285

Paired Samples Correlations

	N	Correlation	Sig.
Pair 1 Q1&Q3	30	.235	.211
Pair 2 Q2&Q3	30	.233	.216

Paired Samples Test

	Mean	Std. Deviation	Std. Error Mean	Lower	Upper
Pair 1 Q1-Q3	3.033	3.011	.550	1.909	4.158
Pair 2 Q2-Q3	-.967	1.732	.316	-1.613	-.320

Paired Samples Test

	t	df	Sig.(2-tailed)
Pair 1 Q1-Q3	5.517	29	.000
Pair 2 Q2-Q3	-3.057	29	.005

Summary of the Results

The students' performance on part 1 and part 2 of the test was good; however, their performance on part 3 was bad. These bad results are because of the fact that in this part of the test they had to deal with the English Modal Verbs in a context not individually as in part 1 and part 2. These results confirm the researcher's hypothesis which is that our students face difficulty in dealing with the English Modal Verbs in a context. In my opinion, this difficulty is because of introducing the English Modal Verbs in single sentences in their books.

***The results of this study can be concluded as follows*:**

The English Modal Verbs are introduced individually and that makes it too difficult for teachers to make students understand them.

- The large number of the students does not give them a chance to practice what they study

because only small groups can practice what they study.

- Teachers do not have any teaching aids to help them in their explanation except whiteboards.
- The teachers need some modern ways in presenting their lessons. For example, the storage of the curriculum on USBs and then presenting the lessons to the students by using DVDs that will make the students are interested in what they study and so on.
- There is a proficiency gap among students, some of them are good and the others are weak. Thus, teachers face very big difficulty in dealing with this problem.
- The time of the lectures is limited. Thus, teachers hardly find enough time to explain only, not to give a chance to students to practice.

Concluding Remarks & Recommendations

Concluding Remarks

What can be observed of the students' answers is that the students could, to a certain extent, master the English Modal Verbs in part 1 and part 2 of the test. Because of the fact that in the first part the students deal with single sentences and in the second part they just have to match. However, in the third part of the test the answers depend on a context rather than on single sentences as the other questions. Dealing with the English Modal Verbs in a context makes this question very difficult and that affects the students' scores which were very low in the third part. These results reflect the fact that our students will not be able to use the English Modal Verbs in everyday language because they do not master the English Modal Verbs in a context.

Recommendations

After analyzing the data gathered for this study, and after looking thoroughly at the results, the researcher recommends the following hoping to see them applied on the ground:

(1) The technique of introducing the English Modal Verbs in single sentence without a context should be changed. Students should learn them according to the three basic types of modality which are epistemic modality, deontic modality and dynamic modality as suggested by Palmer (1979). Thus, their books should be changed. Also, it's important to add other curricula which help students to use the English Modal Verbs in a context. Especially, in speaking in order to be able to use them in everyday language.

(2) The number of students in each class should be between twenty to twenty five to give them a chance to practice everything they learn. It has to be mentioned that practice is the fundamental factor in any successful learning and teaching process.

(3) The time of each lecture should be three hours to give the students a chance to speak more and more. The students should have some lectures in the open air, in these lectures

they have to practice only speaking. In my point of view, this is an effective way to give the students a chance to practice what they study.

(4) The class cassette should be available for each student to give them a chance to learn the correct pronunciation of the English Modal Verbs from native speakers. Also teachers should be aware of the role which teaching aids play in helping the students to understand. Such as using pictures, flash cards, visual aids, etc

References

1. Biber, D. (2002). *Longman Student Grammar of Spoken and Written English.* London: Pearson Education Limited.
2. Carnap, R. (1947). *Meaning and Necessity.* Chicago: The University of Chicago Press.
3. Collins, P. (2009). *Modals and Quasi Modals in English.* Amsterdam: Editions Rodopi B.V.
4. Groefsema, M.(1994). Can, May, Must, and Should: A Relevance theoretic account. Available: http://www.jstor.org/pss/
5. Hacquard, V.(2006). Aspects of Modality. Available: http://iteslj.org/html
6. Jubien, M. (2009). *Possibility.* Oxford: Oxford University Press.
7. Karkkainen, E. (2003). *Epistemic Stance in English Conversation*. Amsterdam: John Benjamins Publishing Company.
8. Kosur, H. (2010). English Modal Verbs. Available: http://www.brighthub.com
9. Levine, D. (2006). Modality of Teaching and Learning. Available: http://tomprofblog mit/edu
10. Nuyts, J. (2001). *Epistemic Modality, Language, and Conceptualization.* Amsterdam: John Benjamins B.V.
11. Palmer, F. (1979). *Modality and the English Modals.* London: Pitman Press.
12. Papafragou, A. (2000). *Modality:* Issues in the Semantics-Pragmatics Interface. University of Pennsylvania, Chicago: Elsevier Science Ltd.
13. Papafragou, A. (2006). *Epistemic Modality and Truth Conditions.* University of Delaware. Chicago: Elsevier B.V.
14. Plantinga, A. (1974). The Nature of Necessity. Oxford: Oxford University Press.
15. Portner, P. (2009). Modality. Oxford: Oxford University Press.
16. Salmon, W. (1988). Probability and Causality. Amsterdam: d. Reidel Publishing Company.
17. Simon-Van denbergen, A.M. and Aijmer, K. (2007). The Semantic Field of Modal Certainty. Berlin: Mouton de Gruyter.
18. Swan, M. and Walters, C. (1997). How English Works. Oxford: Oxford University Press.
19. Thompson, M. (2002). Helping Students with Modals. Available: http://iteslj.org/Techniques/Thompson-Modal.html
20. Toolcy, M. (1999). Necessity and Possibility. Oxford: Oxford University Press.
21. Trejos, C. (2008). Using Journals for Learners' Reflection and Self-Assessment.

Available: http://iteslj.org/html
22. Von Wright, G. (1951). An Essay in Modal Logic. Amsterdam: John Benjamins Publishing Company.
23. Yule, G. (2006). *Oxford Practice Grammar*. Oxford: Oxford University Press.

Appendices

Appendix A: Teachers' Questionnaire

Dear teacher:

The purpose of this questionnaire is to find out the problems and difficulties facing Libyan teachers in teaching English Modal Verbs for the second semester students in the English department

Your choice of the appropriate answer, which reflects your experience, will be highly appreciated. Please put (√) for the appropriate answer. Thank you in advance.

Teacher's background:

1. Gender
- □ Male
- □ Female

2. Your experience in teaching
- □ Less than 3 years
- □ 4-10 years
- □ More than 10 years

3. Your educational qualifications
- □ Teacher's diploma
- □ Bachelor of Arts
- □ Master's Degree
- □ Other

4. Do you find it easy to teach the English Modal Verbs?
- □ Yes
- □ No

5. Do you use any teaching aids to teach the English Modal Verbs? If yes, what are they?
- □ Yes
- □ No

6. Do you use the cassette in your teaching?
- □ Yes
- □ No
- □ Sometimes

7. What do you think of the textbook for practicing the English Modal Verbs?
- □ easy □ difficult
- □ clear □ unclear

Thank you for your cooperation

Researcher: Nora Elarfi

Appendix B: Students' Test

A Test assessing the second semester students' competence of English modal verbs

March, 2018

Part 1: Choose A, B or C to show what each modal verb expresses (2×5=10 marks)

1. Can I use your car, please?
   a. Possibility
   b. Permission
   c. Ability
2. You must try harder.
   a. Permission
   b. Possibility
   c. Obligation
3. You should leave it till tomorrow, don't you think.
   a. Suggestion
   b. Obligation
   c. Probability
4. Ann could write when she was three.
   a. Possibility
   b. Ability
   c. Permission
5. Would guests kindly leave their rooms by midday?
   a. Probability
   b. Offer
   c. Request

Part 2: Match the three groups of modal verbs with what they express (1×3=3 marks)

1. Modal verbs of possibility, permission and ability are a. will, shall, would
2. Modal verbs of necessity and obligation are b. Must, should, ought to
3. Modal verbs of prediction and volition are c. May, can, might, could

Part 3: Complete the conversation with the modal verbs in the box (1×7= 7 marks)

Can- must -can -may -might -will -could

John: Have you heard about Peter?

Mary: No, tell me.

John: He bought a very expensive car.

Mary: Really? He .....be rich.

John: I .....visit him tomorrow to see it.

Mary: .....I go with you?

John: Yes, you .....

Mary: Do you know how to drive?

John: I.....drive when I was very young, but I'm not sure if I remember how to.

Mary: Listen, someone is knocking the door.

John: That..... Be Jane, she told me she's coming now.

Mary: She.....go with us.

John: I think so.

Thank you for your cooperation

Researcher: Nora Elarfi

Syntactic Theory Perception on Language Acquisition

Youssif Zaghwani Omar
Department of English - Faculty of Arts - University of Benghazi

Abstract

This paper focuses on identifying the syntactic theory perception on acquiring first language. The paper highlights the role and function of language syntactic structure in childhood on acquiring first language from birth and using it in communicative situations in reality later. The paper, however, emphasizes the impact of grammatical development, focusing mainly on nativist and usage-based, on acquiring first language. The paper bases its hypotheses and assumptions on Chomsky's universal grammar and transformation grammar theories. The study, moreover, exposes language as a symbolic system and how it is formed in mind from birth, focusing mainly on the difference between human language and animal sounds. A brief idea about linguistic and communicative competence is presented to associate them to first language acquisition. the study concludes that grammar, which is part of the syntactic theory, is concerned with discovering the principles and sets of rules used for governing the structures of utterances and sentences. These principles and sets of rules constitute what is called linguistic competence of language. This linguistic competence is what helps children acquire their first language.

KEY WORDS

syntactic theory

Introduction

Studies and research emphasize the effect of grammatical development represented in two theoretical approaches: nativist and usage-based on first language acquisition. The nativist approach is mainly based on Chomsky's generative grammar principles, and usage-based approach is based on construction grammar principles. These two approaches, however, have different perceptions regarding the nature and components of the grammatical rules that constitute language grammatical system. In this paper, we will focus mainly on Chomsky's generative grammar principles through studying the effect of syntactic theory on first language acquisition.

Chomsky (1965) believes that grammar includes constant concepts and rules predetermined in brain from birth by innate language faculty. Chomsky bases his idea of innate language faculty on the assumption that language faculty consists of three separate components: phonology (sound system), syntax (sentence structure), and semantics (language meaning). These three components are independent, which indicates that syntactic representations of language can be analyzed separately with no reference to

meaning or sound. In other words, syntactic representations are derived from a universal set of syntactic structures formed in brain, which Chomsky calls universal grammar.

Chomsky emphasizes the role of universal grammar in language acquisitions, basing his generative grammar theory on the assumption that grammatical configurations work independently and, hence, can be defined away of any particular syntactic configuration. Accordingly, syntactic representations are derived innately in brain and contain all grammatical rules of language. Based to this assumption, children are born with a universal set of formal categories, called universal grammar that helps them acquire their first language innately.

Language as a Symbolic System

Chomsky and some other linguists believe that language is a system of symbols arranged and ordered in various syntactic structures, constructed arbitrarily from vocal symbols. People later use language communicatively with others who live and share the same cultural values and symbolic representations. It is crucial, then, that the users of language know about the syntactic structures of words and sentences in addition to the cultural values of that syntactic system to use language in various social contexts. Language as a system of symbols includes sounds (phonology) and syntactic structures (grammar) for communication with people, who use the same vocal symbols in forms of speech and syntactic structures in forms of sentences. The syntactic rules of language, as Chomsky (2006) believes that, "generate an infinite set of surface structures, each of which is a labeled bracketing of a string of minimal elements" (p. 34).

The American linguist Langacker agreed with Chomsky in his view regarding viewing language as a system of symbols, presenting his cognitive grammar approach in the late 1970s. Langacker (1987) defines cognitive grammar approach as "a growing intellectual trend in the analysis of language and mind, away from a mechanistic conception and towards a conception more appropriate for biological systems" (p. 5). According to Langacker, the main language units consists of symbols or conventional combinations of phonological labels and syntactic structures. Accordingly, grammar includes restrictions on how language users combine syntactic structures with phonological labels in order to generate language in various functional situations.

Cognitive grammar approach, based to Langacker (2008), is based on the belief that language is acquired when phonological labels and syntactic structure are acquired side by side. Language, then, is language when it contains a merger of phonological labels and syntactic structures and become meaningful to its users in various social contexts. Also, language is language when language users use and consider linguistic utterances as symbols for objects in reality. Hence, syntactic structures and phonological labels should be associated to language acquisition principles.

According to Langacker (2008), cognitive grammar approach "offers a comprehensive yet coherent view of language structure, with the further advantages of being intuitively natural, psychologically plausible, and empirically viable" (p. 3). This indicates that language users acquire language through unconscious use of syntactic structures in forms of linguistic utterances. It is worth noticing that language users select the linguistic forms that give meaning to them and convey meaning to others, who use the same language. In this regard, Chomsky (2006) states that

> since these facts are known essentially without evidence, it must be that the child approaches language with an intuitive understanding of the concepts involving intending, causation, goal of action, event, and so on; furthermore, it must be that the child places the words that are heard in a nexus that is permitted by the principles of universal grammar, which provide the framework for thought and language, and are common to human languages as systems that enter into various aspects of human life. (p. 62)

Lutz, also, believes that language is a system of symbols; it is not a system of signs. Similar to Langacker and Chomsky, Lutz (1996) emphasizes that there is no relationship between the symbol and the reality, for which it stands. For example, the heart is always seen as a symbol of love, but it is not love itself. A graduation certificate is seen as a symbol of education, but it is not education itself. A symbol can never extract meaning for the reality for which it stands. What gives meaning to that reality is the people who use that symbol in a particular situation. For example, people name the dog "dog," not because naming the animal "dog" refers biologically or morally to the object. People name that animal "dog" not because it barks or for being used for guarding. People agree on naming that animal "dog," regardless any other relative features. There is no relationship between the symbol (the word dog) and the sign (the features of the animal named "dog").

The above example indicates that there is no natural or intrinsic relationship between the symbol and the reality it signifies. The relationship between the symbol and the meaning it presents is arbitrary. Wolfram and Estes (2006) emphasize that "the relationship between the sounds that make up a given word and the meaning or meanings associated with this word is essentially arbitrary. That is, there is no one "true" name for a given object or idea" (p. 60). Accordingly, it is not the symbol or the reality that determines the meaning; rather, it is the people, who use the symbol or the reality, determine the meaning. For example, people agree that a red traffic light refers to stop though there is no natural relationship between the red color and the word "stop." In contrast, the relationship between the sign and the thing it signifies is natural and intrinsic. For example, smoke is a sign of fire, and thunder is a sign of rain. A physician sees that a

fever is a sign of sickness. The policeman considers fingerprints on a gun as a sign against the person, who used the gun (Lutz, 1996).

Potter (1974) adds that meaning of language is determined by the use of syntactic structures in the form of symbols people use to describe objects in the reality. Though Dewey (1997) said, "When a meaning is detached and fixed by a sign, it is possible to use that meaning in a new context and situation" (p. 174), in most cases it seems impossible for the symbol to give the same meaning in a new context and situation. The reason is that words and phrases cannot bring the same pictures to people's minds. For example, the proverb "You are my lucky dog!" has a positive connotative meaning in the English culture as dogs are seen as pets and refer to faithfulness. The same proverb has a negative connotative meaning in the Arabic culture as dogs are seen as dirty animals and refer to dirt. So, the same proverb has different meanings in different cultures. In this vein, Wolfram and Estes (2006) confirm that "a given word may have not only a central, core meaning but also a host of peripheral meanings and associations that make it difficult to pin down the meaning of the word with precision" (p. 60).

Seeing language as a symbolic system, Potter (1974) believes that what distinguishes human beings from animals is that animals use the language of signs, and human beings are the only creatures that are able to use symbols for thinking and communication. It is true that animals use language of signs to express their feelings and wishes. For example, cats arch their backs as a sign of attacking. But human beings use the language of symbols arbitrarily. In fact, animals are not able to think due to the failure to use the symbolic system. It is true, also, that some animals can speak and utter several words, but these animals think of these words as signs, not as symbols. So, this is a good indication about the consideration of language as a system of symbols or a system of signs.

Animals, however, cannot use the syntactic structure of words and sentences; instead, they use phonological labels as basic sounds to express their feelings and wishes. For example, a cow has roughly nine sounds; a chicken has about twenty sounds; and a fox, a dolphin, and a gorilla each has between twenty to thirty sounds. Some animals have nearly the same number of sounds a human being has, which is between thirty and forty sounds, yet they lack the use of syntactic structures (Lightbown and Spada, 2008). Also, "most animals can use each basic sound only once. That is, the number of messages an animal can send is restricted to the number of basic sounds, or occasionally the basic sounds plus a few simple combinations" (Aitchison, 2003, p. 15).

Wade (2000), also, emphasizes the role of syntactic structure in using language in various contextual situations, clarifying that "chimps are highly intelligent animals and can clearly learn the meaning of individual symbols. They can also string several symbols

together, often in highly evocative ways. But the essence of language is syntax, the rules for combining words in a sentence. Most linguists remain to be persuaded that chimpanzees have or can learn true syntax" (p. 52).

Thus, the difference between human beings and animals is that animals use these sounds as signs; that is, animals use each sound only once, which makes the use of these sounds restricted and limited to specific situations. In contrast, human beings use these sounds as symbols in forms of syntactic structures and phonological labels. In fact, human beings use these phonological labels in isolation and combination with syntactic structures, which makes the use of these sounds unrestricted and infinite. This feature makes language both creative and productive, as well as, it helps human beings create and produce unlimited number of sentences through limited number of restricted and finite syntactic structures and phonological labels.

Language, moreover, enables human beings to talk about things in present or absent, while animals can communicate and talk about things in present only. For example, birds can issue a particular sound about danger only when there is danger. Animals have a limited number of signs, so they can communicate only about things that happen immediately. Moreover, human beings do not have a real world in their heads; they have only images about this real world. These images are not the real world, but they are representatives of this real world. Thus, these images are symbols, which strongly facilitate the process of acquiring language (Lightbown and Spada, 2008).

Syntactic Theory

The history of syntactic theory dates back to the beginning 1950s with Chomsky's presenting his ideas about syntactic structures, in which he provided his syntactic maps for acquiring language. Since then, several theories and studies regarding syntax have been presented. Chomsky (2006), originally, relates syntactic theory to word meaning, conditioning that it is essential for language users to be acknowledged with word meaning to use and understand the syntactic structure of linguistic utterances and sentence because "each language can be regarded as a particular relation between sound and meaning" (p. 15). Chomsky presents his universal grammar and transformational grammar, which has mainly three major components: a syntactic component (structure), a phonological component (sounds), and a semantic component (meaning).

In his universal grammar and transformational grammar theories, Chomsky (2006) also presents his syntactic structures: surface structure and deep structure, in which he believes that "the syntactic rules of the language generate an infinite set of surface structures, each of which is a labeled bracketing of a string of minimal elements" (p. 34), adding that "the grammar of English will generate, for each sentence, a deep structure,

and will contain rules showing how this deep structure is related to a surface structure" (p. 93).

Chomsky's belief adds flexibility to language, as one has more than one option to express his idea or thought. In other words, the syntactic structure of the surface structure is limited as there is only one syntactic structure for the statement sentence in English, for example, which starts with a subject followed with a verb. For example, there is only one syntactic structure for the surface structure of the sentence "The car hit the man." People understand that "The car" is the doer of the action "hit," and "the man" is the object of the action "hit."

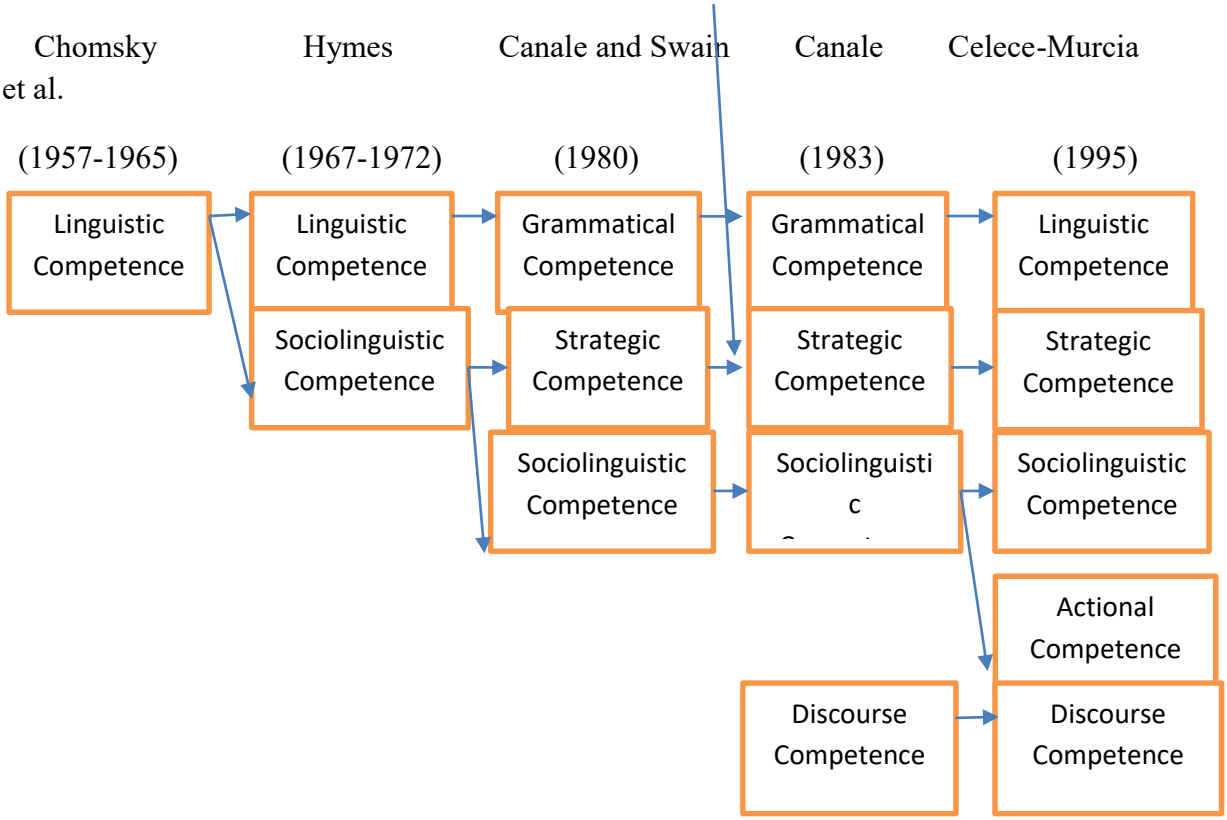
In contrast, to the syntactic surface structure, the syntactic deep structure has infinite structures. The syntactic structure of the surface structure "The car hit the man" can be expressed in different syntactic deep structures through the use of transformational grammar. The deep structure of the above sentence might be in the form of passive voice as "The man was hit by a car," a question as "What hit the man?," and "What did the car hit?," and some others. It is worth noticing that these different deep structures have different meanings based on the theme-rhyme organization. Chomsky (2006) believes that deep structures, "passed to the transformational rules in order to be converted into the surface structures. At this point, the surface structure of a sentence was still abstract: it did not yet have a phonetic form" (p. 200).

As for the role of meaning in the syntactic theory, Lakoff and Johnson (2003) believe that meaning is "a matter of imagination and a matter of constructing coherence" (p. 227). This indicates that two different syntactic structures may give nearly the same meaning, and two similar syntactic structures may give different meanings in different languages. The intonation, for example, changes the meaning of the sentence though it still has the same syntactic structure. Thus, the syntactic structure of the sentence "You went to the school yesterday" might be a declarative question if the intonation is raised at the end of the sentence to take the form of the question "You went to the school yesterday?" So, intonation plays an important role to determine the functions of the words in each syntactic structure in linguistic utterances and sentences.

In the field of syntactic theory, Chomsky focuses on the use of linguistic competence away from its social factors, basing on his theories of universal grammar and transformational grammar. Chomsky uses the concepts "surface structure" and "deep structure" to show how language speakers use infinite syntactic deep structures from finite syntactic surface structures. Hymes agrees with Chomsky in that view, but he adds the role of social setting, presenting his concept "communicative competence," which merges both linguistic competence (use syntactic rules for combining sounds with morphemes in sentences) and sociolinguistic competence (use syntactic rules for using language in social

contexts). Hymes coined the concept "communicative competence" in the beginning 1970s as a response to Chomsky's concept "competence and performance," which he presented in the late 1950s.

As linguists associated the principles of syntactic theory with grammar and linguistic competence in different forms, the history of syntactic theory can be summarized in the following models: (1) Linguistic Model presented by Chomsky in late 1950s; (2) Social Model presented by Hymes in beginning 1970s; (3) the Theoretical Framework Model presented by Canale and Swain in 1980s; (4) the Organizational Model presented by Bachman and Palmer in 1990s; and (5) the Actional Model presented by Celce-Murcia and his colleagues in late 1990s. The figure below shows the chronological evolution of communicative competence.



Chronological Evolution of Communicative Competence

(Celce-Murcia, 2007, p. 43)

The linguistic model, which is concerned with grammatical competence, is based on Chomsky's theories about language competence and performance presented in his Universal Grammar Theory and Transformational Generative Grammar Theory in the middle of 1950s. According to Chomsky (1965), mastery of language is based mainly on

mastery of its vocabulary (semantics), morphological and syntactic structure (morphology), and phonetic sounds (phonology) in cognitive processes in people's mind. Children acquire competence about language as cognitive processes in mind away from its sociocultural features. They acquire language as competence. Later, children use language as performance in multiple sociocultural contexts with others. Chomsky's analysis about language competence and performance indicates that children inherit grammatical competence from childhood, which allows them to acquire language rapidly and use it socially later.

In a different way, the social model, which is concerned with the sociolinguistic competence, is based on the idea "Language is a social activity." Accordingly, people acquire and use language in sociocultural and sociolinguistic contexts. Three interrelated concepts describe sociolinguistic competence as: (1) verbal repertoire, which focuses on heterogeneity of speech communities and the importance of social relationships; (2) linguistic routines, which focuses on chronological organizations in sentences that help language users interact through; and (3) domains of language behavior, which focus on situations, in which one variety of language works more effectively than another variety (Hymes, 2001).

In 1980, Canale and Swain presented their theoretical framework model, which is based on grammatical competence, sociolinguistic competence, and strategic competence. The strategic competence is concerned with the verbal or non-verbal strategies, which the language users use to compensate for their failure in using language in real communicative situations. For example, when someone fails to communicate with others, he might use some strategies, such as avoiding using some words, paraphrasing his words, repeating some words or phrases, guessing other forms, using indirect speech, using passive or active structures and the like. In its later version in 1984, Canale and Swain added discourse competence to be the fourth competence in this model. Discourse competence is based on the idea that mastering of cohesive rules, such as parallel structures, transition words, pronouns, repetition, synonyms, subject-verb agreement, and so on help people use language communicatively (Bagaric and Djigunovic, 2007).

Theoretical framework model gained its popularity in the 1980s in the fields of language testing and language acquisition. This model is based on the idea that the language user's characteristics have a great influence on his ability to acquire and use language communicatively. This model is based mainly on language competence, which consists of two complementary sub-competences that work collaboratively to assist the language user to use language communicatively in functional situations. These complementary sub-competences are organizational competence and pragmatic competence (Bagaric and Djigunovic, 2007).

Organizational competence is concerned with the abilities that work collaboratively to control and guide the way the language user uses language syntactic structures, which include grammatical competence and textual competence. The grammatical competence is concerned with vocabulary, phonology, morphology, graphology, and syntax that work together to help the language user recognize and produce correct grammatical structures in various cultural contexts. In the other side, textual competence is concerned with the conventions used for combining different syntactic linguistic utterances in one meaningful text. For example, the language user may use cohesion and coherent to link related sentences in one paragraph in a text (Bagaric and Djigunovic, 2007).

Pragmatic competence, which is "the ability to communicate effectively and involves knowledge beyond the level of grammar" (Grossi, 2009, p. 53), is concerned with the abilities the language user may use to produce and interpret various syntactic linguistic utterances and sentences in various discourses. Pragmatic competence, however, includes two types of competences: (1) functional competence, which is responsible for producing appropriate language functions the language user may use for interpreting an utterance or a discourse; and (2) sociolinguistic competence, which is responsible for producing and interpreting the syntactic linguistic utterances the language user may use to communicate in a particular situation (Barron, 2003).

In this model, Bachman and Palmer do not use strategic competence in helping language user communicate in language effectively. They conceive strategic competence as a metacognitive factor the language user may use to help him: (1) involve in the goal setting, (2) assess his communicative resources, and (3) plan. Involving in the goal setting requires that the language user identify a number of alternative tasks, through which he selects the one that fulfills its role in language communication. The language user, furthermore, assesses his language use in comparison to the other areas of language communicative abilities, such as affective schemata and topical competence. Planning requires that the language user decide how to benefit from language competence and other competences to use language communicatively (Bagaric and Djigunovic, 2007).

In the middle of 1990s, Celce-Murcia and his colleagues presented their actional model, which is concerned with the language user's abilities responsible for producing speech acts. In this model, the concept "sociocultural competence," which is concerned with how language users base on their cultural backgrounds to use language communicatively, replaced for "sociolinguistic competence." Sociocultural competence indicates the language user's pragmatic competence, which helps language user use language communicatively in its various cultural and social contexts. Actional competence indicates the competence that helps the language user use language communicatively for exchanging information, expressing feelings and opinions, apologizing, blaming, regretting, complaining, wishing hopes and predictions, and the like (Celce-Murcia, 2007).

Syntactic Theory and Language Acquisition

As we have clarified earlier the idea that language is a symbolic system, other linguists believe that language can be symbolized as a software system that constitutes sounds, morphemes, and syntax. As each software system can attract its users through persuading them that they can use that system, language needs to attract its users through persuading them that they can acquire and use language in particular settings, using various syntactic structures through deep structures. Of course, this software system can never work if others fail to understand its syntactic structures and sound forms. So, if people fail to get meaning from the language used, this language becomes non-language. For example, "like I eat banana" is not language as the meaning is unclear due to the disorder of the words in the syntactic structure of the sentence. Whereas, "I like to eat bananas" is a meaningful sentence and considered a language. The syntactic structure of the words is what gives the words meaning and makes the sounds language.

Davies (2005) believes that language is "a complex system of rules relating to sounds, words, sentences and the ways in which these elements are normally combined" (p. 1). Though language is acquired through community, no one can neglect the fact that language consists of syntactic rules, which Chomsky refers to in his syntactic theory as universal grammar and transformational grammar. Rodrigues and White (1974) agree with Chomsky in that language consists of syntactic rules, adding that for a person to know a language, he has to be acquainted with the semantic system that includes word meanings, and syntactic system that includes the structure of sentences and arrangements of words.

Chomsky focuses on the role of descriptive grammar in constituting syntactic structures of sentences in language. Chomsky (1957) believes that each language includes a syntactic system that differs from other syntactic systems in other languages; thus, language users use different structures for the same sentence in different languages. For example, the syntactic structure of the English sentence varies from the syntactic structure of the Arabic sentence. English statements start with a subject followed with the verb. When the English sentence starts with a verb followed with a subject, the structure of the sentence changes from statement into interrogative. The statement English sentence "He can speak English" becomes an interrogative in "Can he speak English?" In Arabic, this syntactic system is different as the structure of the statement sentence starts with a verb as the unmarked form and subject as the marked form.

Descriptive grammar, based on Chomsky, is concerned with how people use syntactic rules subconsciously in social contexts. While speaking language, people use syntactic rules automatically without being aware of what they are doing or saying. Though the use of these syntactic rules is subconscious and natural, they are obligatory because they govern and direct the ways people use language correctly. In this regard, Rowe and Levine (2006) said, "When we say that syntactic rules are basically subconscious, we mean several things. First, people apply the rules of their language

automatically and without noticing that they are doing anything special. Second, using the syntax of language is usually obligatory" (p. 113).

In his *Syntactic Structures* (1957), Chomsky presented his thoughts regarding the effect of syntactic theory on first language acquisition. Chomsky believes that children are born with the ability to acquire language because of the language acquisition device (LAD) that is genetically inherited to assess children to decode language's major principles and grammatical structures in their brains. Children, then, become able to acquire language and become fluent speakers of that language when they become five or six years old. They need just to use their LAD to practice the syntactic structures they have already inherited from birth in real communicative situations.

In spite of the fact that Chomsky applies his syntactic theory on first language acquisition, the syntactic theory might be applicable on all other languages children acquire after first language. The innate LAD, in fact, helps children acquire languages and become fluent speakers of other languages. An experiment in Toronto, for example, shows that bilingual children did better than monolingual children in cognitive tests. This reduces the hypothesis of leaving a room for the first language for development (Bialystock, 2012). The innate LAD provides children with syntactic structures to form sentences correctly, and children pick up vocabulary from the environment later. Language acquisition, in this regard, "can be seen as the transition from the state of the mind at birth, the initial cognitive state, to the stable state that corresponds to the native knowledge of a natural language" (Chomsky, 2002, p. 8).

Similarly, Bardies (1999) emphasizes that

> Acquiring a language requires associating sounds and meanings according to the phonological and syntactic rules of the language. First, children must select the sounds (phonetics segments or syllables) that constitute the repertoire of the sounds used in their language and acquaint themselves with the combinations of these sounds. They must also assimilate the prosodic cues (accent, rhyme, and intonations) that link linguistic units in organized forms (words, phrases, sentences). (p. 40)

Though Ellis (2003) traces the greatest role in acquiring language to the social community as language acquisition refers to "the subconscious process of 'picking up' a language through exposure" (p. 14), Weaver (1996) traces the greatest role to the innate LAD that provides children with syntactic structures to help them form sentences correctly. She emphasizes that "language acquisition is a subconscious process that leads to functional command of the rules of a language, though not necessarily to conscious knowledge about the language or its rules" (p. 49). This, in fact, goes with Chomsky's (2000) belief regarding language acquisition, which "means selecting, among the options

generated by the mind, those which match experience, and discarding the other options" (p. 16).

The discussion above shows that children acquire language as a component including sounds and meanings according to the phonological and syntactic rules of the language. For children to acquire language, they select the sounds (phonetics segments or syllables) that establish the stock and set of the meaningful sounds used in their language and accustom themselves with the arrangements and harmonies of these sounds in syntactic structures. Therefore, children integrate the sound representations in order to link linguistic units in organized syntactic forms in communicative situations. Accordingly, Andrews (1993) explains that "instead of learning only the basic syntactical patterns of the language, the school student also needs to learn about the social facts that affect his or her language options" (p. 38).

Conclusion

The discussion above shows clearly that syntax, in addition to morphology, constitute the science of grammar, which is a branch in linguistics. Syntax is concerned with the processes, principles, grammatical rules that govern the structure of sentences in language. Grammar, based to Weaver (2008) "means a description of the syntactic structures and 'rules' of a language, as well as the actual structures and patterns themselves" (p. 251). Grammar is part of the syntactic theory, which is concerned with discovering the principles and sets of rules used for governing the structures of utterances and sentences. These principles and sets of rules constitute what is called linguistic competence of language. This linguistic competence is what helps children acquire their first language.

The discussion above, also, shows that syntactic theory studies the linguistic competence based on Chomsky's theories of universal grammar and transformational grammar. Syntactic structure is what helps people use linguistic utterances in various functional situations. The feature of using different syntactic structures in language provides language with it is features as a means for communication. This feature of using language productively and creatively is what differentiates human beings' language from animals' language. Also, some linguists consider language as a system of symbols; whereas, other linguists consider language as a system of signs.

References

1. Aitchison, J. (2003). *Teach yourself linguistics* (6th ed.). London: Hodder Headline Ltd.
2. *Andrews, L. (1993). Language exploration & awareness: A resource book for teachers. New York and London: Longman.*

3. Bagaric, V. & Djigunovic, J. M. (2007). Defining communicative competence. *Metodika*, 8 (1), 94-103.
4. Bardies, B. D. B. (1999). How language comes to children from birth to two years (Translated by: M. B. DeBevoise). Cambridge, Massachusetts and London, England: A Bradford Book & The MIT Press
5. Barron, A. (2003). *Acquisition in interlanguage pragmatics*. Philadelphia: John Benjamins Publishing Co.
6. Bialystock, E. (2012). Bilingual kids gain benefits in literacy skills. *CBC News* Retrieved on April 4, 2017 from http://www.cbc.ca/news/health/story
7. Chomsky, N. (1957). Syntactic structures. The Hague: Moulton.
8. Chomsky, N. (1965). *Aspects of the theory of syntax*. Massachusetts: The Massachusetts Institute of Technology.
9. Chomsky, N. (2002). *On nature and language*. Cambridge: Cambridge University Press.
10. Chomsky, N. (2000). *New horizons in the study of language and mind*. Cambridge: Cambridge University Press.
11. Chomsky, N. (2006). *Language and mind* (3rd ed.). Cambridge: Cambridge University Press.
12. Celce-Murcia, M. (2007). Rethinking the role of communicative competence in language teaching. In E. A. Soler & M. P. S. Jorda (Eds.). *Intercultural Language Use and Language Learning*. (pp. 41-57). Dordecht, The Netherlands: Springer.
13. Davies, D. (2005). *Varieties of modern English: An introduction*. Harlow, England and other places: Pearson Longman.
14. Dewey, J. (1997). *How we think*. Mineola and New York: Dover Publications, Inc.Langacker, R. W. (2008). *Cognitive grammar: A basic introduction*. Oxford: Oxford University Press.
15. Ellis, R. (2003). The study of second language acquisition (10th ed.). Oxford: Oxford University Press.
16. Grossi, V. (2009). Teaching pragmatic competence: Compliments and compliment responses in the ESL classroom. *Prospect Journal*, 24 (2), 53-62.
17. Hymes, D. (2001). On communicative competence. In A. Duranti (Ed.). *Linguistic anthropology: A reader*. (pp. 53-73). Malden, Massachusetts: Blackwell Publishers Ltd.
18. Lakoff, G. & Johnson, M. (2003). *Metaphors we live by*. Chicago and London: The University of Chicago Press.
19. Lightbown, P. M & Spada, N. (2008). *How languages are learned* (3rd ed.). Oxford: Oxford University Press.
20. Lutz, W. (1996). *The new doublespeak: Why no one knows what anyone's saying anymore*. New York: Harper Perennial.

21. Potter, R. R. (1974). *Making sense: Exploring semantics and critical thinking*. New York, Chicago, and Dallas: Globe Book Company, Inc.
22. Rodrigues, R. J. & White, R. H. (1974). *Mainstreaming the non-English speaking student*. Illinois: ERIC Clearinghouse on Reading and Communication Skills National Institute of Education.
23. Rowe, B. M & Levine, D. P. (2006). *A concise introduction to linguistics* (3rd ed.). Boston and other places: Pearson.
24. Wade, N. (2000). Introduction. In N. Wade (Ed.). *The science times book of language and linguistics: The best science reporting from the acclaimed weekly section of The New York Times.* (pp. 1-2). New York: The Lyons Press.
25. Weaver, C. (1996). *Teaching grammar in context*. Portsmouth, NH: Boynton/Cook Publishers.
26. Weaver, C. (2008). *Grammar to enrich & enhance writing*. Portsmouth, NH: Heinemann
27. Wolfram, W. & Estes, N. S. (2006). *American English* (2nd ed.). USA: Blackwell Publishing.